قمر
واحدى عشرة ليلة

رواية

حيدر عصام

دار كتاب للنشر والتوزيع

مسؤول النشر
طارق رمضان
مدير التسويق
رضوى عصام
مدير العلاقات
عمر عبد السميع
مسؤول علاقات عامة
غادة العقاد

الطبعة الأولى 2020
الكتاب: قمر واحدى عشرة ليلة
تأليف: حيدر عصام
مراجعة لغوية:
تصميم الغلاف:
إخراج: رضوى مرشدي غريب
المقاس: ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع:
الترقيم الدولي:

جميع الحقوق محفوظة

all rights reserved . no part of this book may be repoduced ’
stored in aretieval system , or transmitted in any from or by any
means ithout prior permission in riting of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعداد المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

العنوان: ٤٩ تقاطع الفلكي مع محمد محمود - القاهرة - مصر
التليفون: ٠١٠٢٩٧٥٥٢٠٠
Email: darkitabone @ gmail.com

المُقدمة

من البديهي ان يكون واقعنا هو انعكاس لأحلامُنا، تلك الاحلام التي راودتنا منذُ الصِغر، منذُ ان صنعنا المُستقبل دُمية من خيوط التمني، لنترُك للقدر ان يمنحها ملامح وجه نضر، او ان يمنحها ملامح وجهٍ كَهِل يدّعي الطفولة. حين كُنا صِغاراً أخبرونا بأن المُستقبل مَجهول، وان ليس بالامكان معرفة خفاياه، وحين بدأنا نتفكر في الغد ونسأل عمّا سنكون عليه في المُستقبل، لم يخبرنا احدٌ بأننا بحاجة الى قدمين للتكهُن بالمستقبل، هاتان القدمان هما (الارداة) و(الحلم). لم يخبرنا احد بأن ارادتنا هي الفرشاة التي سترسم مُستقبلنا وان احلامنا هي من ستلونها، علمونا الوقوف بهاتين القدمين ولم يُعلمونا السير بهما، علمونا ان نبقى واقفين وان نرفع ايدينا فقط، لنبتهل بالدُعاء، لنتضرع لمعتقداتنا الدينية بأن تَهبَنا مُستقبلا جميلا، علمونا ان نتضرع فحسب، لم يخبرْنا احد بأن السير بهاتين القدمين يضمُن لنا غداً مُشرقا. في مجتمعِنا هنالك خطأ شائع يُفيد بأن (القناعةُ كنزٌ لا يُفنى) وهذه عبارة لا يصدقُها سوى بَليد النجاح، ذلك الذي رضي بما كتبهُ لهُ القدر، ظل ساكناً ينتظر كل جديد يكتبهُ لهُ وهو يتغاضى عن حقيقةٍ تَقُرّ بأن للقدر حِبرا يكفيه لكتابة يوم ولادتنا ويوم وفاتنا وما بينهما من احداثٍ ليس لها حُسبان فقط، وفيما عدا ذلك فأنهُ من صنيعتِنا، هو جُهدنا عندما نسير بأقدام (الارادة) و (الحلم)،

هـو كنزُنـا الحقيقـي الـذي يجـب علينـا اسـتثمارهُ بـكل القـوى.

«لا يجب أن نزحف ..

عندما نشعر بشيء يدفعُنا الى الطيران«

هيلين كيلر

(١)

الحيـاة مـسرحٌ عظيـم، تختـار طريقـة تربيتنـا مـع البيئـة المحيطـة بنـا الـدور الـذي سـنظهر بـه في هـذا المسـرح، سـنظهر مـع الذيـن اختارهـم لنـا القـدر ليشـاركونا العيـش، في هـذا المسـرح سنشـاهد عـدة ادوار تُعجبنـا وأخـرى قـد لا تُعجبنـا، يجـب علينـا أن نعلـم ان بعـض هـذه الادوار لم تكـن بمشـيئة أصحابهـا، حتـى وان رضـوا عنهـا وكانـوا سـعداء فيهـا، فهـي كملامـح وجوههـم لم تكـن لهـم أدنـى إرادة في اختيارهـا. بعض آخـر، هـم مـن الذيـن تمكنـوا مـن اختيـار بعـض أدوارهـم بعـد ان لم يعجبهـم دورهـم في المنتصـف الاول مـن أعمارهـم، هـؤلاء يجـب ان نكُـن لشـجاعتهم كل الاحـترام؛ لأنهـم رفضـوا الواقع، فمـن يرفـض الواقـع لا ينـام ليلـهُ مبكـراً، هـؤلاء لم يرتـدوا مـا أراد لهـم آباؤهـم ان يرتـدوا، هـؤلاء حققـوا احلامهـم وكانـوا في مـسرح الحيـاة بـأدوارٍ حقيقيـة، يـرون كلا مـن كان كـما كان ابـوه (ممثـلاً خاضعـاً للنـص المسرحـي).

الحيـاة ليسـت إلا سـنوات إمـا ان نعيـش فيهـا أو نحيـا بهـا، منـذُ ان نولـد والى اخر يـوم كُتـب لنـا العيـش او الحيـاة فيـه، أو لآخـر يـوم نحـن مـن يُقـرر فيـه بأنـه سـيكون اليـوم الاخـير، ومـن هـذهٍ الأيـام، نقـضي سـنينا طـوالا لنتعلـم ماهيـة الحيـاة أو لنتعلـم كيـف ان نتعلـم منهـا، ونحـن نشـتري الـدروس منهـا مقابـل سـنين العمـر.

الرابـح، هـو الـذي استطاع ان يكـون ذكيـاً، هـو الـذي دفـع أقـل عـدد مـن السـنين مقابـل الكثـير مـن الـدروس، فـتراه نجـح في حياتـه وحقـق اهدافـهُ جميعهـا او معظمهـا، أو في اقـل تقديـر فأنـه سـيكون متمتعـاً بـكل يـوم مـن حياتـه. أمـا الاخـر، فهـو الأقـل ذكاءً و ربحـاً، تـراه دفـع الكثـير مـن السـنين مقابـل دروس اقـل، تـراهُ يتحـدث بعقـلٍ يتأخـر عـن عمـره، وقـد يتسـبب ذلـك بمعيشـة صعبـة إن لم يقـف الحـظ بجانبـه، فتجـدهُ يقتـات عـلى الصـبر مـن اجـل انتظـار النهايـة، امـا إن وقـف الحـظ بجانبـه مصطحبـاً الظـروف الجيـدة، فأنـه سـيقضي حياتـه كمثـل السـاعة الجداريـة، منتظـم السـلوك، معـدوم المجازفـة، لا يوجـد ضمـن دوران عقـارب ايامـه ادنـى إرادة. أمـا عـمَّا تبقـى مـن بـشر فأنهـم قـد يكونـون اذكيـاء، ولكـن دخلـت عليهـم ظـروف قاهـرة سرَقـت سـنوات حياتهـم عـلى غفلـة دون ان يبـدوا اعتراضهـم، في وقتهـا كان ليـس بأيديهـم ادنـى ارادة لوجـود عـدة ظـروف يصعـب حصرهـا في بـلاد العـرب، فلـم يتمكنـوا مـن استثـمار سـنواتهم أو مقايضتهـا بالـدروس بـدلا مـن الأيـام.

مـن بديهيـات العمـر، عنـد معرفتنـا لشـخصٍ مـا للوهلـة الأولى يخطُـر لنـا مـا قـد مـر عليـه مـن ظـروفً، أو كيـف كانـت حياتـه، مهـما كان عمـر هـذا الشـخص، فحتـى الاطفـال تنطـق عيونهـم عـن حجـم السـعادة التـي مـرت وتمُـر بأيامهـم وتفصـح عـمَّا اذا كانـت قليلـة او كثـيرة،

وكذلـك في عمـر الصِبـا والشـباب والشـيخوخة.

إن فراسة الانسان تمكنهُ من اكتشاف ذلك، فهو ليس بالهين على اي شخص، إلا لمن عاش في حياته دون أن يرمش عقله عن التفكير، هو الذي يمتاز صوته بنبرة التعب، هو الذي سرقت الظروف السيئة منه سنين حياته دون ان يستغلها ضمن مراحل عمره، فتجده يعيش حقبة من الزمن بأمُنيات الزمن الذي قبله، كأن يكون شاباً بلا طفولة، او أن يكون مُسناً بأحلام الشباب، أو قد يكون هرماً على فراش العَجَز وينتابه إحساس القُبلة الأولى، هو ذلك الانسان الذي ظل حالماً باليوم الجميل حتى قضى نَحبه على ارصفة التمني.

الحب والمال والخذلان، هي من اهم الأحداث التي تطرأ على حياتنا فتحدث تغييراً ملموساً، الحب يحدث تغييراً في افكارنا، والمال يتسبب بالتغيير في سلوكياتنا. فالإنسان عندما يجد الحُب الحقيقي يشعر أنه في غنى عمَّا حوله، وأما اذا امتلك المال، فسيشعر أنه أمتلك ما حوله. أما الخذلان، فأنه يتسبب بندم عميق يؤثر سلباً في جميع العلاقات المحيطة بنا، فعندما يخذلنا شخص نحبه حد التَعلُق، تنكسر جميع الاواصر التي تربطنا به وتؤثر سلباً في من حولنا، وأن لم تنكسر، فهي حتماً ستصبح هزيلة، إن الانكسار بعد التَعلق صعب، صعبٌ للغاية، صعب أن تنام عاري الروح، مغطى بالدمع، صعب أن تنام وعلى أهدابك

قطـرات مــن نــدى الذكريــات، ســنجد حينهـا الصمـت هـو السـائد في أيامنــا، و انعــدام الثقــة حليــف أمنياتنــا، وعُقــم الذكريـات قـد أصـاب احلامنـا.

تمنحنـا الحيـاة عـدة فـرص تُعـدُّ كمُنـح، أو أنهـا تشـبه جوائـز بطاقـات الحـظ، هـذه الفُـرص تكـون خـارج نظريـة المقايضـة ما بـين سـنين العمـر و دروس الحيـاة، فالحيـاة في بعـض الاحيـان تكــون ســخية بعــض الــشيء، منــا مــن اســتغلها فتغــيرت حياتـه، ومنـا مـن لم ينتهزهـا فبقـي في قيـد الترجـي. إن هـذه الفـرص لا تـبرح إلا ان تتسـبب بالتغيـير، فـكل واحـد منـا مهـما يبلـغ مـن العمـر وقـرأ هـذه الأسـطر خطـر ببالـه مـا منحـت لـهُ الحيـاة ذات يـوم، حتـى وان كانـت فرصـة واحـدة، ولكننـا نذكُرهــا، كل الذكــرى نذكُرهــا، نَذكُــر حجــم التغيــير الــذي اصـاب حياتنـا انـذاك. ولكـن مقابـل هـذا السـخاء يوجـد لـدى الحيـاة الظُلـم الوفـير، فمـن حـق حياتنـا أن تخطـف لـون شـعرنا ان ارادت، أو أن تطفـئ بريـق اعيُننـا أو نضـارة أجفانهـا، أو ان شـاءت، ترسـم بقلـم الحرمـان بعـض التجاعيـد بالقـرب مــن اعيُننــا.

نولـد في هـذه الحيـاة دون ادنـى ارادة ، كـما ينبـع المـاء مـن ثغـرات الطبيعـة، هـي (الحيـاة) كـما يشـاء ان يسـميها ابنـاء ميسـوريَ الحـال منـذ ان وضعتهـم امهاتهـم عـلى أسرةٍ مرصعـةٍ بالذهـب، لأن آباءهـم يمتلكـون زمـام الفقـر والغنـى، لأن الحرمـان لم يتطـرق حتـى لأحلامهـم، لأنهـم وجـدوا شـيئا مـن كل شيء.

اما بعض آخر فقد لا يرضون ان يطلقوا تسميه (الحياة) على حياتهم لأنهم على وجه الارض ليسوا بأحياء، وانما يمارسون العيش فقط، فثمة فرق بين أن تحيا وأن تعيش. كل إنسان ولد على هذه الارض ولد بحسب ما تقتضيه ظروف ذويه، ولا مناص للحياد عن ذلك إلا بالشيء القليل، (القليل الكثير) فهو قليل على الواقع، كثير على الانسان، ذلك الانسان الذي انتصر على محيطه بقوى حقنته الايام بمصلها ذات ليلة، حين افترش العَوز ارضه، وتَوسد الارادة، وحلم بالحياة بدل العيش، حياة ابناء الذوات الذين شاهدهم على الضفة الثانية من محل سُكناه.

قديماً كان هناك مثل تايلندي يقول: (إذا كان ابوك لصاً فلا تطمح ان تكون قاضياً) فمن روى هذا المَثل كان مُلماً بكل أنواع الآلام التي تسببت لمن هم بعمر الورد، كان عالماً بمستقبلهم وبمحتواه قبل ان يكبروا، كان شاهداً على ضفتي الحياة الاثنتين (الرفاه والحرمان). من بديهيات القدر ان يعرف الانسان مصيرهُ منذ طفولته وكيف تكون نهايته، بحسب الظروف المحيطة به والمستوى المعيشي الذي حدد نوع الطعام الذي اعتاد تناوله، الى أن تشاء تلك الفرصة التي ستضعه في قارب النصر ليُجذف بإرادتهِ نحو احلامه، وينتقل (إن استطاع) من العيش الى الحياة، وهذا لمن كان ميسور الحظ فحسب.

أمـا مـن وقـف حظـه بالجنـب إلى ظروفـهِ السـيئة لمحاربتـه، فهنـا يجـب ألا يجعـل هـذه الفرصـة ان تجـيء مـن تلقـاء نفسـها وانـما يرغمهـا عـلى ذلـك لأنـه اراد ان يكـون، يكـون الـشيء الـذي يفتخـر بـه أمـام المـرآة حـين يـرى ابتسـامته وهـي تغمـر عينيـه قبـل شـفتيه، يـرى ملامـح وجهـه وهـي تُلَـوح بإشـارات النـصر، ولكنـهُ حتـماً سـيرى نُدبـة الحرمـان قـد ظهـرت في أحـد اركان وجهـه، فهـذه ضريبـة الزمـن التـي لا تقبـل الاسـتثناء، حتـى لا ينسـى مـا مـضى.

بعضنـا يكـبر والطفولـة تعيـش في داخلـه رغـماً عنـه، لأنـه رأى الاطفـال ذات يـوم تلهـو وتلعـب عـلى باحـة بابـه وهـو لم يلعـب معهـم، لأنـه ارّتـدى البسـته القديمـة في أيـام الاعيـاد، لأنـهُ كان يـرى الاطفـال في الاسـواق تضجـر مـن الدمـى التـي بأيديهـا وتتـودد لأمهاتهـم لـشراء الأكـبر منهـا، وهـي بالنسـبة إليـه أمنيـة تسـتحق التمنـي.

مـن أقسـى أنـواع الالم ان تشـتري الدمـى بعـد فـوات الاوان، أن تشـتري العـاب الاطفـال وانـت أكـبر مـن عمـر الطفولـة ومـن نعومتهـا، سـيُصاحبك هـذا الألم مهـما كـبرت، سـيرافقك الى ارذل العمـر، لكنـك لـن تسـتطيع أن تخـبر أحـداً عنـه، إلا مـن كان رفيـق روحـك، فهـذا الـذي يشـعر بصمتـك سيشـعر بحجـم الألم الـذي تقصـده وأنـت تتحـدث عـن الحرمـان، ليـس بامكانـك التحـدث عـن الحرمـان أمـام مـن لا يعرفـه، فالحرمـان احيانـاً قـد يكـون خـدوش احسـاس،

وليس بالضرورة أن يكون احتياجا إلى شيء مادي.

أنا طفلة لم تهتمَّ بعدد السنين على كعكة عيد ميلادها، أنا صبية لم تهتم بثيابها ليلة العيد المجيد، أنا بنت تجاوزت عُمر المراهقة دون أن تَحِب، أنا شابة لم تَعرف رعشة الجسد عند اللمسة الأولى، أنا امرأة لم يخطر ببالها رجُل، وهي تضع أحمر الشفاه قبل خروجها، أنا من يسود الصمت حديثها، أنا من تبتسم من أجل أن تجامل من حولها، أنا ليل ممطر مر على يتامى بلا مأوى، أنا بحر بلا موج، كُتب عليه ان يشاهد من حوله وان يسمع صوت من يجلس على شواطئه دون ان يحرك ساكناً، أنا التي اشترت الدمى بعد فوات الطفولة، انا عُمر من التعب. أنا من يمضي يومها شبيهاً بالذي قبله، مُعطياً صورةً واضحةً لليوم الذي بعده، ويتجدد الامل عند كل مساء، بأن حالي سيتغير وانني سأحب حياتي، سأحيا بها لا لأعيش فيها، والعمر يمضي.

على الرغم من قلة الفرح، كُنت عند غروب الشمس اهمس في داخلي عمَّا اتمناه، حتى تتطفل على احلامي ذكريات يصَعبُ نسيانها، أجمعها وانا اجدل شعري، ثم ارميها مع جدائلي خلف ظهري لأتناساها. في كل ليلة اذهب إلى فراشي دون ادنى شعور بالنُعاس، دون ان يغريني الليل ببعض النوم، اجلس على فراشي وبالقرب مني نافذةٌ تطُل على الامل، تَطُل على الحياة، تلك الحياة التي لطالما تمنيتها.

احيانـاً، وانـا جالسـة افتـح بيـدي جُـزءً مـن السـتارة لأرى القمـر، أراه كل يـوم واتابـع اشـكاله، أنظـر كل ليلـة بصمـت او أكاد اصمـت، لما في داخـلي مـن كلام تقشـعُر لـه اوراق الشـجر في شـهر نيسـان، لمـا في داخـلي مـن غـزل، أريـدُ قولـهُ بشـفاهٍ ترتَعـد حُبـاً، إلا انني اتوسـل إلى النسـيان كـي تغفـو اجفـاني، حتـى يمُـر الليـل الـذي أخشـى صباحـهُ، لأننـي سأسـتيقظ فيـه وأجـد عمـري قـد اصبـح اكـبر، أنـا انـام ليـلي و لي مـن العُمـر ثلاثـون عامـاً مـن التمنـي.

بعـد ان يتعبَنـي الصمـت، أسـتلقي ببـطء عـلى فـراشي، افتـح جدائـلَ شـعري عـلى وسـادتي وأبـدأ بالـكلام، ذلـك الـكلام الـذي لا اسـتطيع البـوح بـه كـما لا اقـوى عـلى كتمانـه، اذكُـر مـا اشـاء مـن الغـزل، اسـقي ورود احلامـي بـأواني الامـل كـي لا تذبـل، احلـم الى حـد السـعادة، الى ان اراه عنـد الصبـاح. اعتَـدتُ الاسـتيقاظ عنـد السـابعة صباحـاً، أفتـح عينـي لأننـي سـأراه، لأننـي سـأكون اسـعد مـن كل بـشر عـلى الارض، يسـكن هـو أمـام منزلنـا، اسـتعدُ كل صبـاح لأن أتحمـل جمالـهُ واناقتـهُ، افُكـر، كيـف أكتفـي مـن النظـر إلى عينيـه الرائعتـين؟ كيـف يُمكننـي أن اقُبَـل نظـرات عينيـه حـين أراهُ ولا يـراني؟ حـين يـرى الدنيـا بأكملهـا، ولا يـراني؟ حـين يخـرجُ مـن منزلـه، اقـف لأتمنـى لـهُ ان يستنشـق هـواءً خـرج الآن مـن اوراق الشـجر، هـواءُ لم يستنشـقه أحـدٌ قبلـه. احبـهُ، لا احـب عـلى الارض سـواه. هـو مـن اختـصر امنيـاتي بأمنيـة اللقـاء معـه،

على طاولة مُنعزلة، على ضِفة نَهر، ذات غِطاء ابيض، عليها فِنجانَين من القهوة. هو الحب الذي ولد وما زال تحت العناية المركزة، لكونه من دون لقاء. هو الذي يخرج من منزله ليستغني الصباح عن الشمس، أشعة جمال وجناته تكفي للأشجار بأن تثمر.

هي النافذة التي أسهر امامها، أظل بالقرب منها من أجله، أرى فيها الحُسن تارتين، تارة عند المساء وانا أنعم النظر الى القمر قبل النوم لأنهُ يُذكرني به، وتارة اخرى عندما اراه وهو يعلن بدء يوم جميلٍ في أيامي، يومي خلافاً لأيام بقية البشر الذين يبدأ حساب ايامهم مع شروق الشمس، انا يومي الجديد يبدأ مع اشراقته هو، هو الذي لا بديل منه، لا شبيه له، ولا حبيب سواه.

كل صباح يخرج (احمد) من منزله ذاهباً إلى لعمله، يخرجُ بقامته الطويلة وبشرته حنطية اللون، وشعره الاسود قليل الكثافة، يقف عند شرفة منزلهِ عدة ثوانٍ، تتعلم من خلالها الاناقة من اناقتهِ درساً في الاناقة، يقف ليعلن شروق الشمس في يوم جديد في تاريخ ايامي سأحبه فيه اكثر من اليوم الذيً قبله. ينظر (احمد) الى السماء برهةً ومن ثم يخرج علبة سجائرِهِ من جيبه، يشعل سيجارة تشبه روحي وهي تحترق شوقاً إلى وسامته، يسير بعدها خطوات الى نهاية الشارع، يسير كأن خطواته اصابع عازف ماهر، يعزف لحناً هادئاً على مسرح ذي مدرجات عالية.

تبقـى في اجفـان عينـي آثـار وسـامته وانـا أغمضهـا، بعـد ان منعتهـا مـن ان ترمـش طـوال الثـواني التـي أراهُ فيهـا، هـو (رفيـق روحـي).

بعـد أن يكتمـل هـذا المشـهد السـاحر، أغلـق نافـذتي واقـف امـام مـرآتي، اجمـع شـعري عـلى كتفـي اليمنـى، أقـف أمـام نفـسي، في الوقـت الـذي اخـاف فيـه كـما تخـاف كل امـرأة ثلاثينيـة عـذراء مـن التقـرب الى المـرآة، تخـاف مـن ان تنعـم النظـر في ملامـح وجههـا وتراهـا اكـبر مـن الأمـس، تخـاف مـن الشـيب فـلا تقـترب مـن المـرآة أكثـر، تخـاف مـن تجاعيـد المـاضي حـول عينيهـا، تسـتمر بالخـوف وتتقـرب، تتقـرب لتطمئـن عـلى جمالهـا مـن خـدوش القهـر، انظـر الى نفـسي جيـداً ثـم أبتسـم، أبتسـم لنفـسي لأنهـا تسـتحقُ منـي الكثـير، تسـتحق الكثـير منـذُ أن خـسرت ابي وانـا في السادسـة مـن العمـر بسـبب مـرضٍ في القلـب، تسـتحق منـي الكثـير لأننـي عشـت في طفولـة اكتفـت برؤيـة الالعـاب دون لـمسها، حـين كنـت أعيـش في ذلـك المنزل الصغـير مـع امـي، امـي التـي أحبُّهـا جـداً، ليـس لي غنـى عنهـا ابـداً، نعيـش وحيدتـين بعـد ان رحـل ابي.

في بلادنـا يصعـب العيـش لمـن هـم محـدودي الدخـل، هـذا الدخـل المحـدود هـو الـذي تسـبب بـألا يجـري ابي عمليـة جراحيـة لصـمام قلبـه الضعيـف كانـت هـذه العمليـة اغـلى مـن احلامنـا الـذي اراد ان يُحققهـا، كان دائـم القـول: «عائلتـي اغـلى مـن صحتـي»، اسـتمر عـلى هـذا المبـدأ حتـى ضاعـت سـعادتنا واحلامـه.

ظـل ابي أشـهرا شـاحب اللـون، كثـير الشـجار مـع امـي بسـبب امتناعـه عـن العـلاج بحسـب مـا كانـت تقـص لي مـن احـداث، نَصحـهُ طبيبـه المُعالـج في وقتهـا بـأن العـلاج لم يعـد كافيـاً ويجـب عليـه ان يجـري عمليـة جراحيـة إلا انـه رفـض بسـبب تكاليفهـا، ولـو كان غنيـاً لـكان طويـل العمـر

تـوفي ابي، سرت في جنازتـه مـع امـي، كانـت تمسـك بيـدي وتجـرني معهـا بخطـوات متسـارعة، نتبـع نعـش ابي، كانـت تُريـدني ان اسـير بسرعـة وانـا حينهـا اردت السـير ببطء، كنـت لا اريـد للعمـر ان يمـضي، كنـت لا اريـد لأبي ان يتركنـا. كل مـن حـولي لم يقولـوا لي صراحـةً ان ابي قـد مـات، قالـوا انـه سـافر وسـيتأخر، ولم يخـبروني متـى يعـود؟ ولمـاذا رحـل؟ كـبرتُ ووجـدت جوابـاً واحـداً يكفـي كل هـذه الأسـئلة، مـات لأنـه كان فقـيراً. كانـت ايامنـا بعـد رحيـل ابي تسـير ببـطء، كسـير الافعـى الى فريسـتها، نسـكن انـا وامـي في منـزلٍ صغـير، بعـد عودتنـا مـن جنـازة ابي، ظلـت تفكـر امـي فيـما سـتفعله لكسـب القـوت للعمـر المتبقـي، كانـت ايامنـا سـاكنة تتخللهـا زيـارات بعـض الاقـارب لأغـراض المجاملـة، كنـتُ اسـمع قولهـم لأمـي بـين تـارةٍ واخـرى: «إن احتجتـم إلى شيء فنحـن بالقـرب منكـم»، بـدأت هـذه العبـارة تقـل شـيئاً فشـيئاً، شـهراً بعـد شـهر، حتـى اقتـصرت عـلى المناسـبات و الاعيـاد.

بعـد وفـاة أبي، امتهنـت أمـي مهنـة الخياطـة، فهـي لا تمتلـك أي تحصيـل دراسي، صمـدت امـام كل الصعـاب حتـى كَـبرُت

وحصلتُ على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية، هذا التخصص الذي كنت لا اطيق السماع به، إلا ان وصية ابي حالت دون ذلك. اوصى امي ذات ليلة بأن أدخل كلية العلوم السياسية، هذا التخصص الذي احَبهُ كثيراً، حين كنت في الدراسة الثانوية، كنتُ افكر في عدم الدخول إلى هذه الكلية، ولا ابرح إلا ان اجد حنيني لأبي يرغمني على اسعاده في قبره. حين أنهيت دراستي الجامعية بحثت كثيراً عن وظيفة، تعبتُ ولم اجد، لأنني من بلاد العرب، في هذه البلاد حين يكون الاباء يكونون اولادهم، وإن انعدم الاباء انعدم من كان من ذريته، صالحاً كان ام لا، يتعلق الامر بالانتماء الديني والاجتماعي وعدد الاقارب بالحزب الحاكم. سرتُ في كل طرقات مدينتي بحثاً عن وظيفة، لم اقدر إلا على لعن بلادنا بالطريقة التي كتب فيها (احمد مطر) قصائده.

ما زلتُ اقف أمام مرآتي، اكرر تذوق مرارة هذا العناء، اتحسر على شعري الذي قصصته بعد تخرجي من الجامعة، قصصتهُ بسبب مدة عِشتُ فيها نظراً لدموع امي، اتذكرُ ذلك اليوم جيداً، حين رأيتُها وهي واقفة تدعو الرب من اجل ان يساعدنا على تحمل صعوبة العيش، وان يمنحنا الصبر، رأيت امي حينها وعزمت على مساعدتها. كنتُ قد رأيت اعلاناً يطلبون فيه نادلاً في احد المطاعم الفخمة في مدينتنا التي تشتهر بالسياحة لعدة مواسم في السنة،

ولكـن كانـت هُنالـك مشـكلة، المشـكلة هـي موافقـة امـي لكـي أعمـل، كنـت حينهـا في المرحلـة الثانويـة.

جلسـتُ ذات مسـاء معهـا عـلى طاولـة العشـاء، طلبـتُ اليهـا ان اعمـل، رفضـت رفضـاً شـديداً حتـى تلعثَمـتْ بالـكلام وهـي تجيـب عـن سـؤالي حـول ثوبهـا الـذي تغـير لونـه ولم تشـترِ غـيره، وعـن ظهرهـا المُنحنـي وكيـف يعـود الى شـكله الطبيعـي، كان هـذا الـكلام مؤلمـاً جـدا، جعلنـي وانـا في عمـر الصِبـا اشـعر بالشـيخوخة ايقنـت في وقتهـا بـأن الشـيخوخة هـي ليسـت التقـدم في العمـر، بـل هـي ان تعجـز عـن فعـل مـا تريـد، ان تريـد مـا لا تقـدر عليـه، ولهـذا كل كبـار السـن يدّعـون الشـيخوخة وهـي في الاصـل لا تـشرط عـلى المسـنين فحسـب.

شـاءت هـذه الفرصـة ان تُعرفنـي بصديـق العمـر الـذي أهـداه لي القـدر عـلى هيئـة اخ، هـو صاحـب المطعـم الـذي ذهبـت إليـه، بعـد ان قضيـت أيامـاً في إقنـاع أمـي، كان الخـوف يراودهـا حـول دراسـتي، جُـل مـا يهمُهـا هـو ان تجنـي ثـمار تعبهـا عـن كل هـذه السـنين العجـاف، ذهبـت انـا وصديقتـي (سـارة) ووجدنـا الاعـلان قـد ازيـل مـن بـاب المطعم!! جلسـنا عـلى احـدى الطـاولات، غمـرت الدمـوع عينـيّ لأنني أضعـتُ ايامـاً في اقنـاع امـي وترغيبهـا بالعمـل، جـاء النـادل فسـألتهُ (سـارة) عـن صاحـب المطعـم، اسـتغربتُ مـن تصرُفهـا !!

قـال النـادل: نعـم موجـود، انـه هنـاك. (اشـار بيـده الى احدى زوايـا المطعم).

قالت سارة: دعينا نذهب إليه.

قلتُ لها: لمَ نذهب؟ من المؤكد ان العمل لم يعُد شاغراً.

قالت: دعينا نسأله فقط.

شـعرتُ حينهـا بـأن (سـارة) قامـت بهـذا التـصرف اكرامـاً لخيبتـي، حـين راودني ألم الحرمـان وعنـاء امـي مـع كل خطـوة اسـير فيهـا.

ذهبنـا الى زاويـة المطعـم وإذا بشـخصٍ جالـس وحـده عـلى طاولـة، كان يُطالـع كتابـاً صغـيراً بيـده، قـال لنـا النـادل بـأن اسـمهُ (زيـاد)، وجدتـه شـخصاً هادئـاً لا يتجـاوز الخامسـة والثلاثـين مـن العمـر، القينـا عليـه التحيـة، فسـمح لنـا بالجلـوس، وبعـد ان رحَـب بنـا بـدأت (سـارة) بالـكلام:

قالـت: سـيد (زيـاد)، جئنـا الى هُنـا مـن اجـل اعلانكـم، كنتـم بحاجـة الى نـادل.

قـال زيـاد: نعـم، أهـلاً وسـهلاً، ولكـن جـاء شـخصٌ مـا يـوم أمـس وحصـلَ عـلى العمـل.

قُلـتُ بنـبرة صـوت ممزوجـة بنيـة البـكاء: شـكراً لـك، هيـا بنـا يـا (سـارة)، دعينـا نذهـب.

وانا أقف، مسكَ السيد (زياد) يدي من معصمها ...

قال: لمَ تبكين؟ هل أستطيع تقديم المساعدة لك؟

سحبت يدي منه ...

قلت بنبرةٍ غاضبة: شكراَ، جئت لأطلب العمل و ليس لأطلب المساعدة.

قالت سارة: اجلسي قليلاً، اهدئي وبعدها سنذهب.

جلستُ، وانا أخرج المنديل من حقيبتي لأمسح دموعي شاهدتُ (زياد) وهو يجلب لنا كأسين من عصير الليمون، شعرتُ حينها بأنهُ انسان رائع و ذو ذوق واخلاقٍ رفيعة.

قال: اين كنتِ تعملين سابقاً؟

أجابته (سارة) وهي تنظر إليَّ: لا تعمل، ما زالت طالبة في المرحلة الثانوية.

قال زياد: هذه اول مرة تتقدمين فيها إلى عمل؟

قلت لهُ: نعم، يا سيدي إن سبب غضبي هو أن امي لم توافق على العمل، قضيت عدة ايام لأقنعها بذلك، نفد الوقت مني دون ارادتي والان قد ضاعت الفرصة.

قال: كلا توجد فرصة اخرى.

قلتُ متشوقة: حقاً !! هل انتم بحاجة الى نادلٍ اخر؟

قال زياد: كلا، نحن بحاجة الى عامل لغسل الصحون في المطبخ وليس في خدمة الزبائن ولكن بنفس اجر النادل.

قلت له: كلا، لا اريد هذا العمل.

سحبتُ (سارة) من يدها بقوة مرة اخرى، و بتعابير وجه يصطنعُ الرضا ...

قلت (لزياد): شكراً لحسن ضيافتك، طاب يومُك.

خرجت من المطعم بخطوات متسارعة وانا اسحب (سارة) من معصمها ...

قالت (سارة): لمَ رفضت؟

وقفتُ والتفتُ إليها، قلتُ: لسببين، الاول ان امي من المستحيل أن توافق على هذا العمل، والثاني اني أرغمت كرامتي على العمل كنادلة، ولا اظنها سترضى بالعمل بأعمال النظافة.

عُدت غاضبةً الى البيت، وجدتُ امي تجلِس على ماكنة الخياطة، سألتني عمَّا حدث ..

قلتُ لها: لم احصل على عمل.

قالت: شُكراً للرب.

وانـا واقفـة امامهـا انطبقـت شـفاهي عـلى بعضهـا غضبـاً، قبضـتُ بكـفٍّ يـدي اليمنـى حقيبتـي الصغـيرة مـن شـدة الغضـب، تمنيـتُ لـو انهـا تعلـم ان دموعهـا هـي سـبب بحثـي عـن العمـل. بعـد ايـام قليلـة، شـعرت أمـي بـألم حـاد في رَقَبتهـا مـن كثـرة الاجهـاد، منعهـا الطبيـب مـن العمـل عـلى ماكنـة الخياطـة فامتنعـت مـدة. ازدادت حالتهـا سُـوءً، الى درجـة انهـا لم تسـتطع الذهـاب الى المعمـل الـذي كانـت تعمـل فيـه صباحـاً، كانـت تعمـل بأجـرٍ ثابـت في معمـل لخياطـة الالبسـة صباحـاً، وعنـد المسـاء تعمـل لحسـابها الخـاص. هـذا الاجهـاد الكبـير جعلهـا ترقـد في الفـراش أسـابيع عـدة، اشـتدت صعوبـة الامـر خـلال هـذه الايـام، أقنعتهـا بـأن أبحـث عـن عمـل لتكتفي هي بالعمـل عـلى ماكنـة الخياطـة في البيـت فقـط، امـلاً بـأن يقـل التعـب ويكُـف الدمـع عـن وجناتهـا التـي أذبلتهـا تكاليـف معيشـتنا.

ذهبـتُ بمفـردي الى السـيد (زيـاد) صاحـب المطعـم، لم أجده، أجـبرني العـوز عـلى انتظـاره، وقفـتُ سـاعتين عنـد بـاب المطعم حتـى أتـى، صافحنـي مبتسـماً، رحـب بي عـلى الرغـم من سـلبية تصرفـاتي في اول مـرة التقينـا فيهـا، وخـلال خطواتنـا القليلـة لدخـول المـكان لاحظـت مـن عينيـه انـه قـد قـدر موقفـي، جلسـنا عـلى احـدى الطـاولات ..

قلـت لـه: سـيد (زيـاد)، اني بحاجـة الى العمـل الـذي تحدثـت عنـه مسـبقاً.

قـال: هـذا واضـح، ولكنـي في المـرة السـابقة اسـتغربتُ رفضـكِ! هـل العمـل بالتنظيـف لا يعجبـكِ؟ مـن المؤكـد أنـهُ لا يليـق بـكِ، ولكـن مـا السـبب؟

قلت: أعتقد أنه لا يليق بي، ولكنه يليق بظرفي الحالي.

قال لي: ما اسمُكِ؟

قلت: (قـمـر).

قـال: ولهـذا كُنـتُ مُتأكـدا ان العمـل غـير لائـق بـكِ، انـت جميلـة ومـن محاسـن المصادفـات أن اسـمكِ لـه نصيـب مـن جمالـكِ، أنـت قمـرٌ بالفعـل.

كان كلامـهُ رقيقـا إلى درجـة الاحـترام، كانـت طريقـة كلامـهِ تنـم عـلى ثقافتـه، ايقنـت بأنـه انسـان نقـيّ.

قـال: سـاعات العمـل مـن الخامسـة الى العـاشرة ليـلاً، سـيزداد الاجـر بعـد شـهر مـن المبـاشرة بالعمـل.

قلت له: اتفقنا.

رجعـتُ الى غرفتـي في ذلـك المسـاء وانـا احلـم بأحمـر الشـفاه الـذي تمنيـت اقتنـاءه، كنـتُ احلـم بـأن اضـع منـه سراً دون ان تـراني امـي، حلمـتُ بـأني أخبئـهُ بـين كتبـي، كنـت احلـم بـكل شيء تتمنـاه كل بنـت مـن اقـران عمـري. اسـتمرَّ الحـال جيـداً، اسـتطعتُ ان اسـاعد امـي بالقليـل مـن تكاليـف العيـش،

بعدها عادت إلى أمي صحتها الجيدة مع قلة الاجهاد الذي تراكم عليها طوال السنين الماضية، اصبح (زياد) صديقي المُقرب، كان يسأل عني كل يوم، اهدى لي يوم نلتُ شهادتي الثانوية (هاتف محمول) أسعدني جداً، كانت هديةً جميلة وانا مُقبلة على دخول الجامعة، شعورٌ جعل ملامح وجهي بأكملها تبتسم.

استمريت بهذا العمل الى يوم تخرجي من الجامعة، الى ان أكملت دراستي الجامعية في كلية العلوم السياسية، دفعت ثمن حصولي على الشهادة الجامعية، صعوبة ايجاد عمل بهذا الاختصاص، قضيتُ اسابيع عديدة وانا ابحث عن عمل، الى ان وجدت عملاً في صحيفة محلية في مدينتنا ليست ذات شهرة كبيرة، في الوقت الذي تألمت فيه كثيراً لكوني ابتعدت من صديقي (زياد)، وعدته بأن الصداقة الجميلة التي آلفت بيننا لن تعرف الفراق، و ها قد مرت سنوات ووفيت بوعدي، وانا الى الان اهتم بالسؤال عنه هاتفياً، وفي اغلب عُطل نهاية الاسبوع اذهب إلى رؤيته.

بعد سنتين من توظيفي استطعنا انا وامي ان ننتقل الى منزلٍ جديد، كان جميلا بسبب من يسكن امام شُرفة غرفتي، بعد انتقالنا حصلت على موافقة من جامعتي لإلقاء المحاضرات في كلية العلوم السياسية لكوني كنتُ الاولى على دُفعتي في التخرج.

أخطـأ مـن قـال إن السـعادة غـير مرتبطـةٍ بالمـال، للـمال عصـا سـحريةٌ تتحكـم بالسـعادة، صحيـح ان ليـس كل انواع السـعادة تشـترى بالمـال، ولكـن اغلبهـا تتملـق لـه، وفي اقـل تقديـر إن لم يسـتطع المـال ان يشـتري لنـا مـا نرجـو مـن السـعادة، فأنـهُ قـادر عـلى ان يجعلنـا ان نعيـش في تعاسـتنا دون قلـق.

شـعرتُ بالانتصـار بعـد أن رأيـتُ أمـي مـن دون عمـل، الانتصـار عـلى الظـروف التـي مـرت بنـا، شـعرت بالفخـر أمـام نفـسي التـي تسـتحق منـي الكثـير فالظـروف القاسـية التـي مـررتُ بهـا كانـت تشـبه غابـة شـائكة الادغـال، خرجـتُ منهـا بصعوبـة ممزقـة الثـوب والجلـد. بسـبب هـذه الظـروف خَسرتُ جدائـل شـعري، قصصتُهـا بعـد ان كانـت طويلـةً، خشـيةً مـن ان يـراني احـدٌ في وظيفتـي وهـو يعلـم بعمـلي السـابق في تنظيـف الصحـون، عـلى الرغـم مـن اني، ومـن محاسـن الظُلـم، لم يكـن عمـلي امـام اعـين النـاس، إلا ان الخـوف الممـزوج بعـزة النفـس ادى الى ذلـك، غـيرت لونـهُ، اختلـف شـكلي بعـض الـشيء عـمَّا فـات مـن ألم، عـمَّا فـات مـن ايـام لا اريـد أن أتذكرهـا.

يعصـف كل هـذا بخاطـري وأنـا أمـام مـرآتي، مـرآتي التـي أنظـر فيهـا بعـد أن اراهُ خارجـاً الى عملـه، اخـاف التقـرب منهـا كـي لا أرى وجهـي قـد ازداد عمـراً، اخـاف ان يذهـب جمـالي قبـل أن ألتقيـه عـلى ضفـة نهـر، عـلى طاولـة عليهـا غطـاء ابيـض و فنجانـان مـن القهـوة.

احـلام اليقظـة، مـا هـي إلا فرصـة للعيـش في غـير الزمـان والمـكان الـذي نكـون فيـه، ريثـما تسـمح لنـا فُرصـة مـا بالتحـدثِ دون خجـل، او للمس دون خـوف، أو لإنعـام النظـر في شيء حُرِمنـا مـن التقـرب منـه. أمـا عـن احلامِنـا الطبيعيـة عنـد النـوم، فـما هـي إلا انعـكاس لما نـراه في يومنـا، وليـس لهـا اي صلـة بمسـتقبلنا، كـما أثبتـه عـالم النفـس الالمـاني (سـيغموند فرويـد) في كتابـه (تفسـير الأحـلام)، بعـد ان قـدم دلائـل عـدة تُثبـت ان ليـس مـن الممكـن لأحلامِنـا التنبـؤ بالمسـتقبل، ولكنـهُ لم يتطـرق إلى أحلامِنـا الجميلـة، تلـك الاحـلام التـي تجعلُنـا سُـعداء مـن وهـم، لنسـتيقظَ مـن شـدة الفـرح، لتلـك الاحـلام التـي لم تجـئ بمفردهـا، تلـك التـي جـاءت بعـد الالحـاح في التمنـي. الفـرق واضـح بـين احـلام اليقظـة واحلامِنـا الطبيعيـة، فهـي عنـد الاول نختـار مـا نحلـم بـه ونغمـره بالإحسـاس الـذي نريـده، أمـا عنـد الثـاني فأنـهُ يـأتي الينـا عنـوةً، كيفـما كان يـأتي، ليسـعدَنا، ليُخيفنـا، سـيأتي عنـوةً حتـى لـو تَعوذنـا بالفـرح مـن الخـوف.

مـن السـهل أن تحلُـم، ولكنـك مـن الصعـب أن تسـتيقظ مـن احلامـك بعـد إدمانهـا؛ لأنـك ببسـاطة سـتجدهُ حلـما، بعدمـا تغاضيـت عـن كونـه حلـما، أو بالأحـرى، هـو واقـعٌ لم يكـن واقعـا، أردنـاهُ ولم يَكُـن، واقـع لا يمكـن رؤيتـه، كان حلـماً فحسـب، غالـب البشر و في كل سـنين حياتهـم يلتجـؤون الى الحلـم، لأنـه اراد شـيئاً لم يحـدث لـه، أو مـن الصعـب ان

يحدث لـه، أو قـد فـات الاوان لحدوثـه. للأحـلام سـحر يبعـثُ السـعادة، ولكـن كَثـرة تكرارهـا يزيدنـا اصراراً عـلى تحقيقهـا، هـذا إن كانـت قابلـة للتحقـق، أمـا عـن الأمنيـة المسـتحيلة، فمـن الأفضـل ان تكـف عـن الحلـم بهـا، وان تبقيهـا عـلى رفـوف الذكريـات إذ تكتفـي بالنظـر إليهـا، لأنـك لم تمتلكهـا ولـن تمتلكهـا ذات يـوم.

كانـت أيامـي متشـابهة، لا يطـرأ عليهـا اي تغيـير سـوى فـرق الارقـام في اوراق التقويـم، كنـت اذهـب الى العمـل صباحـاً دون أن أهتـم بأننـي سـألفت انتبـاه رجـل ام لا، لمظهـري او لأناقتـي، كنـتُ عبثـاً أختـار الالـوان التـي أضعُهـا لتجميـل عينـي، كنـت لا ابـالي أن وضعـت أحمـر الشـفاه أم لم أضعـهُ.

مـا زلـت مواضبـةً عـلى رؤيتـهِ كل صبـاح، وسـامته كانـت تـزداد دقيقـةً تلـو الاخـرى، هـو الوحيـد الـذي يُهشـم كُل ضجـر في داخـلي كُلـما اخـذ مـكان الشـمس ليشرق كل صبـاح، لا تـشرق الشـمس معـه، هـو مـن الشـمس أحـلى، وفائـي لأعجـابي بـه اصبـح حقيقيـاً، لا أعلـم مـا السـبب، انـا لم اتكلـم معـه حتـى!!

نظـرة العـين، هـي أول مـا يثـير انتبـاه كل فتـاة؛ لأن لهـا تأثـيرا سـاحرا في النطـق ببعـض الكلـمات، وكـم (الكلـمات الأولى) مهمـة في كل حـب، تُقـدم لـك مَـن تهـواه بصـورة مبسـطة، لتقـف عـلى بُعْـد خطـوة واحـدة منـه لتُقـرر، تحـب او لا تحـب،

فـإن خدعتـك العـين بسـحرها، فالكلـمات الاولى لا يمكـن لهـا خِداعـك.

تعشـق المـرأة في الرجـل عـدة سـمات، اهمُهـا الوسـامة، وقـوة الشـخصية والانطبـاع، تكـون هـذه المميـزات سلسـلة تتأمـل كل امـرأة متوهمـةً بأنـهُ لا يمكـن الاسـتغناء عـن احداهـا. احيانـاً، تسـتعد بعـض الفتيـات للاسـتغناء عـن احـدى هـذه المزايـا أو تتحمـل وجودهـا بالشـكل السـيّئ مُقابـل الارتبـاط بمـن أحبـت؛ لأنهـا عَشِـقت رجـلاً لا تريـده أن يتوقـف عـن الـكلام لـو التقيـا، لأنهـا لـو سُـئِلت عنـه (لِمَ هـو بالتحديـد؟) صمتـت. هنـا يكمُـن الحُـب، لأننـا ان اسـتمرينا بالبحـث عـن هـذه السلسـلة متكاملـةً، فمـن النـادر أن نجدهـا، أو أن صـح التعبـير، اذا كانـت متكاملـة فقـد لا تكـون بجـمال اختيارِنـا؛ لأن للقلـب لسـاناً يَصعـب عـلى العقـل اسـكاته.

كنـتُ قـد أشرت إلى (سـارة) بـأن هنالـك شـخصا يُعجبنـي، وانـني قـد رأيتـهُ مصادفـةً عنـد خروجـي مـن المنـزل، لم أخبرْهـا بأنـني اسـتيقظ بوافـرٍ مـن الفـرح لأنـني سـأراه وأتأمـل مظهـره عنـد كل صبـاح، لم اقـل لهـا إننـي أتمنـى تتبـع خطواتـه إكرامـاً لعطـر أنفاسـه. جلسـنا ذات مـرة مـع اصدقـاء لنـا، طلبـت الى (سـارة) همسـاً أن تبقـى بعـد مغادرتهـم كـي نتكلـم عـلى انفـراد قليـلاً. وبعدمـا رحـل الجميـع ....

قلت لها: وما العمل إذن؟

قالت: على ماذا تتكلمين؟

تنهـدتُ، قلـت: عـلى رائحـة المطـر في طـرق التمني التـي بداخـلي.

شـعرت (سـارة) حينهـا وانـا اقـول هـذه العبـارة مـع تنهيـدة التعـب، عـمَّا في داخـلي، لكنهـا لم تعـرف مـا كنـت اعنيـه.

بـدأ إعجـابي بـه يدفعنـي لحبـه، انـا لا أؤمـن في حُـب المظهـر والشـكل، لطالمـا رأيـتُ كثـيراً مـن الرجـال في عمـري الـذي مـضى، ولكـن لم يخفـق قلبـي لأحدهـم، لم اصـادف رجـلاً شـخصيته أجمـل مـن وجهـه ومظهـره، كل الذيـن رأيتهـم كانـوا عكـس ذلـك.

قالت سارة: ما بكِ؟

قُلت لها: عـينـاه.

قالــت: تتكلمــين عــلى ذلــك الشــاب الــذي تصادفينــه في شــارعكم، أليــس كذلــك؟

قلت: نعم.

قالــت بتعجــب: قمــر، منــذ ايــام الصبــا وأنــا اعرفــكِ، لم اشــاهدكِ تتكلمــين عــلى رجــل بهــذا الكــم الهائــل مــن التعــب، هــل تُحبينــه؟

تلعثمـت بالـكلام، قلـت: كلا، لم يتطـور الامـر الى هـذه الدرجـة، أنـا معجبـة بـه فحسـب.

ضحكـت بصـوت عـالٍ، قالـت: الحمـد لله، تأكـدتُ الآن مـن أن قلبـكِ فيزيائيـاً قابـلٌ للحـب، وليـس عـازلاً لـه.

قلت: ولمَ تقولين هكذا؟ !!

قالـت: أتذكريـن كـم حدثتنـي عـن ذلـك الشـاب الـذي كان يحبـكِ ايـام دراستُكِ الجامعيـة؟ هـل تذكُريـن كيـف رفضتـهِ؟ أنـتِ تريديـن الحـب كـما في الافـلام السـينمائية.

قلـت: مـراراً قلـت لـكِ بـأن الحـب في عمـر المراهقـة مُجـوف المشـاعر ولا يخـرج عـن حيـز الاعجـاب والتسـلية، لأن الكبـت الـذي يواجهـهُ الطلبـة، وتحديـداً العـرب، منـذُ نشـوئهم حتـى دخولهـم إلى الجامعـة يدفعهـم لفعـل اي شيء متـى مـا انـزاح هـذا الكبـت، هـم حائـرون في تحديـد نـوع العلاقـة التـي تربـط بينهـم، هـل هـي علاقـة حـب؟ أو صداقـة؟ وبالأخـص الفتيـات، لأن فرصـة الحُـب للشـاب قبـل دخولـه الجامعـة تكـون اكـبر، وقـد يسـتطيع التمييـز بـين انـواع العلاقـة التـي ذكرتهـا، أغلـب الفتيـات يَكُـنَّ في حـيرةٍ مـن امرهِـن، احداهـن لا ترتبـط بعلاقـة إلا مـن كانـت لا تخشـى لعنـة المجتمـع ولا تخـاف سَـخط الابويـن، منـذُ دراسـتي في الجامعـة وانـا الاحـظ هـذا الـشيء وبعـد أن اصبحـتُ اعمـل فيهـا تأكـدت منـه.

رفعت سارة حاجبها الايسر، قالت: لو كان كلامكِ صحيحاً، فلِمَ رأينا حبًّا وزواجا في الجامعة؟ كل ما في الامر أنكِ صعبة المزاج ومغرورةٌ بعض الشيء بجمالكِ ولون عينيكِ.

قلت: اولاً شكراً للرب لأن شعري استعاد طولهُ ولونهُ، وثانياً هذا النوع من الحب موجود بالفعل، ولكنهُ يستمر الى الزواج فقط، بعد الزواج ستضمحل كل المشاعر التي كانت تنتابهم، سيستمرون نتيجةً لثقل الالتزامات التي على عاتقهم وتحسباً لما سيقولهُ المجتمع، أراهنكِ في ان تعطيني مثالا للحُب الدائم لأشخاص نعرفهم، غير اولئك الذين يتصنعون الحب قبل النوم على السرير المشترك، اريد زواجاً يتخلل الحُب صباحهُ ومساءه، الحب الذي يزداد عمره تزامناً مع أعمارنا، اريد ان ابقى في قيد جمال النظرة الاولى، اريد رجُلاً ينظر الي بتلك الطريقة التي نظر إلي بها اول مرة.

قالت: ألم أقل لكِ أنكِ تريدين حباً كما في الروايات والأفلام.

قلت: انا اريدُ البوح عمَّا في داخلي فحسب، اريد أن اتحدث معهُ قبل ان أُصاب بعشقه، مظهره اعطى لي الامل بأن في داخله انسانا رائعا، هو ليس كسائر البشر، اشعر ان لديه ما يميزهُ أو أن لديه موهبة ما.

قالت: وماذا تنتظرين ؟

قلت: أستجدي من القدر مصادفة تجمعني به.

بعد الصمتُ ثواني، تأملتُ في خاطري شكل هذا اللقاء

قلت لها: دعينا نعُد الى البيت، تأخر الوقت.

رجعت الى غرفتي، جلست أمامِ نافذتي أعد كم يلزم من الوقت كي أراه، ليلي طويل جداً، عقاربُ ساعتي ثَملة لا تقوى على الدوران، النوم لا يلمس أجفاني إلا بعد أن أرشوه ببعض التعب الجسدي أو بعقاقير الصداع.

تُلبي احلام يقظتي كل ما اتمناه، وكل ما أتمناه أن أثير انتباهه لحظة واحدة، اريد ان ارى عينيه عن قرب، اريد أن اعرفه عن كثب، لكنني اخاف بعض الشيء من هذه الامنية، أخاف ان يكون ليس كما توقعتهُ، أنا قرأت في ملامحهِ أنه ذو شخصية قوية ولديه ما يميزه من سائر الناس، لطالما تمنيت ان اتأكد من ذلك.

استيقظتُ في صباح اليوم التالي وأنا كالعادة أفتح عيني على الساعة الجدارية المُعلقة على الجدار الذي امامي لأجدها في ذات الوقت الذي استيقظ فيه، أبتسمُ لأنني سأراه، نهضتُ من فراشي ووقفت أمام نافذتي لأفتح ستائرَهَا قليلاً وأنظر الى الساعة بين الدقيقة والاخرى لأطمئن بأنني لست متأخرة عن موعدي معه، موعدي معه الذي صُنع من الورق.

ذهبتُ الى الجامعة مع بعض الضجر الذي ينتابني بسبب (صالح)، شاب في الثلاثينيات من العمر، رأسه غزير الشعر ولهُ ذقن، نحيفٌ ولهُ قامةٌ طويلة، غير مهتم البتة بمظهره ولا بكلامه، يدَّعي أنه اسلامي مُتدين، له تجربة فاشلة في الزواج مسبقاً. هو احد زملائي في الوظيفة، يتكلم معي بين الحين والاخر ببعض الكلام اللطيف، وانا لا اطيق التحدث معه اطلاقاً، لأنني لا أتكلم في اوقات العمل بكلام خارج حدود الوظيفة، سمعتُ منهُ العديد من التلميحات الصريحة بالإعجاب، ولكنهُ كان يمزجُها بموضوع اخر دائماً فلا استطيع رده، لأضع حداً لكلماتهِ الشنيعة، كنت دائماً اتصنع السذاجة امامه.

كنتُ في كُل صباح، اتمنى لو يفصح لي صراحةً عن إعجابه المُزمع، كي ارد عليه بالرفض ليكفَّ عن التملُق، كم تكره الفتاة الرجل المتملق الذي لا كيان له، كنت اشعر بالضجر كلما اراه وهو يقول لي خصيصاً وبالقرب من مكتبي (صباح الخير) مع ابتسامة تجعلني اراها على عجل، لأشغل نفسي بأي شيء امامي، حتى لا يتكلم معي بعد أن يلقي التحية.

يمضي يومي بسرعة بسبب انشغالي بإلقاء المحاضرات وينتهي الدوام على عجل حتى أعود الى المنزل لأتناول الغداء مع امي وألبي متطلباتها ومن ثم اخرج من بعد الظهيرة الى عملي في الجريدة، حتى غروب الشمس واعود الى غرفتي، الى سكوني وصمتي، وان التقيت (سارة) فأن اليوم يكون أقل مللا.

منذُ سنتين و(سارة) متزوجة من احد اقاربها، كان زواجها تقليدياً طبقا للعادات والتقاليد، إلا أنها كانت قد فكرتْ ملياً بهذا الموضوع في وقت خطوبتها ومن ثم وافقت على اختيار شريك حياتها.

(سارة) من نوع النساء التي تحب بعقلها وهي احدى الانواع الثلاثة للنساء، في الحب هنالك ثلاثة أنواع من النساء:

النوع الاول: هي التي تحب بعقلها، وهو النوع الغالب، تحب المرأة هنا من كان مؤهلاً للزواج مادياً، توافق على من يتَقدم لخطبتها شريطة ان يكون وضعه المادي جيدا مع عدم وجود اي شائبة تشوب سمعته ونَسَبه، وغالباً ما تتزوج هذه الفتاة زواجاً تقليدياً، ومحور الاسباب هنا هو رؤيتها لمن حولها سعيداً لأنه كان غنياً ومواظباً على الذهاب إلى رحلة بحرية كل صيف، او امنيتها بامتلاك الكثير من الملابس والمصوغات الذهبية تجنباً من عاصفة الفقر التي قد تضرب مستقبلها فتختار الابحار بقارب الأمان بدلاً من قارب الحُب، لكنها سُرعان ما تُقرر قبل كل شيء بأنها لن تعترف بوجود الحب أو انها اعترفت بوجوده ولكنها نعتتهُ بأنهُ (آثار المراهقة) حتى تتمكن من تقبيل شفاه من اختارت، وأنها ليست بحاجة للحب كي تُقبل شفاههُ قُبيل النوم، من اجمل مفاهيم هذه المرأة هي قناعتها الجريئة بأن الحب في مفهومها لا يُطعِم من لا طعام له،

يضاف الى هذا النوع من ارغمت على أن تكون من هذا النوع وهي ليست منه لأن عمرها أوشك على اليأس، ولا شك في أن سِن اليأس يسلب من المرأة حق الاختيار، لئلا تُنعَت بالعانس، كما يضاف إليهن النساء اللواتي تربين في بيئة قبلية، تلك النساء اللواتي سُلبن حق الاختيار بالفطرة.

النوع الثاني: هي التي تعشق بروحها، هي التي تود الارتباط بمن يأسُر روحها (بالعِشق) فقط، والسبب الاهم لأنها عشقت، عشقت وجهه أو كلامه أو انطباعه، بعد ان بادلها الحب بالحب، يكون سبب الارتباط هنا هو هيام روحها وامتناع العقل عن التدخل بهذا القرار، تختار حبيبها مهما كانت الظروف المحيطة بها، و لا تنتمي إلى هذا النوع إلا من كانت قد اعترفت بأن الحب أصل الزواج، وأنها لا تستطيع ان تُعانق رجلاً لا تعشق تنفس أنفاسه.

أما النوع الثالث: هي التي تعشق بجسدها وهذا النوع نادرٌ جداً، لا يسمح للمرأة هنا بالافصاح عنه أو اتباعهُ بالعلن، في بلاد العرب لا يسمح للمرأة أن تختار وفقاً لغريزتها، تكون المرأة هنا مُلكا لمن أسر جسدها، مُلكا لمن عبث بأزرار قميصها لأول مرة، تعشقهُ مهما كان اسمه او رسمه، السبب في التزامها هنا هو حب اللمسة الاولى، أو ليس بالضرورة أن تكون الاولى ولكن الاهم أن تكون الاولى بالاحساس المُفعم بالنشوة، أو إن صح التعبير، عند تلك اللمسة التي تسببت برعشة أجفان العين فجأة،

اللمسةُ التي أعطت اثاراً داخل الروح، خدوشا لا تشعر بها إلا في الدقائق التي تسبق نومها، هنا تكون المرأة مسلوبة الارادة، ولا يمكن لها أن تختار إلا وفقا لما تهوى أحاسيسها، هنا نجد اكثر نساء العرب بالسر، البنت التي تكون بالجهر من النوع الاول وبالسر تكون من النوع الثالث، لأنها لا تستطيع أن تفصح لزوجها (التقليدي) حين يحتضنها في غرفة النوم العتمة، أنها تتأمل وجهاً ليس وجهه.

التقيتُ صديقتي (سارة)، كنت قد طلبتُ رؤيتها لأنني اتخذتُ قراراً وودت مُناقشتها بهِ، قررت تَرك العمل في الصحيفة، لكونه عملا مُتعبا وقليل الاجر، التقينا ورأيت عيونها قد توقفت عن البكاء الآن، جمعت شعرها الى الخلف بالشكل الذي لا يليق بها وكحل عينيها اشتكى من كثرة دموعها.

سألتها: ما بكِ؟

قالت: لا تكترثي لأمري، لا يوجد شيء.

قلت لها: وكيف لي أن اتغاضى عن دموعي، أنتِ تبكين دموعي في عينيكِ، ألا تعلمين ذلك؟

قالت: ليس هنالك شيءٌ مُهمٌ، انتِ كيف حالكِ؟

قلت: دعكِ من شأني، ما بكِ؟

قالت: لأنني لستُ مثلكِ، قلبي كان معدوم الحب وجُل

مـا كنـت أتمنـاه حيـاة لا ينقصهـا شيء، لم أفكـر في الأشـياء المعنويـة اطلاقـاً، مـضى عـلى زواجنـا سـنتان، وأنـا في كل مـرة أسـتجدي منـه ان نخـرج للعشـاء ويقـول لي إنـهُ لا يمتلـك وقتـاً شـاغراً، منـذ يومـين وعـدني بـأن نخـرج بنزهـة، واليـوم قـال لي بأنـه مشـغول في موعـد عمـل، لـن أطلـب إليـه موعـداً مـرةً اخـرى، وأن طلـب إليَّ فسـأرفض.

قلت: أعطيه فرصة، وأعطه العذر ايضاً إن كان مشغولاً.

قالـت: هـل تعلمـين حتـى وإن خرجنـا للعشـاء فـأن اغلـب وقتـه يقضيـه بالسـكوت، وأن تكلـم فأنـهُ يتكلـم في هاتفـه مـن أجـل العمـل، أنـا السـبب؟

قلـت لهـا: فعـلاً انـتِ السـبب، لا تغضبـي منـي لأنـكِ اخـترتِ شريـك حياتـكِ بالعقـل فقـط، وربطتكـم العلاقـة عـلى وفـق الاعـراف المجتمعيـة، والان تريديـن منـه ان يكـون رومانسـياً وهـو لم يلمـس يـدكِ قبـل الـزواج.

قالـت: يوجـد ثمـة فـرق بينـي وبينـكِ او بالأحـرى بـين دينـي ودينـكِ، أنـا مسـلمة وكل هـذه الاشـياء لا يمكننـي فعلهـا قبـل الزواج.

قلـت: وهـل لكـوني مسـيحية فمـن الممكـن أن امنـح جسـدي عبثـاً دون زواج او قبـل الـزواج !!

قالــت: كلا انــا اســفة، لم اقصــد ذلــك، ولكــن القيــود في مجتمعنــا الاســلامي اكــبر مــن قيودكــم هــذا لا يعنــي اننــا لا نعــرفُ الحُــب ولكــن، يمكننــا ان نعرفــه بعــد الــزواج.

بنـبرةٍ غاضبـةٍ قلـت لهـا: لا تحمـلي وزر اطباعـك عـلى المجتمع والديـن، أنـا وانـتِ نعـرف الكثـير مـن الأصدقـاء مـن الديانـة المُسـلمة تزوجـوا عـن حـب ولم يرغمهـم المجتمـع كـما تقولـين، (ســارة)، أنــت مــن نــوع النســاء اللــواتي يحبــن بعقلهــن ولا تنكــري ذلــك.

قالت: ما تقولينه صحيح، لعل الحب يأتي بعد الزواج.

ابتسمت، خبأتُ ابتسامتي عنها، قلت: أتمنى ذلك؟

ابتســمت كذبــاً وقالــت بغــرور: أعــرف مــا تعنــين، ولكــن يكفــي أننــي أعيــش بمســتوى مــاديٍّ اعــلى مِــن مَــنْ هــم حــولي، هــذا مــا كنــت اســعى مــن أجلــه.

قلــت: تعجبنــي صراحتــكِ، اســتمري بهــذا التفكــير فأنــت نلــتِ مــا كُنــتِ تحلمــين بــه.

ارتشــفت مــن قهوتهــا، قالــت: مــا الامــر الــذي اردتِ التحــدث بشــأنه؟

قلــت: أريــد أن اتــرك العمــل في الصحيفــة لأنــه متُعِــب واجــرهُ قليــل.

قالـت مبتسـمة: لهـذا السـبب فقـط؟ أم ظَهَـر لـكِ (صالـح) آخـر في الصحيفـة؟

بنظـرة امتعـاض قلـت لهـا: كلا، لا يوجـد إلا (صالـح) واحـد قابـعٌ امـام مكتبـي في الجامعـة.

قالـت: الى متى تمتنعين عـن التكلـم مـع مـن يريـد التعـرف إليـكِ؟ الى متـى تبقـين انطوائيـة؟

أجبتهُا: لمن سيخفق قلبي لرؤيته.

كعادتهـا منـذ سـنين، اسـتمرت بإقناعـي بـأن أُغـيّر مفهومـي عـن الحـب، لكنهـا جـرت اذيـال الهزيمـة وعـادت الى بيتهـا والى زواجهـا التقليـدي الـذي لم يعـرف يومـاً كيـف تكـون القُبـل بالأعـين قبـل الشـفاه.

عـدتُ الى البيـت، فكـرت بكلامهـا الـذي لطالمـا سـمعتهُ منهـا، فكـرتُ فيـه قليـلاً قبـل النـوم لأنسـاه، نسـيتهُ حـال أن حـضرني طيـف (أحمـد) وانـا اتأمـل كيـف سـأراه غـداً، وأنـا أغلـق عينـي لأرى نقـش وجهـهِ داخـل أجفـاني. تـراودني بعـض الكلـمات التـي تحُبـه، حتـى كلـماتي تحبـه، تـراودني في الليـل بعـض الكلـمات التـي تحبـه وهـي تُريـد أن تكْتُـبَ مـن أجلـه، أكتـب إليـه سـطراً في أوراقـي التـي لا تقبـل أن يقرأهـا أحـد سـواي، في أوراقـي التـي أُخبئهـا عـن نفسـي، لأننـي أكتـب في الظِـل، و مـا أوهـن الكتابـة في الظِـل.

يا من تتمناكَ أحلامي

أن تأتي بجمالكَ الطاغي

كـطيفٍ .. كـخيالٍ

كـظلٍ ..

كيفما تأتِ .. فسأعشقك، ثم أعشقُك اكثر.

كتبتُ هـذه الكلـمات عـلى تلـك الأوراق التـي تنتظـر لقـاءه، كتبتُ لـهُ في الظِـل الى ان يسـمح لي القـدر بـأن أكتـب لـهُ في النـور، سـيبقى كل شيء في الظِـل، أغلقـت عينـي مـن أجـل أن أراه غـداً، اغلقـتُ عينـي فلـم يتبـقَ لـكلام (سـارة) أي اثـر. صحـوت عند ميعـادي اليومـي لأنتظـر الشـمس وهـي تـشرق مـن أمـام شرفتـي، لأنتظـر مـن يُغـير عـدد دقـات قلبـي عنـد رؤيتـه، هـذه المـرة لم أره، لم يخـرج مـن منزلـهِ!! وقفـتُ انتظـرهُ امـام نافـذتي سـبعين دقيقـة، تأخـر الوقـت ولم يخـرج، تأخـرتُ عـن موعـد ذهـابي إلى الجامعـة. هـل غـير وقـت خروجـه بعـد أن أدمنتـه؟ هـل حـدث لـه شيء أجـبره عـلى عـدم الخـروج؟ هـل أصابـه الكسـل ولم يخـرج الى عملـه؟ هـل يمكننـي تحمـل هـذا اليـوم بالاضافـة الى ايـام العطـل التـي لا اراه فيهـا؟ هـل يعلـم أن الارض توقفـت عـن الـدوران؟ هـل يعلـم ان الشـمس لم تـشرق؟ كيـف لي أن اذهـب الى العمـل ومـا زال عقـلي يظـن أن ليـل الأمـس لم ينتـهِ، وان الشـمس لم تـشرق بعـد، انتظـرتُ ولم يبـدأ صبـاح يـومٍ جديـد. بعـد انتظـار، يئسـت مـن رؤيتـه،

انتابنـي القلـق بشـأنه، ولكننـي أسـتغرب مـن كل شـعور ينتابنـي، لمَ يـأسرُني بهـذا الشـكل؟ لمَ أنـا هكـذا !! وصلـتُ الى عمـلي مُتأخـرة، قدمـت عُـذراً كاذبـاً، اسـتمرت عقارب سـاعتي في هـذا اليـوم بالـدوران عكـس عقـارب السـاعة. بعـد الظهـر، ذهبـت مُسـتاءةً الى الصحيفـة، بعـد أن انهيـت اعمالي التـي كُلفت بهـا لذلـك اليـوم كتبـتُ طلـب الاسـتقالة، كنـتُ بانتظـار انتهـاء اجتـماع المديـر مـع بعـض القيـادات في الحـزب الليـبرالي، وهـو الحـزب الـذي يـأتي بعـد الحـزب الحاكـم اهميـةً، كان المديـر مـن احـد اهـم قياداتـه، اتبـاع هـذا الحـزب كُثـر ولكنهـم يتبعـون حِميـةً في نشـاطاتهم، لا يُسـمح لهـم بـأي نشـاطات سـوى عقـد الاجتماعـات تحـت اعـيُن الحـزب الحاكـم، كان مـن بـين اعضائـه جواسـيس للحـزب الحاكـم بـما لا يقـل عـن نصـف اعضائـه، لكنـهُ ظـل صامـداً يطالـب بفصـل الديـن عـن الدولـة وتطبيـق العلمانيـة في ادارة الحُكـم، ظـل يطالـب فحسـب. وأنـا أعـدُ دقائـق الملـل، رأيـت مـا لا يقبـل العقـل تصديقـه، رأيـتُ (أحمـد) يدخـل الى مكتبـي !!

طرق الباب، ألقى التحية قائلاً: (مساء الخير)

لأول مـرةٍ أراهُ فيهـا عـن قـرب، أغلقـتُ عينـيّ ثـم فتحتهـا، لعـل اشـتياقي لـه منـذ الصبـاح هـو السـبب، لعـل عـدم رؤيتـي لـهُ تسـببت بظهـوره سرابـاً أو مـلاكاً عـلى هيئـة بـشر. بعـد أن سـمعت صوتـه الـذي لم اسـمعه مـن قبـل، نسـيت مـاذا عـلي أن اجيـب أن قـال لي شـخصٌ (مسـاء الخـير)، بـأي الكلـمات

علي أن اجيب، نسيت !! كل الناس يتبادلون التحية المسائية المعتادة «مساء الخير .. مساء النور» ولكن (احمد) ليس كسائر البشر، فكيف تكون تحيته؟ بعد أن استطعت وبأعجوبة أن اصدق هذا الموقف، أغمضت عيني وشهقت الهواء لآخر حَدٍ تستوعبه رئتاي حتى أمتلك القوة لقول كلمة واحدة .

أجبته بصوتٍ خافت: أهلاً وسهلاً.

جلس أحمد على الكرسي المجاور لمكتبي، سألني عن المدير إن كان موجوداً ام لا؟ رفعت عيني و رأيت عينه، رأيت السهل الاخضر الذي لا حدود له، رأيت كماً هائلاً من الجمال، لم أكن اتوقع أن عينيه تمتاز باللون الاخضر، له رمش كثيف، التزمتُ الصمت مرة اخرى من هول ما أراه، يا رباه أعنّي على ما انا فيه، أعنّي على النطق في حضرة وسامته. شعرتُ بالخجل الشديد لتحديقي في عينيه طويلاً، سألني سؤالا وعليّ أن اجيبه، كيف اجيبه؟

أنا نسيت حتى من أنا؟ وأين أكون؟ حوله هالة من الضباب تمنعني من رؤية ما حوله. تذكرتُ لوهلة من هو المدير وأين مكتبه، نويت أن ادله عليه وخفتُ من ان يغادر مكتبي، أنقذ الموقف المدير بدخوله المكتب، رَحب به وصافحه، جلسا امامي يتبادلان الحديث، استغربتُ من معرفتهِ بمديري وهو يقول له «اشتقتُ إليك، لم اركَ منذ

مـدة اتضـح لي أن لـه عـدة مقـالات قـد نُـشِرت في جريدتنـا، لكـن، كيـف لم أعلـم بهـذا مـن قبـل!!

قـال (احمـد) للمديـر: أنـا اسـف، لم ازودكـم بمقـالاتي منـذ اسـابيع، كنـت مشـغولاً بسـبب الوضـع السـياسي الراهـن، سـهرتُ ليلـة أمـس لكتابـة هـذه المقالـة، حتـى انني تأخـرتُ عـلى موعـد عمـلي صباحـاً، أرجـو مـن جريدتكـم نشرهـا.

أجابـهُ المديـر: بـكل سرور، إننـا في كل مـرة نَتـوق إلى نـشر مقالاتـك، أنـت كاتـبٌ متميـز، تمتلـك أسـلوباً نقديـاً مُحترمـا، لـك منـا كل التقديـر.

خـلال حوارهمـا، كنـت خاشـعة في الانصـات لتعابـير وجهـه وهـو يتكلـم، مـا أروعـه، مظهـره أنيـقٌ جـداً، كان يرتـدي بدلـة زرقـاء وربطـة عنـق جميلـةٌ جـداً، كانـت قَصَـة شـعرهِ تُليـق بـه، شـعرهُ متوسـط الطـول، لـه ذقـنٌ خفيـف فائـق البهـاء، يشـبه تـدلي العسـل مـن خليـة النحـل. وقـف (أحمـد) بعـد أن سَـلمَ مقالتـهُ الى المديـر، قـال: سـأزودكم بمقـالاتي بـين الحـين والاخـر والتمـس منكـم العـذر ان تأخـرت فلـديّ وظيفـةٌ تشـغُل معظـم وقتـي.

ردَّ عليـه المديـر قائـلاً: إننـا نعتـز بـأن يكـون مجهـودك الفكري منشـور عـلى صفحاتنـا، أنـا شـخصياً أسـمع الكثـير مـن آراء الاعجـاب بـك مـن قِبـل زُملائـي، ولكنـك مـا زلـت تـصر عـلى اسـتخدام اسـمٍ مُسـتعارٍ أسـفل مقالاتـك ولا تـود ذكـر اسـمك الحقيقـي.

قال (احمد): انت تعلم يا سيدي أنني موظف، أخاف أن يتَعمَّد أحدٌ ايذائي في العمل بسبب أسلوبي في النقد السياسي، بالاضافة الى ان في بلادنا القانون يتبع الاحزاب وليست الاحزاب هي من تتبع القانون، أود أن أسرد لك مقولةً جميلة للكاتب السوري (محمد الماغوط) يقول فيها «كي تكون شاعراً عظيماً يجب أن تكون صادقاً، ولكي تكون صادقاً يجب أن تكون حراً، ولكي تكون حراً يجب أن تعيش، ولكي تعيش يجب أن تخرس».

ابتسم المدير مع بعض ملامح الاعجاب، قال: اعجابي بك يزداد يوماً بعد يوم، أتمنى لك مزيداً من النجاح.

صافح (أحمد) المدير والقى تحية الوداع على المدير والتفت لي..

قال: مع السلامة.

أجبته بصوتٍ خافت: مع السلامة.

وأجبتهُ بالهمس: لمَ لا تبق اكثر، الكون بحضورك أصبح أجمل.

استمر حديثهم دقائق، نسيتُ خلالها أن أطلب إليه شيئا لضيافته، انشغل عقلي بتحمل صدمة رؤيته هنا، مشهدٌ لم يخطر حتى في بال احلامي، لم اتوقع انني سأراه مصادفةً. بعدها، جلستُ على مكتبي، اسند رأسي الى يدي،

اغمـض عينـي وافتحهـا لعـلي اصـدق مـا حصـل، تحققـت أمنيتـي، رأيتـهُ وتكلمـت معـهُ، أنعمـتُ النظـر في وسـامته. بقـي طيفـه جالسـاً بعـد أن رحـل، يجلـس في مكانـه وأنـا أتأملـه، لم ترمـش عينـي في وقتِهـا، بقيـت عـلى هـذه الدهشـة الى أن اتـت زميلتـي واخبرتنـي بـأن وقـت العمـل قـد انتهـى، اخـذتُ طلبـي بصـدد الاسـتقالة مـن العمـل ووضعتـه في حقيبتـي وخرجـت مـن مبنـى الصحيفـة مسرعـةً الى البيـت، لا ادري لِمَ كنـت مرتبكـة؟ رجعـت الى غرفتـي مسرعـة، أراجـع بذاكـرتي مـا حصـل، فرحتـي كانـت كبـيرة بوجـود سـبب يجعلنـي ألقـاه في الايـام القادمـة. مـن شِـدة جمالـه بقيـتُ جاحظـةَ العـين الى أن شرقـت الشـمس، كانـت أطـول ليلـة أراهـا في حيـاتي، بقيـتُ أتذكـر طريقـة كلامـه، كـم كان أنيـق الاسـلوب في الحديـث، كـم كان كلامـهُ مُختـصرا بوافـر المعـاني، سـبق أن تخيلتـه متميـزاً ولكنـي لم أكـن اتوقـع أنـه عـلى الرغـم مـن وظيفتـه مهتـماً بالسياسـية وكتابـة المقـالات السياسـية، هـذا يـدلُ عـلى تَميـزِهِ مـن باقـي أقرانـه، تأكـدتُ مـن أن عقلـهُ يبلـغ مـن العمـر ضعـف عمـره، ولكـن السـؤال الاهـم كيـف كان معتـاداً للنـشر في صحيفتنـا وانـا لم أعلـم؟ كيـف لم أره مـن قبـل؟ كيـف كان يرسـل مقالاتـه للنـشر وانـا لم اره مـن قبـل؟ كيـف فكـرت في أن أقـدم اسـتقالتي مـن العمـل في الصحيفـة!! وهـي المـكان الـذي سـأراه فيـه؟ شـكراً للـرب لأنـه جـاء في الوقـت المناسـب.

عندما أشرقت الشمس، وقفت لأقول لهُ عندَ خروجه المُعتاد: (صباح الخير)، كان يومي ذاك لصيقاً باليوم الذي قبله، لم اتذوق النوم لحظة، خرجَ ورأيته، ابتسمت وهَمستُ له «صباحكَ خير، يا من جعلت ليلي صباحاً» ذهبتُ الى الجامعة وانا أبتسم، كنتُ سعيدة جداً، وما أن انتهى عملي ذهبت مسرعة الى الصحيفة.

سألت احدى زميلاتي في التحرير: منذ متى والسيد (أحمد) ينشر مقالاته في صحيفتنا؟

قالت : أي (أحمد) !! لا يوجد لدينا صحفي بهذا الاسم.

قلت: كلا، هو ليس صحفياً وانما ينشر مقالات سياسية في صحفيتنا، على ما أظن.

قالت: تأكدي من الاسم أولاً، وسأجيبكِ عن سؤالكِ.

خطر ببالي حينها مقالته التي أعطاها للمدير يوم أمس لأنني تذكرت قول المدير له (ولكنك ما زلت تصر على استخدام الاسم المستعار أسفل مقالاتك ولا تود ذكر اسمك الحقيقي)، تذكرتُ أن مقالاته لا تحمل اسمه فكيف لي أن أعرف ذلك؟ دخلت الى غُرفة المدير لأسأله بذريعة واهنة عن بعض الاعمال، دققتُ النظر في الاوراق التي على مكتبه، وانا أُفكر في اسمه المُستعار اصطنعت انشغال فكري بما احمل من ورق.

سـألت المديـر: أود أن اسـألك عـن الشـخص الـذي زارك يـوم امـس واعطـى لـك مقـالاً واجريتـما حديثـاً عـلى مكتبـي، لمَ يسـتخدم اسـماً مسـتعارا بـدل اسـمه؟

اجابنـي: تجنبـاً للمشـكلات في عملـه، إلا انـهُ ناقـدٌ رائـع، أنـا مـن اشـد المُعجبـين بـه لأنـه حيـادي في الكتابـة جـداً، مـن النادر أن نـرى شـخصاً مهتـماً بالسياسـية، أو كاتبـاً بشـتى المجـالات وليـس لـه انتـماءٌ معـين وسـط هـذا التطـرف السـياسي والحـزبي والعقائـدي والدينـي والمذهبـي في بلادنـا.

فكـرت مليـاً في كيفيـة اسـتجواب المديـر للإفصـاح عـن اسـمه المسـتعار الـذي يسـتخدمه (أحمـد) حصلـت عـلى القليـل مـن المكـر الطيـب فأسـتدرت لأدعـي بأننـي اود الخـروج ..

سـألتهُ بابتسـامةٍ مصطنعـة: ولكـن اسـم (أحمـد) شـائع جـدا في بلادنـا، فلـو اسـتخدمه لمـا عرفـه أحـد، أليـس كذلـك؟

فقال: بلى، إلا أن اسمه المستعار جميل جدا ولا يمت له بصلة.

كانـت اجابـةٌ مُريحـة، لأنهـا سـمحت لي بالاسـتفسـار عـمّا اريـد ومعرفـة السـبب دون توضيـح، ولـو أننـي سـألت لـكان الامـر طبيعيـاً، ولكـن لِمَ ارتبـك عندمـا يتعلـق الامـر باسـمهِ، لا أعلـم !!

قلت: وما اسمه المستعار؟

قال ضاحكاً: إنه يستخدم اسم (الياس) بدلاً من اسمه.

قلت مندهشةً: لِمَ اختارَ اسماً مسيحياً وهو اسمه (أحمد)؟

قال: لكي يبعد الشك منه، وله الحرية في اختيار ذلك.

ابتسم، واكمل كلامه: أيزعجك استخدامهُ اسماً مسيحياً وهو مسلم؟

قلت: بالطبع لا، أنت تعلم أنني مسيحية الدين فقط، ولكنني أتبع انسانيتي في التعامل مع من حولي.

قال: أعلم ذلك جيداً ، أتمنى أن يكون كل الناس مثلكِ.

القيت التحية على المدير واستأذنت منه لأذهب مسرعةً الى زميلتي في التحرير ...

قلت لها: منذ متى وأنتِ تنشرين مقالات باسم (ألياس)؟

قالت: هذه المقالات ننشرها بين حين وآخر ولكنها مقالات شديدة النقد، كاتبها صديق المدير وهو معجب بأسلوبه، مع العلم بأنهُ ليس صحفياً.

قلت لها: عادةً متى يأتي صاحبها الى الصحيفة؟

نظرت الى زميلتي بابتسامة فضول بعد أن لاحظتني أجلس على طرف الكُرسي، لم اكُن أجلس بالشكل المعتاد، كان الشوق يملأ عيني وأصابعي متشابكة.

قالت: عادةً يأتي مرتين أو ثلاث في الشهر ولكن في الاونة

الاخـير بـدأ يـأتي مـرة واحـدة، اعتـاد أن يـأتي في الصبـاح الباكـر حينـما يريـد أن يزودنـا بمقالتهِ.

شـعرتُ ببعـض الخجـل، جلسـتُ عـلى الكـرسي بالشـكل الصحيـح، قلبّـت بعـض الاوراق التـي كانـت بحـوزتي تَصنُعـاً بعـدم الاهتـمام، عرفـت حينهـا لمَ لم أره مـن قبـل.

قلـت لهـا: أنـا معجبـة بمقالاتـهِ، بعـد انتهائـي مـن تحريـر الاخبـار السياسـية غالبـاً مـا أتصفـح صحُفَنـا الصـادرة فانتابنـي الفضـول لمعرفتـه بعـد أن عرفـت انـهُ يسـتخدم اسـما مسـتعاراً، كنـت أظـن أن هـذه المقـالات تعـود إلى رجـل مُسـن وليـس إلى شـاب، عمومـاً شـكراً لـك عـلى هـذه المعلومـات. عرفـت حينهـا كـم حالفنـي الحـظ هـذه المـرة كـي لا اقـدم اسـتقالتي، ومـا الفـارق إلا دقائـق بـين أن انجـزت كتابتهـا ودخولـه، مـا أجمـل تلـك المصادفـة التـي سـمحت لي بـأن أراه، أن أرى لـون عينيـه، هـذه مُنـح الحيـاة التي تكـون عـلى شـكل هديـة، فهـي بـلا مقابـل.

التقيـتُ (سـارة) عنـد المسـاء في المقهـى المفضـل لدينـا، حدثتُهـا عـمَّا جـرى، التزمـت الصمـت طـوال المـدة التـي كلمتُهـا فيهـا ..

سألتها: لمَ أنت صامتة؟

أجابتنـي والاسـتغراب يمـلأ عينيهـا: أشربي قهوتـك أولاً، فقـد فَقـدَت حرارتهـا وتغـير لونهـا.

قلت: سأغير قهوتي، لن اشرب القهوة (السادة) بعد الان، سأشرب القهوة متوسطة السكر مثلما يحبها (احمد)

رفعت حاجبيها، ونظرت إليَّ نظرة حادة ...

قالت: كيف عرفت أنه يحب القهوة، كيف عرفتِ نوعها؟

وأنا امسكُ إحدى خصلات شعري حول أصابعي ...

أجبتُها: احسست بذلك من عينيه، نظرتُ إليه فتأكدتُ بأنه إنسان يمتاز بالكثير، ويحب القهوة متوسطة السكر.

قالت: أنا مندهشة، انا لا اصدقكِ، لم أتوقع (قمر) التي لم تقبل مسبقاً إعجاب رجُل تُعجَب هي أولاً به، لا أستطيع تصديقكِ.

قلت: قلب العين وما يهوى.

قالت: أنا لم أكن اعلم أن قلبكِ يهوى من الأصل، هل تريدين أن أعد لكِ عدد الذين رفضتهم بذريعة أمكِ ومن سيبقى لرعايتها؟

لم أجبها بشيء، بقيتُ شاردة النظر لأتهرب من اجابتها، طلبت القهوة من جديد (متوسطة السُكر).

قالت لي: ماذا تفعلين بعد ذلك، أخاف عليكِ من ضياع هذه الفرصة، سبق ان أيقنت بأنكِ ستبقين في عزلة طوال حياتكِ، هذا الحب الذي في داخلكِ يجب عليكِ السعي

لتحقيقـه، لا أن تقبعيـه بالتمنـي.

قلت: فكرت في الذهاب الى الدوام مبكراً.

قالت: وما علاقة ذلك بالأمر؟

قلـت: سـأخرج في وقـت خروجـه، لألتقيـه في مصادفـة مُخطـطٍ لهـا.

قالـت: فكـرةٌ جيـدة!! ولكـن لِمَ أنـتِ اليـوم انيقـة بهـذا الشـكل؟ كـوني عـلى ثقـة بـأن أكثـر شيء أسـعدني اليـوم هـو ابتسـامتكِ التـي لازمـت وجهـكِ طـوال حديثنـا.

قلـت لهـا: لا، بـل طـوال هـذا اليـوم، أنـا سـعيدة منـذ رؤيتـهِ ليلـة أمـس، منـذ رؤيتـهِ الى الان لم أتـذوق طعـم النـوم.

قـررتُ أن أخـرج يـوم غـد بـذات الوقـت الـذي يخـرج بـه، لعـل الاقـدار تخضـع لإرادتي وأثـير انتبـاه قلبـه. في سُـهادي المُعتـاد، انشـغلتُ باختيـار مـا سـأرتديه غـداً، كل ثـوب أخرجـهُ مـن خزانتـي يفـر منـي خوفـاً، لِمَ أنـا مرتبكـة !!بقيـتُ أنظـر الى سـاعتي الجداريـة في كل دقيقـة حتـى ملـت منـي ثوانيهـا، بـدأتُ أُقـدم التعـب لعينـيّ كرشـوة حتـى يلامسـها النـوم، لم تفـارق عينـي أجـزاء الثـواني حتـى انتابنـي الشـك بـأن سـاعتي معطلـة، أنـا أحبـهُ في الدقيقـة سـتين الـف عـام.

حَـلّ الصبـاح، أشرقـت الشـمس، نجحـت في التخلـص مـن التعـب، تناولـت افطـاري مـع أمـي،

سألتني لِمَ أنا ذاهبة الى الجامعة مبكراً..

أجبتها: تغير وقت دوامي ويجب عليّ الخروج مبكراً كل يوم.

لم أجد اجابة حول سؤالها الثاني ...

حين سألتني: أناقتك اليوم ستجعل كلا من في المدينة يعرف اسمك؟ أنت اليوم اجمل من القمر.

استمرت أمي بعد هذه المزحة بالدعاء لي كما اعتادت في صباح كُل يوم، كما انها أعفتني من الاجابة عن سؤالها التي تعرف اجابتهُ بحكم انها أم.

حان الوقت ..خرجتُ أمشي ببطء، خرجتُ والروح تسبقني بخطواتٍ لرؤيته، تراجع عقلي عني بخطوات، انشغلتُ في التفكير في عدة تساؤلات، هل يتذكر لقاءنا؟ هل يعرفني؟ أو أنه انشغل بالتحدث مع المدير ولم يعرني انتباهه؟ هل يتذكر وجهي؟ شاهدتهُ يَخرج من بيته، يبعدُ منزلي من منزله عشرات وبضعة أمتار، رأيتهُ يتوقف ليشعل سيجارته اليومية بنفس الزمان والمكان، يا لها من أناقةٍ ترتدي جسده، و يا لهُ من جمال أنصب على وجهه، تمنيت لو كان لي الف عين لأراهُ فيها، لا يكفي وجود عينين فقط أمام جماله، وقفت عيناي امامهُ مكتوفة النظر. نظرتُ إليه، كانت كلتا يديه تُحيط بسيجارته لتشعلها كما تَشتَعل روحي من أجلهِ قبل النوم، انعطفتُ يميناً وسرت، شعرت به يمشي خلفي بخطوات،

احسستُ من نظراته لي بأنه فَكَر في معرفتي مسبقاً، اعتقدتُ أنه كان يحاول أن يتذكرني، هل كان اعتقادي صحيحاً، أو خيل لي؟ مضيتُ في طريقي، لم التفت إليه الى أن وصلنا الى مفترق الطريق، ذهبت أنا يميناً وذهب هو يساراً، وصلنا الى الطريق الرئيس الذي يبعد من منزلي عدة دقائق، إلا أنه في ذلك الصباح ابتعد من منزلي عدة ثوانٍ فقط، تغيرت كل الدنيا من حولي، في لُقياه كان قلبي مَرِحٌ مَرح الأطفال.

مرت الايام، منذُ أن قررت أن أخرج مبكراً، تغيرت كل مواعيدي معه، لم أعد أنتظره مثل كل يوم، اصبحت أراه على بُعد بعض أمتار، ولكن يا تُرى، متى يتذكرني؟ رأيتهُ ذات صباح بإحساسٍ يقول لي بأنهُ تذكرني، لعل احساسي كان عند حسن ظني. كان ذلك اليوم هو اخر يوم عمل في الاسبوع، اعتدتُ ألا اراه في عطلة نهاية الاسبوع، إلا في بعض المصادفات حين يعود الى بيته متأخراً عند الليل. لم يحدُث شيء، لم يتكلم معي، لم يهتمَّ لأمري، بعد ان سعيتُ جاهدةً لألقاهُ، لقاءٌ مبنيٌ على الضَم.

سهرتُ كعادتي وأحلام اليقظة تمتلكني كلياً، بكل ما يخص ملامح وجههِ الجميل، كان ما يشغل تفكيري مع من يعيش؟ وانا لا أرى احداً يخرج من بيتهِ سواه؟ كم كان عمره؟ هل هو كما ظننته أم لا؟ كنتُ أحبهُ في الايام التي اراقبهُ فيها، لست معجبة فيه فحسب،

عليّ الاعتراف بذلك، كلما ازداد عدد هذه الايام، انتابتني هذه الاسئلة على هيئة مخاوف، اخاف أن أُصدم فيه بعد ان أصبح فارس أحلامي، أنا لم أُعجب ببشر غيره.

انا الان في ورطة، بدأتُ أصدق أمنياتي بأنها ستتحقق، بعدها، نسجتُ لهُ لقاء، نسجتهُ من خيوط الاحلام السرمدية، كم تمنيت لو اطلبهُ لموعدٍ حين اراه، تمنيت لو انني أفصح لهُ عمَّا كتبت، ليلة أمس نطق التمني بالكلام، نسجتُ لهُ من الخيال موعداً، سألقاه بهِ، في جبال الحب نحت منزلاً سيجمعنا، سأحدثهُ فيه وسأحتضنهُ فيه، من حنيني إليه صنعت معطفاً، سيقيني برد لقائهِ، لقائهِ الذي لا وجود له، خوفي من البرد قد يقتلني احتراقاً، خوفي من أن يكون وهماً زائلاً ذات يوم، لعشقي له نارٌ توقد كل ليلة، حطبها أحلام لقاء كان فيه جليسي، بركاناً يثور في خاطري عندما يجول بهِ، يثور في خاطري رسمٌ لشفاههِ منقوش بنعومتها، تثور في خاطري احلامٌ، بانتظامِ أحلمُ بها، ضحى اصراري عليها عقيدة، قلبٌ يتمسك بهٍ وعقلٌ لابديل له سواه، هذه عقيدتي، يا رجلاً تثور من أجله كل الحواس.

استمرت هذه الحال أياما، بدأ يراودني اليأس، لم يكلمني ولم يلقِ عليَّ التحية، اعتاد كلانا التصرف بصورة طبيعية، بتُ أتظاهر بأني لا أعير له انتباهي، نظراتي المسروقةُ تُكَذِّبُني، أشعر أنهُ ينظر إلي، أشعر به فقط، ماذا يمكنني أن أفعل غير الشعور؟

مـرت أيـام اكثـر، كنـت أشـكر الـرب لأننـي بـتُّ أراه كُل الصبـاح، وجهـاً لوجـه دون ان أعـضَّ شـفتيّ، قضيـتُ وقتـاً كثـيرا وانـا أراه خِلسـة، حـالي الأن باتـت افضـل، ولكـن الحُـب الـذي يمتلكُنـي كان طامعـاً بالأكثـر، حبـي لـه كان كالطفـل عندمـا يلهـو بأرجوحـة وهـو لا يصـل منهـا الى حـد الاشـباع.

وجهـهُ الجميـل كل صبـاح يعنـي لي الكثـير، كان الأمـل عـلى هيئـة بـشر، كل هـذه السـنين التـي عشـت فيهـا اضحـت تنـدم لأنهـا لم تـره مـن قبـل. كنـتُ لا أعلـم لِمَ أنـا أحببتـهُ بهـذا القـدر قبـل أن اعرفـه، احببتـهُ قبـل أن أكلمـه، كان الأمـر محـيرا، لطالمـا أصرت (سـارة) عـلى معرفـة الاسـباب، كنـت أخجـل مـن أن اقـول لهـا «لا أعلـم السـبب»، قبـل أن أراه، كنـتُ أنظـر الى كل الرجـال دون أن يثـيرني أحـد منهـم، لا أعلـم مـا السـبب، بعـد أن عرفتـه تبـين لي أننـي كنـت أحـب محتـوى الاشـياء لا مظهرهـا، كيـف سـأثبت (لسـارة) صحـة هـذا الـكلام، انـا حتـى لا اعرفـه، هـي في أغلـب الاوقـات تسـمعُني أتغـزل بشـكلهِ وأناقتـهِ، مـن المؤكـد سـتقول لي مـن ايـن تأكـدت أن لـهُ روحـا جميلـة لتُغرمـي بهـا وانـت لا تعرفينـه!! هنـا يكمُـنُ احسـاسي، احسـاسي الـذي أحترمـه جـدا، لم يُخمـن شـيئاً مـن قبـل ويلتقـي ضـدّه، هـذا الاحسـاس يمكننـي أن أقنـع بـه ذاتي فحسـب وأنـا أسـتغرب مـن حبـي لـه، ولا سـيما وانـهُ لايـزال مـن طـرفٍ واحـد.

عندما كنت أحدث وسادتي عنهُ قبل النوم، كان يراودني بعض الخوف من ألا يكون كما ظننت، حينها ستكون الصدمة، سبب هذا الخوف هو أن حبي لهُ بُنِي على الظن، وما أن يبرح احساسي إلا أن يلقي بالماء على نيران الشك التي تكاد تحرق أحلامي. كل شيء فيه كان يُعجبني، كان حَسَن الوجه، أنيقا، ولكم يعجبني الرجل الذي يهتم بمظهره وبكلامه، فهما تتقدمان بقية صفاته أينما ذهب، محور حبي له كان ليس شكله تحديداً، كنت أرى فيه الرجل المُختلف، له ما يميزه من غيره، كنت أشعر أن في داخله الكثير، يملك من الذكاء ما يوصله إلى حدود التفاخر. كانت (سارة) لا تصدق كل هذا الإحساس، مُحقةٌ هي، لم ترني من قبل أعجب برجُل، أو حتى أتكلم عليه، هي لم تتوقع يوماً أني سأعجب برجل قبل أني يُعجَب بي هو أولاً، قبل أن يطلب إليَّ الحب، لأفكر فيه بكل غُرور، كانت تظنني بليدة المشاعر، خاملة الاحلام، لم تكُن تعلم كم انا بحاجة الى أن أشعر بأصابع كف رجل تتخلل خصلات شعري وأنا أحدثه بشفاه متقاربة، كانت مُحقة؛ لأنها لم تسمعني إلا وأنا أتغزل بجماله وأناقته ووسامته، كان ظنها أنني أحبهُ بما تملي عليّ عيني.

قالت لي ذات مرة: «أنا أستغرب من حبكِ لهُ، أنت عرفتِ من قبل من هو أفضل منه، ورأيتِ من يفوق وسامته وسامة ولم تربطني به»، كانت هذه العبارة صادقة،

شـعرتُ حينها بأنها أيقنت ما في داخلي. كانت (سارة) في أغلب الاوقات تُقارن بين (أحمد) وأحد زملائي أيام دراستي الجامعية، كان من ضمن أصدقائنا المقربين جداً، ظل كذلك الى أن افصح لي بحبه، منعته بعدها حتى من إلقاء التحية عليَّ، تجب عليّ معاقبته، لمَ كان طوال هذه المدة لا ينظر إليَّ نظرة الصديق؟ تجب عليّ معاقبتهُ لأن نظرات عينيه كانت تشوبها بعض المشاعر.

كنت لا أؤمن بأن الصداقة تتطور الى حُب؛ لأن مشاعر الحُب تنبض منذ البداية، فمن الممكن أن تبدأ بتعارف أو صداقة ولكن مدة قصيرة فقط، وان طالت فأنها ستكون خداعاً أو أنها ستكون صداقة مصطنعة من أجل الحُب، أنا لا أغفر هذا الاستغلال ابداً. كان وسيماً ولكن قلبي كان عنيداً، كان يحبني جداً الى درجة التعلق، بعد تخرُّجنا من الجامعة وحصولي على وظيفة فيها، استمرت علاقتي بالكثير لكوني لم انقطع مدة طويلة عن الجامعة، سمعتُ من بعض أصدقائه أنه أصبح إنسانا سيئا جداً، لم يتوظف، أصبح يدمن الكحول، كان كل أملي ألا أكون أنا السبب، آخر جملة قالها لي آلمتني كثيراً، قالها ذات صباح كي يعتذر من اعجابهِ بي، لم أجبْه بشيء، لأنني لم أغفر لهُ في وقتها، حتى انني لم انظر في عينيه، بقيتُ اتصنع شرود الذهن لأنكر وجوده، تسببت لهُ بالكثير من الاذى، قال لي: «اتمنى ان اجد امرأة تحبُني بالطريقة التي احببتُكِ بها»

يتتابنـي عـذاب الضمـير احيانـاً اتجاهــه، أقــول يــا ليتنــي رفضتـهُ دون هـذا القـدر مـن الجحـود، يـا ليتنـا بقينـا أصدقـاء حتـى لا أصدمـه، جُـلَّ مـا اتمنـاهُ أن يكـون بخـير أو لاً وأن يغفـر لي ثانيــاً. كان هنالــك غــيره مــن الذيــن عرفتهــم كزمــلاء في الدراسـة أو في العمـل وتقدمـوا لي بإعجابهـم ورفضتهـم، اتمنـى أن يسـامحني الـرب إن كنـت قاسـية في الـرد وألا يضعنـي محلهـم يومـاً مـا، أنـا أخشـى الانكسـار كثـيراً. بسـبب هـذه المواقـف المتكـررة تـصر (سـارة) عـلى أننـي كنـت رافضـة للحُـب وليـس للأشـخاص، في حـين كنـت انـا أبحـث عـن رجـل قـوة شـخصيتهِ تفـوق وسـامته، كلماتـه تهمنـي أكثـر مـن تصفيفـة شـعره، مواقفـه أقـوى مـن بنيـة جسـده، لـن أكـذب، لـن أقـول أن مـا أثـارني في (أحمـد) في البـدء ليسـت وسـامته، كلا، كل مـا فيـه كان يعجبنـي، لا أنكـر تأثـير عطـرهِ، حـين التقـى مديـر الصحيفـة في غرفـة مكتبـي، كيـف جعلنـي أتنفـس بسرعـةٍ حتـى لا يفوتنـي مـن عطـرهِ شيء، ولكـن .. يـا ليتنـي رأيتـهُ قبـل هـذا العُمـر، لكنـت أجمـل ممـا أنـا عليـه الان، يـا ليتنـي كنـت أصغـر مـن هـذا العمـر، يـا ليتنـي التقيتـهُ قبـل أن املـك مـن العمـر اكثـر مـن ثلاثـين عامـا، يـا ليتنـي التقيتـه قبـل أن اخـاف العُمـر و زوال الحُسْـن، يـا ليتنـي عرفتـه قبـل ان تبـدأ أنوثتـي بالتسـامي.

كان كلام زميلتـي في الصحيفـة يـراودني دائـماً، حـول مجـيء (أحمـد) في الشـهر مـرة واحـدة في الاونـة الاخـيرة وأنـه يـأتي

مـن الصبـاح الباكـر ليقـدم مقالاتـه، كنـت أفكـر كيـف لي أن أراه مجـدداً، أفكـر فيـما لـو كنـت قـد قدمـت اسـتقالتي التـي كتبتهـا، فكيـف كان لي أن ألقـاه. منـذُ أن التقيتـه، وأنـا كل يـوم حـال دخـولي مبنـى الصحيفـة أصـلي للـرب لعلـهُ يـأتي وقـت قدومـي، وألا يفوتنـي مـن مجيئـهِ شيء، كنـت أسـتجدي هـذه الأمنيـة عنـد كل لحظـة. مـا زلـت أشـعر بـه جالسـاً، كـما كان جالسـاً آخـر مـرة، مـا زلـت أستنشـق عطـره، كـم تنميـت أن أغلـق بـاب غرفتـي بعـد خروجـه، حتـى لا تخـرج أنفاسـه. كـم تمنيـت أن أجمعهـا وأستنشـقها، كـم تمنيـت أن ألمـس يـده ليـس للمصافحـة فحسـب، تمنيـت أن يمهلنـي القـدر بعـض الثـواني، تتوقـف فيهـا آلـة الزمـن لأُقبِّـل وجنتيـه، مـا أجملهـا مـن مصادفـة، مـا أروع هدايـا القَـدر لـو كان راضيـاً عنّـا، وأنـا في وسـط كل هـذا التمنـي دخـل أحمـد الى مكتبـي مجـدداً !!

كنـت جالسـة عـلى مكتبـي وبـاب غرفتـي مفتـوح و مـا أن رفعـت رأسي برهـة شـاهدتهُ واقفـاً عـلى البـاب بشـتى أنـواع الاناقـة والجـمال، طـرق البـاب بهـدوء بيـده اليـسرى مسـتأذناً للدخـول. في خاطـري، وددت أن أقـول لـه: «لا تطلـب الاذن للدخـول فأنـت دخلـت احـلام ليـلي و أفـكار نهـاري دون اسـتئذان

دخل أحمد بخطواتٍ متناسقة، قال: مساء الخير.

وقفت وصافحت يده، قلت له بصعوبة: مساء النور، شرفتنا.

مـد يـدهُ نحـوي، صافحنـي، قـال: أنـا (أحمـد) جئـت قبـل مـدة وجيـزة وقابلـت السـيد المديـر هنـا في مكتبـكِ.

صافحـت يـدهُ بدقـات قلـب مُتسـارعة، قلـت: أتذكـرك، تشرفـت بمعرفتـك.

جلسَ، نسيت انـا أن أجلـس، لم تفـارق عينـي وجهـه، حتـى نَظَـر إلي باسـتغرابٍ بعدمـا جلـس، جلسـت بسرعـة.

قال: هل يمكنني أن اقابل السيد المدير ؟

قلـت لـه: آسـفة، لـن يـأتي اليـوم، دعنـي أولاً أقـدم لـك شـيئاً لضيا فتك .

قال: لا داعي، شكراً لكرمكِ.

قلت له: لا يمكن ذلك، أنت ضيفُنا.

قال مبتسماً: أنا جاركم أيضاً

وأنـا أرفـع سـماعة هاتـف المكتـب تعجبـت كثـيراً مـن هـذه العبـارة، تعجبتُ وفرحـتُ في ان واحـد، وحـين أردتُ الاجابـة، أجابنـي عـلى الفـور عامـل الضيافـة عـلى الهاتـف ليقطـع سلسـلة الفـرح.

عـلى عجـل، قلـت لـهُ: هـل لي بفنجانـين مـن القهوة متوسـطة السـكر بسرعـة لطفـاً، أغلقـت سـماعة الهاتـف، واسـتأنفت فرحتـي والدهشـة.

نظـرت إليـه، وجدتـهُ ينظـر إليَّ، ارتبكـتُ، ارتبكـتُ الى درجـة لم أسـتطع العـودة للتعقيـب عـلى كلمتـه الاخـيرة، «بأنـه جارنا».

قلـت: منـذ يومـين، لاحظتـكَ تخـرج مـن المنـزل في الجهـة المقابلـة لمنزلنـا.

بقـي أحمـد صامتـاً عـدة ثـوانٍ، لم يعقـب عـلى كلامـي بـأي كلمـة، ابتسـمَت شـفاههُ مـن جهـة واحـدة تعبـيراً عـن التعجُـب.

قال: كيف عرفتِ انني أشرب القهوة متوسطة السكر !!!

شـعرتُ بخجـل حينهـا، إلى درجـة أني اضطـررت لأبتسـم وعينـي في الارض مـن صعوبـة الموقـف، ابتسـامتهُ مـع السـؤال جعـل الموقـف لطيفـاً نوعـاً مـا، أعطـى لي الفرصـة لأحتـج بالمصادفـة عنـد طلبـي للقهـوة.

قلـت: في الغالـب أن جميـع مـن في عمـر الشـباب يفضلـون القهـوة متوسـطة السـكر، امـا كبـار السـن يفضلونهـا بالمـذاق المُـر (السـادة)، هـذا أن فضلـوا مـرارة القهـوة على شُرب الشـاي أو بقيـة أنـواع العصائـر مـن الفاكهـة لأنهـا حلـوة المـذاق؟

قـال: كيـف عرفـتِ أني مـن الشـباب الذيـن لا يفضلـون القهـوة عـلى المشروبـات حلـوة المـذاق؟

اسـتغربت مـن استفسـاراتهِ المتواصلـة إلى درجـة جعلتنـي ألـوم نفـسي لعـدم سـؤاله عـن نـوع قهوتـه قبـل ان اطلَبهـا، ابتسـامتهُ عنـد السـؤال جعلتنـي أجيبـهُ مـن دون خـوف،

ولكـن الامـر كان معقـدًا جـدا، أنـا كنـت عـلى حـدود الانهيار مِمَّـا أراه، توقـف عقـلي عـن التفكـير وهـو بالقـرب منـي، عينـاي لا تصدقـان مـا تـراه مـن وسـامة وأناقـة وجمـال، لسـاني تلعثـم أمـام حركـة شـفتيه وهـو يتكلـم، شـعرت حينهـا بأننـي أمـام قـوة دفـع شـلال مـن السـعادة، لا أقـوى عـلى الصمـود أمامـه.

قلـت: أنـت صحفـي وكاتـب مقـالات سياسـية، كيـف لـك أن تكتـب حـول سياسـة بـلاد عربيـة دون قهـوة؟ كل إنسـان حـين يـود أن يكتـب مـا في داخلـه أو يكتـب بحسـب مـا يسـتخرجه مـن قـواه الباطنـة يحتـاج الى فنجـان مـن القهـوة، يحتـاجُ اليهـا بـكل تأكيـد قبـل أن يُمسـك القلـم و يبـدأ في اعـلى الزاويـة اليمنـى مـن ورقتـه.

ابتسمَ ابتسامة إعجاب على إثر كلامي، رمشت عيناه مرتين..

قـال: فلسـفةٌ رائعـة، تـدل عـلى ثقافـة عاليـة، كـم أكـون سـعيداً حـين أتعـرف بأنـاس بهـذه الثقافـة والاناقـة في الـكلام، ولكـن هـل لي بسـؤال أخـير؟

قلت مبتسمةً: بكل سرور، تفضل.

قـال: لمَ الى الان تضعـين يـدك عـلى سـماعة الهاتـف؟ أنهيـتِ الاتصـال قبـل دقائـق؟

نظـرتُ الى يـدي وهـي لا تـزال عـلى سـماعة هاتـف المكتـب المغلقـة، فأنـا بعـد أن اغلقـت الهاتـف ظلـت يـدي على السـماعة،

لم أرفعها من شدة الارتباك، كنتُ قد استمريت بالكلام معهُ ويدي لا تزال على سماعة الهاتف، اردتُ أن اقول له بكل جُرأة «انتَ السبب»، أنا اشكر الرب كوني استطعت تدارك الموقف والاجابة عن أسئلتك، لا بل أنني لم أكن أتوقع أنني سأستطيع تهجي احرف اللغة العربية أمام لون عينيك. بعد أن رفعت يدي من سماعة الهاتف نظرتُ إليه فوجدته يكتم ضحكته بسبب طرافة الموقف، شاركتهُ الضحك، ضحِكنا ثواني متواصلة، غَيّر من جلستهِ قليلاً على الكرسي ومسك بيدهِ اليُمنى ربطة عُنقهِ ليجعلها اجمل.

قال: أسف، وجهتُ لكِ الكثير من الاسئلة، صار لقاؤنا أشبه بالتحقيق الجنائي، أنا الى الان لم أعرفكِ بنفسي.

همستُ في داخلي دون أن يَرمش لي حرف «أنا أنتظر هذه اللحظة منذ زمن، تكلم يا أحلى ما على الارض من بشر»

طرق الباب عامل الضيافة، دخل وقدم لنا القهوة، سمح لي من خلال دخولهِ أن أسرق النظر قليلاً، أن أنعم النظر في أناقتهِ قليلاً وأن أستفيق من تأثير عطره الذي تستنشقهُ الروح قبل الانف.

قال: أنا (أحمد) حاصلٌ على شهادة بكالوريوس في الاقتصاد، أعمل في أحد المصارف الحكومية في المدينة، لديَّ اهتمام في السياسة، أكتب مقالات في المجالات السياسية والاقتصادية الخاصة في بلادنا،

أتعامل مع صحيفتين إحداهما صحيفتكم الموقرة.

قلت: حصل لي عظيم الشرف بمعرفتك، أنا (قمر) بكالوريوس في العلوم السياسية، عملي في الصحيفة عمل ثانوي، أعمل محاضِرة صباحاً في الجامعة التي درست فيها، القي المحاضرات في كلية العلوم السياسية.

تحركت ملامح وجهه تعبيراً بالتعجب، شرب من قهوته .

قال: تبارك الله، كان يجب أن تكوني انتِ مولعة بالعمل السياسي، وليس أنا، تخصصي هو الاقتصاد وانتِ تخصصكِ السياسية.

قلت: منطقياً، هذا صحيح، ولكن من البديهي أن من يكتب المقالات في شتى الانواع من السياسة او الاقتصاد أو الادب فأنه يكون موهوباً بالاضافة الى دراسته وشهادته؛ لأننا لم نر ذات يوم ان الدراسة الجامعية وحدها قد خلقت كاتبا، ولهذا أنت مُتخصصٌ بالاقتصاد ولكنك موهوب بشيء امتلكته بذاتك، وهي موهبة التعبير، موهبة تحويل الافكار لكلمات، موهبة رسم الذكاء على الورق، استطعت من خلالها أن تكتب المقالات السياسية والاقتصادية.

قال: ألم اقل لكِ بأنكِ أنيقة الكلام.

أسعدني تكرارهُ لهذه العبارة، فهي بلا شك تدل على بعض الاعجاب.

قلـت: لكنـك أضعـت بعضـا مـن موهبتـكَ باسـتخدامكَ اسـماً مسـتعاراً لمقالاتـكَ، أليـس كذلـك؟

قـال بصيغـة التعجـب: وكيـف عرفـتِ ذلـك؟ أنـا أقـدّم مقـالاتي الى المديـر وهـو فقـط مـن يعرفنـي، كـما أننـي لم اقـدم الكثـير مـن المقـالات لصحيفتكـم؟

قلـت لـه: حدثنـي عنـك السـيد المديـر لكـوني تفاجئـت مـن كونـك مسـلماً وتختـار اسـماً مسـيحياً لمقالاتـك بغيـة إبعـاد النظـر عنـك.

قـال: كان هـذا شرط ابي، بعـد أن وقـف امامـي مُعارضـا لأن أكتُـب رأيـي النقـدي وادخـل مجـال الصحافـة، مـن شـدة خوفـه ومـن شـدة تمسكي بحلمـي في كتابـة المقـالات الصُحفية توصلنـا الى هـذا الحـل.

قلـت: أفضـل مـا في الدنيـا أن يكـون الوالـدان في رضـا عنـك، سـتجد حينهـا كل ابـواب المسـتقبل مفتوحـة امامـك، إن مـن نعـم الـرب علينـا دعاؤهـم لنـا عنـد خروجنـا كل صبـاح.

قـال: أنـا أسـمع دعاءهـم عـبر الهاتـف فقـط، فهـم يقطنـون في الجنـوب، أراهـم في الاعيـاد والزيـارات المتناوبـة بـين الحـين والاخـر بسـبب أشـغال الحيـاة، حاليـاً أصبحـت زيـارتي لهـم تعـد بأصابـع اليـد.

قلت له: كان الله في عونك، لكن لِمَ لم تسكن معهم؟

قـال: نشـأتُ في مدينـة صغـيرة في الجنـوب، أحببـت منـذ الصغـر العمـل في العاصمـة، لم أكـن أريـد العيـش كـما أراد لي أبي، أنـا لا أحـب البسـاطة.

قلت متعجبةً: البساطة جميلة، ولكن اي بساطة تقصد؟

قـال: أقصـد بسـاطة العيـش والايـام المتشـابهة، أنـا أمتلـك الكثـير مـن المشـاريع والخطـط في مخيلتـي وأسـعى كل يـومٍ جاهـداً لتحقيقهـا، لـو أنني بقيـت في قريتنـا لكانـت كل ايامـيَ متشـابهة ولا اسـتطيع تغيـير أيٍّ منهـا.

قلـت: هـذا شيء جميـل، مـن مواضـع الفخـر ان يكـون للإنسـان أهـداف يسـعى مـن أجلهـا، جميـلٌ أن تتجـدد هـذه الاهـداف في كل مرحلـة مـن حياتـه، أن يسـعى بـكل مرحلـة مـن حياتـه لهـدف جديـد، وألا يتبـع القـول السـائد (نـمْ مبكـراً تصـحَ مبكـراً)

ضحك ثُم قال: أنا من هذا النوع تحديداً.

رفـع أحمـد يـده اليـسرى قليـلاً لينظـر الى سـاعتهِ الجميلـة، ثـم أعادهـا عـلى سـاقه اليـسرى ..

قال: اخذت الكثير من وقتكِ وشغلتكِ عن عملكِ.

قلـت: بالعكـس، حصـل لي الـشرف بمعرفتـك والحديـث معـك، ألا تـود أن أوصـل شـيئا الى السـيد المديـر؟ أو أن أخـبره بقدومـك؟

قال: لا شكراً، لا تخبريه بقدومي، فانا سأتصل به حال خروجي من هنا، ولكنهُ من المؤكد سيكون لنا لقاء اخر، أسعدني الحديث معك كثيراً.

قلت له: على الرحب والسِعة، هذه صحيفة تختص بشؤون الشعب، و كلنا ترحيب بمن يود زيارتنا.

كانت جملتي هذه يألفها سمع كل زائر، ولكنني أردت أن أرحب به لأنه زار قلبي وليس مكتبي، لأنهُ أدخل الفرح لمُهجتي بسرعة الضوء، لأنني غداً صباحاً سأستطيع أن القي عليه التحية دون ان اتردد، فقد تعرفنا إلى بعض وتبادلنا الابتسام.

وقف، رفع أوراقه من على الطاولة التي أمامه. .

قال: علي الذهاب الان، شكراً لحُسن ضيافتكِ وجمال حديثكِ.

مد يده ليصافحني، قال: عُمتِ مساءً.

خَرجتْ أوردة قلبي من كف يدي والتفت على يده لتصافحهُ ....

قلت له: طاب مساؤك.

ذكرني لقاؤه بمطلع قصيدة (لغادة السمان) تقول فيه: (وتقول شفتاك للفرح .. كن فيكون)،

كان يمتلـك مفاتيـح الفـرح وانـا لا اعلـم، عندمـا يتكلـم كان يمتلكنـي، كان يـأسرني تحـت مشـيئته وأنـا لا أعلـم. مـا أجمـل لقـاءه، مـا أجمـل كلامـهُ، مـا أجملـهُ، كانـت أمنيـةً وتحققـت، اخـيراً تكلمـت معـه، كان حُلـماً أن أراه يومـاً جليـسي، والان قـد تحقـق. عـلى الرغـم مـن أن لقاءنـا الاول كان لقـاءَ عمـل إلا ان تأثـيره فيّ كان كبـيراً، شـعرتُ أن القـدر حقـق مـن أجـلي الكثـير، سـمح لي بـأن القـي التحيـة عليـه غـداً، رزقنـي بأمـل لقائـه، ثـمُ جعلـهُ يتجـدد كل لحظـة. كنـتُ أتأمـل دخولـهُ الى مكتبـي كل يـوم، ليمطـر الفـرح عـلى أيامـي بحديثـهِ، حديثـهُ الـذي أعطـى الأدلـة لمـا ظننـت بشـأنه، تأكـدتُ مـن أنـهُ إنسـان مُتميـز مـن اقرانـه، يمتلـك موهبـة ويمتلـك الـذكاء. تمنيـت ألا ينتهـي هـذا اليـوم، ولكننـي وبعـد ثـوانٍ مـن مُغادرتـه، تمنيتـه أن ينتهـي هـذا اليـوم كـي أراه يـوم غـد واقـول لـهُ (صباحُ الخَـير أيُّهـا الفَـرح)

رجعـت الى البيـت وأنـا أحمـل الفـرح بالحجـم الـذي لم أعرفـه مـن قبـل، دخلـت المنـزل ورأيـت أمـي جالسـة مـع جارتيهـا، القيـت التحيـة والفـرح يغمـرني، كان وجهـي مبتسـما، كـم يكـون هـذا الموقـف صعبـا عـلى أيـة فتـاة، في هـذا الموقـف لا تسـطيع أن تخفـي الفـرح الـذي يغمرهـا، سـتفضَحُها عينهـا، سـيفضحُها كلامهـا الجميـل الـذي تقولـه بشـكل عفـوي لـكل مـن يصادفهـا، ولـو انهـا تمكنـت مـن أن تخفـي فرحتهـا عـن النـاس فكيـف لهـا ان تُخفيهـا عـن الأم !!

دخلت أمي إلى غرفتي بعد أن ذهبت صديقاتها، ابتسمت عند شرفة الباب وهي تطرقهُ

سألتني سؤالها المُعتاد : كيف كان يومكِ يا قمر؟

قلت لها: كان جيداً، أنتِ كيف صحتكِ؟

قالت: أنا بخير لطالما اراكِ مبتسمة.

قلت لها: شكراً لكِ يا أمي، هذه الابتسامة من نعمة دُعائكِ لي.

مضى الليل، التقيتهُ عند الصباح، خرجتُ من منزلي فرأيتهُ واقفاً، كان على ما يبدو قد خرج قبل موعده وظل واقفاً على باب بيته ولم يمضِ في طريقه، استنتجت ذلك من السيجارة التي كانت بيده، كانت على وشك أن تنتهي، يعني ذلك انه كان واقفاً ولم يخرُج الآن، حالما خرجتُ رماها، كان من المعتاد أن يخرج ويتوقف ثوانيَ ليشعل فيها سيجارته، ثم يواصل السير ولا يقف، لِمَ رأيتُ السيجارة بيده منتهية؟ هل كان ينتظر خروجي؟ أم أنه مجرد ظن خاطئ؟ رأيتهُ يترك باحة بابه ويواصل سيرهُ، صادفتهُ وجهاً لوجه، قلت: (صباح الخير).

أجابني مبتسماً: (صباح النور)

واصلت السير رغماً عن وسامتهِ، في كل صباح كان يقتني عطراً يتغلغل وسط الروح قبل الحواس، كان أنيقاً

جـدا، وجهــهُ كان أجمـل صبــاح أراهُ في حيــاتي. اســتمرت روعــة هــذا المشــهد كل صبــاح عــدة أســابيع، انتظمــتُ عــلى الخـروج مبكـراً، وانتظـم هـو ايضـاً. تكـرر لقاؤنـا كل صبـاح، تأكــدت بأنــه يخــرج قبـل خروجــي، ينتظـرني لأخــرج، لا يواصـل طريقـه إلا بعـد أن يلقـي التحيـة عـليّ. كانـت تحياتُنـا متشــابهة، إلا في بعـض الاحيــان ســألني فيهــا عــن صحتــي وأجيبـه بأننـي بخـير، كانـت نظراتـهُ جميلـة، كان مـن الصعـب عـليّ قراءتهـا وفهمهـا، لا أجيـد قـراءة كلامهـا، ينتابنـي بعـض الاحيــان إحســاسٌ بأنــهُ معجــبٌ بي، وفي احيــانٍ أخــرى ارى نظراتـهُ عاريــة مـن الاعجـاب ولا يتخللهـا شيء يثـير الأمـل، ذلـك الامـل الـذي يُطمئنُنـي بأنـه شَـعرَ بـما في داخـلي وسَـمِعَ الـكلام الـذي عـلى لسـان نظـراتي. بعـد مـدة وجيـزة، تأكـدتُ أنـه قـرأ الـكلام الـذي في كتبـهِ السُـهد في عينـي، تأكـدتُ بأنـه شَـعر بأننـي أحلـم بـأن ألقـاه، بموعـدٍ مـن ورق، موعـدي الـذي كتبتـهُ بأبيـات شِـعر عـلى الـورق، كلـما كتبـت مـن أجلـهِ الكلـمات كان بيـت القصيـد يحـوم حـول موعـدهِ. وأهـم مـن كل شيء تأكـدتُ مـن أننـي اثـرت انتباهـه، راودني إحســاس بأنـهُ يعـرف بـأن اسمهُ قـد كُتـبَ عـلى جـدران ايامـي. يـا ليتـه يعلـم كـم احبـه، يـا ليتـه يعلـم عـمّا أريـد قولـه، يـا حبـي الأول سـنلتقي، سـأنتظرك وشـفتاي تـاكل بعضهـا بعضـا، في ذلـك البيـت الـذي نحتـه مـن اجلـك، سـترى سـنين عمـري قـد باتـت شـموعاً، تنـير لـكَ طريقـك وانـت قـادم، للقائنـا نثـرت سـنيني شـموعاً، سـنيني التـي كانـت تخلـو منـك،

هل تعلم كم مرة علَّقتُكَ أمنيةً على شجرة الميلاد؟، هل تعلم كم وردة حمراء جَلبتُ لك؟، هل تعلم كم كلمة حُب جمعت لك؟ أريد أن أقولها لك، في حضرة جمالك/ ومن أجل ذلك .. بملء الصبر سأنتظرُك.

أصبحنا أصدقاء، نُلقي التحية على بعضنا صباحاً، كنت قد فكرتُ ملياً في تطوير هذه الصداقة، فكرتُ في الطُرق التي تسمحُ لي بأن أحادثهُ، أحتاج إلى أن أحادثهُ حديثاً لا نهاية له، كم أحبُ حديثه، احُب ملامح وجههِ حين يتكلم، حين يتناثر الحُسن منها كرذاذ مطرٍ في جوٍ عاصف. بدأت أُناقض مبادئي، بدأتُ أنكرها من أجله، في المقابل، بدأتُ أختلق الحيل من اجل ارضاء الذات، فكرتُ في صداقتي معه، لم أنسَ قبل بضع سنين كيف رفضت شخصاً أحبني برداء الصداقة من أجل أن يراني كل صباح، من أجل أن يتكلم معي بموضوع يختلقهُ كي أكلمهُ، صار صديقي لأنهُ أحبني، أليس أنا الان أفعل كما فعل هو!! ألم أرفض مسبقاً فكرة ألا يكون الصديق حبيباَ، لِمَ هذا التناقض !!!لأنه يبتسم كلما يراني، وجدتُ نفسي أقدم لنفسي الاعذار، حتى أصل الى شواطئه التي حلمتُ بها، وأنا حبيسة جزيرة الاعجاب بهِ، هذه الجزيرة النائية التي أمضيتُ فيها ليالي وأنا أتخيل كيف يكون الارتباك لو وقفت بالقرب من أكتافه؟ قررت أن تربطَنا الصداقة، الى أن أرسم مشاعري بقصيدةٍ سأقولها لهُ على ضوء الشمع،

الى أن أجعلـهُ ينظـر إلي كنظـراتي إليـه، الى أن أصارحـهُ بحبـي، الى أن أعـرف سر العطـر الـذي في عينيـه، سـأنتظره عـلى ذلـك المقعـد المُطـل عـلى الشـاطئ.

إن تمنيتك تُوصد الأمنيات أبوابها

وإن حَلمِتُ بكَ يفتح الحَنين نوافِذه

وانا اقف على ابوابك .. تعبت

تعبتُ اتمناك .. وانا مُكبلةُ الاحلام

(٢)

تَتَموج الارض تحت أرجُل كل امرأة تخلو أيامها من الحُب، تحت ارجُل كل امرأة أمَست بلا حبيب، تحت كل مَن تنام ليلها خالية المشاعر. حين تنهض من فِراشها صباحاً، تشعُر كُل امرأة بهشاشة الارضِ التي تقف عليها لو تأملت ثوانيَ أن ليس بانتظارها أحد، عندئذٍ تَخشى من أن تُدفن تحت السنين دون أن تبقى لها ذكرى، فهي لم تخطر على بال رجُل وهو يَنصُت لأغنية ما. تخشى من أن تكون حُطام إنسان تراكم نتيجة الاهمال، تخشى من أن ينتهي بها العُمر ولم تجد على خصرها أثارَ لأيدي لرَجُل.

الحُب عند النساء يضع حداً لتقدم السِن، النساء لن يصلن الى سن اليأس أن بقِين في قيد الحُب، يأس العواطف لا يأس العُمر، لن تذبل أجفان تلك التي تضع الكُحل كل يوم قبل غروب الشمس. أغلب النساء في بلاد العرب يرين الحُب مقصوراً على عمر الصِبا، لا أضع اللوم عليهن، فالظروف الصعبة وحجم الالتزامات التي على عاتقهن جعلتهن يَنمَن مبكراً. مِنهُن قلةٌ قليلة من اللواتي بقين في قيد الحُب، أو في قيد ذكرى جميلة لحبيبٍ كان عشقه قد سبق الزواج أو جاء بعده، او في قيد حبٍ عاش ومات وهو يقتات على الكتمان.

في المجتمـع العـربي عـلى كل النسـاء المُتزوجـات الالتـزام بالعِفـة والـشرف، ويقصـد بذلـك عفـة الجسـد للأيـام القادمـة وشَرف الصِبـا للأيـام السـابقة، يتطلـب الامـر حُسـن سـيرة للـماضي بحسـب ألـسُن النـاس، لا يهـم شيء اكثـر مـن ذلـك. الحُـب في مجتمعنـا ينهـب شرف الفتـاة أن تحدثـت عنـه، يـسيء لسـمعتها لـو قـرأت عنـهُ كتابـاً، هـذا المَنـع لا يشـمل الـكلام فحسـب، بـل يـسري عـلى كل المشـاعر والاحاسـيس التـي تنتابهـن قـسراً بالفطـرة، ويسـتثنى مـن ذلـك العَـين ومقلتهـا.

هنيئـاً لامرأتـين، إحداهمـا قـرأت هـذه الاسـطر عـلى عجـل ولم تُعِـد قراءتهـا، وأخـرى قرأتهـا جيـداً، ولكنهـا لـن تكـترث لمـا أعنيـه، هنيئـاً لمـن تزوجـت عشـيقها، وهنيئـاً لمـن عَشِـقت زوجهـا. غالبـاً لا تكـون المـرأة كيفـما تشـاء، غالبـاً مـا تكـون خلافـاً لواقعهـا، ولكنهـا لا تتكلـم، لا تتحـدث بهـذا الشـأن إلا لوسـادتها، تكتـم اسرار روحهـا لـترضي الواقـع، يتقبّـل جسـدها التغـيُرات التـي تطـرأ مـن حولهـا، والتغـيرات التـي تطـرأ عـلى جسـدها ايضـاً، ولكـن روحهـا تأبـى ان تتغـير. نحـن خاضعـون للظـرف المـادي قبـل كُل شيء، مـا تولـد عليـه الفتـاة هـو الـذي يُحـدد مـا سـتكون عليـه، كيـف تحـب، هـل يُسـمح لهـا بالحـب اساسـاً ام لا، هـل تختـار مَـن يفـكُّ ضفائرهـا أو سـيختار لهـا المجتمـع، هـل تكـون كتلـك التـي أرادت الخـلاص فتزوجـت، تلـك التـي أرادت الهـرب مما يحيطهـا فاقترنـت بـأول ميسـور حـال طلـب يدهـا، تلـك الوحيـدة التـي لا يُحـق لهـا العبـث

بروحها، لا يحق لها ان تحلم مجدداً، تلك التي قايضت جسدها بالثياب والمَصوُغات الذهبية. غالباً ما يكون الحُب فقيراً فالأغنياء لا وقت لديهم للحُب، لطالما رأينا قَصص الحب وهي تصارع العَوز، كيف ينهش الفَقْر جسدها ليفرِّقها الى قصتين، كل طرف يأخُذ قصتهُ بمعزل عن حبيبه ليصنع منها (أقراصا للذكرى) يتناول احداها كلما شَعرَ بألمٍ في الروح، كلما كان الحنين سبب سُهده.

(البيوت السعيدة لا صوت لها) قرأتُها ذات مرة للكاتب المصري (مصطفى محمود) فعلاً انها كذلك، العائلة سعيدة لن تسمع لهم اصواتاً عالياً، لا يوجد قَهر مع يُسر الحياة، مثلما لا توجد سعادة مع الفقر. ذات ليلة، كَذَب الحب على الفقر وقال سأزورك، لم يأتِ، تلك البنت التي اختارت حبيبها الفقير؛ لأنها عشقته وتزوجا بعد ان سمع منها المقولة الشهيرة «لا يهمني كيف تكون حياتنا لطالما سأبقى بقربك» لم يستمر عشقهما بعد اول حديث تفاخر كان بين الاقارب، اعتاد هو النوم قبل مجيئها الى الفراش، وهي استلقت بعدهُ على سريرها الابكم، تنظر الى سقف غُرفتها، نادمةً دون دمع. القصد هنا لن ينسجم مع المعنى، العيون الصامتة تحمل براكين الكلام في قلوبها، بعض النساء خاملات المشاعر، فقد انطفأت لهيب براكينها بمرور الزمن، اما ذوات الشفاه الناعمة، اللواتي لم ترهقها القُبل، اللواتي لم ينمن على يد (الحبيب الأول)،

اللـواتي لم تغمـض اعيُنَهـن إلا وكانـت نـبرة صـوت الحبيـب همساً تقتحـم اذنيهـا، رسـمهُ كالـبرق يخـرق اجفانهـا، هـن فقـط، لم يطفـأ لهيـب مشـاعرهن مـع تقـادم الزمـن.

مـن البديهـي اننـا نسـمع الاصـوات التـي تصـدر مـن حولنـا حـال دخولهـا سـمعنا، إلا صوتـهُ، كان يدخـلُ إلى عظـام جسـدي قبـل سـمعي، كانـت نـبرة صوتـهُ تغريـدة امـل في كل صبـاح. منـذ أن أصبحنـا أصدقـاء والابتسـامة عـلى شِـفاهنا باتـت أجمـل، حتـى أنـا أصبحـتُ أجمـل، بـتُ اجمـل عـمَّا قبـل أن أعرفـه، كل مـن حـولي شـاهد حجـم التغيـير الـذي حـدث لي، لملامحـي، لألبسـتي التـي تتنافـس فيـما بينهـا كل يـوم مـن أجـل أن تلقـاه.

غمرتنـي السـعادة إلى درجـة الغـرق حـين قـرأ عينـي ذات يـوم، خرجـت فيـه ورأيتـهُ واقفـاً، كالمعتـاد أخذتنـا الخطـوات في طريقنـا وأنـا بـلا إدراك، لا أرى في الدنيـا سـواه حـين يكـون، لا أعـرف ماهيـة الدنيـا لـو استنشـقت عطـره. كنـت متعبـة جـدا، أرهـق السـهر عينـي وأنـا اقـضي الليلـة التـي سـبقت ذلـك اليـوم في المشـفى حـين اتصلـت مسـاءً بصديقـي (زيـاد)، اجابتنـي ابنتـه عـلى الهاتـف، ابلغتنـي بأنـه في المشـفى منـذ سـاعتين، بسـبب أصابتـهِ بنوبـة عصبيـة، كـم شـعرت بالذنـب حينهـا لأننـي لم أتصـل بـه، ذهبـت الى المشـفى ورأيتـه في غيبوبـة، تألمـت كثـيراً، أبنبـي ضمـيري عـلى تقصـيري اتجاهـه،

علمتُ من ابنته وزوجته ان حالته الصحية كانت جيدة وانهُ لم يشتكِ من شيء اطلاقاً خلال هذه المدة، انا نادمة، لم أسأل عنه منذ مدة سبقت اخر اتصال هاتفي كان بيننا قبل أسابيع، قضيت ليلة كاملة في أروقة المشفى، لم أستطع الذهاب الى البيت، اتصلت بوالدتي وأبلغتها بالأمر، بقيت في المشفى الى ان طلعَ الفجر، الى أن تكلم (زياد)، زارهُ الطبيب وخرج من غرفتهِ وسمح لنا بعدها بالدخول إليه، استطعت أن اتكلم معه. دخلت إلى غرفتهِ وخجل يسبقني.. قلت لهُ: حمداً لله على سلامتك، سامحني، انا لم أسأل عنك ولم أزُرْك، قلقت عليك جداً.

قال زياد: شكراً لكِ يا (قمر)، لِمَ أتعبت نفسك في الحضور، الشمس أشرقت الآن؟

قالت زوجته: (قمر) هنا منذ ليل الامس، لم تنم، لا بل لم تجلس حتى.

بعدما جلستُ على الكرسي الذي كان بالقرب من سريره، انحنيت بالقرب من رأسه، وضعت يدي اليمنى على شعره فانهمرت دموعي ..

قلت له: لِمَ أنت مُتعب إلى هذه الدرجة؟ ما أصابك؟

قال زياد: نحمد الله على ما يصيبنا، تفاجئتُ بالأمر، أبلغني الطبيب بأنني أُصبتُ بانهيار عصبي حاد، لم أشعر بشيء طوال هذه المدة سوى بعض الصداع، ولكن

بالأمـس مـا الـذي حصـل؟ كل مـا اتذكـره أننـي كنـت جالسـاً عـلى العشـاء مـع عائلتـي، لم أعلـم بـما جـرى.

قالـت زوجتـه: كُنـا ليـل الامـس نتنـاول العشـاء، كنـا نتكلـم عـلى المسـتوى الـدراسي لابنتـك، وبعـد ان ازداد غضبـك سـألتكُ ولم تجبنـي، ثـم أغلقـتُ عينيـك، بعدهـا أغمـي عليـك وجئنـا الى المشـفى.

قال زياد: حمداً لله لأني كنت معكم.

مسـكت يـدهُ وقلـت: لا تقلـق، سـأُصلي مـن أجلـك كل يـوم حتـى تتعـافى.

ابتسم وقال: لا تبكِ يا ابنتي، أنا بخير.

شـعرتُ بالخجـل الشـديد لأنانيتـي، لم اسـمح لأحـد بـأن يسـبقني إليـه، سـبقتُ زوجتـه واولاده حـين سـمح لنـا الطبيـب بالدخـول، دخلـت اولاً وجلسـت بالقـرب منـه، أجـبرت البقيـة عـلى الانتظـار الى أن أذرف الدمـوع التـي تليـق بتقصـيري اتجاهه ثُـم مسـحت دموعـي وابتسـمت .

قلـت: أنـا اسـفة، لم اسـمح لعائلتـك بالتحـدث معـك والاطمئنـان عليـك، سـبقتُ الجميـع بالحديـث معـك، منـذ الامـس وانـا قلقـة عليـك، سـأتركك الان لتأخـذ قسـطاً مـن الراحـة بالقـرب مـن عائلتـك، سـأزورك عنـد المسـاء.

قـال: لا تقلقـي بشـأني، سـأكون افضـل، شـكراً عـلى زيارتـك وا هتما مك

القيـتُ التحيـة عـلى الجميـع ، خرجـتُ مـن المشـفى مملـوءة بالتعـب، ارهقنـي القلـق أكثـر مـن السـهر، لم أنـم منـذ ليـل الامـس، يجـب عـليّ أن اذهـب الى العمـل بعـد سـاعتين مـن الان، فكـرت في أن اتصـل لطلـب الاجـازة، ولكننـي أيقنـتُ بـأن رؤيـة رفيـق الـروح سـتمحو كل التعـب. رجعـتُ الى البيت، سـكبت المـاء البـارد عـلى وجهـي كـي اطـرد النـوم، بدلـت ملابسي وخرجـت مسرعـةً كـي لا أتأخـر عـن شروق شـمس أيامـي، عـن اشراقـة وجهـهِ الـذي فـاق جمالـهُ بريـق قـوس قـزح، رأيتـهُ، القيـت عليـه التحيـة فتوقـف ولم يواصـل السـير

التفت لي، قال: ما بكِ؟ عذراً للسؤال إن كنت متطفلاً.

قلت له: أنا بخير.

اسـتمر بالسـير قليـلاً وقـال: يظهـر عـلى وجهـكِ الارهـاق، كأن عينيـكِ لم تَنـمْ.

قلت: قضيت ليل الامس في المشفى، لم استطع النوم.

توقف عن السير، قال: لماذا؟ هل تشتكين شيئا؟

قلـت: كلا، أحـد اقـاربي كان في المشـفى، ذهبـت إلى زيارتـهِ ليـل الامـس، وجـدت حالتـهُ سـيئة جـدا فاضطـررت للبقـاء حتـى الصبـاح الى أن فـاق مـن غيبوبتـه لأطمئـن عليـه.

قال: كيف هو الان؟ هل تحسنت حالته؟

قلت: نعم، أفاق من غيبوبته عند الفجر، اتمنى أن تستقر حالتــه اليوم.

قال: تمنياتي له بالشفاء.

قلت: شكراً، هذا من لطفك.

وجدت نفسي بعد ذلك في نهاية الطريق الذي نفترق عند نهايته، ابتسمت له ..

قلت: مع السلامة.

أجابني مبتسماً: طاب يومك، مع السلامة.

أزال الارهاق من وجهي ثُم رسمَ الابتسامة عليه بفرشاة وسامته، جعل أيامي اجمل من كل يوم سبقه، كم أنا سعيدة بلُقياه، كم انتظرته، كم تمنيت أن القاهُ في ذلك الموعد الذي رسمتهُ في احلامي، كم وددتُ ان اقول لهُ عمَّا أكتب لهُ عند كل المساء، حين يعذبني الصمت، ويرجمني الشوق، حين ترفع الأمنيات سوطها وتلقيه، بتُ اخاف من الحنين اذا طغى، واخشى الأنين إذا ارتجى.

عند المساء، ذهبتُ الى المشفى التي كان فيها (زياد) لأزوره، اتصلت به وانا في طريقي إليه، أجابت زوجتهُ على اتصالي،

ابلغتني بأن حالته الصحية قد تحسنت بعد الظهيرة

وقـد سـمح لهـم الطبيـب بالمغـادرة. ذهبـت الى بيتـهِ، جلسـت مـع زوجتـه لأطمئـن عليـه، كان نائـماً نتيجـة العـلاج الـذي تناولـه، كانـت عائلتـهُ تحبني جـداً، في كل مـرة أزورهُـم فيهـا كانـوا يرحبـون بي اشـد الترحيـب، كانـت ابنـة (زيـاد) تحدثنـي دائـماً عـن عمـلي في الجامعـة، كانـت تـروم الدخـول الى كليـة العلـوم السياسـية، كنـت دائـماً أحـاول أن أمنعهـا مـن ذلـك، أحـاول ترغيبهـا في تخصـص آخـر، كانـت زوجتـهُ تعلـم بعمـلي السـابق في مطعمـه، احتفظـت بهـذا الـسر دون أن تتكلـم عليـه لأولادهـا، كانـوا يعتقـدون أننـي كنـتُ جارتهـم قبـل سـنين مضـت. تحترمنـي زوجتـهُ وتحبنـي كثـيراً، بسـبب ذلـك تمكنـت مـن أن أوصيهـا بـأن تهتـمَّ بـه وان تراقـب حالتـه الصحيـة، قَـدرَت موقفـي، شَـعرتْ بخـوفي عليـه دون أدنـى غـيرة، تلـك الغـيرة التـي تنتـاب كل امـرأة حـين تتقـرب أي امـرأة أخـرى مـن زوجهـا، هـذه الغريـزة التـي لا تتخـلى عنهـا أي امـرأة، إلا مـن كانـت واثقـة بقلـب زوجهـا ودخلـهِ الشـهري. رأيـت (أحمـد) في آخـر يـوم عمـل في الاسـبوع، كان قـد غـيَّر عِطـره الـذي اعتدتُـه خـلال الايـام التـي مَضـت، عنـد سـيرنا في الخطـوات المعتـادة صباحـاً

قال لي: أيمكنني دعوتك لحضور عيد ميلادي، يصادف يوم غد؟

أجبتهُ بالتفاتة تعجب: حقاً !! عيد ميلاد سعيد.

قـال: هـل بإمـكاني سـماعها يـوم غـد، لا يجـب ان تكـون التهنئـة قبـل إطفـاء الشـمع.

قلت: يسعدني ذلك، ولكن في أية ساعة غداً؟

قال: حجزت طاولة في مطعم وهذا عنوانه، دعوت عدداً قليلا من أصدقائي

ثم ابتسم، وأكمل حديثه: في الحقيقة انا لا أملك الكثير من الاصدقاء.

اخذت العنوان من يده، وقلت: لا يهم أن تمتلك الكثير من الاصدقاء بقدر ما يهم أن يكونوا أصدقاء لك بالفعل.

قال: هذا صحيح.

قلت له: هل لي ان اصطحب معي صديقتي (سارة)، إن كان ذلك لا يعجبك لا يهم؟

وضع يده اليمنى في جيبه وقال: بكل سرور، يُسعدني أن أتعرف الى صديقتكِ المُقربة.

بنظرة استغراب، أجبته: كيف عرفت بأنها صديقتي المُقربة؟

ابتسم من شدة جماله، قال: لو لم تكُن مقربة لما استأذنتِ لحضورها معك يوم غد، أنت لم تسأليها بعد هل تود الحضور أو لا، أليس كذلك؟

قلت: استنتجت بالشكل الصحيح، لكنني سأسألها عن رأيها بالحضور لعيد ميلادك.

قـال: آمـل ألا ترفـض، لأننـي أود معرفـة كل اصدقائـكِ، بسبب ثقافتكِ واخلاقكِ يتشرف بمعرفتكِ جميع الناس ولا شك ان اصدقاءكِ الذين اخترتِهم لا يختلفون عنكِ.

قلت: سنأتي يوم غد.

قال: سأكون بانتظاركم في الساعة التاسعة مساءً.

القيت تحية الوداع عليه ونظرت على فور إلى ساعة يدي لأحسب كم من الوقت يلزمني لأنتظر، كم يلزمني من الصبر؟ بأية طريقة سأهنئهُ بميلاده؟ ميلادهُ الذي جعل توقيت ايامي يمضي من دون ساعات. قبل ان أنهي عملي اتصلت (بسارة) لأخبرها بدعوة (احمد) ليوم غد، وافقت على الحضور من أجلي، شعرت أنها في حرج من ان تذهب الى موعدٍ مع اشخاص لم تعرفهم من قبل، لكنها لم تفصح عن شيء. قضيت الليل بأكمله أفكر في نوع الهدية التي تليق بإعجابي به، تليق بحبي، اردت ان اهديه شيئا يثير انتباه قلبه التجاهي، اردتُ ان اهدي لهُ ما تبقى من العمر من ايام، أنا احبهُ كثيراً.

فكرت في كل الهدايا التقليدية للرجال، فكرت في العطور والساعات اليدوية والخواتم الجميلة، فكرت في الزهور الحُمْر والبيض، فكرت في كل الجالسين في وقتها، ماذا يقولون لو شاهدوني وانا انظر إليه، اخاف ان تغازله عيني بصمت، خفتُ كثيراً من جشعي وانا مغرمة به،

قضيت الوقت الكثير في التفكير، حتى تمنيت لو اني أستطيع ان اضع لهُ فؤادي في زجاجة عطر. قررت أن اشتري له ربطة عنق تليق بأناقته، قررت ان اكتب له، ان اعلن عن مشاعري اتجاهه، قررت ان أخطو الخطوات التي لم تخطُها أية امرأةٍ شرقيةٍ قبلي، لم تعترف قبلي امرأة لرجل في البلاد العربية بأنها تحبه. قررتُ ان افعل ذلك حتى تقف الارض عن الدوران، حتى تقف سنوات عمري عند ذلك اليوم، كي ابقى طفلته، حتى لا أرى الشعر الابيض وهو يتخلل شعري، حتى انطق باسمه وانا اضع احمر الشفاه. قضيتُ ليلتي بأكملها وانا انتقي الكلمات التي تعبر عمَّا في داخلي من حب دون ان تخدُش احداهُن كبريائي، دون ان يُقلل تعبيرها من شأني، كتبتُ الف كلمة وحذفتُ الفا، انتابني شعور الرفض مراراً. وانا جالسة في غرفتي، على طاولتي الصغيرة، أشرقت الشمس فجأة، شعرت حينها بالفشل، كررتُ المحاولة، لن اُفَوِّت هذه الفرصة التي انتظرتها كثيراً. اغمضت عيني، تذكرت نظراته إليَّ، منذ ان التقينا في مكتبي والى اخر لحظة، فتحت عيني وانا امتلك الكثير من الشجاعة لأكتب، كتبت له حقيقة ما في الامر:

«عندما اراك ادرك معنى السعادة

وعندما اتكلم معك اتمنى ان يتوقف الزمن

وعندما انظر في عينيك اعرف ان ليس للجمال حدود

ولكن الى متى ...

ستستمر سيوف الخجل بقتلي

والخوف من المجهول ..

الذي قد يحرمني من جمال ابتسامتك في كل صباح

اخشى ان تزعجك كلماتي

او ان اكون قد تجاوزت كل الحدود

فإن رفضت اعجابي .. ارجو ان تخبرني

حتى اعتذر ممَّا قلته

واترك الكلام لليلة قد اراك فيها .. بأحلامي»

الثاني من شهر نيسان ...

نمتُ قليلاً قبل ان يتم الصباح نوره، التقيت (سارة) لنخرُج من اجل التبضع، اشتريتُ لهُ ربطة العنق لترافق كلماتي له، لم اخبرها بقراري، لم اخبرها بأنني سأكتب له تهنئة ممزوجة بما اشعر، بحسب ما املك من حب له، كيفما اتمناه كتبتُ له. في ايام العُطل كنت اقضي النّهار بأكمله مع امي في البيت، فأنا طوال الاسبوع لا اراها إلا عند المساء، وفي بعض الاوقات اتناول معها الغداء عند

الظهـيرة، كانـت دائـماً تحدثنـي مـن أجـل الذهـاب الى الكنيسـة في يـوم الاحـد، كنـت ارفـض دائـماً، لي الكثـير مـن الانتقـادات لطريقـة الحضـور والمجامـلات الدنيويـة عـلى حسـاب الديـن في الكنيسـة، كنـا في كل يـوم عطلـة نسـتغرق الوقـت بأكملـه مـن اجـل هـذا النقـاش العقيـم الـذي احـاول انهـاءه بصيغـة تجعـل امـي تبتسـم حتـى لا تضجـر منـي.

جـاء المسـاء الجميـل، سـألقاه تحـت ضـوء القمر لا تحت اشـعة الشـمس، سـألقاه والقمـر لا يعنـي لي شـيئاً في حضـوره. ارتديتُ فسـتاناً أحمـر يتخللـهُ السـواد، اخـترتُ الاحمـر القاتـم لشـفاهي، طبقتهـا عـلى بعضهـا لأرى كيـف اصبـح لونهـما فنطقـت اسـمه، اطلقـت العنـان لشـعري، وضعـت الكحـل لعينـي مـن أجلـه فحسـب. جَهـزتُ هديتـهُ في عُلبتهـا، كتبـتُ كلـماتي في ورقـة صغـيرة وعلقتهـا عـلى الشريـط الاحمـر الـذي التـف حولهـا، مسـكتُ زجاجـة العطـر خاصتـي ووضعـتُ منهـا حـول رقبتـي وحـول هديتـه، لمَ وضعتـه؟ لا اعـرف السـبب، ولكـن السـبب حتـماً لا يتعـدى خواطـر القلـب آنـاء الليـل.

ذهبـتُ الى الموعـد بصحبـة (سـارة)، وصلنـا الى المـكان، رأيتـهُ مـن خـارج زجـاج المطعـم جالسـاً، وعـلى طاولتـه امرأتـان و ثلاثـة رجـال، دخلـتُ الى المطعـم بخُطـا الـروح التـي تسـبق الجسـد، تمنيـت لـو يخلـو المـكان مـن البـشر لنجلـس وحدنـا، تمنيـت لـو يخلـو المـكان مـن الهـواء كـي استنشـق انفاسـه.

اتجهتُ نحو الطاولة التي يجلس عليها، شاهدته يقف ومن ثم يتجه لاستقبالنا، اقترب اكثر، تمنيت لو يسمح لي القدر بعناقه دقائق، او ساعات، او أياما. رحَب بنا ثم عَرَفنا الى اصدقائه، جلسنا على الطاولة معا، ومن خلال الحديث علمتُ ان اثنين من الرجال هم اصدقاؤه المقربون منذ سنوات وهما (سعيد و هشام)، كان (سعيد) قصير القامة، يرتدي نظارات سميكة، و(هشام) وسيمٌ بعض الشيء، لـهُ اطلالة جميلة ووجهُهُ ضحوك، اما الرجلُ الثالث فهو زوج زميلة (احمد) في العمل والامرأة الاخرى كانت زوجة (سعيد) كانت على الطاولة كعكة جميلة، لكنها لم تحتوِ على أية عبارة، لم تحتوِ حتى على شمع، بعد أن عَرفتُ (سارة) الى الحضور والى (احمد) تحديداً وكيف تعرفت اليه في الجريدة.

سألت احمد: لِمَ لم تكتب شيئاً على كعكة عيد ميلادك؟

أجابني صديقه (هشام): هذا لا يهم، المهم أننا سُعداء جداً لأنه أقام حفلاً بسيطاً، انا اعرفهُ منذ ان كنا في الجامعة، لم أره يوماً يحتفل بعيد ميلاده.

من اسفل الطاولة ضرب (احمد) (هشام) بقدمه، ثُم نَظر إليه خِفية ..

قال: كلا ليس كذلك، انا لم اكن اجد وقت الفراغ كي احتفل به، منذ ايام تذكرت هذه المناسبة ووجدتُ اليوم مناسباً لدعوتكم، ولكنني لا املك الكثير من الاصدقاء

بسبب انشغالي بالعمل وآرائي السياسية، في حقيقة الامر، النقد لم يُبقِ لي صديقا.

شعرتُ أن (احمد) اختلق الموعد كي نحضر له، او انهُ أرادهُ سبباً لمجيئنا، استنتجت (سارة) كذلك ايضاً.

قلت: اولاً لا يهم كم يكون عدد الاصدقاء عند الانسان، بقدر ما يجب ان نهتم لماهية العلاقة التي تربطنا بينهم، انا لا أملك إلا صديقةً واحدة، في الوقت الذي املك فيه الكثير من الاصدقاء، ولكن ان صح التعبير، هم زملائي في العمل او من سكان حارتنا، ثانياً لطالما انك الان برفقة اصدقائك المقربين وتحتفل بعيد ميلادك فأنك تحتفل بما انجزته فيما مضى من حياتك، يكفي ان تحتفل بدوام هذه العلاقات، لا ان تحزن على من فرَّقك النقد عنهم، كل الذين يختارون طريق السياسة يمتازون بثلاث صفات: الاولى: هي التدخين، والثانية: يكونون ذوي حوارات شائقة، وثالثاً: يكون لهم رفقة محدودة.

ابتسمتُ بعد ان انهيت كلامي، تمنيت اني قد كنت خفيفة الظل في اول نقاش لي مع اصدقائه الذين لا اعرف احداً منهم، نظرَ الجميع إليَّ.

قالت احدى صديقات (احمد): كيف تمكنتِ من اعداد هذه الاحصائية السريعة لميزات المهتمين بالسياسة؟

انهم بالفعل كذلك.

سألتها: هل انا محقة في ذلك أو لا ؟

اجابني (سعيد) ضاحكاً: اعطيكِ كُل الحق فيما قلتِ، لا يوجد شخص على هذه الطاولة يخالفكِ الرأي فيما قلتِ، احسنتِ التعبير.

قال (احمد) وهو ينظر إليَّ مبتسماً: كم انا سعيد بمعرفتكِ، قلتها لك منذ اول مرة تكلمت معكِ فيها، انتِ انيقة الكلام.

تناولنا العشاء، تكلمنا في بعض الموضوعات المتعلقة بسياسة بلادنا العمياء، تكلمنا في ظروف عمل كُلٍ مِنا. استمرت (سارة) بتنبيهي من نظراتي (لأحمد)، استمرت طول اللقاء وهي تهمس في اذني او تضربني بقدمها من اسفل الطاولة حين اكون في اللاوعي، انقذتني من الغرق في بحر عينيه. انتهى لقاؤنا الجميل، قضيت اربع ساعات ونصفا من الجمال، وانا بالقرب منه، عند نهاية جلستنا قدَّم اصدقاؤه الهدايا له وودعوه، جعلتُ نفسي آخر من يعطي هديته، بعد ان انتهى الجميع، قدمت له هديته ....

قلت له: عيد ميلادٍ سعيد، كل عام وانتَ بخير، تمنياتي لكَ بالعمر المديد والمزيد من النجاح في حياتكَ المهنية.

اجابني: حضوركِ وتلبيتكِ لدعوتي اجمل هدية، وعلى الرغم من ذلك انا شاكر لكِ على هذه الهدية، شكراً لحضوركِ البهي ولهديتكِ الجميلة.

بعـد ان قـدم (احمـد) شـكرهُ (لسـارة) لحضورهـا، خرجـتُ والفـرح يغمـر كل اوردة قلبـي، حتـى أنـي رأيـت الـوان ثيـابي اكثـر جمـالاً مـن قبـل ان ارتديهـا، كان فرحـي للُقيـاه، ولأنـني سرتُ إلى الأمـام بخطـوةٍ لعلهـا تجـدي نفعـاً، لعلـهُ يُقـدر كـم هـو صعـب ان تسبق المـرأة الرجُـل بالبـوح بحبهـا، كـم تجاوز

الحـدود والتقاليـد صعب. كـم أنـدم لـو خـلا ردهُ من المشـاعر، كـم يلـزم مـن الوقـت لأنتظـر؟ أتـراه سـيكتب لي ام سـيكلمني عـبر الهاتـف؟ دخلـتُ الى البيـت، صعـدتُ الى غرفتـي مبـاشرةً، القيـتُ حقيبتـي عـلى الارض، بقيـتُ خلـف نافـذتي انتظـر عودتـه، لم تمتلـئ عينـي منـه ولم اكتـفِ. بعـد دقائـق عـاد (احمـد) الى بيتـه، ظننتـهُ بأنـهُ سـيتأخر ولـن يعـود مُبـاشرةً الى البيـت، أنعمـت النظـر في خطواتـه، حـركات اصابـع يـده وهـي تقبـض مفاتيـح البـاب، همسـتُ لـهُ بصـوت خفـي، بكلـمات تختفـي خجـلاً كـما اختفـي انـا خلـف نافـذتي،

قُلـت .. عينـاك تُتعـبُ ناظـري. في غرفتـي المُعتمـة، جلسـتُ عـلى الكـرسي كأننـي أنـوي الخـروج مـن أجلـه مجـدداً، لا اريـد النـوم، أنـا بانتظـار رده. انتظـرتُ نصـف سـاعة، اتعبنـي الانتظـار، اتعبنـي القلـق، رجـوتُ حفنـة مـن الصـبر كـي تهـدأ الافـكار التـي تـراودني، افـكار تبناهـا النـدم، انـا لم احـب احـداً قبلـه، كيـف تجـرأتُ عـلى البـوح بالحُـب!!! رنَّ هاتفـي برسـالة بُعِثـت لي، فتحتـهُ، كان المرسـل (أحمـد)، كتـب لي:

«الف تنهيدة حُب تتنهد عيني كُلما تراكِ

حين ترى شفتاكِ تتكلم

حين تتمعنُها لو صمتت

حين ينتابها الخجل فتبتسم ..

حين اراكِ .. تنبتُ في احشاء عيني

الف قلبٍ يتنهد»

اغمضتُ عيني، بقيت اتنفس ببطء من شدة الفرح، فرحتُ كثيراً، لم تسع فرحتي حدود الكون بأكمله، غمرني النوم الهانئ بعدها، بعد ان قرأتُ رسالته عشرات آلاف المرات.

رأيتهُ في صباح أول يوم عمل تلا لقاءنا، ارتدى ربطة العنق التي اهديتُها اياه، كان جميلا بها اكثر مما كانت لائقة به، لم تجد لها حيزا من اناقته، كان مبتسماً، رأيتهُ يرفع رأسه من النظر الى ساعتهِ اليدوية، تأخرتُ عن موعد خروجي عدة دقائق، تأخرتُ كي اعرف مقدار تفهمه لكلمات رسالتي، ولكن وقوفه منتظراً وارتداءه لهديتي ونظرة عينيه، اخبروني بالكثير ..

قلت له: صباح الخير.

اجابني: صباح النور، شكراً لكِ على هذه الهدية الرائعة.

اجبتهُ بابتسامة: انها انيقة جداً.

قال: لا بلِ كانت مُتناغمة وجميلة، حتى تسببت بالسهد، كنتُ حائراً كيف ابدأ وانتِ هَديتني لأول الطريق، أنا شديدُ الاعجاب بكِ.

انحنت عيوني خجلاً، قلت: أنا لا اعرف كيف فعلت ذلك، من اين جئتُ بهذه الجُرأة، اتمنى ان تفهمني بالفعل لا ان تتفهمني طبقاً للواقع الذي يقول بأن كُل امرأة فعلت كما فعلتُ انا فأنها قد تجاوزت حدود احترامها لشخصها، انا وددت ان اقول بأنني أ....

قاطعني احمد قائلاً: انا احتفلت بعيد ميلادي من أجلك.

قلت له باستغراب شديد: ولماذا؟

قال: كنت قد كتبتُ تلك الكلمات التي بعثتها لكِ بالأمس إلا أن عمر احساسها ليس الأمس، لا بل منذ ان التقيتكِ، كنت حائراً في كيفية البوح بها، كنت انوي قولها لكِ بقلبٍ ولسانِ معجبين بكِ، كنت اتمنى ان تسمح لي الفرصة في جلسة عيد الميلاد لأقولها لك بصوتٍ خافت، ولكن بعد ان قررتِ اصطحاب صديقتكِ، اضطررتُ لجمع اصدقائي، كان يوماً وهمياً، لم يكنُ يوم ميلادي، ولكنني بعد ان قرأت كلماتكِ بالأمس، ايقنتُ بأن الامس يوم ميلادي، خجلتُ ان اطلب إليك المجيء بمفردك، حتى انني رجعت الى البيت يوم أمس غاضباً جداً،

لكـوني لم انجـح لمـا خططـت لـه، الى ان فتحـت تهنئتـكِ التـي وجدتهـا عـلى شريـط الهديـة، وحينـما قـرأت ما كتبـتِ لي لم تسـع فرحتـي حـدود الشـمس، شـكراً لأنـك انقذتنـي مـن خيبـة امل كادت تقـضي عـلى كُل آمـالي، شـكراً لـكِ ايتُهـا الجميلـة.

كنـتُ قـد ارتعشـتُ مـن عطـره، ارتعشـت مـرة ثانيـة مـن عبـق أنفاسـه وهـو يتكلـم معـي، اغمضـتُ عينـي ثـواني وحركـت رأسي قليـلاً لأسـتفيق مـن رعشـة اخـر كلمـة قالهـا ..

قلـت: شـعرتُ بـأن هنالـك سـببا لاحتفالـك بعيـد ميـلادك، اسـتنتجتُ ذلـك عندمـا قـال صديقـك «بأنهـا المـرة الاولى التـي تحتفـل بهـا بيـوم ميـلادك»، ولكننـي لم اكـن متوقعـة عـمّا كنـت ترومـه.

رفع يدهُ اليُسرى ونظر الى ساعته ...

قـال: نعـم، هـذا مـا حصـل بالفعـل، دعينـا نذهـب الى العمل فقـد تأخرت كثـيراً.

مضينـا قليـلاً في طريقنـا المُعتـاد، الغريـب أنني رأيـت نفسي بعـد اول خطـوة انـني واقفـةً في الجهـة المقابلـة لمنزلـه، لم اكـن في مـكاني المُعتـاد، اعتدنـا أن نلتقـي وسـط هـذا الطريـق او بالقـرب مـن جهـة منـزلي انـا، كنـت انـا أُبطـئ خطـواتي بحكـم انوثتـي ليـسرع خطواتـه ويُصادفُنـي، هـذه المـرة انـا والشـوق وسُـهد الليـل عنـده، ذهبـتُ باتجاهـهِ دون ادنـى ارادة. عرفـتُ أننـي كنـتُ في اللاوعـي، ركضـتُ إليـه مـن شـدة الحُـب،

دفعني الشوق نحوه، كلماتهُ هي السبب، نبرة صوته التي راودتني عند قراءتها جعلت زوايا عقلي مُعتمة. شعرتُ بالفخر الشديد، فخر الانتصار بعد الذي حدث، وأنا اقف امام نفسي شعرت أنني قدمت لها شيئاً من الفرح بعد ان لازمني التعب سنينا طوالا. نجحتُ في تحويل المرايا الى نوافذ، نوافذ تطل على السعادة، تمر فيها نسمات الامل.

ستشعر بالفرح الشديد حالما تستطيع تحويل المرايا الى نوافذ، لأنك بعدها ستشعر بأنك لم تعُد حبيس احلامك والتمني، انت الان في قيد ما تستحق، انت الان ما حلمت بأن تكون، انت الان على قمة الجبل الذي كنت تتأمل النظر فيه اعجاباً وتخشى تسلقهُ، انت الان على متن سفينة الامل، تنظر الى التذكرة التي بيدك، تذكرة صعودك إليها، التذكرة هي مخططات الليل واحلام اليقظة وتلك الآمال التي تتجرأ على البوح بها ليلاً فقط. لم يكن حلمي ذات يوم مُجرد رجُل بقدر ما كان حلمي حُبا يملأ الحياة بالحياة، لا اريد الحُب الذي تُقضى ايامه بالوعود الوردية والغزل المُصطنع، حباً يبدأ بالإعجاب وتليه على الفور طقوس الزواج وتلميحاته، انا لست من النساء اللواتي يردن الزواج على حساب العمر خوفاً من حديث المجالس، انا اهوى رمي الحطب لنار الحب والاشتياق.

لا شك في أن الإنسان نتاج خلواته، كيفما تكن خلواتنا نكن نحن، خلواتنا التي اختلينا بها عن الواقع المتكرر من

جهـة، وعـن العـادات والاعـراف الموروثـة بالتربيـة والديـن مـن جهـة اخـرى. في كل يـوم نختـلي بأنفسـنا بعـض الوقـت، وان شـح الوقـت فـلا مـلاذ لنـا غـير السـكون عـلى الاسِرة قُبيـل النـوم، نتأمـل في كـسر القيـود التـي تتمثـل بالعـادات والاعـراف التـي اعتـاد المجتمـع والديـن تقديمهـا لنـا بشـكل اخلاقيـات وسـلوكيات يجـب اتباعهـا، هـذه القيـود منهـا الحَسـن ومنهـا السـيِّئ، الحسـن منهـا انهـا جعلتنـا صالحـين، والسـيِّئ منهـا انهـا جعلتنـا مكبوتـين، عَلمتنـا ان نـصرخ بصمت يقـول احـد العُلـماء في علـم النفـس بأننـا حـين نخلـع ملابسـنا للنـوم ليـلاً فأننـا نخلـع معهـا كل عاداتنـا وتقاليدنـا واعرافنـا واخلاقنـا لنسـمح للـذات بالتأمـل في الأفـكار التـي حُرِمـت علينـا مـن قِبـل المجتمـع والديـن خـلال النهـار. بعـض هـذه الافـكار، هددنـا المجتمـع بسـخطه لـو تجرأنـا عـلى فعلهـا، لكننـا لـو فكرنـا فيهـا فقـط فالأمـر هـين، لـن يـشي احـدٌ بنـا لـهُ، امـا الجانـب الاخـر مـن هـذه الافـكار فقـد حـرص الديـن عـلى منعهـا حتـى لـو كانـت بالمشـاعر.

عنـد النـوم، نسـمح لأنفسـنا بالتجـوال في ازقـة الحـرام والمُعيـب قليـلاً، وعنـد الصبـاح نعـود لارتـداء اخلاقنـا وعاداتنـا وكل مـا تربينـا عليـه مـع ارتدائنـا لملابسـنا، لم يخطـئ هـذا العـالم البتـة. إن شرط وجـود هـذه الافـكار، هـو تلبيـةٌ لرغباتنـا المكبوتـة، الكبـت كان فرضـاً علينـا مـن قِبـل المجتمـع والديـن اللذيـن لم نختـر أيـاً منهـما، ورثناهـما كـما ورثنا اسـماءنا،

هـذا الكبـت كان دافعـاً لهـذا التفكـير بالاضافـة الى حـب احـلام اليقظـة التـي قـد تكـون احيانـاً اجمـل مـن واقـع نعيـش فيـه، إنهـا الاجمـل لمـا تقدمـهُ لنـا ممّـا نشـتهيه مـن احاسـيس، تحديـداً حـين تعتـاد الغُربـان الوقـوف أيامـا طويلـة عـلى اشـجار آمالنـا.

الحُـب الـذي يكـون مـن أجـل الـزواج يُقتَـل بـدم بـارد بعـد بضعـة شـهور مـن ليلـة الزفـاف، كل الذيـن ظنـوا أنهـم عشـقوا؛ لأنهـم سـيتزوجون، اعطـوا السـكين الحـاد للملـل ليقتلـه بـدم بـارد وهـو نائـم عـلى فـراش النصيـب. مـن الجميـل أنـك تعشـق دون ان تعـرف مـاذا يحصـل لـك بعـد المُـضي بهـذا العِشـق، إن حصـل الـزواج فأنـك في وقتهـا عاشـق ولسـت بحاجـة لتوثيـق عشـقك، وإن لم يحصـل فأنـه كان الأجمـل والاروع لمـا وثقتـهُ ذكرياتـك، إلا العـرب، لا يطيقـون سـماع هـذه العبـارة مـع انهـم يصدقونهـا في خلواتهـم.

ان تعشـق، فأنـك قـد تجـاوزت كُل الحواجـز التـي فُرِضـت من اجلـك. العشـق كالتشـوه الخُلقـي ليـس بإمكانـك الشـفاء منـه، لـن تنفعـك أيـة عقاقـير سـتتعاطاها مـن أجلـهِ، عليـك بالصـبر فـأن العِشـق ابتـلاء. العشـق ليـس لـه مصـل كـما الحـب، قـد نكـره بعـد الحُـب، نبغـض شـيئا بعـد أن أحببنـاه، ولكـن في العشـق الامـر مُختلـف، ليـس بإمكاننـا كُـره مَـن عشِـقنا، سـنفقد الكراهيـة وسنكتسـب الهـدوء، سـنكون اهـدأ مـن السـاعة المُعطلـة، ويسـتثنى الاشـتياق والعنـاق مـن ذلـك. في العشـق معنـى الاكتفـاء، مـن بعـد العشـق الاوحـد سـتصاب بعقـم

الهواجس، عقم لنظرات الاعجاب ولمشاعر القلب، عقم لأعصاب اليد التي تسكعت ثملة على جسم من عشِقنا، حين تُفارق عشيقك فلن تشعر بشيءٍ من بعده، لن تشعر إلا بألم طلوع الروح لخالقها.

في بلاد العرب ليس من حق النساء ان تحب، ليس من حقها ان تقول ما تشعر، ليس من حقها ان ترتدي ما تشاء، في بلادنا ليس من حق النساء ان تشاء في الاصل. كنتُ اتكلم كثيراً مع طلبتي وانا القي محاضراتي في كلية العلوم السياسية، كان الحديث السياسي يَجُرنا الى التكلم في سياسة البلاد وأثر هذه السياسة في المجتمع والفرد. كان الحديث السياسي في القاعات الدراسية شائقا جداً لاختلاف الآراء التي تُطرح، ولاسيما واننا في دولة متعددة الاديان والمذاهب مع وجود اختلاف ضئيل في القوميات. اعتدتُ طرح آرائي الشخصية وسط المنهج الدراسي، اعبر عنها بقولي (هذا بحسب رأيي واعتقادي) كي احفز الطلبة على بيان آرائهم الشخصية في المادة العلمية الموجودة في الكتب المخصصة للمنهج، كنت اهدف إلى جعلهم يتفكرون في السياسة وألا يلقنوا المنهج الدراسي بحسب رأي المؤلف فحسب.

من الجدير بالذكر ان جميع المؤلفين المعتمدين في المناهج الدراسية في كلية العلوم السياسية في جامعتنا ليسوا قليلي الشأن ولا تشوب افكارهم أي شائبة، ولكن دراسة السياسة ليست بمادة علمية تؤخذ كما هي لأنها وضعت للناس

بـبراءة اخـتراع، الامـر شـتّان بـين السياسـة وبقيـة العلـوم. في السياسـة علينـا ان نفكـر بواسـطة عقـل واقعِنـا، لا بعقولنـا وقدراتنـا، قدراتنـا هـي قـدرات دولتنـا ومواردهـا وليـس قـدرات رئيسـنا العضليـة.

في الكثـير مـن بـلاد العـرب يمثـل كلام الرئيـس وانطباعاتـه سياسـة دولتـه، وهـذا خاطـئ، لأن سياسـة دولتـه تقتـضي وفقـا لمـواردهِ الاقتصاديـة اولاً وحجـم السـلاح الـذي يحـوزه ثانيـاً ومقـدار قربـه مـن الشـعب ثالثـاً لأن قراراتـه إن صُبّـت في مصلحتهـم فأنهـا سـتُعري هتافـات معارضيـه وتضعفهـا، ورابعـاً طبيعـة علاقاتـه بـدول الجـوار وحُسـن سياسـته الخارجيـة والتوافـق بـين رضـا الـدول العظمـى ومصالـح بـلاده، هـذه أُسـس لا منـاص للحيـاد عنهـا. في بلادنـا يهتـم الرئيـس بزيـه الرسـمي، يهتـم بالمـكان الـذي سـيراهُ مـن خلالـهِ بقيـة الرؤسـاء، يجـب ان يكـون ذا اثـاثٍ فخـم لإلقـاء خطاباتـه، رئيسـنا لا يُفكـر فيـما أمـلى عليـه مستشـاريه في الخطـاب المكتـوب امامـه، لم يقـرأ الاوراق التـي أعـدت عـلى منصتـهِ، قـرأ النـص مـرةً واحـدةً فقـط تحسـباً للأخطـاء اللغويـة.

في بلادنـا يظهـر الرئيـس عـلى شاشـات التلفـاز مرصعـاً بالخونـة، هـؤلاء الذيـن احاطـوه بحكـم تقـارب النسـب او بحكـم الانتـماء الحـزبي وتقـارب الافـكار التـي أنشـأت حزبهـم والذيـن تخلـوا عنهـا بعـد ارتدائهـم للبـدلات الثمينـة الانكليزيـة الصنـع، بعـد تسـلمهم الحكـم نسـوا انهـم بـشر،

انتزعت السهرات الليلية الضمير وحب الوطن من توافقاتهم السياسية. كنت اوعز لطلبتي بضرورة التفكير في سياسة الوطن؛ لأنهم قادتها بعد بضع سنين، بعضهم استغل فرق الدين الذي بيني وبينه وبدأ بإلقاء التهم عليّ امام رئاسة الجامعة.

في صباح يوم هادئ وردني تبليغ من عميد الجامعة بضرورة الحضور، وعندما حضرت انهالت عليّ التهم من ازدراء الاديان الى اهانة الحزب الحاكم والمساس بهيبة الدولة، لم أجبهم بشيء، استمروا بالكلام امامي والقاء اكبر عدد ممكن من التهم كي اوعدهم خائفة بعدم تكرار ذلك، لم أجبهم بشيء، انكرت كل ما حصل باستثناء سردي لأفكاري ومعتقداتي ضمن المحاضرة للتوضيح وليس لحث الطلاب على التهم التي اتُهِمْت بها، انتهى الامر بتوقيعي لتعهدٍ بعدم تكرار ما حصل، كيف واني لم افعل شيئا، عليهم هم ألا يكرروا شكواهم وليس انا!!

أدَّى الخلاف بيني وبين زملائي التدريسين في الجامعة دوراً مهماً في هذه الاتهامات لكونهم متدينين جداً، كانت المصادفة الاهم انهم توافقوا في الافكار والمذهب، انا الوحيدة التي كنت خارج هذا التوافق، كانت المصادفة الاهم هي ان رئيس الجامعة يوافقني الدين بالوراثة، كان هذا سبباً في ان يكون القرار تحذيراً بدلاً من انهاء خدماتي في الجامعة، ازعجني ذلك كثيراً، كانت الفئوية والطائفية غالبة على

القضيـة اكثـر مـن فحـوى القضيـة نفسـها، لم يسـألني احـد لِمَ تفكريـن بهـذا الشـكل؟ لم يناقشـني احـد الـرأي؟ لم يجعلـوني اقـدم الادلـة والبراهـين العلميـة لمـا ادعـي؟ لم يقدمـوا لي أي دليـل، هـم حتـى لم يناقشـوني، بـدأ الامـر وانتهـى ولم يسـألني احدهـم إلا سـؤالين، الاول: مـا ديانتُـكِ ومذهبُـكِ؟ والثـاني: الى أي حـزب تنتمـين؟ رجعـت الى العمـل في الجريـدة، كان الضجـر يغلـب عـلى كل تصرفـاتي ومـا ان أنهيـت عمـلي رجعـت الى البيـت فاتصلـت بي (سـارة) فأنـا لم التقِهـا منـذ عيـد ميـلاد (احمـد)، وعدتهـا بـأن نلتقـي في المقهـى عنـد السـاعة السـابعة.

التقينـا، وجـدتُ الفرصـة مناسـبة لأعـترف لهـا عـمّا كتبتـهُ (لأحمـد)، اخبرتُهـا كيـف جـرى الموقـف، الغريـب انهـا لم تتعجـب مـن الموقـف، ظلـت صامتـة الى ان انهيـتُ حديثـي، طَلبـت (سـارة) القهـوة لنـا مجـدداً، لم انبههـا مجـدداً اننـي لم اعـد اشرب القهـوة (سـادة)، اوصـت مـن تلقـاء نفسـها النـادل بقهوتـين احداهمـا متوسـطة السُـكر والاخـرى (سـادة). أتكأت بكـف يدهـا اليُمنـى عـلى جبينهـا، وبعـد ان ابعدتـهُ عنـه، غيرت شِـكل جلوسـها ...

قالـت: كان لـدي احسـاس انـكِ ستسـتبقين الاحـداث وسـتبادرين، ولكـن لم اكـن متوقعـة أنـكِ بهـذه الجُـرأة، توقعـت انـكِ سـتلفتين انتباهـه ببعـض التصرفـات والنظـرات فحسـب.

اتـكأت بظهرهـا عـلى الكـرسي وقالـت مبتسـمة: نظراتُـكِ لـهُ كانـت جريئـة جـدا في عيـد ميـلاده، كنـتِ خاشـعة لعينيـه كأنـكِ تؤديـن صـلاة.

قلـت لهـا: لي الحـق، انـا احبـه، لا بـل اعشـقه، كأن قلبـهُ ينبـض بالياسـمين بـدل الـدم.

ضحكـت (سـارة) وشربـت مـن قهوتهـا، قالـت: مـا كان هنالـك ضرورة لأن تكتبـي لـه، عينـاكِ حينهـا قالـت كل شيء، تمنيـت لـو انني اسـتطيع اخـراج مـرآتي الصغـيرة مـن حقيبتـي واقـول لـكِ انظـري إلى نفسـكِ، انظـري إلى عينيـكِ كيـف تـودُّ قَضـمَ بعـضٍ مـن وجهـه.

قلت: أتمنى لو تنطوي اطراف الارض على بعضها لنلتقي.

في هـذه الاثنـاء رن هاتفـي، تفاجـأتُ كثـيراً عندمـا اخرجـت هاتفـي ورأيـت المتصـل، نظـرت الى (سـارة) ونظـرت الى هاتفـي، كان المتصـل (احمـد)، انـا كنـت اتمنـاه الآن ...

أجبتُ على الهاتف، قال لي: مساء الخير (قمر)، كيف حالكِ؟

أجبته: مساء النور (احمد)، انا بخير، وانتَ؟

قال: انا بخير، هل استطيع رؤيتكِ؟

قلـت: اسـفة، انـا جالسـة مـع صديقتـي (سـارة) الآن، لا اعلـم متـى أتركهـا.

قـال: انـا اسـف، وددتُ التحـدث معـكِ في بعـض الموضوعـات، في كل صباح ألقـاكِ عـلى عجـل، لا أملـك وقتـاً للتحـدثُ معـكِ، نحـن نلقـي التحيـة فحسـب.

قلت له: يمكننا ان نلتقي يوم غد.

قـال: يـا ليـت، سـأنتظركِ يـوم غـد لتنـاول العشـاء في المطعـم المُطـل عـلى البحـر في السـاعة العـاشرة مسـاءً، اتصلـت بـكِ لأنني لـن اراكِ صباح الغـد، سـأذهب الى الجريـدة في الصبـاح الباكـر لتزويدهـم بمقالـة كتبتُهـا، بعدهـا سـأذهب الى وظيفتـي.

قلت له: اتمنى لك كل التوفيق، سأراكَ مساء الغد.

القيـتُ عليـه تحيـة الـوداع، وتمنيـت مـن الشـمس ان تـشرق وتغـرب عـلى عجـل لألقـاه.

انهيتُ اتصالي وانا ارى (سارة) تنظر إليَّ بغرابة ...

قالـت: تمنيتـه الآن فأتصـل بـكِ، هـل لديـك اطـلاع عـلى كتـب السِـحر؟ أو ان حظـكِ وافـر إلى هـذه الدرجـة حتـى تُلبَـى امنياتـكِ بمجـرد التمنـي؟

قلت لها: تعبتُ من انتظاره.

قالت سارة بابتسامة مُزاح: لمَ لم تقولي له بأنكِ متعبة؟

اجبتهـا ضاحكـةً: كيـف هـذا!! يجـب ان اكـون بالصلابـة الكافيـة لأضـع التـوازن بـين اعـترافي بحبـي لـه ومـا بـين الايـام

القادمـة، لا اريـدهُ ان يتوقـف عـن الاشـتياق إليَّ، متـى مـا توقـف الاشـتياق، سـيتوقف الـكلام الجميـل.

انتهـى لقاؤُنـا، رجعـت الى غُرفتـي افكـر فيـما سـأقوله غـداً، مـن ايـن أبـدأ؟ كيـف أتنهـد؟ هـل يمسـك يـدي؟ مـاذا أرتـدي؟ كيـف أصفـف شـعري؟ كيـف يمـضي الوقـت؟

غـداً ليـس لـدي الكثـير لأقولـه، أنـا لا أؤمـن بجـمال البدايـات.

لم افكـر كثـيراً فيـما سـأقوله، لم أعـر الاهتـمام لـكلام اللسـان، املـك مـا يكفـي مـن فصاحـة العـين، عينـي سـتبوح بلغتهـا بـكل مـا اود، قـررت ان اغـير تصفيفـة شـعري يـوم غـدٍ، سـأكون متأنقـة اكثـر لـو غيرتهـا. جـاء الصبـاح المُنتَظـر، جـاء اليـوم الـذي حلمـتُ بـهِ، في هـذا الصبـاح تغـير كل شيء الى الاجمـل، حتـى اغـاني (فـيروز) اصبحـت تطربنـي اكثـر. جـاء (صالـح) ليعكـر صفـو يومـي الجميـل، لم يكـن كالمعتـاد، القـى تحيـة الصبـاح وأجبتـهُ بصـوت منزعـج، جلـس امـام مكتبـي...

قال: قمر، كيف حالكِ؟

شغلت نفسي بمجموعة اوراق كانت امامي،

قلت له: انا بخير

ابتسـم ابتسـامة الشـامت وقـال: سـمعتُ عنـكِ اخبـارا سـيئة منـذ يومـين،

ماذا حصل بشأن الشكاوى المُقدمة بحقكِ في رئاسة الجامعة؟

غضبتُ غضبا شديدا، قلت له: عندما تتكلم معي انتقِ الالفاظ الجيدة، لا تسمِّ الشكاوى الكيدية (اخبارا سيئة) فأن معناها ليس جيداً للوهلة الاولى، ثم ما شأنك انت وشأني، لم اطلب إليك أي مساعدة. قمت من المكتب لأخرج من المكان الذي يكون فيه هذا الانسان، وقف هو ايضاً ..

قال: آنسة قمر، انا اعتذر، انا اردت الاطمئنان عليكِ فحسب.

قلت له: شكراً لكَ، سأكون بخير لو تركتني وشأني.

خرجتُ من مكتبي الى القاعة الدراسية مسرعةً على امل ألا يلحق بي، كم اكرهه، انه معدوم الاحساس، معدوم الكرامة، لحق بي، ظل يناديني حتى اثار انتباه كل من في اروقة الجامعة، التفتُ بضجر ..

قلت له: نعم.

قال: ارجوك، لا تغضبي مني ، وددتُ تقديم أي مساعدة لك إن احتجتِ إلى شيء، سبق ان نبهتُ الملاك التدريسي قبل ايام بأنكِ لم تكوني تقصدين الاساءة إلى أحد او .....

قاطعت كلامه، قلت: من أذِن لك بالكلام نيابةً عني؟ انت لا تعلم ان كنت اقصد الاساءة ام لا أقصدها؟ كيف تعلم ماذا يدور في ذهني؟ ارجوك اتركني وشأني،

انـا اشـكرك لسؤالك عنـي ولكننـي سـأكون شـاكرة لـكَ ان تركتنـي وشـأني.

لم أسـمع الـرد منـه، تركتـهُ ومشـيت مُسرعـة، دخلـت الى القاعـة الدراسـية وأغلقـت البـاب بقـوة، لاحـظ الطـلاب غضبـي، القيـت عليهـم التحيـة وبـاشرت إلقـاء المُحـاضرة ليخـف التوتـر الـذي بداخـلي وانسـى تطفـل هـذا الذليـل. حـل المسـاء، اقـترب الموعـد، ذهبـت إليـه وانـا احبـه اكثـر، هـو شريكـي في العمـر والـروح والجسـد، قـررت ان اسـميه «رفيـق الـروح» فهـو يسـكن الـروح ويمكُـث الاحـداق.

كان موعدنـا في احـد اجمـل المطاعـم في المدينـة، مـكان في غايـة الجـمال يُشرف عـلى البحـر، ذهبـت، دخلـت الى المطعـم، شـاهدتهُ جالسـاً عـلى طاولـة في احـدى زوايـا المطعـم، كان ينتظـرني. رأيتـهُ جالسـاً ينظـرُ باتجـاه البحـر، كانـت اصـوات امواجـه جميلـة جـداً، وقفـت خلفـه وابتسـمت، شـاهدني بانعـكاس الزجـاج الـذي امامـه، التفـت مسرعـاً ثـم وقـف، توقفـت معـهُ اصـوات مـوج البحـر، هـل انـا لم اعُـد اسـمعها؟ او انهـا توقفـت بالفعـل؟ كان انيقـاً، ارتـدى بدلـة سـوداء و ربطـة عنـق تُشـابُهها، كان الحُسـن ينبثـق مـن وجهـه كالـبركان في سـاعاته الاولى، كان شمسـاً وقـت الـشروق في اول ايـام الاعيـاد. اسـتمر ثـوانيَ ينظـر إليَّ، ابتسـمتُ لـه كثـيراً، لم اجلـس، انـا اعشـقه كثيراً.وقـف ومـد يـده لمصافحتـي، قـال: اهـلا وسـهلاً، اشـكرك لتلبيتـكِ دعـوتي.

خطـف النظـر سريعـاً لثيـابي، تحـرك حاجبـه الايـسر حركـة تعجـب، ابتسـم، تـرك يـدي ...

قال: تفضلي بالجلوس.

جلسـتُ امامـه في طاولـة مخصصـة لشـخصين، وجـدتُ امامـي ورقـة مكتـوب فيهـا عـدة اسـطر، وُضِعـت بشـكل مائـل لتكـون امـام ناظـري حـين اجلـس، مسـكت الورقـة، عرفـت انهـا رسـالة ترحيـب بي كتبهـا (احمـد) و وضعهـا امامـي قبـل مجيئـي. نظـرتُ إليهـا ثـم نظـرتُ إليـه ..

قال لي: افتحيها فهي لكِ.

فتحت الورق فانهمر منها الغزل، كَتبَ فيها ....

«تمنى ألا يَغار البحرُ من جمالكِ فـتثور امواجه

أنا بحاجة الى الهدوء

اتمنى ألا يغار منكِ القمر

فأنا بحاجة لضيائه لقول الكثير

وأنت اليوم اجمل منه بكثير

يا سيدة التفاصيل الجميلة

مرحباً بكِ على هذه الارض

هذه الارض الجديدة

بعد ان جعلتني أولد من جديد»

حالما انتهيت من قراءتها، مسكتها بيدي ونظرت إليه، وجدته يدقق كل تعابير وجهي وانا اقرأ ..

قال: مرحباً بكِ، اتمنى انها أعجبتكِ؟

قلت بخجل: هذا من لطفكَ وحسن ذوقكَ ان ترحب بي بهذه الطريقة.

جاءنا النادل، تكلم مع (احمد)، انتهزت الفرصة لأرسم كلماته في أوردة قلبي، وضعتُ الورقة في حقيبتي، أوعزنا الى النادل بطلباتنا ثم ذهب، وضع (احمد) كلتا يديه على الطاولة ...

قال: قمر، انا اود ان اشكركِ للمرة ثانية، انا عاجز عن شكركِ، انا سعيد جداً بمعرفتكِ، لأنني تمنيتكِ قررت ان احتفل بعيد ميلادي، كان كُل شيء مصنوعا من أجلكِ، كما قلت لكِ انا لم اجد الطريقة التي تجعلني اقترب إليكِ بها سوى هذه المناسبة وكادت تفشل لولا انكِ انقذتها في الوقت المناسب كما انقذتني من الوحدة التي تغلب اوقاتي واوراقي.

قلت له: انا سعيدة جداً بمعرفتك، انت انسان مهذب و ذو خلق، ولكن دعني اسألك، ما تاريخ ميلادك الحقيقي؟

قـال: نسـيتهُ، لا أريـد أن أتذكـره، تاريـخ حُبـكِ لي هـو تاريـخُ ميـلادي، ولكـن الاهـم، طلبـتُ إليـك الحضـور كـي أراكِ اولاً، جمالـكِ يحتـاج إلى سـاعات مـن النظـر، انـت فاتنـة، ثانيـاً أود ان اعرفـك بنفسـي اكثـر واتعـرف إليـك اكثـر.

اسـتمريتُ انصـتُّ لكلامـه وهـو يتحـدث لي عـن حياتـه، كان لطيفـاً، حتـى الطعـام كان لـه طعـمٌ خـاص بالقـرب منـه. حدثنـي عـن نفسـه، عـن طفولته، كيـف تربـى بـين اسرةٍ صغيرة تتكـون مـن اب وام وابـن وابنـة، كان ابـوه مُزارعـاً بسـيطاً في قريتهـم في اقـصى الجنـوب، لـهُ اخـت واحـدة تكـبره بخمـس سـنين، متزوجـة مـن احـد اقاربـه وتسـكن في قريتهـم، أكمـل دراسـته الجامعيـة في المدينـة واضطـر إلى السـكن اغلـب اوقـات السـنة في المدينـة لبُعْـد الجامعـة عـن مـكان سـكناه.

بعـد أن أنهـى دراسـته الجامعيـة قـرر ألا يعـود الى قريتهـم، وذلـك لسـبب مهـم وهـو عـدم وجـود فـرص للعمـل هنـاك في مجـال غـير الزراعـة، إلا ان السـبب الرئيـس كان سراً يحتفـظ فيـه وافصـح لي عنـه، كان لا يحـب الحيـاة الروتينيـة التـي تفتقـد للإنجـازات الدائمـة والنجـاح والتقـدم، وهـو مُحـق في ذلـك، لأن الذيـن يقطنـون في الريـف تتكـون حياتهـم مـن شـقين، يزرعـون المحصـول في موسـم ليحصـدوه في موسـمٍ آخـر، لم يـرضَ أبـوه عـن سـفره، لكنـهُ أقنعـهُ. كان مُثابـرا، هـوَ الوحيـد مـن بـين ابنـاء عمومتـه مـن اكمـل دراسـته، كان يجبرهُ ابـوه عـلى العمـل في المزرعـة، دون الذهـاب الى المدرسـة،

وخصوصاً عندما حصل على الشهادة المتوسطة، فأغلب الفلاحين يعتقدون انها مرحلة علمية متقدمة ويكفي ما حصلهُ من العلم ومعرفة الى هذه المرحلة وعليه ان يتزوج وان يُكوّن اسرة وان يمسك زمام العمل مع ابيه ولكنهُ خالف قوانين قريتهم، ودفع ضريبة ذلك سهراً طويلاً، هذا طبيعي لأن «من طلب العُلا سهر الليالي».

كان يخرج في الصباح الباكر للعمل مع ابيه ويضطر للسهر ليلاً للدراسة، مع تحمله ضجر ابيه كلما اراد الذهاب الى المدرسة، الى ان قرَّر أن يكمل دراسته الجامعية واستقر في المدينة، بعد تخرجه اضطر للعمل في الاعمال الحرة الى ان حصل على وظيفة محترمة، ثُم استأجر منزلاً خاصاً به وهو المنزل الذي يجاورنا.

يشكو (احمد) من اصدقائه الذين يخالفونه الرأي، منذ ايام الدراسة وحتى بعد توظيفه، كان يتحذر من الدخول في نقاشات سياسية في وظيفته ولاسيما وانه قد أقسم يميناً لأبيه انه لا يفعل ذلك، كان كثير النقاش السياسي في قريتهم منذ ايام دراسته والى ان ابتعد مهم واكتفى بزيارتهم بين الحين والاخر. أخبرني عمَّا كان يقوم به من توعية لهم في المساجد، كان يستغل الاوقات المسائية، كان يذهب الى الكنيسة ايضاً، بعد ان ينتهي القداس يحاول ان يلقي بعض الكلمات في خُطب صغيرة، استمر بالعمل جاهداً حتى اشتكى الناس لأبيه، واخبرهُ بعضهم ان الحزب الحاكم

بإمكانهُ ان يزج به في السجن وان يتهمهُ بتُهم سياسية، بعد ذلك انتاب اباه الخوف الكثير، فقرر ان يمنعهُ منعاً باتاً من أي نشاط سياسي. كان ذلك سببا جيدا في ان يسمح له بالسفر خارج القرية وان يبتعد من الناس الذين اشتكوا منه ومن شعاراته، إلا ان لهُ روحا وطنية جميلة نابعةً عن ثقافة وعن اسلوب واع في نشر الافكار دون تسقيط الأنداد او التلفظ بألفاظ نابيةً بحق من يخالفه الرأي. كانت مقالاتهُ جميلة جدا، تحدثنا عنها قليلاً على العشاء، إلا انه في الاونة الاخيرة بدأ يحرض القراء على التظاهر سلمياً ليجبروا الحكومة على تغيير بعض الوزراء والمناصب السيادية، اخبرته بأن هذا الموضوع اصبح بالغ الخطورة.

من محاسن بلادنا وجود عددٍ من التيارات والاحزاب بحسب تعدد الاديان والمذاهب والقوميات، كان القمع التام للمعارضة امرا صعب جدا على الحزب الحاكم، ولكنهُ يتمكن من القمع الجزئي في بعض الاوقات ذريعة الحفاظ على الامن العام، وهذا يدلُ على ان حرية التعبير ما زالت بخير في بلادنا، وان بإمكاننا ان نكتب ما نشاء من اعتراضات في الصحف او في البرامج التلفزيونية. استمر نقاشنا حول عائلته وفكره السياسي الى ان انتهينا من الطعام، مر الوقت بسرعة، كان الوقت برفقته كأنهُ قطعة من الخيال، وكأن آلة الزمن قد توقفت عن حساب الزمن، افتقدت النظر إلى ساعتي،

حتـى انـني لم أعـر انتباهـي لأي شيء بقـدر مـا انتبهـت لملامـح وجهـه وطريقـة كلامـه واناقتـه في الحديـث والتعبـير. بقينـا جالسـين في المطعـم مـدة سـاعتين او اكثـر، لا اعلـم الوقـت تحديـداً وشـفتاه تتحـركان امامـي، انتهـى حديثنـا بعـد ان تكلمـتُ بـشيءٍ موجـز عـمَّا مـضى مـن حيـاتي، تكلمـت عـلى الجانـب المـشرق فحسـب، لم أعبـث في ركام ذكريـاتي الحزينـة، كان الوقـت ليـس مناسـباً لذلـك، كان الفـرح يمـلأ الدنيـا فـلا داعـي لذكـر السـنين العـرج. خرجنـا مـن المطعـم، طلـب إليَّ أن نسـير قليـلاً بجـوار شـاطئ البحـر قبـل العـودة، كانـت اسـعد لحظـات حيـاتي، سرنـا بخطـوات بطيئـة، كان الجـو سـاكنا، سـكن البحـر ايضـاً، صمتنـا في اللحظـات الاولى، وبعـد ان أشـعل سـيجارتهُ، بـدأ بالـكلام ...

قـال: عندمـا حـضرت الى مقـر الجريـدة لم يخطـر ببـالي انـني اعرفـكِ، تفاجئـت كثـيراً حينـما رأيتـكِ تخرجـين مـن المنـزل المُقابـل لمنـزلي، انـا أُعجبـت بـكِ كثـيراً حـين رأيتـك، اعجبـتُ بمظهـركِ الانيـق وجمـال وجهـكِ، وفي المـرة التاليـة حـين جئـتُ الى صحيفتكـم ولم اجـد المديـر وجلسـنا نتبـادل الحديـث فوجدتُـكِ تعرفـين نـوع قهـوتي، حقـاً، الى الان لم اعـرف كيـف عرفـتِ ذلـك؟ في وقتهـا زاد اعجـابي بـكِ كثـيراً.

ابتسـمتُ خجـلاً، قلـت: انـا خمنـت ذلـك فحسـب، لطالمـا انـك تكتـب المقـالات السياسـية فمـن المؤكـد انـك مـن عشـاق القهـوة العربيـة.

قال: ألم أقل لكِ انكِ انيقة الكلام.

قلت: شكراً.

توقف، وضع يديه في جيبه ..

قـال: قمـر، هـل بالامـكان ان تربُـط بيننـا صداقـة؟ ليسـت بمعنـى الصداقـة لكـون الاعجـاب غَلـب عـلى بداياتهـا، لنكـون صادقـين، نحـن في الاصـل اصدقـاء، ولكننـي قصـدتُ لـو ازدادت علاقتنـا قـوة وقُربـا، هـل تمانعـين مـن ذلـك؟ انـا اود رؤيتـكِ كل يـوم، اود الحديـث معـكِ دائـماً، (قمـر) اريـدكِ ألا تكـوني مثـل القمـر في بُعـده، كـوني اجمـل منـهُ فحسـب.

اجبتــه: يُســعدني ذلــك، ســبق أن افصحــت لــكَ عــن اعجـابي بـك، انـت تحمـل مميـزات هـي بعينـي جميلـة، تسـعدني صداقتــك.

قـال: لم أرَ امـرأةً مثلـكِ مـن قبـل، يـزداد اعجـابي بـكِ كلـما دار بيننـا حديـث.

واصلنا السير بعد توقف بسيط ...

سـألني: هـل لـكِ تجـارب في الحـب؟ اتمنـى ألا اكـون مُتطفـلاً بسـؤالي هـذا؟

قلــت لــه: لا لم تكُــن لي، تلقيــت الكثــير مــن الطلبــات، قابلتهـا بالرفـض، السـبب كان ببسـاطة انـهُ لم يعجبنـي رجُـلٌ

صادفته من قبل، هل السبب هو عدم النضوج واكتمال العقل، أو بسبب ضيق قناعتي، لا اعلم السبب، الاهم كنت واصبحتُ مثل ما اريد، لم ادخل في علاقة فاشلة، لي منظوري الخاص وقيمي الخاصة في هذا الموضوع، الايام القادمة ستفهمك وجهة نظري وصحتها.

قال: ستتضح لي وجه نظركِ، اما عن صحتها فأنا واثق بكل ما تقولينه، كلانا الان واقف على مشارف علاقة تخلو من أي مصالح، كلانا ناضج بالشكل الذي يُؤهلنا للكلام بثقة، ليس هنالك ما يدعونا للكذب او المجاملة، آمل ألا يزعجكِ كلامي هذا، ولكنني لن افكر في التأكد من أي كلام أسمعه منكِ، أنتِ محل ثقة.

قلت: اشكرك على هذه الثقة، اتمنى ان يكون هذا عهدا بيننا، نكون صادقين إلى أقصى درجة، اقصد ان نقول الصدق ولو كان يزعج احدٌ منا.

قال: لطالما سنكون صادقين، فلن ينزعج احدٌ ما منا، هذا ما اظن.

قلت: اتفق معك.

استمرينا بالسير، جلسنا على مقعد لشخصين على الطريق، يطُل على البحر وامواجه، ويعطي ظهره للمدينة بأكملها.

قـال: مـررت بتجربـة حـب واحـدة، وفشـلتُ فيهـا، بـادئ الامـر كان اتفاقـا عائليـا مـع ابنـة احـد اقـاربي، تـولى ابي الامـر بمفـرده دون ان يسـألني كـما هـو المعتـاد في المجتمـع الريفـي، كُنـت في عمـر الصبا وقتهـا، بذلـت جهـدا كبـيرا للتخلـص مـن هـذا الموقـف، كان رجائـي الوحيـد ألا تبنـي هـذه البنـت احلاماً ثـم يهدمهـا رفـضي وتظـن اني رفضتهـا هـي ولم ارفـض فكـرة الـزواج التقليـدي مـن الاصـل، بعـد صعوبـة كبـيرة تخلصـت مـن الامـر، امـا عـن تجربتـي السـابقة في الحـب فكانـت ايـام دراسـتي الجامعيـة، احببـتُ زميلـةً لي، دامـت علاقتنـا الى اخـر يـوم دراسي لنـا، طلبـت إليَّ ان اتقـدم إلى خطبتهـا، هـي مُحقـةٌ في ذلـك إلا انهـا كانـت غـير مُحقـةٍ بشـأن ظـروفي والصعـاب التـي سـأواجهُها بعـد التخـرج، لم تُقـدر الظـروف المحيطـة بي، لم تمنحنـي الفرصـة، خيرتنـي بـين ان اثبـت لهـا بـأني احبهـا واتقـدم لهـا وبـين ان ارفـض الـزواج وبذلـك اكـون قـد تسـليت بعلاقتـي بهـا كـما اتهمتنـي، أثـر هـذا الموضـوع بداخـلي كثـيراً، كـسرني كثـيراً، بـتُ اخـاف مـن أيـة علاقـة بعـد الـذي حـدث.

قلـت لـه: لِمَ لم تحـاول ان تحـارب الظـروف مـن أجلهـا؟ اقـدر ظرفـك في وقتهـا، لكـن لِمَ لم تتحلـوا بالصـبر الى ان تصطلـح الامـور؟

قـال: هـل تعلمـين كـم كان يلزمنـي مـن الصـبر وانـا اعمل في معمـل للنجـارة بعـد وقـت الـدوام في الجامعـة حتـى اوفـر قـوت يومـي، كـم يلزمنـي ودخـلي يكفينـي للطعـام والعيـش المشـترك

مـع اصدقائـي فقـط، كيـف سـأوفر مصاريـف الـزواج، كيـف أسـتطيع أن اكّـون اسرة وان اتحمـل شـؤونها بالكامـل، لم اكُـن اريـد الجلـوس ورأسي الى الاسـفل امـام ذويهـا؛ لأنهـم افضـل منـي، لـو اعلـم انهـا تقبـل العيـش في قريتنـا لاختلـف الامـر حينهـا، نحـن نملـك منـزلاً كبـيراً هنـاك، كـما ان العيـش هنـاك ليـس بالأمـر الصعـب في بـادئ الامـر، ولكـن يـا (قمـر)، هنالـك حقيقـة لا يمكننـي التغـاضي عنهـا، انـا كنـت رافضـا هـذا الخيـار لأنني لا اريـد العيش هنـاك، بعـد كل هـذا العناء في الدراسـة الجامعيـة صباحـاً والعمـل ليـلاً اعـود الى هنالـك لكـي انـام مبكـراً !!

قلـت لـه: معـك حـق، الامـر ليـس بالهَـين، اتمنـى ان يكـون فيـما حصـل خـيراً لـك، للـرب مشـيئة في كل الامـور.

قـال مبتسـماً: كيـف لا وانـا اجلـس مـع القمـر الان، لـولا مـا حصـل لمـا جلسـت امـام جمالـكِ الان مغمـوراً بهـذا الكـم الهائـل مـن السـعادة.

قلت بخجل كل انثى: شكراً لك، هذا من لطفك.

نظـرتُ الى سـاعتي، وجدتهـا عنـد الواحـدة بعـد منتصـف الليـل، ألا يُمكـن للزمـن أن يتوقـف سـاعتين، سـنتين، عقديـن، تأخـرت، لـدي عمـل يـوم غـد، لكننـي لم أقـل شـيئاً، شَـعرَ (احمـد) بذلـك...

قال: تأخرتِ، أليس كذلك؟

قلت له: حديثك شائق، لم اشعر بالوقت قطُّ.

قال: تأخر الوقت، جعلتُكِ تسهرين اليوم، هل تُحبين السهر؟

قلت له: في اغلب الايام لا انام مبكراً.

عُدنا معا، عُدنا سيراً على الأحلام، كان لقاؤهُ اجمل من كل الاحلام التي حَلمتُ بها، من كل احلام اليقظة خاصتي، من كُل الاحلام التي اجبرتها على الحلم. عدتُ الى البيت وانا لا ينقصني سوى احتضان يده، افترقنا، صافح يدي ولم يتركها الى ان...

قال: شُكراً على كل لحظة جميلة كانت بقربكِ، شكراً لتلبيتِكِ دعوتي، عاجزٌ عن وصف إعجابي بكِ، انا شاكر لكِ، اتمنى لكِ احلاماً جميلة كجمال عينيكِ، طابت ليلتكِ.

قلت له: شكراً لك على هذا اللقاء الجميل، شكراً على ترحيبك بي بالكلمات التي كتبتها من أجلي، اتمنى لك ليلة سعيدة.

كان الموعد جميلاً، اجمل ما في الامر ان كل شيء ظننتهُ كان في محله، وجدتهُ ذا خُلق، محترما ومهذب الكلام، كان كذلك واكثر، لم اكن اتوقع انه قادر على مزج السحر بالكلمات ليكوّن عبارات لا اعرف ما اسميها، هي احلى من الشعر واجمل من الغزل، ذوقه في اختيار الوقت والمكان لقول ما يريد يَنم على ذكائه، كررتُ قولها، هو شديد الذكاء.

مضى الاسبوع مسرعاً، كنت أراه فيه صباحاً فقط، لم التقِه،

انشـغلتُ بعـض الـشيء بالامتحانـات لطلبتـي في الجامعـة، لكننـي لم انشـغل عنـهُ، كنـتُ افكـر فيـه في كل اوقـاتي، كنـتُ احبـه كل يـوم اكثـر، شـعرتُ ببعـض التقصـير لأنني لم اتصـل بـه، لم يتصـل هـو ايضـاً، اكتفينـا بإلقـاء التحيـة صباحـاً. كـدتُ اجـزم بأننـي اعاقـب نفـسي، او انني أكبُـت جِماحَهـا لأننـي اعترفـت لـه بالحـب قبلـه، كان تأنيـب الـذات يمسـك بيـدي كُلـما حاولـت الاتصـال بـه ليـلاً.

في الليـل كل المفاهيـم تختلـف، تفـرز الاحـلام قواهـا العقليـة لتتحقـق، لا شيء يحـول بينـي وبـين تحقيـق احلامـي سـوى عـزة النفـس، بـدأت اشـعر أن ايامـي تمـضي مسرعـة، كـسير طفـلٍ نحـو دُميتـهِ الجديـدة. في الصبـاح كل يـوم كنـت اتمنـى ألا يـزداد عمـري ايامـاً، صـار العمـر برفقتـه اجمـل، كأنـهُ غـيَّر يـوم مولـدي ومحـا المـاضي بنظـرة مـن عينيـه خـلال لقائنـا عـلى البحـر، بـتُ اخـاف عـلى جمـالي وعـلى عُمـر الشـباب، اخـاف عـلى وجهـي، اخـاف عـلى شـكل عيـوني، اخـاف ان يمـضي العمـر مسرعـاً مـن شـدة الفـرح الـذي فيـه. لم يتخلـل هـذا الاسـبوع سـوى زيـارة (يعقـوب).

(يعقـوب) احـد ابنـاء عُمومتـي، تربـى وعـاش في (لنـدن)، قضينـا انـا وهـو سـنوات طفولتنـا معـا مـدة ما بعـد وفـاة والدي، إلا انهـم اسـتغلوا حقبـة مـا تعرضـت فيـه طائفتنـا المسـيحية للتهجـير انـذاك مـن بعـض المـدن فتمكنـوا مـن خـلال هـذه الاحـداث اسـتحصال الاقامـة في (لنـدن) ومـن ثـم الحصـول

على الجنسية البرطانية، كانت مصادفة غريبة، مصادفة غير سابقة الذكرى، نحن لا نرى اقرباءنا إلا في قُداس الكنيسة وفي بعض الاعياد الدينية، لم يزرْنا احد منذ سنين. طرق الباب، لم اعرفه، مضى دهرٌ على لهونا وطفولتنا، (يعقوب) كان بديناً بعض الشيء، متوسط الطول، لهُ شعر كثيف وصوتٌ خشن، فتحت له الباب ...

قال لي: انتِ (قمر)، أليس كذلك؟

أجبته: بلى، من انتَ؟

قال: انا (يعقوب) ابن عمكِ، هل تذكرينني؟

بعد دهشةٍ، قلت له: تذكرتك، تفضل.

رحبتُ بهِ بحرارة، دعوتهُ الى الدخول الى المنزل، قبل ان يجلِس تفحص البيت جيداً، نظر الى ارضية البيت وموجوداته و تتبع السقف وكل الاضاءة. جلس مع امي، استمروا بالحديث عن افراد عائلتنا، عن اقربائنا الذين هاجروا، من منهم في قيد الحياة ومن منهم عند الرب، استغرقتُ ذلك الوقت في اعداد القهوة. قدمت لهم القهوة ..

سألني (يعقوب): ماذا تعملين الان؟ هل اكملتِ دراستكِ؟

قلت له: انا تدريسية في كلية العلوم السياسية، تخرجت من الاوائل فيها، ولديَّ عملٌ إضافي في تحرير الاخبار لصحيفة محلية.

قـال: هـذا جيـد، اعلـم حجـم الظـروف التـي مررتـم بهـا، كان الـرب في عونكـم، انجـزتِ انجـازاً عظيـماً، هـل تذكريـن منزلكـم القديـم؟ هـل تذكريـن كيـف كنـا نلعـب معـا عندمـا كنـا صغـاراً؟

قلـت: احتفـظ ببعـض الذكريـات، مـضى عـلى ذلـك زمـن طويـل، الايـام التـي عشـنا فيهـا بعـد ذلـك كانـت كفيلـة بـأن تُنسـينا كلَّ شيء، كانـت حياتنـا مُتعبـة مـن دون والـدي، مشـيئة الـرب ارادت ذلـك، ولكـن اليـس مـن الغريـب ان تعـود بعـد هـذه السـنوات؟

قـال: اكملـت دراسـة الهندسـة المعمارية في (لندن)، قـررت ان اسـتقر هنـا عـلى الرغـم مـن فـرق العيـش بـين البلديـن، أنـوي تأسـيس شركـة انشـاءات هُنـا، فـرص العمـل هنـا اكثـر مـن هنـاك، والـدي لم يكـن راضيـاً بشـأن عـودتي بسـبب الظـروف السياسـية، وافقتـهُ امـي الـرأي خوفـاً مـن هـذا البلـد الـذي فارقنـاهُ سـنوات عديـدة، قضينـا سـنوات ونحـنُ لا نسـمع عنـهُ إلا مـا يُعـرض عـلى شاشـات التلفـاز، لم نسـمع عنـهُ إلا الاخبـار السـيئة، عـلى الرغـم مـن ذلـك قـررت العـودة، عـلى الرغـم من اننـي اعتـدتُ المجتمـع الغـربي، إلا اننـي لا أزال احـب وطنـي، في حقيقـة الامـر، انـا اريـد العيـش هنـا فحسـب.

قلـت: حـرٌ انـت في اختيـارك، لا احـد يعلـم مـاذا يـدور في ذهنـك واحساسـك عـن العيـش هنـا، بلدنُـا جميـل لأننـا تربينـا

على حبه، في الايام القادمة سترى الظُلم وتعدد الطبقات في مجتمعه، سترى كيف ان الاحزاب المتنفذة ورجال الدين اصبحوا يملكون البلد مُلكاً صِرفاً، اصبحنا نحن فيه (الطبقة الكادحة) فحسب، فئةٌ تُفكر في جمع قوتها والبحث عن الامان والاطمئنان وسط تصريحات السياسيين وحربهم المستمرة على اي الاديان و اي المذاهب التي ستدخل الجنة.

قالت امي: قمر، هدئي من روعكِ، ليس الامر بغاية السوء هكذا، اعتقد ان تحرير الاخبار اليومية جعلتكِ تفكرين في الامور السيئة فقط، الصحف لم تنشر بشرى الى الناس ذات يوم، لولا رغبة والدكِ لما جعلتكِ تدخلين كلية العلوم السياسية.

ضحك (يعقوب)، قال: قبل قليل وددت ان اقول ان التخصص في السياسة لا يليق بالمرأة، خصوصاً لو كانت قمر مثلكِ.

اجبته ضاحكة: هل تقصد اسمي، أو تقصد القمر؟

ضحكَ بقوة ثم قال: كلاكُما، في الحقيقة قصدت اسمكِ، أنت اسمكِ (قمر) والقمر لا تليق به السياسة، لم اتوقع ان يكون شكلكِ بهذا الجمال، انا اتذكركِ عندما كنتِ صغيرة، كان شعركِ قصيراً ومرحة جدا.

اجبتهُ: لا اخفي عنك، دخلت مرغمة لكلية العلوم السياسية تلبية لرغبة ابي، لكنني الان احببته، هذا مهم جدا في البلاد العربية، كي تقرأ الواقع المحيط بك وتفهم

مـا يـدور حولـك يجـب ان تكـون سياسـياً او فنانـاً، هنـا فقـط يمكنـك ان تتكلـم عـلى وفـق رؤى مجتمعـك، وإلا فسـتعيش في عُزلـة وحينهـا سـيكون الامـر اصعـب.

قـال: كلامـكِ منطقـي، وصلـت الى هنـا منـذ عـشرة ايـام فقـط، كانـت في مخيلتـي صـورة غـير الصـورة التـي رأيتهـا، الوطـن تغـير بالفعـل، لم تتزوجـي بعـد، أليـس كذلـك؟

قلت له: كلا، وانت؟

قـال: انـا ايضـاً لم اتـزوج، العـادات والتقاليـد في (لنـدن) بعيدةٌ كل البُعـد مـن عاداتنـا، لم أتقَبَّـل فكـرة الحيـاة الزوجيـة هنـاك، عـلى الرغـم مـن اصرار ابي وامـي عـليّ رفضـت الـزواج مـن مُجتمعهـم.

قالـت امـي: ألا تـرى ذلـك غريبـاً، انـت سـافرت مـع عائلتـك وانـت صغـير لم تبلـغ الثامنـة، نشـأت هنـاك، اظـن انـك امتلكـت مـن الوقـت مـا يجـبركَ عـلى العـادات والتقاليـد الغربيـة، انـت تربيـت عـلى العـادات الغربيـة، لم تـتربَّ عـلى العـادات العربيـة، كيـف تشـعر بهـذا الفـرق؟

قـال (يعقـوب): كـبرتُ وانـا اطّلـع عـلى الادب العـربي، لم يمـض شـهر إلا وانـا اقـرأ كُتـب التاريـخ العـربي، في كل يـوم اطّلـعُ عـلى اخبـار الوطـن، لم تُفارقنـي فِكـرة العـودة منـذ الصغـر، كان الحلـم الاهـم وهـا انـا حققتـه.

قُلت: اتمنى لك التوفيق في حياتك القادمة.

قال: شكراً لكِ، في البدء انا احاول البحث عن منزلٍ صغير في حارتنا القديمة، احبها كثيراً، قضيت السنوات السبع الاخيرة في جمع المال، الان لدي ما يكفيني من تأسيس مكتب او شركة للاستشارات الهندسية، او انني قد اشتري اسهماً في أحد فروع الشركة التي كنت اعمل فيها في (لندن) بحكم خبرتي السابقة.

شعرت من كلامه ان لديه رغبة حقيقية في الاقامة هنا، شعرتُ أنه مُصرّ على ذلك ايضاً، ما الدافع؟ لم اعلم، لعل هنالك اسبابا دعته من ذلك، (لندن) لا شبيه لها، ليس هنالك جمال يضاهي جمالها عند شروق الشمس، اعتقد ان كُل ما ادعى به كانت عوامل ثانوية وهنالك عامل مهم لم يسردهُ لنا.

جاء (احمد) الى مقر الصحيفة والتقينا، تكلمنا قليلاً، سلمني مقالا أعدَّهُ للنشر، خرج مسرعاً، كان لديه موعدٌ، خرج ونسي عطره الجميل مُعلقاً في هواء غرفتي، تخيلت انفاسه وهي تُحلق حولي كالنوارس على الشاطئ، حين تُحلق قريباً من سطح البحر لتمتع الناظر دون مقابل، قبل أن أسلّمها الى قسم النشر، قرأتُ مقالته، قرأتُ روعة كتابته، كان لهُ اسلوبٌ انيق في سرد الاحداث وتحليلها، كان يهدف الى وعي الجماهير، قرأتُها ثم شعرت بالخوف،

كان يدعـو مُتابعيـه الى عـدم الاكتفـاء بالانتـماء الى الحـزب الليـبرالي كونـهُ حزبـاً بليـد النشـاطات ولا يملـكُ الشـجاعة للاعـتراض عـلى قـرار حكُومـي بسيط، كيـف يكتـب بحقهـم بهـذه الجُـرأة وهـو احـد اعضائـه، نـادى بتأسـيس جبهـة مـن اجـل ان يكـون لهـم صـوت مسـموع، كان يـروم تأسـيس جبهـة بتوجـه علـماني، سـلمتُها الى قسـم النـشر بعـد ان قطعـت وعـداً في ان اناقشـهُ حـول مـا جـاء فيهـا حـين نلتقـي.

كان يـوم مشـمسٌ وجميـلٌ، كان احـد ايـام عطلـة نهايـة الاسـبوع، التقيـتُ (سـارة) وضـاع اليـوم بأكملـه في التبضـع، كنـت في السـابق أشـتري كل شيء يُعجبنـي، امـا الان فـلا ادري، وانـا ارى أي شيء اود شراءه افكـر فيـهِ، لا اعـرف السـبب، أسـأل نفسي حـول اي شيء واقـول عنـه، يـا تُـرى هـل يعجبـه أو لا يعجبـه؟ اشـتريت كل شيء يعجبـهُ، اشـتريت عطـراً يشـبه عطـره، لم اقتنِـه مـن قبـل، رأيتـه مصادفـة فتذكـرتُ عطـره، اشـتريتهُ لعلـه يُقبلُنـي. كانـت السـعادة تغمُـر (سـارة)، اكتشـفت قبـل ايـام بأنهـا بانتظـار مولودهـا الاول الـذي طـال انتظـاره سـنوات، لم تكـفَّ عـن الـكلام بخصـوص الاطفـال، لم تكُـف عـن النظـر إلى ملابـس الاطفـال حديثـي الـولادة، فرحـتُ مـن أجلهـا لأنهـا الان اصبحـت بمأمـن مـن التُهـم التـي تتهـم بهـا زوجهـا بأنـهُ سـيتركها او سـيُفكر في أن يتـزوج غيرهـا، لم ألـقِ عليهـا أي لـوم لأنهـا عربيـة الاصل، كانـت تقـول لي ذلـك دائـماً وانـا احـاول جاهـدةً بـأن أمحـو هـذه الاوهـام مـن

تفكيرها، اعرف زوجها جيداً، انسان فاضل ويسعى دائماً للحفاظ على سعادة بيته واسرته، ولكنهُ وإن فكر في ذلك فلن يلقي اللوم عليه احد، ففي نهاية المطاف هو عربي الاصل ايضاً.

يُؤمن كل العرب بأن مشيئة الرب هي الفيصل في منح الاطفال، ولكنهم امام حقيقة لا يُمكنهم انكارُها، تُفيد هذه الحقيقة بأن عادات المجتمع تتفوق على الايمان بمشيئة الرب، عادات المُجتمع اقوى من اُسس ووصايا الدين، وذلك لأن سخط المجتمع يأتي على الفور اما سخط الرب وغضبه فأنه مؤجل ليوم الحساب، وهنا يكمُن الفارق. الان، تغير كلامُها جذرياً، قضت الوقت بأكمله تُحدثُني عن زوجِها، اشترت له ألبسةً جديدة، مضت مدة طويلة على اهتمامها هذا، لم تَعد شكوكها تحوم حول زوجها وعودتهِ مُتأخراً في الليل، لم تعد تتكلم حول مواعيد عمله ان كانت للعمل ام لخيانتها، لم تتكلم على مراقبتها لسجل اتصالات هاتفه بعد ان ينام، قررت ألا تُفتش ثيابه بعد عودتهِ من العمل بحثاً عن عطر امرأة، ابتدأت من الان بمدحه. اخيراً اكتشفت بأن الأيام ثبتت لها انه لن يتركها، الايام ثبتت لها وليس (الحمل) على حد قولها !لم ادع الاستغراب يهيمن على ملامح وجهي وهي تتكلم، لم أود ان اشعرها بأنها كانت مخطئة، فَكرتُ في تأجيل ذلك حتى لا افسد عليها سعادتها. كأنهُ يعلم ما في داخلي،

كنت أُفكر فيه وانا اتجول في الاسواق، استمعُ (لسارة) وفي خاطري كلماتٌ جميلة قالها لي في آخر لقاءٍ لنا، كُنا صامتين وسط حديثٍ ما، التفت إلي وقال: «وكأنكِ لي، لأنكِ آلمتني حين رأيتكِ اول مرة، كأنكِ كسرتِ ضلعاً من اضلاعي لتُخلقي منه»

اتفقتُ مع رفيق الروح بأن نلتقي، وقت غروب الشمس على ذلك المقعد المُطل على الشاطئ، ذات المقعد الذي جمعنا بالمصادفة في اخر مرة، حين سرنا بجانب البحر ثم جلسنا لنكمل الحديث. وصلت الى الموعد ولم اجده، تفاجئتُ، التفتُ يميناً ويساراً ولم اجده، جلست انتظره، مرت دقائق تزامنت مع غروب الشمس، بدأ نسيم البحر يصبح أكثر عذوبة، خِفتُ من أن تغرب الشمس ولا يأتي، منظر الغروب كان جميلاً، كان اجمل لو انهُ جاء في وقتهُ المُحدد. شعرتُ أن أحدا ما قد أتكأ على مسند المقعد الذي اجلس عليه، شعرتُ بأنفاسه وهو يتنفس بالقرب من شعري، اخافني الموقف لولا عطره الذي فضح امر قدومه متخفياً من خلفي، استنشقتُ عطره، لم استدر، اغمضت عيني لأنصت لأنفاسه، بقينا ثوانيَ دون كلام او حركة، اقترب من اذني اليسرى وهمس قائلاً : «انا احبكِ» هزَّ كلامهُ اركان فؤادي، نبض القلبُ سريعاً، هممتُ في التفكير، هل أردُّهُ بمثلها أو اتريث؟

انـا لسـت حائـرة، انـا لـن اجاملـه، انـا احبـهُ بالفعـل، بـل انـا اعشـقهُ كثـيراً، انـا تجـاوزت حـدود حبـه، انـا اهيـم بـه، انـا مرتبكـة جـداً، انـا لا اقـوى عـلى الحركـة، انفاسـه قـرب رقبتـي جعلتنـي اتجـزأ لأجـزاء صغـيرة، تناثـرتُ، اخـذني نسـيم البحـر الى الهبـاء، ضعـت بـين انفاسـه، رقبتـي ترتجـفُ مـن جمال شـفتيه، شـفتاه التـي تثـير العطـش في انـاء القُبـل. فتحـت عينـي، التـف مـن خلفـي وجلـس بقـربي، نظـر في عينـي، لم املـك في وقتهـا غـير الابتسـامة، لم أقـل شـيئاً، نظـرتُ في عينيـهِ قليـلاً ثـم انحنـت عينـاي خجـلاً بحكـم الأنوثـة، لم اقـوَ عـلى إنعـام النظـر في عينيـه طويـلاً، انـا منهوكـة جـداً.

قال: مساءُ الخَير.

اجبتهُ: مساء النور.

قـال: لـن اعـترض عـلى صمتـكِ، صمتـكِ الـف كمنجـا تعـزف معـاً، انـا مسـتمتع بالانصـات لهـذا العـزف، انـا صـادق معـكِ، انـا احبـكِ، احببتـكِ لأن لا شـبيه لـكِ ولا عـلى الارض سـواكِ، لا ابالـغ في وصفـكِ، صدقينـي انـتِ الحُلـم الـذي اريـد تحقيقـه، انـت اكثـر مما كنـت اتوقـع، لا اريـد ان نكـون اصدقـاء بعـد الان، انـا احبـكِ، انـا اُريـد امتـلاككِ.

قلـت: انـتَ انسـانٌ رائـع، اُصـدَقُ كُل مشـاعرك، عينـاك تُعطـي الادلـة عـلى كل مـا تقـول وانـا لسـتُ بحاجـة لأي دليـل، شـكراً لكلامـكَ الجميـل.

قـال: احببتـكِ وهـذا الموضـوع لا نقـاش فيـه، لكننـي اود التكلـمُ في وجهـةِ نظـري عـن الحُـب، كيـف أُفـسر الحُـب، هنـاك مفاهيـم لـو اتفقنـا بشـأنها سـنتفهم بعضنـا دون ادنـى شرح لأي موقـف يصادفنـا، انـا ارى الحُـب هـو ارتبـاط الـروح بأخـرى تُشـابُهها، لا يقبـل الحُـب غـير ذلـك إطلاقـاً، لا أحـبُ مُسـميات الاشـياء وتهـاني الاعيـاد، احـبُ نَظـرة العَـين مُتهالكةَ الشـوق في كل يـوم، أبغـض كُل شيء ينتابـهُ الملـل، أحـب شـغف الكلـمات حـين نقولهـا، أودّ التوحـد فيـكِ والاسـتغناء عـن أشـعة الشـمس، أحـب أن نكـون بـلا عقـل باطـن، بـلا تفكـير، بـلا تحليـل للكلـمات، لا نكـترث لمـا ينتـج لقاؤنـا مـن آثـار، أحـب ألا نـندم عـلى مـا نفعلـه بحكـم المشـاعر، احـبُ ان ننصـت للأحاسـيس العفويـة، احـب ان يكـون الاحـترام اسـاس كل افعالنـا، احـبُ ان يكـون التعبـير عـمّا في داخلنـا كطائـرٍ حـر ينتابـهُ الفـرح، اريـد ان يكـون حُبنـا ابديـاً وعشـقنا لامتناهـي، احـبُ ألا ننشـغل بالتفكـير بالغـد، احـبُ ان نسـير بإخـلاصٍ بحسـب مـا تـوصي بـهِ الاحـلام.

بعـد الصمـت ثـوانيَ، قلـتُ: انـا ارى الحُـب كـما يـراه (القبـاني) أؤمـن بـكل ملامـح الحـب التـي يرسـمها، اؤمُـن بوصايـاه للعاشـقين الجُـدد، حـين عَـرَّفَ الحُـب وقـال: «الحُـب ليـس روايـةً شرقيـةً بِختامهـا يتـزوجُ الأبطـالُ، لكنـهُ الإبحـار دون سـفينةٍ وشُـعورنا ان الوصـول محـالُ، هـو أن تظـل عـلى الأصابـع رَعشـةٌ وعـلى الشِـفاه المُطبقـات سـؤالُ،

هـو جـدول الأحـزان في أعماقنـا تنمـو كُـروم حولـهُ وغـلالُ، هـو هـذه الأزمـات تَسـحقنا معـاً فنمـوت نحـنُ وتُزهـر الآمالُ، هـو أن نَثـورَ لأي شيءٍ تافـهٍ هـو يأسُـنا هـو شـكُنا القتـالُ، هـو هـذه الكَـفُ التـي تغتالُنـا ونُقبّـل الكَـفَّ التـي تغتـالُ».

ابتسـم، حـرك حاجبيـهُ تعجبـاً، قـال: نزاريـةُ الهـوى انـتِ، فقـد اختـصرتِ الكثـير مـن الـكلام، شـعرتُ أنـكِ تختلفـين عـن عامـة النسـاء، شـعرتُ بذلـك منـذُ ان رأيتـكِ اول مـرة، انـتِ خـارج الاعـراف التـي اعتدنهـا كُل النسـاء، الان عرفـت لِمَ تملُكـين هـذا الكـم الهائـل مـن الجـمال. كانـت حقيبتـي اليدويـة عـلى قدمـي، كنـتُ قـد اتـكأتُ عليهـا وانـا احادثـه، اراد ان يقـول شـيئاً ولكنـه اسـتبق الامـر، احتضـن يـدي اليُمنـى بكلتـا يديـه، وخـلال أجـزاءٍ مـن الثانيـة جَعلَنـي أشـعُر بخمسـين عامـاً مـن العِشـق، لم اكـن اعلـم ان لمسـة يـدِهِ لهـا لُغـةٌ خاصـة، لم اكـن اعلـم ان اصابـع اليـد تعـرف الغـزل، ينبـض الان قلبـي مسرعـاً، بعـد ان اغمـرهُ بنـوع جديـد مـن الفـرح، اغمضـتُ عينـي مـن شـدِة جمال هـذه اللحظـة، انـا لي الـف عـذرٍ وعـذر لأغمـض عينـي، لم يحتضـن يـدي احـدٌ مـن قبلـه، اشـعُر بأنهـا بـين جناحـيّ مـلاك يمتـاز بالعِفـة.

قال: قمر، انا أُحبُّكِ، أعدكِ بأن أكون مُخلصاً لكِ.

قلت: انتَ انسان نقي، انا متأكدة من ذلك.

سحب يدهُ مني، أتكأ بظهرهِ على المسند،

قال: اريد ان اخبركِ سراً.

قلت: ما هذا السِر؟

قال: أتذكرين حين جئت الى مكتَبكِ في الصحيفة في ثاني لقاء لنا لاسأل عن المدير، أتذكُرين الحديث الذي دار بيننا بعد ان طلبتِ لنا القهوة؟

تذكرتُ كُل لحظات الارتباك في وقتها فابتسمت، قلت: نعم، اتذكر ذلك اليوم.

قال: كنتُ قد جئتُ من أجلكِ، كنت اعلم بأن المدير لن يأتي في ذلك اليوم، اتصلتُ به قبل أن أدخُل الى بناية الصحيفة.

أسعدني اعترافهُ هذا، كأنهُ سَحق كُل لحظة ندم آلمت وجداني، تلك اللحظات التي لقنتني درساً قاسياً لأنني سبقتهُ في الاعتراف بالحب، محا كل ما انتابني من قلق، اخذ من كف يدي سوط التأنيب الذي أنَّبتُ بهِ ضميري منذُ اليوم التالي لحفل عيد ميلاده وكسرهُ.

لم اجعل ملامحي تتأثر بما قال، اجبرتُها على الكتمان ..

قلت بهدوء: لماذا؟

قال: لأنكِ اعجبَتني في اول مرة رأيتُكِ فيها، من حسن حظي انني تمكنتُ من فتح حوار معكِ لبعض الوقت،

تعرفـتُ إليـك اكثـر، زاد اعجـابي بـكِ، فرحـت لعـدم وجـود خاتـم زواج في يـدكِ اليُـسرى.

لم أقوَ على كتمان ابتسامتي اكثر، ابتسمتُ ..

قلـت: حقـاً، كان لقـاء جميـلا جـدا، كنـتُ مرتبكـة بعـض الـشيء.

قـال: صحيـح، خصوصـاً بعـد ان طلبتـي لنـا القهـوة ونسـيتِ يـدَكِ عـلى سـماعة هاتـف المكتـب.

قلتُ ضاحكة: ذلك صحيح.

قال: حقاً، كيف عرفتِ قهوتي انذاك؟

قلت: خَمَّنت ذلك فحسب.

تحركت شفاهُهُ إيماءً بعدم القناعة ..

قـال: انـتِ شـديدةُ الـذكاء، ذكاؤُكِ اول شيء اثـار انتباهـي لـكِ، جمالُـكِ كان ثانيـاً، وثالثـاً اسْـمكِ، تمتلكـين اسـماً جميـلا، مـن وهبـكِ إيـاه؟

قلـت: ابي، لكنـهُ تـوفي منـذ ان كنـت صغـيرة، اهتمَـت امـي بي، تكفلـت بتربيتـي الى ان كـبرُت، مـررتُ بأيـام صعبـة ولكنني اشـكرُ الـرب عـلى مـا وصلـتُ إليـه، ورثـتُ مـن ابي الاصرار عـلى المبـدأ وعـدم التلـون، ورثـتُ عنـهُ الكتـمان ايضـاً.

قال: يَرثُ الانسان اغلب أُسس حياته من امهِ وابيه، يَرثُها مرغماً كما يرثُ شِكل وجهه منهما، نرثُ الدين والمذهب والاخلاق مع كُنيتنا وأسمائنا، نعتنق الدين بالوراثة لا بالإيمان.

قلتُ: انا مسيحية، هل تعلم ذلك؟

قال: نعم.

قلت له: وكيف تَعلم؟

ضَحِكِ بصوت عالٍ، قال: خمنت ذلك فحسب.

ضَحِكنا معا، قلت له: قل لي الحقيقة، كيف عرفت ذلك، انا اسمي لا يدل على شيء؟

استمر بالضحك، قال: لستِ وحدَكِ قادرة على التخمين، انا املك هذه الخاصية ايضاً.

غَمرنا الضحك، اخرج عُلبة سَجائرِهِ فأخرج منها سيجارة، وضعها بين اصابعه، وقبل ان يُشعلها ..

سألَني: هي يزعجكِ دُخان سجائري؟

اجبتهُ: كلا.

قال: لأول مرة اسمع هذه الاجابة، في كل مرة اجلس في عملي او عند اقاربي وتكون في وسطنا امرأة واستأذن منهم

لأدخن لا يسمحون لي، هل يروقكِ السيجار؟

قلت: كلا البتة.

قال: ما السبب إذن؟

قلت: لأني أحبُّك.

وهو ينحني لإشعال سيجارتهِ غلبتهُ الدهشة، بَقيت سيجارتهُ بيده غير مُشتعلة، اندهش كثيراً حتى ترك سيجارتهُ، التفت إليَّ، ظل ينظر في عيني عدة ثوانٍ، لم تُرمش عيني قطُّ، بَقيَت نظراتي تردد ما قُلت دون ان ينتابَني الخجل ...

قال مُبتسماً: انا سعيدٌ جداً، كيف لي ان اشكركِ.

قلت له: اشكرني بقصيدة.

للمرة الثانية كان ينوي اشعال سيجارتهِ وتوقف، اعتلى صوت موج البحر وانخفض ...

قال: كيف عرفتِ أنني أكتب الشِعر؟

أبعدتُ خُصلةً من خصلات شَعري الى الوراء ..

قلت مُبتسمة: خمنتُ ذلك فحسب.

رمى سيجارتهُ على الارض، صبغ كلامهُ بالجدِّ ..

قـال: اريـد معرفـة الحقيقـة، لا تقـولي لي خمنـت ذلـك، قـولي لي الحقيقـة، كيـف عرفـتِ ذلك؟

قُلـت: مـن عينيـك تـارة، ومـن مقالاتـكَ تـارة أخـرى، تأكـدتُ مـن ذلـك مـن طريقـة كتابتـك، قـرأت جميـع مقالاتك، كانـت طريقـةُ سَـردك للـكلام متناسـقة وجميلـة، عينـاك الجميلتان تشـير بـكل ايحاءاتِهـا بأنـك تكتُـب، تكتُـب مـا تشـعر.

قـال: لا يعلـم احـدٌ بهـذا الامـر، لم اكتـب إلا لشـخص واحـد فقـط، كتبـتُ لـهُ العديـد مـن القصائـد ولكننـي مُحتفـظٌ بِهـا، لأول مـرة كتبـتُ لمـن احببـتُ قبلـكِ، كانـت البدايـة مـن هنـاك، استـمر الامـر جيـداً حتـى تركتنـي، طلبـتُ إليهـا وقتئـذٍ ان تعيـد لي كل قصائـدي، هـي لا تسـتحقها حتـى ولـو باتـت متروكـة، انـا مُحتفـظ بهـا في بيتـي، لم يقرأْهـا احـد قـطُّ، لم اكتـب بعدهـا، انشـغلت بالشـأن السـياسي وكتابـة المقـالات السياسـية والاقتصاديـة.

قُلت له: هل تكتُب لي شعراً؟ ألا تود تلبية طلبي؟

قـال: ذكرتِنـي بأشـياءَ دفنتُهـا منـذُ سـنين، كنـتُ اكتـبُ لهـا كل يـوم، يـا ليتَهـا كانـت تسـتحق، ايقنـتُ في نهايـة الامـر أنهـا كانـت لا تسـتحق حتـى حـبر القلـم الـذي كنـتُ اكتـبُ بـه، (قمـر)، انـا اسـف لأننـي اتحـدث بشـأنها ولكنـكِ أعـدتِ لقلبـي النبـض، انـا سـعيد جـداً لأنـك مـن محُبـي الشِـعر، هـل لديـكِ موهبـة الكتابـة؟

قلت لـه: اكتب، لكنني لا احتفظ بما اكتب، اجمع ما اكتب اسبوعياً ثم أرميه في سلة المهملات، الكلمات الوحيدة التي نقشتها على جدار الكون وكُتِبَ لها بأن تبقى خالدة هي تلك التي بعثْتُها لكَ برفقة هدية عيد ميلادك الجميل، هي الكلمات الوحيدة التي ولدت بصحة جيدة وكتب لها أن تعيش، لم تُدفن تحت الاحباط.

غيرت شكل جلوسي، جلستُ مُتكاتفة الايدي ..

قُلت: للمرة الثالثة أكرر طلبي، هل تكتب لي؟

بابتسامة تفوق القمر الذي فوقنا جمالا قال: كُنتُ اتهرب من طَلبكِ، لا اجد ما اكتبهُ الان، ارهقتني انوثتكِ، انتِ جميلة جدا، احتاج إلى عدة لغات للتغزل بك.

قلت: انا لم احدد الغزل، انا طلبتُ ان تكتبَ لي فحسب..

قال: ما كتبتهُ من قبل لم يكن من أجلكِ، انت لا تستحقين شعراً لم يكتب من أجلك، أنت تستحقين مشاعر مولودة الآن، قصائد ثملة من اثر عطرك، انت الان ضوء الشمع على طاولتي الصغيرة، تبعثين النور لأوراقي عندما اكتُب، سأكتب لكِ، سأحرق كل ما مضى لأبدأ من جديد، أعدكِ بأبياتٍ مجنونة بكِ، أعدكِ.

قلت: حسناً، سأنتظرك.

حدثتهُ عن مقاله الاخير، شرحتُ لهُ خوفي عليه من الوضع الامني والاقصاء لكل الاقلام المعارضة للحزب الحاكم، جعلني انسى ما كنتُ أودُّ قولهُ، كُنا جالسَين ننظر الى البحر، لم نكن نتكلم وجهاً لوجه، تقرب قليلاً مني، طلب أن يَضع يده خلف ظهري، اصبحت نَظرات أعيُننا امتداداً لأمواج البحر، لم يعُد ينظر الى عيني، استغليتُ الموقف لأغمُض عيني كثيراً وافتحها قليلاً، لم انظر إلى وجههِ كنت انصت لأصابع يدهِ فقط، كانت اصابعهُ تلامس كتفي، كانت تتحدث لي، كان لها صوت ولغة، كاد قلبي يتوقف من شدة النشوة، وددتُ ان يأتي بيدهِ الاخرى ايضاً، تمنيت لو تلتف كلتا يديه حولي، وددتُ لو يطبقها عليّ حتى تتهشم اضلُعي.

حدثني عن مشاريعهِ المستقبلية، عن كل ما كان ينويه، حدثني عن اتباعه الذين يراسلونه وهُم مؤيدون لمبادئه وتطلُعاته، شعرتُ هذهِ المرة أنهُ يتكلم من مُنطلق قوة بعد أن صار له مؤيدون واتباع، استمرينا بالحديث، واستمرت يدهُ بالعَبث بمشاعري، استمر حتى نسيت مدة طويلة بأن اتنفس. حجم السعادة التي تغمرني الان تُمكَنُ قلبي بأن يتوقف عن النبض، كنت أنوي الاعتراض على الكثير من مبادئهِ وقيمهِ، كنت أريد أن أحذره من تعابيره القاسية التي يستخدمها في مقالاته، لكنني نسيت كل شيء، اجلت ما اريد لأنني الان لا اقوى على الكلام.

فجـأة حصـل شيء لم يكـن بالحسـبان، توقـف كلانـا عـن الـكلام، اندهشـنا كثـيراً، لم نتحـرك مـن قـوة الدهشـة، نظـرت إليـه ثـم نظـر إليَّ، ابتسـمنا معـا، بـدأت الشـمس بالـشروق ونحـن لا نـزال جالسـين، اسـتمرينا بالجلـوس منـذ يـوم أمـس، بـزغ ضـوء الشـمس، بـدأ يتخلـل السـماء، اسـتعدت الشـمس للـشروق وانـا الآن كنـت ارى القمـر، لم يمـضِ مـن الليـل إلا دقائـق، أي قليـل هـذا وانـا لم انظـر إلى سـاعتي البتـة، لم أشـعر بالتعـب، يـا إلهـي كـم انـا مُغيبـة عـن الواقـع، كـم مضينـا مـن الوقـت؟ ايـن كنـت؟ أيـن أنـا الان؟ بعـد ثـوانٍ مـن الصمـت، ضَحِكنـا، التفـت إلي، عُدنـا نجلِـس وجهـاً لوجـه، وضـعَ يـدهُ فـوق يـدي ..

قـال: لم نشـعر بالوقـت، جعلتُـكِ تسـهرين، اسـفٌ لأننـي جعلتُـكِ تتأخريـن بهـذا القـدر.

أجبتـه: ظننـتُ أننـا قضينـا سـاعتين او ثـلاث، لا عليـك اسـعدني هـذا اللقـاء جـداً، ولكـن علينـا الذهـاب الان.

وضعت يدي الثانية فوق يده ..

قلت لهُ: سألقاك دائماً.

انتهـى اللقـاء الجميـل، كنـت في جنـة لا تصفهـا كُتـب الديـن ، لقاؤنـا كان في غايـة الروعـة، غِبـتُ عـن الوعـي منـذ ان همـس بـأذني، منـذُ ان كنـتُ بانتظـاره حتـى شروق الشـمس .أنهينـا حديثنـا عـلى امـل اللقـاء، رجعـت الى البيـت،

دخلـتُ ببـطء كـي لا أحـدثَ صوتـاً وازعـج امـي، تفقدتهـا في غرفتهـا بهـدوء، صعـدتُ الى غرفتـي، اردتُ خلـع ملابـسي ولكننـي توقفـت، عِطـرهُ مـازال يغمرهـا، اسـتلقيت عـلى فـراشي، اغمضـتُ عينـي، لا اريـد ان ارى شـيئا غـير وجهـه، لا اريـد ان اسـمع صوتـاً غـير صوتـه، لا اتنفـس غـير عطـره، لا اريـد ان انسـى كل كلمـة قالهـا. أشرقـت الشـمس بأكملهـا وانـا مازلـتُ اتأمـل كل كلمـة قالهـا، غـيرت ملابـسي، بقيـتُ جالسـة عـلى طاولتـي الصغـيرة في غرفتـي انتظـر موعـد اسـتيقاظ امـي لأتنـاول الافطـار معهـا، كـما اعتـدتُ في ايـام العطـل ذلـك، لا اريـد ان تشـعر أني اهملهـا. قضيـتُ النهـار وانـا انظـر الى الشـمس واعاتبهـا بسـبب شروقهـا، لِمَ أشرقـت وانهيـت لقاءنـا؟ كنـت اريـد مزيـداً مـن الوقـت قربـه.

عـلى الرغـم مـن الفـرح الوفـير، انتابنـي القلـق، كنـتُ اسـأل نفـسي، هـل مـا تبقـى مـن عمـري كافٍ لحبنـا؟ كانـت ليلـة الامـس بقربـه سريعـةَ السـاعات، بـتُّ اخـاف ان يمـر الوقـت القـادم سريعـاً، كـما كنـت بـين يديـه سريعـةَ الذوبـان، كان لقاؤنـا كنسـيم البحـر في شـهر ايلـول، عـذبٌ جـدا، مـا بـال الليـالي القادمـة؟ مـاذا بشـأن مـا تبقـى مـن العمـر؟ وانـا اعشـقهُ كُل يـومٍ اكثـر، مـرت الأيـام.

ذات مسـاء اتصلـتُ (بزيـاد) للاطمئنـان عـلى صحتـه، أجابني بأنـهُ بخـير وان حالتـه قـد تحسـنت، كان صوتـه مهمومـاً، رجوته كثـيراً لأعلـم مـا بـه ولم يتكلـم، ذهبـت مسرعـةً الى بيته،

طرقـتُ بـاب بيتـه، فتحـت زوجتـهُ البـاب، كنـت خائفـة مـن ملامحهـا، خائفـة ممـا سـتقوله، لم ألـقِ التحيـة عليهـا، سـألتُها عـلى الفـور «هـل زيـاد بخـير؟» اجابتنـي بأنـه بخـير وان لا داعـي للقلـق، بعـد ان رحَّبـت بي دخلـت الى البيـت، وجـدتُ (زيـاد) جالسـاً وحـده، لاحظـت امامـه مجموعـة مـن الاوراق، القيـت التحيـة عليـه، جلسـت امامـه، لم يتكلـم، جلبَـتْ زوجتـه فنجانـين مـن القهـوة، شربـتُ قهـوتي عـلى عجـل كـي ابـدأ الـكلام معـه ..

قلت لهُ: ما بك؟

قـال بوجـهٍ عبـوس: لا شيء انـا بخـير، أمُـرٌّ بظـروفٍ عصيبـةٍ بعـض الـشيء، اسـتغربت مـن مجيئـك، كنـا نتكلـم منـذ قليـل عـبر الهاتـف وأخبرتُـكِ انني عـلى مـا يُـرام؟

قلـت مسـتغربة: لِمَ تتحـدثُ معـي بهـذه الطريقـة؟ جئـتُ بعـد ان شـعرتُ أنـك مُتعـب، قلقـت عليـك لا أكثـر، لِمَ وجهـك شـاحب الى هـذه الدرجـة؟

قـال: في مـدة مـرضي الاخـيرة تركـت مهـام العمـل لشـاب يعمـل لـديّ، قـضى معـي اكثـر مـن عـام، كان مخلصـاً جـداً، لا اعلـم لِمَ فعـل ذلـك؟

قلت والصبر ينفد: ماذا فعل بك؟ ما الذي حصل؟

قال: سرقني.

اندهشتُ كثيراً، قلُت: سرق ايراداتك، أليس كذلك؟

قال: الامر سهلٌ لو انهُ سَرق دخل المطعم فحسب، لي خزينةٌ في المطعم وجدتها مسروقة هي ايضاً، بعد ان قضى معي مدة طويلة بالعمل ثبت جدارته، بدأتُ منذ وقت قصير بمنحه الثقة، اعتاد أن يراني وانا احفظ الاموال في الخزينة، لكنني لم أعطِه نسخة من مفاتيحها او رقمها السري، كيف تمكن من فتحها دون كسر او خدش!!

قلت: هل اخبرت الشرطة؟

قال: ما النفع؟ جاءت الشرطة ولم تجد أي بصمات على الخزنة.

قلت: لِمَ لم تخبرهم عن محل سكنهِ واسمه او حتى صورته؟

قال: لا أعلم عنوانه، اخبرني ذات مرة بأنهُ يسكن في إحدى القُرى خارج المدينة، لا اعرف اين هي تحديداً، كانت سِماته تمنعُني من الشك، من الممكن ان يظهر يوم غد او يتصل بي، انا اتهمهُ فقط، لأنهُ لم يظهر بعد الحادث، وهو المسؤول والمؤتمن على المطعم في غيابي، كيف لي ان اتهم غيره، هو السارق، لا شك في ذلك.

قلت: هل المبلغ كبير؟

قال: يتطلب تسديد المبلغ دخل المطعم لشهرين او ثلاث، لا يمكنني سداد المبلغ، جميع اموالي في تجارة لا استطيع استرجاعَها منها قبل ستة شهور قادمة،

حـين تعافيـت ورجعـت الى ادارة المطعـم، سـمعتُ مـن العاملـين بأنـه لـن يـأتي اليـوم، حاولـتُ الاتصـال به، لم أسـتطع.

انزعجـت كثيراً مـن أجلـه، قلـت: هـون على نفسـك سـيكون كل شيء بخـير، انـت الان معـافى، سـتتمكن سـداد الدَين.

قـال: قمـر، الدَيـن بحاجـة الى ان يعمـل المطعـم دون تكاليـف مـدة شـهرين او ثلاثـة في الاقـل، اليـوم لم اطلـب مـن العاملـين ان يأتـوا الى المطعـم، علقـتُ لوحـة لإغلاقـه، جلسـتُ منـذُ الصبـاح كـي اتفكـر بالأمـر، ليـس هنالـك خيار امامـي سـوى انـني ابيـع المطعـم لسـداد الديـون.

قلـت: كيـف ذلـك!! لديـك منـزل وثـلاث بنـات بحاجـة الى مصاريـف، عـلاوة عـلى ذلـك سـتدخل (بيلسـان) الجامعـة هـذا العـام، لـن تكـون عـلى مـا يـرام بقـرارك هـذا، حـاول ان تجـد قـرارا غـيره، فكـر في اسـتئناف العمـل وسـتتعدى هـذه المحنـة.

قـال: كان الامـر عـلى مـا يـرام لـو كان لي ابـن، كنـت سـأكلفه العمـل وقـت غيـابي، مـا كنـت لأمـر بهـذه الظـروف.

قلـت: دعـك مـن هـذا التفكـير، انـت رجـلُ مؤمـن، تعـرف الله حقـاً، هـذا قـدرك ومـا رُزِقـت بـهِ نعمـة غـيرك لم ينلهـا، عليـك بالصـبر، سـتجد حـلاً، امنـح قـرارك بعـض الوقـت، لا تفكـر فيـهِ الآن، اسـتأنف العمـل، وسـنفكر في الامـر مليـاً خـلال هـذه المـدة.

تعكـر وجهـهُ، وقـال: قمـر، عـودي انـتِ الى المنـزل، انـا لا اريـد ان اقحمـكِ بمشـكلاتي، انـتِ لـكِ مـا يشـغلك، لديـكِ التزاماتـكِ، دعينـي وشـأني.

قلـت لـه: صديقـي، لـن اتـركك، يهمُنـي شـأنُكَ، ارجـوك ان تفعـل شـيئاً واحـداً فقـط، أعـط نفسـك بعـض الوقـت، اسـتأنف العمـل، وان لم نتوصـل الى حـل حينهـا نفـذ قـرارك.

قال: حسناً.

قلـت لـهُ: سـألتقيك يـوم الغـد او بعـد غـد لنتكلـم بالأمـر، سـيكون كل شيء عـلى مـا يـرام صدقنـي.

امتثـل لمـا قلتـهُ لـه، عملـت جاهـدةً كـي اقنعـهُ بـألا يـترك عملـه، سـيتألم كثـيراً لـو حصـل ذلـك، يمتلـك مطعـماً يسـتقطبُ السـياح طـوال اوقـات السـنة حتـى اصبـح احـد معـالم المدينـة، اعلـم جيـداً عـدد السـنين التـي قضاهـا مـن أجـل ان يكـون مـا عليـه الان.

بعـد ظهـيرة يـوم ممطـر، أنهيـت عمـلي في الصحيفـة ثـم خرجـتُ مُسرعـةً للعَـودة الى البيـت، بعـث لي (احمـد) رسـالة، كتـب فيهـا كلمتـين تشـبه اعاصـير شرق اسـيا، آثـرت بوجـداني الكثـير، كتـب لي (اشـتقت إليـكِ). كنـتُ قـد اشـتقت إليـه بعـدد مـا عـلى الارض مـن مطـر، اتصلـتُ بـه، وجدتـهُ خارجـاً الآن مـن عملـه، اتفقنـا ان نتنـاول الغـداء معـا، خـلال حديثنـا الشـائق، سـألني: «مـا بهـا عينـاكِ؟ فيهـا بعـض الحـزن»

كـم اشـعر بالأمـان حـين يشعُر بي دون ان اتكلـم، اشـعر أنني مهمـة لديـه، انـه يتمَعنُنـي، هـو لا يـراني فحسـب. حدثتـه عـن (زيـاد) وعـن مكانتـه في حيـاتي، خـلال الحديـث اجبتـه عـن انزعاجـي بسـبب موضوعـهِ، وكيـف تمـت سرقـة خزينتـه، وقبـل ان أُنهـي حديثـي وجـد (احمـد) للموضـوع حـلاً، كان المـصرف الـذي يعمـل فيـه يتعامـل بالقـروض الاسـتثمارية، افهمنـي حـول طريقـة تعاملهـم، اوصـاني بـأن أفْهـم (زيـاد) بالـشروط والضمانـات المطلوبـة ولاسـيما وان لـهُ مشروعـاً اسـتثمارياً ليـس بالصغـير.

تمكنـتُ بمسـاعدة رفيـق روحـي بـأن أخـرِج (زيـاد) مـن ازمتـه، بعـد عـدة ايـام اتصـل بي وهـو سـعيد جـدا، قـال لي بأنـه تجـاوز محنتـه وان هنالـك سـببا اهـم لسـعادته وهـو نجـاح ابنتـهِ (بيلسـان) بعلامـاتٍ عاليـة في الدراسـة الثانويـة وانهـا قـد قررت ان تختـار كليـة العلـوم السياسـية لأكـون أسـتاذتَها. فرِحـتُ لفرحـهِ فهـو صديقـي المُقـرب، شـعرتُ أننـي قدمـتُ لـه شـيئاً بسـيطاً مقابـل مـا قدمـهُ لي مـن السـعادة مُسـبقاً، مازلـتُ أتذكـر تلـك اللحظـة التـي فتحـتُ فيهـا هديتـهُ والسـعادةُ تغمـرني لإنهائـي الدراسـة الثانويـة، مازلـتُ اتذكـر اول هاتـف محمـول اهـداهُ لي، كنـتُ في ذات الموقـف الـذي يـراهُ بابنتـهِ (بيلسـان) الان، كنـت كـما هـي الان، امسـكُ شـهادتي بفخـر شـديد لأنـني سـأدخُل الى الجامعـة، تلـك اللحظـةُ المُهمـة عنـد كل بنـت في هـذا العمـر.

شابهتُ ابنتهُ بفَرح النَجاح فقط، كانت هنالك ثمة فُروقات بيني وبينها تتمثل بنعومة اليد وشكل الابتسامة والاشتراك في حوارات التفاخُر والغرور بين اصدقاء الدراسة او التهرب منها، لم تكن مثلي، لم تكُن تعمل من اجل العيش، لم تكن تتوسد الالم، لم تكن تعرف الحرمان، لم تكن مثلي، لم تكُن تمتلكُ حذاءً واحدة طوال العام الدراسي.

لم أقع في الـحُب

لقد مشيت إليه بخُطًا ثابتة

مفتوحة العَينين حتى أقصى مَداهما

اني (واقفة) في الـحب

لا (واقعة) في الـحب

أريدك بكامل وعيي

«أعلنت عليك الـحُب»

غادة السمان

(٣)

في المقهى، كان الشعب يتحدث مع نفسه، يسأل الجميع عمّا سيجري في المدة القادمة، ستجري الانتخابات والحزب الحاكم يتسع نفوذاً بسبب سذاجة الاغلبية واستغلاله لرجال الدين واستغلال رجال الدين لهُ ايضاً، كانت العلاقة بين المناصب الدينية والدنيوية علاقة تبادل المنفعة.

قال احدهم في المقهى نقلاً عن رجل دين مهم بأن «عدم انتخاب الحزب الحاكم سيلْحق الضرر بهذا البلد، و إن لُحِقَ الضرر بالبلد فأن كلَّ من لم ينتخبهُ آثم». كان الشعب حائراً بين الخوف من التغيير والخنوع من اجل البقاء، كان الحزب الحاكم ذكياً، فقد تعاقد مع رجال الدين كافة من خلال أخذ كبارهم ومنحهم ترف الحياة، وضع الحواجز العالية بينهم وبين مُعاناة الشعب، هذا الشعب الذي بدوره انقسم على نصفين، الاول رضي بالأمر لعدم امكانية الاعتراض على ما يوافق عليه زعيمهم الديني، ففي ذلك مُخالفة لأحكام الاديان في المساجد والكنائس وهم اعلم بما يفعلون ولا يجوز الخروج عن طاعتهم. اما النصف الاخر فكان بشقين، منهم من تفهم الامر فالتزم الصمت، ومنهم من لم يلتزم فتم اتهامه بأعظم التُهم وبأبسط الطرق، سجون القمع امتلأت بالكُتاب والمثقفين والادباء، كان الحال صعباً بين الرضوخ والسلامة، وما بين الكرامة والمنفى.

استمر حزبنا الحاكم لأكثر من عقدين من الزمن، كان مجيئهم بفضل قوة فرقة الاغتيالات التي يمتلكونها ابان وقت تأسيسهم، قتلوا كل من فضح حقائقهم الزائفة ومبادئهم الكاذبة واهدافهم التي لا تعرف طريقاً إلا من خلال فوهات البنادق، خلال مدة قليلة تمكنوا من اصابة الذعر في ذلك الوقت، وصلوا الى الحكم بعد ان قتلوا الزعيم الذي سبقهم لقتل الشعب، بدأوا بقتل كل من خالفهم الرأي ولم ينتهوا الى يومنا هذا.

في بلادنا هناك عشرات الاحزاب والجبهات والتجمعات تحت مسميات مختلفة ولكن الحاكم كان حزباً واحداً، كان يسمح للجميع بحرية الرأي والتعبير في الوقت الذي كانت جميعُ الاغتيالات تُقيَدُ في اوراق التحقيقات ضد (مجهول)، كانت مصير كل من يحاول ان يؤجج الشعب او ان يُذكرهُ بأبسط حقوقه، هذا (المجهول) معروف لدى الجميع ولكن لا يتجرأ احدٌ توجيه اصابع الاتهام له، ومن وجهها مُسبقاً رجعت إليه يده من دون اصابع. اما عن الانتقادات للوزراء والمسؤولين المرموقين في اجهزة الدولة فكان مسموحا بها في وسائل الاعلام وخصوصاً الجرائد، كان الحاكم يعرف كيف يجعل من هذا النقد (اشاعات من قِبل اعداء النجاح) بواسطة اتباعه من رجال الدين لأيام الاحد في الكنائس ولأيام الجمعة في المساجد، اما عن بقية الاديان فانهم اعتادوا الصمت فهم غير قادرين على الدفاع

عن أنفسهم لو أُتهموا بتهمة تمس الحاق الضرر بأمن الدولة، كان عددهم قليلا جداً، لا بل انهم لا يمتلكون اتعاب أي محام بسيط الشُهرة ليتوكل بالدفاع عنهم، أُقصوا من كل المَناصب المهمة في الدولة لأنهم أقلية ومن فضائل الحزب الحاكم أنهُ جعلهم يعيشون على ارض هذه البلاد. كان المقهى يتداول اخبار الشهور المنصرمة، كانت هذه الشهور مملوءة بالاتفاقات والائتلافات السياسية بين الاحزاب الصغيرة، عدا الحزب الحاكم، جاءت هذه الاتفاقات تحضيراً للانتخابات القادمة التي ستكون نسبتها ساحقة للحزب الحاكم بالتزوير كالعادة، حزب يمتلك زمام مفاصل الدولة كافة وله حق القتل بكاتم الصوت دون محاكمة، حزبٌ لا يصعب عليه أن تكون نسبتهُ في الاصوات المنتخبة ساحقة، تضاف إليهم اصوت المستفيدين من خزينة هذه الدولة والسُذج الذين لا يعرفون كم تمتلك خزينتهم.

كان المقهى يراعي كثيراً مشاعر الحزب الحاكم، كانت صيغة الأخبار المتداولة بالصيغة التي تنشرها نشرة الاخبار في المذياع الموجود في احد اركان المقهى، وان اراد احدٌ ان يخرج عن النص فيجب عليه هنا ان يخرج خارج المقهى قبل خروجهِ عن النص، وإلا فسيخلو المقهى والشارع من المارة بعد ان يقول رأيه النقدي. هذا المقهى كان يشابه الكثير من المقاهي التي يرتادها الادباء والمفكرون

والناشطون الصُم، في بلادنا الناشطون صم، منشوراتهم صم؛ لأن الحزب الحاكم خيَّرهم بين الصَمت والسجن، اختاروا ان يكتبوا في الجرائد والكتب فقط، دون ان نسمع لهم صوتاً او هتافاً في هذه المقاهي. كان (سعيد وهشام) قد بدأوا حملة توعية لعامة الناس منطلقين من هذه المقاهي تحديداً، بعد ان بدأ (احمد) زعامة هذه الحملة في بقية المحافظات خارج العاصمة.

امتازت تلك المدة بالمرونة نوعاً ما بسبب الترشيح للانتخابات، يستغلها الكثير من الناشطين للكلام والهتاف بما يرضي الحزب الحاكم، كانت المدة الوحيدة التي لا نسميهم فيها (الصُم)، كما لا تعدُّ منشوراتهم فيها (صم)، كانت كل الشعارات والهتافات وتجارة المبادئ ومزايدات القيم مسموح بها شريطة ان تُعبر عن نفسك وعن حزبك، المهم ألا يتطاول كلامك الحزب الحاكم وافراده في المناصب السيادية او ان تنوي انتقادهم او توعية الناس من غفوتهم، لا يُسمح لأحدٍ بإيقاظ الشعب، لا يسمح لأحدٍ بتعكير صفو احلامهم بالحياة الهانئة، ذلك ممنوع لأن الحزب ينتهز نومهم ليسرق قوتهم.

لم اكن اعلم بأن (احمد) قد استغل هذه المدة للاعلان عن مخططاته، تزامنت هذه الفرصة مع مقالته الاخيرة التي دعت الناس للتظاهر والاعتصام في الساحات العامة ضد قرار الحكومة بعدم السماح لمنظمة الامم المتحدة للأشراف

على الانتخابات القادمة، كان هذا هو الدليل والسند الذي يقدمه (احمد) للناس، ادعى في مقالته الاخيرة ان عدم قبول الحكومة للأشراف الدولي على الانتخابات يكشف مساعيها للتزوير، ومن ثم ستكون النتيجة معروفة كالمعتاد، سيبقى الحزب جاثماً على صدورنا. خلال هذه المدة استغل الحزب الحاكم اتباعه من رجال الدين لإصدار التعليمات والوصايا الدينية لانتخاب الحزب الحاكم، فضلاً عن انه جعل رجال الدين من مرشحيه المهمين وعلى العبيد انتخابهم، وبذلك ضمن الحاكم ان رئاسة الدولة ستبقى بيده، وضمن رجال الدين قصورهم وعجلاتهم الفخمة المصنوعة من عظام الشهداء الذين استشهدوا بسلاح كاتم للصوت، ضمنوا ايضاً حساباتهم المصرفية المتخمة بآلافٍ الجياع. قضى (احمد) ما يقارب السنتين بكتابة المقالات لتوعية عامة الشعب ولم يكتسب الشهرة، اخذ (ألياس) الشهرة منه، الاسم الوهمي الذي كان يكتب من وراء ستائره، كان من الصعب عليه ان يعترف بذلك لمؤيديه ومناصريه، كان يخجل أن يقول لهم انه يخاف من فوهة بنادق الاغتيال، كانت حقيقة الامر حرصهُ على حزن ابيه، هذا كان شرط ابيه ليوافق بأن يكتب في الصحف، ولكن لن يستوعبهُ احدٌ بحسب ماهيته، ستكون النتيجة عكسية.

كان دوامي غير منتظم في الجامعة، كنا على ابواب عامٍ دراسيٍ جديد، تناولت الفطور مع (احمد) ذات صباح،

كان قد قضى عدة ايام يتنقل بين مدينة واخرى فلم أره، كنت اطمئن عليه خلال الهاتف كل صباح، وهو يطمئن على مشاعري اتجاهه كل مساء، كنا نسهر معاً، كنا نوقد النجوم الساطعات ونطفئها متى نشاء، كنا نتنفس معاً، نحلم معاً، كنا معاً في جسد واحد، على سرير واحد، بثيابٍ واحدة تمتاز بالوان قوس قزح. في صباح باكر وبالقرب من مكان عمله تناولنا الفطور، جلسنا وتكلّمنا عمَّا جرى خلال هذه الايام. حدثني حول مشاريعه، كان ينوي أن يُقدم استقالتهُ من الحزب الليبرالي وان يؤسس حزباً جديداً مستنداً الى كثرة انصاره ومؤيديه خلال هذه المدة، بالاضافة الى جميع من كانوا على تواصل معه هاتفياً لتحديد موعدٍ للتظاهر، او للاعتصام إن تطلب الامر، كي يجبروا الحكومة على قبول إشراف الامم المتحدة على الانتخابات المزمع اقامتها، كان لهُ عدة آراء، كانت له عدة خلافات مع الحزب الليبرالي لكونهِ كان غير مُقتنعٍ بما يكّنوا من كراهية وبغضاء للمتدينين وطقوسهم، هم ليسوا حياديين، كان في رأيهم عدم اتباع أي دين يعني انك مثقف، وعدم الاعتراف بوجود الرب يجعلك ثورياً، كان خائفاً على انصاره، كان حائراً بين ضم انصاره الى الحزب الليبرالي وتشكيل حزبٍ خاص وتحمُل تبعاته مهما كانت، كان قُرب الانتخابات يمنعهُ من العُزلة. رأيت فيه الزُهد وحُسن الخلق، رأيت فيه ايضاً الفكر الواعي ومبادئ الكُتب السماوية،

كان لا ينـوي الحصـول عـلى المكاسـب المادية او تـرؤس الصفقـات عـلى حسـاب قـوت البُسـطاء، لمسـت ذلـك حـين حدثنـي عـن عملـه. يـرأس (احمـد) قسـماً صغـيراً في المـصرف الـذي يعمـل بـه، كانـت كفاءتـهُ وخبرتـهُ تؤهلـه لمنصـب اكـبر، ولكنـهُ رفـض، عـرض عليـه الكثـير وترقـى لأكثـر مـن مـرة إلا انـه رفـض. رفـض بسـبب مـرض الوسـاطة المتفـشي في بلادنـا وهـو لا يخضـع لهـا، ونحـن نتحـدث بصـدد (زيـاد) والقـروض الاسـتثمارية، اخـبرني بأنـه لم يتسـلَّم مهـام أي منصـب يُـوكلُ إليه اعـلى مـن منصبـه حتـى لا يخـسر وظيفتـه، حـين يرفـض وسـاطة أي شـخص مهـم في أي حـزب سـيتعرض لـلأذى، كانـت الضوابـط والقوانـين تحكـم حياتـه كالكتـاب المقـدس، مـن حُسـن حظـه، كان مديـرهُ رجـلا لـهُ نفـوذه الكبـير في الحـزب الحاكـم بسـبب صلـة قرابتـهِ بعائلـة الرئيـس، كان يحَـبُ (احمـد) كثـيراً ويشـجعهُ عـلى نشـاطاتهِ الفكريـة، كان امـرهُ غريبـا، كان لا يؤيـد الحـزب الحاكـم ولكـن قرابتـهُ مـن السـلطة الحاكمـة كانـت وسـيلته في ادارة المـصرف الـذي يعـدُّ اكـبر المصـارف في بلادنـا. في نهايـة حديثِنـا قـرر (احمـد) ان يُجـدد يومـاً للتظاهـر في مركـز المدينـة، كـما قـرر بـأن يـترك فِكـرة تأسـيس الحـزب الى ان تظهـر نتائـج المظاهـرة ومـا سـتثمر.

جـاء النـادل مصطحبـاً الطعـام فأنهـى حديثنـا الـذي كان قـد اوشـك أن ينتهـي، وضـع الطعـام عـلى الطاولـة، أطربنـا صـوت السـيدة (فـيروز)، انبثـق صوتهـا في ارجـاء المـكان قبـل ان نبـدأ

بتنـاول طعامنـا، انصـتُ لهـا مبتسـمة، كنـتُ قـد حدثتـهُ كثـيراً عــن عشــقي لأغانيهــا وشــدة ادمــاني لســماعها كل صبــاح. لم يتنـاول (احمـد) طعامـه، اقتطـع لقمـة ووضعهـا في شـوكته، مــد يــدهُ نحــوي، اطعمنــي اياهــا. وانــا اتناولهــا اغمضــتُ عينـي، اغمضتُهـا لأنصـتَ لِما تحملـهُ هـذه اللحظـة مـن جمال، اغمضتُهــا لأنصــتَ لفــيروز وهــي تقــول في ذات اللحظــة: «نطرتــك انــا، ندهتــك انــا، رســمتك عــلى المشــاوير، يــا هــم العُمــر، يــا دمــع الزهــر، يــا مواســم العصافــير»، كانــت لحظــة تســاوي مائــة عــام مــن الحضــارة البابليــة، لحظــةٌ تــترُك آثــاراً في الــروح تفــوق عظمــة اثــار البابليــين وزقوراتهــم. اقتطــع بعدهــا لُقمــةً صغــيرةً لــه وتناولهــا ببــطء ...

قال: كانت على شفاهكِ أغْنية حَمراء، كنتُ اتوق إلى سماعها.

خجلتُ باحمرار الوجه ...

قلت له: وما طعمها؟

قال: كطعم الثلج.

ارتجفــتُ مــن نعومــة الــرَد، تعثــرت عينــاي وســقط قلبــي منــي، لم اعــد اقــوى عــلى كبــت مشــاعري، انــا اجلــس امامــه وقلبــي يركــض نحــوه تــاركاً قيــود العــادات والقيــم، اردتــهُ ان يواصــل الغــزل ...

سـألتهُ بسـذاجة: كيـف يكـون للثلـج طعـم، هـو مـن المـاء، والمـاء لا طعـم لـه؟

قـال: للثلـج نشـوة، والنشـوة يمكنُنـا ان نشـعر بهـا بحواسـنا الخمـس، اخـترتُ منهـا حاسـة الـذوق للشـعور بهـا، أنـا اروم التهامـك.

لأول مـرة نتبـادل النظـرات بهـذا القـدر، ظـل ينظـر في عينـي وانظـر في عينيـه عـدة دقائـق، اسـتمرينا لنقـول كل كلمـة منعنـا الخجـل مـن النطـق بهـا، في هـذه الدقائـق شـعرتُ أنـه عانقنـي مئـة مـرة او اكثـر. قطـع حوارنـا الصامـت شـخصان جلسـوا بالقـرب مـن طاولتنـا، احدثـا ضجـةً عنـد جلوسـهما فتوقفنـا عـن الغـرق. واصلنـا تنـاول الطعـام المغمـور بعطـرهِ الجميـل، ذلـك الصبـاح كان عطـره يفـوح كشـلالات (نياجـرا)، لم يتوقـف قـطُّ، هـل شـعرتُ بذلـك لأننـي اعشـقه؟ أو لأننـي اشـتقتُ إليـه؟ لم اكـن اعلـم. تناولنـا القهـوة ومـع اول رشـفة ...

قال: حبيبتي انتِ.

مـاذا علـيّ ان اجيـب؟ كان موقفـاً عصيبـاً، انـا لم اسـمع هـذه الكلمـة مـن قبـل، تجـاوزتُ الثلاثـين مـن العمـر دون ان اكـون حبيبـةً لرجـل، لم اعشـق قبلـه.

هل اقول له إنني تجاوزت عِشقهُ وبدأت بالهيام؟

هل اخبرهُ عمّا يحدث لي حين اغفو على صوته عند الليل؟

هل اخبره بأنه حبيبي؟

ابتسمتُ، لم قل شيئاً، ابتسمتُ فحسب.

قـال: طلبـتِ إليَّ ان اشـكركِ بقصيـدة، في الليـالي القليلـة الماضيـة كتبتُ لـكِ عـدة ابيـات، أتسـمحين لي بـأن اخـبرَكِ بـما اشـعُر بـه اتجاهـكِ؟

قلت: اتمنى ذلك.

انهى فنجان قهوته، شفتاه وانا أنعم النظر فيهما، تَحركت.

قال:

كـم انـت تُـعـجـبـني.. تـقـولـهـا الـعـين بـمـلء

نظرها و تُـكـررهـا .. كـم انـت تُـعـجـبـنـي

كـم انـت تـمـتـلـكُـنـي.. احـيـا بـابـتِـسـامَـتـك

واقـتـل بـخـوفـك فـلـماذا بـخـوفـك تـقـتـلـنـي؟

خـوفـك يـجـرح كـلـمـاتـي وهـي فـي

نـعـيـم عـذابـك كـلـمـا كـتـبـتُـهـا تُـدخـلـنـي

تـقـرع اجـراس الـفـرح في قـلـبـي كـلـمـا

بـعـذب كـلامـك ورقـة صـوتـك تـغـمـرنـي

اعـشـق عـيـنـيك بـنـظـرتـهـا الـشـاردة

حين عـن وصــف حـبـك أتـحدثُ تـتـرُكـنـي
كـلامـك الـصـامـت وصـمـت كـلامـك
والـشـوق فـي سـجـن عـيـنـيك يـأسُـرنـــي
يـأسُـرنـي مـع تـنـهـيـد قـلـبـي لـتَذوق شَـفـتـيـك
فـــي خـــيـــال واقـعـي تـذوقـتُـهـا .. أ تـصـدقـنـي؟
حـبـيـبـتي .. رحـيـقُ عـطـرك يـشـطـرنـي لـنـصـفـيـن
ثـم يـجـمـعـنـي ثـم يـبـعـثـرنـي فـيـلـمـلـمـنـي
إن اشـتـقـت .. وددتُ أن أتـكـئ عـلـى كـتـفـك
فـكـل قُـربٍ مــن جــســدك يـــســـعـــدنـــي
لا تــتَــردد فــي الـقـُرب مـن قَـلـبٍ يـنـبـضُ حـبـهُ
مـطـراً من أجــل شـفـاه ان ابـتـسـمـت تـرُعــدنـــي
يــا بـسـتـان آمـــالـي مـــتـى ســأقـطـف ثـمـارك
يـــا لـــيــل عِــشــقــك كـَفــاك .. كـَفــاك تـسـُهـدنـــي

زرعَ الــف زهـرة اوركـيـد ثـمُ قطفهـا مـن أجـلي، جمـعَ كل الحُـزن الـذي عرفتـهُ مـن قَبل ثـم حطمـهُ كــجَرة مـاء صغـيرة، اماتنـي واحيـاني.

القـاؤهُ للشِعر كان كطعم الـدفء في الليلـة الاخـيرة مـن ينايـر، حـركات يـدهِ، تعابـير وجهـه، كانـت جميعهـا متناغمـة كحفيـف اورق الشـجر. جعلَنـي أرى الشـمس وقـت الكسـوف، رأيـتُ شـيئاً لم يحـدث في حيـاتي مـن قبـل، كان الـكلام نابعـاً مـن قلبـه، كان يشـكو كل كلمـة قالهـا، رأيـتُ السَـهر بـين القـوافي، رأيـتُ عـدد فناجين القهـوة التـي تناولهـا في اثنـاء الكتابـة، أخبرتنـي المعـاني بذلـك.

قلـت لـهُ: شـكراً لأنـك كتبـت مـن أجـلي، قصيدتـك جميلـة جـداً، انـت مُتمكـن في انتقـاء الكلـمات، تكتـب بأناقـة، كـما أخبرتُـكَ مسـبقاً، انـت لا تكتـب إلا مـا تشـعر بـهِ، ولكـن لِمَ بهـذا الصـورة صورتنـي؟ انـا لسـت خائِفـة؟ كـما انني لسـتُ مُـترددة؟

قال: انا اشعر بذلك، لعلّي أكون مخطئاً.

قلـت: انـا أحبُـك، لـن أقتلـك، حتـى اني اخـاف عـلى عينيـك الجميلتـين مـن الحسـد.

ابتسم، قال: أتريدين الحقيقة؟

قلت: بكل تأكيد.

قـال: السـبب فيـما كتبـت هـو ردة فعلـك حـين وضعـت يـدي عـلى كتفـك، في ذلـك اللقـاء الـذي لم نَتمكـن مـن انهائـهِ حتـى شُروق الشـمس.

قلـت: لم تكـن لي ردة فعـل سـيئة، دع المشـاعر هـي التـي تجمعُنـا، لا تفكـر في تصرفاتنـا، أحبـكَ، لم أحـب بـشراً مـن قبلـك، انـا لم اجلـس بالقـرب مـن رجـل حتـى، تصـور الامـر جيـداً، انـا لسـتُ ككل النسـاء، انـا اختلـف عمَّـن يسـتمد قوتـه مـن تجاربـه، انـا أكـون مـرة واحـدة فقـط، قلبـي لم ينبـض لغـيرك مـن قبـل، رفضـتُ الكثـير حتـى اتُهِمـت بالغـرور، القناعـة اسـاس كل تصرفـاتي.

طلـب (احمـد) القهـوة مجـدداً، قـال: انـا اعرفـكِ جيـداً، اعتـذر، سـأُلقن مشـاعري درسـاً لمـا قالتـهُ.

نظـر الى سـاعته، ثـمُ أعـاد يـدهُ كـما كانـت، ارتبـك قليـلاً ثـم طلـب إلى النـادل أن يـسرع بجلـب القهـوة لأنـه تأخـر.

قلت له: تأخرت عن موعد عملكِ أليس كذلك؟

قـال: قليـلاً، احيانـاً أصـل مُتأخـراً، ولكـن المديـر لا ينبهنـي لـشيء.

قلـت: أحسـدك عليـه، قلـت لي إنـه يحبـك كثـيراً ولا يرفـض لـك طلبـا.

قـال: ليـس ذلـك فحسـب، انـا حـين اتأخـر أبقـى لمـا بعـد انتهـاء الـدوام سـاعة او اكثـر لأنجـز المهـام المنوطـة بي، لا أخـرج وعـلى عاتـق يـوم غـد اي عمـل، فأنـا اقبـض ثمنـاً في نهايـة الشـهر عـن وقـت عمـل كامـل، كثـيراً مـا يـراني المديـر

بعد ان ينتهي الدوام وانا مستمر بالعمل، لولا مقالاتي السياسية ورسائلي الاسبوعية بين اصدقائي والتحضير للندوات الشعرية والثقافية كافة لما اعتدتُ السهر والتأخير صباحاً.

شربنا قهوتنا ثم ذهب (احمد) الى عمله، ذهبتُ انا الى عملي في الصحيفة مبكراً عند الظهيرة لسد اوقات الفراغ، لا احب اليوم الذي يكون بلا عمل، لا أُحب عطلة نهاية الاسبوع، عدا تلك التي أكون فيها برفقة رفيق الروح. رفيق الروح عظيمٌ في نظري، كنت أشعر أنهُ مختلف، احسستُ بأنهُ عظيم القِيم، محترمٌ و ذو مبدأ، ذكيٌ جدا، أكتشفُ ذكاءهُ من قصائدهِ، اراد ان يُنبهَني لبرود مشاعري التي اصطنعتُها حين وضع يدهُ على كتفي، نعم اصطنعتُ ذلك، كانت مشاعري هائجة كموج البحر الذي التقينا عنده، ولكن ماذا عساي ان افعل؟

من المبادئ التي أؤمن بها (ان الرجل لا يعرف قيمة المرأة، ولكنها هي التي تُحدد قيمتها لديه)، انا على يقين بأنهُ يعرف قيمتي، لن يراني قليلة الكبرياء لو بادلتهُ تلك المشاعر التي اراد ايضاحها حين لمسني، متأكدةٌ بأنني لن اراه مُتمادياً في تصرفاته، نحن مازلنا على ضفاف علاقتنا، كِلانا لسنا كذلك، ولكن الزمان والمكان الذي نشأنا والتقينا فيه لا يكترث لما نقول ونفكر. لكل عاشق طريقتهُ في التعبير عن الحب،

مِنا مـن يظـنُ أن عينيـه سـتقولان كل مـا يريـد قولـه، لأنـه اعتـاد الصمـت خجـلاً. مِنـا مـن لا يقـوى عـلى التعبـير فيتحـدث حينـما يسـتوجب الامـر فقـط. مِنـا مـن يمتلـك قلـماً قـادراً عـلى تحويـل الانفـاس الى قصائـد، وجدائـل الشـعر الى غـزل بالطُـرق الجاهليـة، مِنـا مـن يجعـل مقاصـد كلامـهِ يرتدين فسـاتين سـهرة ليقفـن بأناقـة عـلى اذهـان وسـمع الحبيـب.

تشـكو اكثـر علاقـات الحـب مـن طريقـة التعبـير، وتتسـبب بدورهـا لأن تُتَرجـم الى سـوء تعامـل، في علاقـات الحـب يجـب ان يكـون معيـار تقييـم الحبيـب بعـد تفهـم طريقـة تعبـيره، تعبـيره في كل المواقـف، في الغضـب والفـرح والحـزن والغـزل والضجـر، يجـب علينـا ان نحكـم عـلى وفـق طريقـة تعبـير الشريـك تجنبـاً لظلمـه عنـد الحكـم عليـه. ينتـاب الخجـل اغلب النسـاء عنـد الغـزل، فهـل يعـدُّ سـكوتها في تلـك اللحظـات تجاهـلا؟ كان قـد أعـدُّ ذلـك لـولا وجـود الابتسـام، وكذلـك تبـادل المشـاعر وتوافقهـا، والاهـم كيـف تكـون متوازنـة، لا ان يكـون التعبـير مـن طـرف واحـد فقـط فيشـعر بالملـل او الاهـمـال. الرجـال في الحُـب مختلفـون كأنـواع اللهجـات في اللغـة العربيـة، يمكـن ذكـر اهمهـم بأسـس تفهمهـم للحـب، ولكـن لا يمكـن حـصر عددهـم.

مـن المُسـلمات ان اول حـب للرجـل لا يتعـدى حـدود وقـت المراهقـة، المـرأة ايضـاً (باسـتثناء جميـلات العقـل فقـط)، هنـا لا بـد ان يُرغـم في صِبـاه عـلى التطفـل والشـعور بالحـب، الحـب

وقتئذٍ يكـون اعجابـاً، ومـن النـادر جـداً ان يكـون حبـاً ولكـن عُمـر عقلـهِ لا يقبـل اسـتيعاب ذلـك حينهـا. في هـذا العمـر يـأسرهُ جمـال الوجـه فقـط، سيكون هنـا الحُـب الاول في حياتـه وحـين يعـرف حقيقـة الحُـب سـيجد ان مـا تبقـى منـهُ ذكـرى لا اكثـر، سـيعرف انـه كان عاشـقاً لتجربـةٍ ليـس الا، حينهـا سـيعرف الحقيقـة، سيعرفُ ماهيـة العِشـق، سـيعرف ان عطـر جسـد المـرأة آنـاء الليـل اشـهى مـن جسـدها احيانـاً. الرجـلُ الاجمـل في الحـب هـو الذكـي، والقبيـح في الحـب هـو الـذي ظـن أن الانانيـة والغِـيرةَ العميـاء هـي مـن سـمات الرجولـة، ذلـك الـذي يريـد الامتـلاك فحسـب وهـو لا يتقـن غـزل الصبـاح. امـا الرجـل الذكـي فهـو الـذي يعـرف كيـف يكـون عندمـا يجـب ان يكـون، هـو الـذي يضـع حبيبتـهُ في سـجنه، يضعُهـا في حبسٍ انفـرادي وهـي تـراه جنـة، يجعلُهـا قبـل لقائـه تتهجـى أحـرف اسـمه، تنطُـق بهـا وهـي تضـع احمـر الشـفاه، هـو الـذي يـدع الـكلام لعينيـه حـين تقـف ابجديـة اللغـة عنـد لقائهـما مكتوفـة الاحـرف. مـا بـين قُبحهـم وجمالهـم، يوجـد العديـد مـن الرجـال كانـوا صنيعـة طبيعـة العلاقـة التـي كانـوا يرونهـا بـين ابويهـم، او صنيعـة المـرأة التي تزوجهـا مـن اختيـار امـه، بعـد ان اسـتعد فرحـاً لأن تمـلي عليـه شـخصيته، اعطاهـا لوحـة حياتـه البيضـاء لتلونهـا بالالـوان التـي تُناسـبُها هـي، هـؤلاء لـن تجدهـم في كتـاب الحـب، هـؤلاء فرحـين؛ لأنهـم ذكـور فقـط. كنـت أوجـه نصائحـي الى طلبتـي في الجامعـة، ولا سـيما حـين القـي المحـاضرات للطلبـة الجـدد في المرحلـة

الاولى، كنتُ احاول جاهدة ان اشرح لهم ان مُجرد دخولهم الى الجامعة يعدُّ كسراً لمعظم القيود التي كانت تمسك بأيديهم وعقولهم ونياتهم، واحذرهم لكون هذه المرحلة خطيرة جداً، ولا سيما لمن كبتتهُ قيود سخط المجتمع العربي وحُرمات الاديان، عليهم ان يعرفوا ان شريك الحياة ليس من يكُون الاول، بل من يكُون الافضل. على الرغم من استغلالي للموضوعات الواجب طرحها في المحاضرات في علم السياسة وطرحي من خلالها الافكار التي اتبناها لتوعية المجتمع والتي منعتني امي من قولها لعدم قناعتها بها من جهة ولخوفها عليّ من جهة اخرى، فنحن امرأتان وحيدتان نقطن في مُجتمع عربي يحكُمه الدين.

هذهِ الافكار الاجتماعية استنتجتُها من قراءتي للواقع المحيط بي، بالاضافة الى ولعي بكتب علم النفس والاجتماع التي لم تفارق غرفتي منذ عشرة سنين او اكثر. كنت اطمح لتوعية الطلبة؛ لأنهم سيقودون مصيرنا في المستقبل، لأن كل واحد منهم سيشغل مرفقاً من مرافق الحياة مختلفاً عن الاخر ومن الممكن حينها ان يكون واعياً ليُفيد من حوله، او في الاقل انهُ سيُفيد عائلته التي سيكوّنها واطفاله الذين سيتربون على شاكلته. كنت استغل اوقاتي الشاغرة بالجلوس في نادي الجامعة او في حدائقها، كنت قريبة من الطلبة كثيراً، كنت ارى كل ذلك بوضوح واحاول ان انصحهم، كانت هذه النصائح تجد ترحيباً وتكون ذات

نفع عند الكثير منهم، كنت ارى حبهم لي وتواصلهم معي حتى بعد تخرجهم لما تركتهُ من تغيير لمفاهيم حياتهم ليكونوا بنضجٍ اكثر، اما من كانت نصائحي لهُ لا تتماشى مع نزواته وتراكم رواسب المراهقة في عقليته بعد ان دخل الجامعة وانصياعه لرغباته، فأنهُ كان يقول عني بأنني لست على حق، وانني اتفوه بذلك لأنني (عانس).

مع بدء العام الدراسي الجديد، اعددتُ الكثير من الافكار لألقيها على الطلبة الجدد، اعتدتُ ان اكون سعيدةً مع بدء كُل عام جديد، اشعر أن على عاتقي الكثير لأقدمهُ. وانت تتكلم امامَ وافر من الطلبة تشعر بالسعادة لما تقدمهُ من عطاء يصبُّ في مصلحة المجتمع بعد عدة سنين من وقفتك هذه، من المؤكد ان تدريس الطلبة الجدد على الحياة الجامعية شاق بعض الشيء لأنهم لم يعتادوا حُرية الرأي والتفكير، هم مازالوا يخافون النقاش او الاعتراض على رأي الاستاذ فهو غير لائق بحسب رأيه المدرسي، كنت اعلمهم كيف يبدون آراءهم دون تجريح، وألا يتقبل فكرة لا يقتنع بها إلا احتراماً للمحاضر الذي امامه، هذا في حال ان منعهُ من النقاش.

رأيتُ (بيلسان) في الحرم الجامعي، تبادلنا التحية، حدثتُها عن سعادتي لرؤيتها في الجامعة مع بدء العام الدراسي الجديد، كانت تكُنُّ لي الحب كثيراً، لطالما كانت تقول لي بأنني قدوتها في الحياة. وانا أُحادثُها رأيتُ خلفها شاباً،

كان يبعـد منهـا بضعـة امتـار، كان يُحـرك قدميـه بسـبب ملـل الانتظـار، شـعرتُ أنـه ينتظـر (بيلسـان)، سـألتُها عنـه وقالـت لي انهـا لا تعرفـه، بعـد أن أوصيتهـا بـأن تكـون مُجتهـدة مـن أجـل ابيهـا الـذي يعنينـي امـرهُ جـداً، انهيـتُ حـواري معهـا عـلى عجـل. اتصـل بي (يعقـوب)، قـال لي بأنـه تمكـن ان يشـتري اسـهماً في فـرع الشركـة التـي كان يعمـل بهـا في (لنـدن)، كانـت ذات شُـهرة لكثـرة المسـتثمرين المسـاهمين فيهـا، اخـبرني ايضـاً بأنـه اشـترى منـزلاً في حيّنـا القديـم، شـعرتُ أن هـذا الامـر أسـعدهُ اكثـر مـن عملـهِ الجديـد، مـا السـر الـذي كان يحتفـظ فيـه عـن حيّنـا القديـم؟ لم اكـن اعلـم. انهيـتُ اتصـالي والتفـت فجـأةً، رأيـتُ (بيلسـان) تتجـه نحـو ذلـك الشـاب، ثـم غـيرت رأيهـا فاتجهـت باتجـاه مُعاكـس، اتجـه هـو خلفَهـا، لم أعـطِ لـهُ اهتمامـاً، مظهـرهُ اقلقنـي جـداً عـلى الرغـم مـن انـه كان حَسَـنَ المظهـر. خـلال هـذه الايـام اسـتطاع (احمـد) ان يخطـو خطـوة مُميـزة، كانـت لـه لقـاءاتٌ مـع انـاس لهـم شـأنهم في البلـد، مسـتقلين حزبيـاً، يرومـون إنشـاء دولـة علمانيـة تُخلـصُ البـلاد مـن ايـدي تجـار الاديـان. كان اكثرهـم سياسـيين مُحنكـين وذوي شـهادات عُليـا، إلا ان حزبنـا الحاكـم واسـلحته الكاتمـة للصـوت جعلتهـم صامتـين، اتفـق معهـم عـلى تأسـيس الحـزب بعـد ان يسـتقيل مـن الحـزب الليـبرالي. كان دوره بـأن يجعلهـم مـن وجهـاء الحـزب ولا سـيما وان لهـم السُـمعة الثوريـة منـذ عـشرات السـنين والاثـر الطيـب وبـين النـاس البسـطاء المؤيديـن لـه ولمقالاتـه وندواتـه والوطنيـة.

بعـد ان امتلـك هـؤلاء السياسـيون الجُـرأة لأن يهتفـوا بأصواتهـم، قـرروا ان ينضمـوا إلى مشروعـهِ في الحـزب المزمـع تأسيسـه، كان القانـون يـشرط لتأسيس الحزب بـأن تكـون فيـه عضويـة مـا لا يقـل عـن ثلاثـة الاف عضـو وان يكـون عـدد مؤسسـيه لا يقـل عـن خمسـين شـخصا. تَوافَـقَ ورفاقـهُ في ان يستوفوا كل الـشروط، لا سيما في اعـداد برنامـج سياسي الـذي تـم تقديمـه، انتهـزوا ايضـاً فرصـة المُظاهـرة المُزمـع القيـام بهـا مـن اجـل ارغـام الحكومـة بـأن تسـمح للفـرق الدوليـة بمراقبـة الانتخابـات القادمـة، كان العـدد وفـيرا جـداً، اسـتطاعوا ان يكسـبوا اكثـر مـن سبعة الاف عضـو لحزبـه الجديـد، كـما اسـتطاعوا اجبـار الحكومـة بـأن تصـدر قـراراً يسـمح للمراقبـين الدوليـين بمراقبـة الانتخابـات القادمـة ولـن توجـد اي لجـان حكوميـة في مراكـز الاقـتراع.

انشـغل عنـي في هـذه الاسـابيع، لم التقِـه، كنـت اتصـل بـه يوميـاً، والقـاه عنـد الصبـاح لبعـض الايـام، لم اقـل لـه الى الان بأننـي اخـرج قبـل سـاعة او اقـل عـن موعـد عمـلي مـن أجـل ان اراه.

ذات صبـاح لم أره، مشـيت في طريقِنَـا وحـدي، كنـت اشـعر بـهِ بقـربي، ولكـن عطـرهُ لم يكـن حـولي، اشـتقت إليـه، اتصلـت بـه ولم يـرد عـلى اتصـالي، قلقـت بشـأنه. مـر يـوم اخـر ولم أره، لم أرَ اي ضـوء ينبعـث مـن منزلـه لأطمئـن عـلى وجـوده، راقبـتُ منزلـهُ طـول الوقـت، لم أره، لم يَـرد عـلى جميـع اتصـالاتي.

التقيت (سارة) في المقهى عند المساء، طلبت انا لقاؤها، كنت قلقة جداً ولم استطع البقاء في البيت اكثر، كانت صحتها ليست بالجيدة، كانت قد مُنعَت من الخروج ولكنها خرجت من أجلي. التقينا، وما ان بدأتْ (سارة) بالحديث شَعرتْ بقلقي، سألتني عن السبب، اخبرتُها عن غياب (احمد) منذ يوم امس، اخبرتُها عن مخاوفي بشأن نشاطاتهِ الاخيرة، هل اعتُقل؟ هل حدث له شيء؟ انا على وشك الانهيار. تبادلنا الحلول عديمة الجدوى، وانا افكر في احدى هذه الحلول لعلهُ ينقذني من الانهيار انهمرت من عيني دمعة، اخفيتها، ولكنني لم اتمكن من اخفاء الدموع التي انهالت بعدها. مُتعبة انا، بقيت (سارة) تحاول ايجاد حل يأخُذ بأيدينا، وانا مُستمرةٌ بالبكاء اخرَجتْ (سارة) من حقيبتها علبة مناديل صغيرة، اعطتني واحدة منها، بقيت صامتة، مَسحتُ الدمع من وجنتي ولاحظتُ (سارة) تُحدق في اسم علبة، بَقيتْ تُقلبها بيدها وتقرأ اسم الشركة المُصنعة.

قلت: ما بكِ؟

قالت: انتظري لحظة، هل تذكرين عيد ميلاد (احمد)؟

قلت: نعم، وما علاقتهُ بالأمر؟

قالت: تذكرتُ احدى النساء اللواتي التقيناهُنُ في وقتها، احداهُن جلست بقربي على الطاولة، تحدثتُ معها فأعطتني

رقـم هاتفهـا، كانـت زوجـة احـد اصدقـاء (احمـد)، سـأحاول الاتصـال بهـا لعلهـا تعلـمُ شـيئاً عـن (احمـد)

كان الاسـم المكتـوب عـلى علبـة المناديـل يشـبه اسـم هـذه المـرأة، اسـعدني دهـاء (سـارة)، وهـي تُحـاول الاتصـال تركـتُ مـكاني، جلسـتُ بجنبهـا بعدمـا كنـتُ اجلـس امامهـا. عَلِمنا أن والـدهُ قـد تـوفي في سـاعة مبكـرة مـن فجـر يـوم امـس. حزنـت جـداً مـن أجلـه، كان يحـبُ والـده كثـيراً، حدثنـي في آخـر لقـاء لنـا بأنـه يشـتاق إليـه وانـهُ لا يملـك الوقـت الـكافي لرؤيتـه لانشـغاله بنشـاطهِ السـياسي، حتـى في ايـام العُطـل كان منشـغلاً في التجـوال بـين المُـدن مـن اجـل الاسـتعداد للتظاهـر. تمنيـتُ بأنـهُ قـد تمكـن مـن رؤيتـه قبـل ان يوافيـه الاجـل، اهـم مـا في الامـر اننـي الان مطمئنـة عـلى سـلامته، ولكنـه ليـس بخـير.

مـرَّ اسـبوع كئيـب اللـون، اسـتطعت ان اكلمـه عـبر الهاتـف مرتـين، وجدتـهُ متعبـا، كنـت أنـوي الذهـاب إليـه وحينـما طلبـت إليـه عنـوان قريتهـم منعنـي مـن المجـيء، كان المطـر قـد اسـتمرَّ ثلاثـة ايـام، كان السـفر الى المـدن البعيـدة خطـرا بعـض الـشيء، لم يكـن بحيلتـي سـوى مواسـاته، صليـت للـرب مـن أجـل أن يجتـاز هـذه المحنـة وان يمنحـهُ الصـبر.

صبـاح يـوم السـبت، تفرقـت السُـحب غامقـة اللـون وأشرقـت الشـمس، غادرتنـا السُـحب بعـد ان مكثـت أيامـا، اتصلـتُ بـه فأخـبرني بأنـه عـاد الى منزلـه.

غـروب الشـمس اتعبنـي كـما الانتظـار والتفكـير، ذهبـت الى بيتـه، طرقـتُ البـاب لأراه حزينـاً، انـا عـلى علـم بالحُـزن الـذي يتملكـهُ الان، جئتُ لأُقايضـه الحزن بالغـزل. صافحتُ يـده، طلبـت الى الـرب بـأن يمنـح اباه الجنـة وان يكـون مـن المغفـور لهـم، سـمح لي بالدخـول، دخلـت الى بيتـه الصغـير، كان بيتـاً جميـلاً، كل شيء فيـه عـلى مـا يـرام، كان كـما ظننتـه، مـن نـوع الرجـال الذيـن يهتمـون بأناقـة مسـكنهم، أيقنـتُ ذلـك بعـد ان قتلـت الشـكوك التـي سـاورتني بـأن هنالـك امـرأة تهتـم بمسـكنه، فكـرتُ في ذلـك وأن أدخُـل الى غُرفـة الجلـوس خاصتـه. جلـس (احمـد)، وجلسـت امامـه، حدثنـي عـمَّا حصـل، اخـبرني كيـف حالـت الطـرق المُنزلقـة بينـه وبـين رؤيتـهِ لأبيـه وهـو يلتقـط انفاسـه الاخـيرة، كان الجـو مُمطـراً ويصعـبُ السـفر بـين المـدن. اسـتغرق وصولـهُ الى قريتهـم سـاعات طـوالا، وحـين وصـلَ وجـد وجـه أبيـه قـد غُطِّـي بغطـاء ابيـض، جلـس بالقـرب منـه، اعتـذر لـه، كان مؤمنـاً بـأن الموتـى يسـمعون في السـاعات الاولى لوفاتهـم، قـدم لـه مـن الاعـذار اشـدها، ومـن الشـكر والعرفـان لمـا قدمـهُ مـن اجلـه بأبهـى الصـور، بكـى كثـيراً الى ان أغمـي عليـه، كان يشـعر بالتقصـير اتجاهـهِ، اخـبروه بأنـه اصرَّ عـلى رؤيتـه في اخـر اسـبوع لـه إلا انـه امتنـع عـن طلـب مجيئـه حرصـاً عليـه، كان منشـغلاً بمخططاتـه الاخـيرة مـن اجـل الحـزب. غـيرت مـكان جلـوسي، جلسـت بقربـه، رأيـتُ دموعـه كاللألـئ، كان وسـيماً حتـى في حزنـه، نظـرتُ في عينيـه، نظـر في عينـي نظـرة خجـل،

خجل من دموعه امامي التي لم يستطع كبتها، مسحتُ وجنتيه، كان شديد الحزن والتعب، تركته يتكلم ولم اقاطعه، كان محملاً بكمٍّ هائلٍ من الكلام كأنه كان ابكم سنوات، كان نادماً وكل من حوله قد القى عليه اللوم. تمكنتُ من ان اجعلهُ يهدأ، سألت نفسي، كيف بوسعي ان ازيح كل هذا الحزن، كنتُ حائرةً وحزنهُ شابهَ الاحتلال الفرنسي للجزائر، يحتاج الى مليون شهيدٍ وقُبلة. اعددتُ وجبةً صغيرة، اجتمعنا متقابلين على طاولتهِ الصغيرة، تمنيت ان اسرق الحزن من وجهه، تناولنا الطعام معا، حاولت ان اكلمه في موضوعات لا تمت بصلة للحزن الذي يعبث بجماله، تحدثتُ معه عن مخططات الحزب للمرحلة القادمة، تكلم شيئاً فشيئاً، استطعت ان اهون عليه في نهاية المطاف. أنهينا طعامنا، استأذنت منه كي اعود ادراجي، وان امنحهُ وقتا لينام وينال قسطاً من الراحة، ولكن على الرغم من ارهاقهِ طلب إليَّ ان امكُث قليلاً ..

قلت لهُ: منتصف الليل الان، الساعة ستقترب من الثانية عشرة .

سألني: أهذا السبب فقط؟

اجبتهُ: أتريد الحقيقة؟ انا وانت في بيتك وحدنا، انا اخشى بأن يراني احد خارجة من منزلك في هذا الوقت المتأخر،

انـا امـرأة لا اسـتطيع ان اجعـل ذقنـي طويـلاً امـام النـاس كـي امحـو اخطائـي.

قال: هل قُربُك مني خطأ ؟

قلـت: بالطبـع كلا، كلانـا ناضـج، نعـي افعالنـا، ويمكننـا تجنـب الاخطـاء قبـل وقوعهـا، نحـن نمتلـكُ العمـر و العقـل الـذي تهابـهُ المشـاعر.

ابتسـم، اسـتغربتُ مـن ابتسـامته في هـذا التوقيـت، لم يتكلـم، ارتشـف مـن كأسـه وظـل مبتسـماً، فرحـت لابتسـامته، ولكننـي بحاجـة الى ايضـاح، لِمَ يبتسـم!

قـال: كلامُـكِ يُذكـرني بمشـهد مـن فيلـم (Cannibal Holocaust) الـذي اخرجـهُ الايطـالي (Ruggero Deodato) عـام ١٩٨٠.

عرفـت قصـده فضحكـت، اجبرتـه عـلى ان يـترك ابتسـامته ويضحـك معـي، كان يُلمـح الى مـا تحتويـه مشـاهد هـذا الفلـم مـن احـداث قتـل واغتصـاب. توقفـت عـن الضحـك حـين تذكـرت ان علـيّ ان اخجـل، الموقـف مُخجـل وللحيـاء احـكام. احـضرتُ حقيبتـي ومعطفـي وهممـت بالخـروج، كنـت اسـمع صـوت المطـر حينـما كنـا جالسـين لتنـاول الطعـام، ظننتـهُ توقـف، القيـت عليـه التحيـة، تمنيـت مـن الـرب ان يمنحـه الصـبر ليتجـاوز هـذه المحنـة، وقفنـا عـلى البـاب كـي اخـرج، طلـب إليَّ ان انتظـر قليـلاً لعـل المطـر يتوقـف او تخـف حِـدة غزارتـه، لم يكـن يملـكُ مظلـة ليمنحنـي اياهـا فقدهـا حـين ذهـب الى قريتهـم.

وقفـتُ في باحـة بيتـهِ ماسـكة حقيبتـي بكلتـا يـديّ، انظـرُ الى السـماء، ظـل واقفـاً خلفـي، كانـت السـماء مكتظـةً بالغيـوم، نظـرت الى الطرقـات فوجدتهـا صعبـة السـير، عـلى الرغـم مـن ان منـزلي لا يبتعـد كثـيراً، كنـتُ بحاجـة الى السـير ثلاثـا او اربـع دقائـق. التفـتُ لـهُ لأطلـب إليـه حـلاً، وجدتـهُ لأول مـرة ينعـم النظـر الى جسـدي، كان ينظـر إلي بأفـواه عينيـه، كانـت عينـاهُ تحـوم حـول خَـصري، وانـا التفـت لـهُ ناديتـه باسـمه بصـورةٍ عفويـة فانقطعـت سلسـلة نظراتـهِ المسروقـة، اراد تـدارك الامـر ولم يتمكـن، كانـت عينـاه تشـد الرحـال الى مـا يعلـو خـصري، رنَّ هاتفـه فاسـتطاع تـداركَ الموقـف، تركنـي مسرعـاً ودخـل ليجيـب عـلى الهاتـف. انتظـرتُ دقائـق لينهـي اتصالـه، تأخـر كثـيراً، اشـتدَّ المطـر اكثـر، كنـتُ اسـمع صوتـه العـالي ونـبرة غضبـه مـن الداخـل، عـاودت الدخـول فوجدتـه قـد أنهـى اتصالـه، اشـعل سـيجارة لتـلافي الغضـب ...

سألتهُ بهدوء: ما بك؟ من كان المتصل؟

قال: لا شيء مهم، لِمَ لم تذهبي؟

غضبـتُ مـن سـؤاله، قُلـت لـهُ غاضبـةً: سـأذهب الان، تصبـح عـلى خـير.

خرجـتُ مُسرعـةً، وصلـت الى البـاب فنـادى عـليّ بصـوت عـالٍ ..

قال: قمر .. قمر .. انتظري قليلاً، انا اسف.

لم أعرهُ اهتمامي، مسك بمعصم يدي وانا افتح الباب ...

قال: قمر، انا اسف، أزعجني الاتصال، طلبتُ إليك ان تبقي معي اكثر، تعلمين كم انا بحاجتكِ، هونت عليّ الكثير، ارجوكِ لا تذهبي.

نظرتُ إليه بحِدة، قلت: انا اشعر بما تشعر به، انا نصفُكِ الثاني.

رجعنا الى غرفة الجلوس، علمتُ ان المتصل كانت شقيقته، اتصلت بهِ لتطلب إليه أن يعود بعض الاشهر الى قريتهم، كان السبب هو حقول ابيه الزراعية وما تحتويه من الالتزامات يجب الوفاء بها.

تكلمنا بهذا الشأن، اقنعتهُ بأن يطلب اجازة من العمل وان يعود الى قريتهم ليهتم بمصالح اهله، كان ذلك صعباً جدا ولكنه كان جالساً ينصت لي، لم يعترض على طلبي، كان مُطيعاً، حتى اتصل بشقيقتهِ واعتذر إليها. انهينا حوارنا ونحن جالسان على مقعد واحد، تقرب مني دون سابق انذار، وضع رأسه على كتفي واغمض عينيه، لم يتكلم، توقفت عن التنفس كي لا ازعجه. كان القرب منهُ مُثيراً، صار شعره على رقبتي، حرك رأسهُ قليلاً ثم نظر إلي، كانت أنفاسه ووجهه قُرب وجهي، توقفت الارض عن الدوران. ظل ينظر في عيني دون ان يتكلم، وحين تكلم قال لي كلمة واحدة، كلمة ترتجف حروفها من معناها،

قـال لي (أنـا اعشـقك). كان رجائـي الوحيـد ان يبقـى كـما هـو، لتبقـى هـذه اللحظـة كمجـيء الربيـع، لحظـة توحـد الجـمال والهـدوء، يغفـو عـلى كتفـي وانـا انظُـر إليـه، كنـتُ انظـر إليـه بدهشـة حُـب، كـما ينظـرُ المريـضُ النفـسي إلى لوحـات (فـان كـوخ). ظـل مُسـتلقياً، يفـترش روحـي ويتوسـد الحنايـا .

قـال: أفتقـد ابي كثـيراً، لطالمـا شـعرتُ بالأمـان بوجـوده، عـلى الرغـم مـن مشاكسـاتي في السياسـة والصحافـة كنـتُ اشـعر أنـه سيسـندني لـو واجهنـي امـرٌ صعـب، فقـدان الاب ليـس بالـشيء الغريـب عنـك يـا قمـر، أليـس كذلـك؟

قلـت: فقـدتُ ابي قبلـك بكثـير، ولكننـي لسـتُ مثلـك، انـت لم تتـذوق اليُتـمَ منـذ الصغـر، فقـدتَ أبـاك وانـت لسـت صغـير السـن، سـتتجاوز هـذه المحنـة وسـتمضي في حياتـك، هـذه هـي الحيـاة، هـذه هـي ادوارنـا، لـكل منـا رسـالة يؤديهـا، منـا مـن اسـتطاع ومنـا مـن مـات وهـو يُحـاول، ومنـا مـن مـات قبـل ان يعلـم ماهيـة رسـالته لأنـه كان منشـغلا بطفولتـه.

حدثتـهُ لأول مـرة عـن المـاضي، لم اخـبرهُ في السـابق عـن الكثـير مـن تفاصيـل حيـاتي، تفاجـأ حـين حدثتـهُ عـن السـنين متوعكـة الطفولـة، عـن ايـام صِبـا سـقيمة الفـرح، لم يُقاطـع حديثـي، ظـل ينصـت الى مـا اقـول، بقـي رأسـهُ عـلى كتفـي، بقـي صامتـاً، حدثتـهُ عـن (زيـاد)، عـن امـي واعمالهـا الشـاقة، عـن ألم الليـل واغطيـة الحرمـان،

عـن نظـرة الغـيرة لشـابة في الدراسـة الثانوية تنصـت لحكايات زميلاتهـا الُمترفـة، عـن خشـونة يـدي التـي كنـت اخجـل منهـا بسـبب غسـل الصحـون، عـن شـعري الـذي قصصتـه بعـد ان حصلـت عـلى الشـهادة الجامعيـة، تكلمـت وتكلمـت، قربـهُ اعطـاني القـوة عـلى البـوح، ثقتـي بـه منحتنـي الثقـة كـي أُعرِّفـه الى نفـسي، الى نفـسي التـي تخجـل مـن حرمانهـا. دمعـةٌ عصيـةٌ نزلـت مـن عينـي، لم اقـوَ عـلى كتمانهـا، كان الـكلام صعبـاً عـلى ان يقـال، كان مـاضي لا اقـوى التحـدث بـه، كـما كان مـن الاصعـب كتمانـه. كان الوقـتُ غـير مناسـب البتـة للحديـث بهـذا الموضـوع، طلـب اليَّ ان احدثـهُ عـن المـاضي فحدثتـه، كنـت اتمنـى وقتـا اخـر كـي ارويـه لـه، وقـتٌ لم يكُـن فيـه رأسـهُ عـلى كتفـي، انـا لا اقـوى عـلى الـكلام، تمنيـت وقتـا اخـر أشـعُر فيـه بحـواسي الخمـس، وقتـا اخـر لا أكـون فيـه هزيلـة مـن جـراء شـعرهِ وهـو يُلامـس رقبتـي، وقتـا يمكننـي الِحـراك فيـه. رفـع رأسـه، رأى الدمـع عـلى وجنتـيّ، نهـض ليجلـب لي كأسـاً مـن المـاء، عـاد وجلـس قـربي بعـد ان شربـتُ المـاء، وضـع يـده عـلى شَـعري، عبـث بخصلاتـه، كان جميـل الاطـوار وانـا مجـبرة عـلى اسـتغرابها، لأنني مـن بـلاد العـرب.

قـال: اسـفٌ لأنني سـألتك عن والـدك، كنـتُ في كل مـرة أود سـؤالك ولكـن الفرصـة لم تسـمح، الان عرفـت لمَ انـت ناجحـة في حياتـك، لم أرَ انسـاناً ذكيـاً وناجحـاً في حياتـه وإلا وكانـت نشـأتهُ صعبـة، لم يكـن كذلـك إلا بعـد ان كانـت انجازاتـهُ مؤلمـة

المخـاض، انـا اشـكرك يـا (قمـر)، لـولاك لمـا كان الامـر هَيِّنـا، انـا الان بحـالٍ أفضـل، سـأطلب الرحمـة لأبي واقطـعُ لـهُ وعـداً بأننـي لـن انسـاه، علينـا ان نؤمـن بالقـدر.

كانـت اذاني تنصـت لـه، امـا عـن حـواسي المتبقيـة فكانـت تنصـت الى يديـه، كنـت اخـاف مـن ان يغمـى عـليّ، طـوال المـدة المنصرمـة وانـا افتقـد لكلمـة غـزل منـه، لم يُغازلنـي منـذ ان دخلـت والى الان، لم يغازلنـي منـذ ان وضـع رأسـه عـلى كتفـي، لم يغازلنـي منـذ ان عبـث بخصـلات شـعري، لم يغازلنـي منـذ سـنوات مـن الدقائـق، وأنـا اعشـقهُ، بعـد ان مـضى مـن عمـري اكثـر مـن ثلاثـين عامـا، شـعرتُ برعشـة الجسـد عنـد اللمسـة الاولى، تـرك بصمتـه عـلى روحـي، بصمـةٌ لـن يمحوهـا تقـادم السـنين، تأكـدتُ بـأن لمسـة يـده وهـي تُحـرك خصـلات شـعري مـع نظـرات عينيـه، لمسـةٌ لـن انسـاها حتـى لـو اسـتحالت عظامـي الى رمـادٍ، أيقنـتُ أننـي سأشـعر بهـا حتـى بعـد ان يتفسـخ جسـدي في القـبر.

شـتّانٌ مـا بـين روح المـرأة وجسـدها، الـروح تلـك التـي تشـطرها نظـرة العـين لنصفـين لتعـود اهـداب ذات العـين لتجمعهـا مجـدداً. اللمسـة الاولى لا تخضـع لضوابط النسـيان ولا تقبـل القسـمة عـلى الليـل. اللمسـة الاولى كرائحـة المطر حـين يهطـل عـلى اشـجار الزيتـون، لـن تجـد لهـا اسـماً ولا وصفـاً ولا كلمـة لتعـبر بهـا عمَّـن يسـألك عنهـا. اللمسـة الاولى بـلا ثمـر، لـن تجـدي نفعـاً بعـد وقوعهـا،

سـيزداد العطـش بهـا ومنهـا، ستتسـع رُقعتهـا رومانسـياً وستتشـعب شـغفاً، كُل لمسـة سـتجيء بعدهـا لـن تفوقهـا جمـالاً، لا بـل لـن تكـون مثلهـا اطلاقـاً، اللمسـة الاولى لهـا نشـوة كإعطـاء العقاقـير المخـدرة لسـجينٍ سـياسي في اول يـوم لـه في السـجن، اللمسـة الاولى كشـجرة الزيزفـون، تُزهِـر ولا تُثمِـر.

شـعرت أنـه أراد ان يقـترب اكثـر ولكنـه غـيَّر رأيـه، سـحب يـدهُ وابتسـم، سـألني ان كنـت اريـد أن تنـاول معـه كأسـاً مـن الـشراب فأجبتـه بـأن الوقـت حـان لكـي اذهـب، وقـف امامي، وضـع كلتـا يديـه عـلى اكتـافي، كانـت عينـاه بأبهـى صورهـا ..

قـال: لـن اتمكـن مـن ايجـاد اي طريقـة لأشـكركِ بهـا عـلى مجيئـكِ اليـوم، لـولاكِ لمـا كنـت بأفضـل حـال، احبـكِ كثـيراً يـا اجمـل مـن عـلى الارض.

قلـت: لا شـكر عـلى واجـب، اسـتوجب عـليّ الحضـور كـما اسـتوجب عـلى عِشـقنا السـهر، هـل تعلـم ان السـاعة الان الرابعـة فجـراً؟

ابتسـم، التفـت الى السـاعة الجداريـة التـي كانـت عـلى الجـدار الـذي خلفـه ليتأكـد مـن الوقـت، لاحظـت وجـود سلسـلة فضيـة حـول رقبتـه، لم اسـتأذن منـه، تقربـتُ مـن جسـده، رفعـتُ نفـسي عـلى اطـراف اقدامـي لأراهـا، قامتـهُ كانـت تفـوق قامتـي طـولاً، و يـا ليـت عمـرهُ يكـون كذلـك.

سـحبتُها بأصبعـي الخُنـصر، التفـتَ ببـطء ضاحـكاً، لم يمنـع يــدي، اخرجتُهــا فوجــدت في نهايتِهــا قطعــة صغـيرةً كُتِــبَ عليهــا (عيناهــا الــفُ قصيــدةِ حُــبٍ مــن دون أحــرف).

اعدتُهــا لتغفــو عــلى صــدرهِ كــما كانــت، وددتُ ان اكــون بحجـم هــذه العبــارة ليعلّقنــي حــول رقبتــه، اخشــى فِراقــه، اهــوى الســكون عــلى صــدره بغـض النظـر عــن الســنين والسـاعات، اريـد عناقـهُ ايضـاً، اعشـقهُ، اعشـق كل شيء فيـه، اعشــقُ حتــى اثــار اقدامــه عــلى الارض.

قلت له: أُحبكَ قدر انفاسك.

اخـذت معطفـي وحقيبتـي الصغـيرة لأخـرج، وجـدت المطر قــد توقــف، اردتُ ان ارتــدي معطفــي، وانــا أُعلــقُ حقيبتــي عــلى يــدي، أخـذ منـي المعطـف، وقـف خلفـي، سـاعدني عـلى ارتدائـه، ارتديتـهُ، كان قريـب الالتصـاق بجسـدي، كُنّـا قـاب شـفتين او ادنــى مــن العنــاق.

همس بأذني سائلاً: لِمَ احببتني؟

التفــتُ إليــه وصــار وجهــهُ قريبــاً مــن وجهــي، كُنــا مُتقابــلي الشــفاه ...

أجبتهُ مُتسائلةً: لِمَ علقتَ تلك العبارة بقلادتك؟

قال بتأنٍ: لأنكِ مُثيرة بضم الميم.

ابتسمتُ وظلَّ ينعم النظر في شفاهي تارة وعيني تارةً اخرى

سألني: هل تحبيين؟ لِمَ احببتني؟

قلت له: لأنكَ أسمر، بِضَم الشفاه.

خرجتُ مُسرعة، لم التفت إليه، خجلتُ من المشاعر التي طغت على الكلام، تفوهتُ بالاحساس بدل الاحرف، نطق القلب قبل اللسان، لم اعد اهتم لما يجب ان يُقال وفي اي توقيت، بعد اللمسة الاولى لم اعُد على ما يرام.

رافقني كل شيء الى فراشي، اخبرتُ وسادتي بكل ما حصل، اعادت مُخيلتي كل شيء بأدق التفاصيل والعطر، كررتُ استذكار هذا اللقاء بعدد الاجرام السماوية، تمنيتُ ان اعود الى ذلك البيت بالفستان الابيض.

سافر (احمد) الى قريتهم بعد بضعة ايام، ودعني على عجل ذات مساء، عدتُ بعدها الى البيت لأجد ما يُعكر صفو ايامي، وجدتُ ما يُعكر مزاجي، وجدت (صالح) في بيتنا !!دخلت الى البيت، واذا (بصالح) قد حلَّ ضيفاً ثقيل الدم علينا، حلَّ غير مرحبٍ به اطلاقاً، بسبب فظاظته، كيف يمكنني ان القنه درساً كما الدروس التي القنها اياهُ في الجامعة، كانت امي جالسة معه وقد رحبت به قبل مجيئي. لاحظتُ من طريقة جلوسه انه تكلم مع امي بشيء قبل مجيئي، وانه قد عرف نفسه لها، من المؤكد انه استهل كلامه بالطابع الديني كما اعتاد في العمل،

استغلهُ حتى يكسب ود من ينصتُ إليه، القيت التحية وجلست امامه، قلت له بوجه عبوس: بمَ اخدمكَ يا (صالح)؟

قال: تكلمتُ مع والدتكِ قبل حضوركِ، شرحت لها ظروفي.

قلت: وما شأننا وظروفك؟! انت زميلٌ لي في العمل فحسب.

قال: جئتُ إليكم كي لا نبقى هكذا وحسب، اخبرتُ والدتكِ بأنني سبق ان تكلمتُ معكِ بشأن الزواج.

قلت: وهل اخبرتَها بعدد المرات التي رفضَتكَ فيها؟

حنى رأسه خجلاً، نظرتُ الى امي لأتلقى منها نظرات استهجان تُذكرُني بآداب الحديث التي علمتني إياها منذُ الصغر.

قال (صالح): قمر، جئتُ لأطلب يدك امام والدتكِ لعلكِ تكونين على يقينٍ بأنني جادٌّ وصادق، أتمنى ان تُفكري في طلبي جيداً، حدثتُ والدتكِ عن تجربتي السابقة في الزواج واعتقد ان هذا ليس عيباً يجعلُكِ ترفضينني.

قلت: بكل تأكيد، كل ارتباط وله حيثياته، لا يمكن لأي شخص ان يحكم على زوجين انفصلا بعد سماع أحدهما فقط، نحن لا نعلم ظروفك كيف كانت، وأهم من كُل شيء، انا لم ارفضك بسبب ذلك البتة.

قال: وما السبب إذن؟

قلت: ألمْ تُفكر في اختلاف الاديان بيننا؟ هل فكرت مَن منا سيقبل تبديل دينه؟

قال: ولِمَ نلتجأ الى هذا الامر، ديني يسمح لي بأن اتزوج من غير المسلمة، من اركان ديانتنا ان نؤمن بكل الكتب والرسل المُرسلين من عند الرب، انا لست من الذين يكفّرون من يخالفهم الرأي؟

استغربت من اجابته، قلت: ديني لا يسمح لي بالزواج من غير المسيحي.

قال: انا اعرفكِ، انتِ لستِ متشددة لديانتكِ، كما انكِ لستِ متعصبة لآراء طائفةٍ منها، هذا التحريم الذي تتكلمين عليه لا يتكلم به سوى المتشددين من ديانتكم، انتِ لستِ منهم، لنكون منطقيين اكثر، امنحيني سبباً لرفضكِ قادراً على ان يُجيب عن كل أسئلتي.

قلت: لنفرض اني فكرت في الأمر، كيف تقبلني دون حجاب، دون ثيابٍ مُحتشمة على وفق ضوابط ثيابكم؟

قال: لو انني ابحث عن ثيابٍ مُحتشمة لما جئت الى هُنا، انا ابحث عن عقل ناضجٍ وكيان امرأة مُكتملة، صدقيني، لن اجبركِ على شيء، لكِ حرية المُعتقد والدين والملبس، سأرغبكِ بالدين الاسلامي بُغية اعتناقه لا اكثر،

لكنني لـن اجـبركِ عـلى شيء، لـكِ ان تمـارسي كل طقـوس ديانتـكِ والذهـاب الى الكنيسـة، لـو قبلـتِ الـزواج بي اوعـدكِ بأنني سـأذهب معكِ الى قُداس يوم الاحد واجلس في اخر الصـف مُسـتمعاً.

فكـرتُ سريعـاً، لِمَ انـا ظلمتـهُ بهـذا القـدر؟ لِمَ كنـت اقـول عنـهُ انـهُ مُتديـنٌ زائـف يهـوى الريـاء؟ لمَ لم احـاول التحـاور معـه ولـو مـرة واحـدة قبل ان احكـم عليـه؟ لم اكـن اتوقـع انـه مثقـف وحيـادي بهـذا الشـكل، كيـف اتوقـع وانـا لم امنحـه حق القـاء التحيـة؟ ظلمتـهُ، وسـأظلمه الان اكثـر بقـولي الحقيقـة، انـا لا اصلُـح للـزواج لأني لي نصـف روح، نصـف روحـي الاخـر لـدى (رفيـق الـروح) لم يَعـدْ الامـر بيـدي.

قلـت: شُـكراً لزيارتـك، اعِـدك بأننـي سـأفكر في الامـر وسـأبلغُكِ قـراري في اقـرب وقـت، أتـود شرب القهـوةِ مجدداً؟

علـمَ (صالـح) القصـد مـن سـؤالي، فهـمَ قصـدي الـذي يُخبرهُ بانتهـاء مـدة الزيـارة وعليـه ان يخـرج، نظـر الى امـي نظـرة عتـب، لم يقـوَ عـلى فِعْـل غـير ذلـك.

قـال بابتسـامة مُصطنعـة: سـيدتي الفاضلـة، شـكراً لحسـن الضيافـة.

خـرج ولم يلتفـت لي، لم يكلمنـي، شـعرتُ بنـدم شـديد اتجاهه، لم اتوقـع بأنـهُ جـاء ليُقـدم تنـازُلاتٍ بهـذا القـدرُ وانـا لم اكلمـهُ بأسـلوبٍ لائـق ولـو مـرة واحـدة،

حتـى اننـي كنـت اجلـس بطريقـة تسـخر منـه، انـا لم انتبـه لذلـك إلا حـين خـرج. تلقيـتُ توبيخـاً شـديداً بعـد الـذي حصـل، منـذُ سـنوات ولم توبخْنـي امـي بهـذا الشـكل، كان اسـتغرابي مـن تدخلهـا في قـراراتي، لم تتدخـل مُسـبقاً في اي شـخص تقـدم لي، عندمـا سـألتها عـن السـبب اجابتنـي اجابـة مؤلمـة، طلبـت إليَّ ان انظـر إليهـا كيـف تمشي بصـورة منحنيـة، ان انظـر إليهـا وهـي باتـت لا تقـوى عـلى الحركـة دون اتـكاء، ان انظـر إليهـا وأن أعُـد كـم تبقـى لهـا مـن السـنين في هـذا الحيـاة، كانـت تريـد ان تطمئـن علّي قبـل ان تفـارق الحيـاة كـما كل الامهـات، كانـت لا تعلـم مـن احتـلَّ عقـلي وسـلبني ارادتي. لم أر امـي بهـذا الانفعـال مُنـذ سـنوات، كَـبُرت وبانـت عليهـا طعنـات الشـيخوخة، يـزداد خوفهـا عـلى مسـتقبلي كل يـوم وانـا لا ابـالي، كانـت تُحدثنـي كأنهـا حملـت عتابهـا مـدة ليسـت بالقليلـة، اخـر مـا قالتـه لي: متـى أغفـو دون ان أعـد عمـركِ كـم يصبـح لليـوم التـالي وانـت بـلا زواج، هـوت امـي عـلى الارض بعـد سـاعتين مـن شِـجارها معـي، كنـت احـاول تهدئتهـا قـدر الامـكان حتـى اننـي لم اجادلهـا بـشيء، اغمـي عليهـا، نقلتهـا الى المشـفى فأخـبروني بأنهـا بحالـة سيئة، اصيبـت امـي بتخثـر في الاوعيـة الدمويـة في الدمـاغ نتيجـة ارتفـاع حـادٍ في ضغـط الـدم، انـا السـبب بـلا شـك، هـل انـا السـببٌ؟

ام عمرهـا الـذي تجـاوز الاربعـة والسـتين عامـا؟ تَطلـب تعافيهـا عـدة ليـالٍ مـن السـهر في المشـفى، كان تلقيهـا للعـلاج

صعبا بسبب كثرة امراض الشيخوخة التي تشتكي منها، استطاعت بعدها من ان تتعافى، ولكنها لم تعُدْ كما كانت.

بعد بضعة ايام استطعتُ ان اتحاور معها وان انال بعض رضاها، كانت غاضبة مني كثيراً، استغرقتُ ساعات في ان اوضح لها ماهية تفكيري وماذا اريد، نسيت ان اقول لها انني لست املك ما اريد، انا معلقةٌ على شرط، تكلمت معي كلاماً جعلني اعيد التفكير في كل شيء، كشفت امي لي كم كنت مُخطئة، المشكلة الاعظم اننا حين نخطئ في قراراتنا وطريقة تفكيرنا في اتخاذها لا نعلم في وقتها اننا على خطأ، في نهاية الامر نعلم ذلك، حينها قد يُبقي لنا القدر بعض الوقت لإصلاح ما افسدته الظنون واحياناً لا يُبقي لنا شيئاً، كان قلبي الباطن لا يرى غيره، منذ ان كنت أراقبه خفية من على نافذة غرفتي، كان قلبي الظاهر يعامل الناس بالممكن، ولهذا السبب ومن حيث لا أدري كرهتُ (صالح) وبغضتُ تقربهُ مني، كان حبي لهُ يحتل القلب والعقل، لو افترضت أن (صالح) كان يراني مجرد زميلة عمل او حتى صديقة كالاصدقاء الذي امتلكهم في الصحيفة او في الجامعة ما كنت لأكرهه، كنت سأعاملهُ بالود كأي صديق او زميل، ولكن مجرد تقربهِ مني ومحاولته للتقرب مني بالكلام الجميل كل صباح جعل عقلي يبغضه ولا يتقبله، لا بل بدأت بالتهيؤ بأشياءَ سيئة وافتعال امور لم يفعلها هو،

فضـــلاً عـــن افترائـــي عليـــه بأنـــه يدعـــي التديـــن الزائـــف لإصـلاح الاخريـن وتقديـم المواعـظ لطلبتـه وهـو كاذب، وهـو لم يكـن كذلـك، لاحظـتُ الان ان حبـي (لأحمـد) كان السبب في كلِ هــذا الظـن، وان عقـلي رافـضٌ لأي فكـرة تحـاول ولـو وهمـاً ان تمـس بحبـي لـهُ، هـا انـا احتكـرُ نفسـي لـه دون ادنـى إرادة، كنـت احـاول، احـاول فحسـب، كيـف يمكـن لي ان اعـرف مصـيري مـع (احمـد)، حاولـت ان اسـتحضر مـع نفسـي بعـض الاسـئلة التـي يمكـن لي مـن خلالهـا اسـتدراج اجابتـه، اود ان اعـرف كيـف يُفكـر في مصيرنـا، هـل يـود الـزواج بي ام لا؟ أتعبتنـي تلـك الظنـون، حَرمتْنـي مـن النـوم أيامـا، كُنـتُ في صراعِ بـين العقـل والقلـب، لم أقـف بصـف احدهمـا، لأن للقلـبٍ لسـانا لا يمكـن للعقـل اسـكاته.

في احـدى الليـالي سـهرت مـع هـذا الـصراع، كان يخيفنـي تسـاؤل مهـم، انـا رفضـت (صالـح) لاختـلاف الاديـان بينـي وبينـه، كيـف لي ان اقـدم (احمـد) لأمـي وديانتـي؟ هـل يمكـن للحـب ان يكـون ذريعـةً لقبـولي الـزواج؟ مـاذا أقـول لأمـي لـو خـيرني (احمـد) بـين دينـي والـزواج بـه؟ في نهايـة المطـاف، قطعـتُ وعـداً عـلى نفسـي، لـن اتـردد في تـرك دينـي مـن أجلـه، لـن اتـردد عـن الالحـاد لـو تطلـب الامـر، وانـا اشـد العـزم حـول هـذه القـرارات التـي تجـول في مخيلتـي لأنتـصر في الحـرب التـي نشـبت بـين نصائـح أمـي وحبـي لـه ..

بعـث لي (احمـد) رسـالة الكترونيـة، كتـبَ فيهـا: «اتـوق إلى

تأمُل عينيكِ، كي تشفى كدمات الشوق من جسد الحنين، اتصلت به على الفور، اجابني، واول كلمة قالها كانت: «اشتقتُ إليكِ»، لم اتكلم في اول عشر ثوانٍ من اتصالي، حالت انفاسه بيني وبين حنجرتي، لم أقوَ على الكلام وانا مازلت اشعر بأصابع يدهِ وهي تتخلل خصلات شعري، وانا اسمع صوت انفاسهِ عبر الهاتف تنطبق اضلاعي على بعضها لإثارتي به، تكلمتُ معه، سألتهُ عن احواله، كرر كلمة «اشتقتُ إليكِ» عشرات المرات، سألتُ كيف لي ان أقبل كلماته الجميلة، انهيت اتصالي وانا على امل ان القاه، لن المس كل شيء لمسهُ في جسدي في اخر لقاء لنا.

ذات صباح لفت انتباهي جلوس (بيلسان) في احد مقاعد الحرم الجامعي برفقة ذات الشخص الذي رأيتهُ ينتظرها في اخر مرة، كانت طريقة جلوسها ونظراتها لهُ تعطي طابع الاعجاب، كانت هيئتُها لا تعجبني، لم تكُن مُجتهدة كما ظننت، ليس كما اعتدتها، ليس كما ظن ابوها بها، كنت عندما اتصل (بزياد) ويتطرق لسؤالي عن مستواها الدراسي، كُنت امتدحها، كنت ابالغ في نشاطها، في حين انهُ في الآونة الاخيرة بات ضعيفاً، كانت جيدة السلوك، تبادل الاحترام لكل زميلاتها واساتذتها، إلا أن لقاءها مع هذا الشخص كان ينتابني الكثير من الشكوك حوله، انا لا اعرفهُ من قبل، لم أره ولكنه لا يليق بها البتة، كيف تعرفتْ إليه ولماذا؟

ولِمَ هـذا التعلـق بـه وهـي لم تمـضِ إلا بعـض الاسـابيع في العـام الـدراسي، منـذُ متـى وهـي تعرفـه؟ كان (زيـاد) رقيبـاً عـلى (بيلسـان) بشـكلٍ اكثر مـن المعتـاد، حتـى انني نصحتـه ذات مـرة بـأن يمنحهـا الثقـة كـي تكـون جديـرة بهـا وإلا فسـتكون النتيجـة عكسـية، كان دائـماً يقـول لي بـأن الثقـة لا تُمنـح الى البنـت إلا بعـد ان تجتـاز عمـر المراهقـة، لأن في هـذه المرحلـة يكـون عقلهـا مُلـك مشـاعرها ولا تجيد التفكـير، فكيف سـأمنحها الثقـة، ولهـذا كان فرحـاً حـين دخلـت (بيلسـان) الحيـاة الجامعيـة لكونهـا قـد نضجـت واجتـازت مرحلـة الخطـر بحسـب وجهـة نظـره، كنـت أخالفـه الـرأي جـداً، ولكنـهُ اولاً واخـيراً صاحـب القـرار في حياتهـا.

اخـبرتُ (صالـح) بـأن طلبـهُ تلقـى الرفـض، كـما كان متوقعا، لم يلـقِ أيـة تحيـة صباحيـة عـليّ بعـد أن أخبرتـهُ، شـعرت أنني ظلمتـه، انبني ضمـيري، إلا انني في نهايـة المطـاف قـد وجـدتُ العـلاج النهائـي لفظاظتـه، ووجـدتُ الخـلاص مـن الكـم الهائـل مـن الضجـر الـذي كان ينتابنـي كلـما أراه، اسـتطعتُ نسـيانهُ في ايـام قليلـة، ولا سـيما انني لم اعـد أراه في غرفتـي، ترقـى (صالـح) عـن طريـق الحِـزب فأصبـح مسـاعداً لعميـد الجامعـة، لم اذهـب لتهنئتـه بمنصبـه الجديـد، خِفـت مـن أي ردة فعـل منـه ينتقـم بهـا مني، او انـه يسـتذكر ترحيبـي غـير اللائـق بـه حـين زارنـا، فكـرتُ في انـهُ حتـماً كان ممتنـاً لي لكـوني لم اخـبر احـداً مـن التدريسـيين بأنـه تقـدم لي ورفضتـه، كنـت اعلـم أن

هــذا الموضــوع مهــمٌ بالنســبة إليــه، لطالمــا كان خائفــاً مــن ان يــراهُ احــدٌ وهــو يتلقــى اهاناتــهُ منــي، كان يراقبنــي حيــن أكــون وحــدي ليتكلــم معــي، كان يهــاب حــوارات الوظيفــة، وهــو مُحــق فــي ذلــك، لأن مــا يحــدث فــي اماكــن العمــل لا ينســى مــع تقــادم الزمــن.

شــهد الوضــع الســياسي الكثيــر مــن التطــورات مــع بــدء الحمــلات الانتخابيــة، مــع بــدء موســم الوعــود الكاذبــة والمزايــدات بالقيــم الوهميــة مــن اجــل الضحــك علــى اكبــر عــدد مــن الناخبيــن، بــات الحــزب الحاكــم خائفــاً مــن مصيــره المجهــول مــع انتصــار ارادة الشــعب فــي ان تكــون عمليــة الاقــتراع تحــت انظــارٍ دوليــة، و بأثــر هــذا التخــوف بــات يعتقــل اكبــر عــدد مــن الناشــطين مــن بقيــة الاحــزاب بُغيــة اســكات اصواتهــم و الحــد مــن كميــة العقــول التــي جعلوهــا تفكــر فــي مــن ســتنتخب، بعــد ان تــم توعيتُهــا بــألا تنتخــب بحســب العــرق والطائفــة والحــزب، ســمعتُ خــبر اعتقــال (هشــام)، أُعتُقــل مــن بيتــه دون ادنــى تهمــة، اخــبرني (احمــد) بذلــك، كان مــن حســن حــظ (احمــد) انــهُ لم يكــن فــي العاصمــة فــي وقتهــا، رجوتــهُ ألا يعــود وان ينتظــر إلى أن تُوقــف الحكومــة اعتقالاتهــا التعســفية، ســادت الفــوضى فــي عقــول كل فئــات الشــعب، الــكل كان يشــكو حالــة الخــوف والضجــر مــن هــذه المــدة التــي اصبحــت فرصــة لتصفيــة الحســابات بيــن كل شــخصين جَمَعَــت البغضــاء بينهــم حتــى صــار مــن الســهل ان تخــبر مقــر الحــزب

بـأن شـخصاً مـا ينتمـي الى حـزبٍ مـن احـزاب المعارضـة، او ان تذهـب الى النـاس وتبـث اشـاعةً تُفيـد بـأن شـخصاً مـا هـو المسـؤول عـن اخبـار السـلطات عـن اسـماء المعارضـة.

تعرضـت الكثـير مـن المقـرات الحزبيـة الى عمليـات قتـل وتصفيـة وأعـمال تخريـب، استـمر الحـال وامتـلأت السـجون، لم ينـجُ مـن هـذه التهـم إلا مـن كان لديـه اقـارب ووسـاطات في الجهـاز الامنـي الحكومـي، ومـن لم يملُـك فأنـه سـيظل مُنتظـراً يـوم احالـة اوراقـه التحقيقيـة الى المحكمـة، ومـن الطبيعـي ان يمكُـث طويـلاً دون محُاكمـة، لأن اوراقـه بيـض وتبحـث عـن تهمـة مـا.

اثبـت الحـزب الليـبرالي مواقفـه الحياديـة والعقلانيـة وسـط هـذه الفـوضى، هـذا الحـزب الـذي كان نُقطـة انطـلاق (احمـد)، والـذي كان يـروم دعـوة انصـارهِ للانضـمام إليـه، ولكنـهُ فكـر مليـاً وأجَّـل قـرارهُ لوجـود العديـد مـن التحفظـات عـلى بعـض قياداتـه وسياسـاتهم، كنـتُ أنقـل الاخبـار يوميـاً الى (احمـد) على امـل ان يبقـى خـارج العاصمـة وألا يعـود في القريـب العاجـل، لم يجـدِ كلامـي معـه نفعـاً، لم يمكـث طويـلاً، كان شـديد الوفـاء لصديقـه (هشـام)، عـاد مـن اجلـه، لم يهـدأ لـه بـال الى ان تمكـن مـن اخراجـه مـن السـجن، اسـتطاع ان يخلصـه قبـل ان يختـار له الحـزب الحاكـم احـدى التهـم المعتـادة لـه كالتجـارة بالسـلاح او المـواد الممنوعـة بعـد ان يضـع أنموذجـاً منهـا في بيتـه لغـرض ضبطهـا في اثنـاء تفتيشـه، كان الفضـل في نجـاة (هشـام) هـي

العلاقـة الوثيقـة التـي تربـط (احمـد) بمديـره بعـد ان اسـتطاع ومـن خـلال اتصـال هاتفـي واحـد ان يـبرئ (هشـام) مـن التهـم قبـل ان تُنسـب إليـه، كان شـعار (العدالـة) يتوسـط شـعارات الحـزب الحاكـم، وقياداتـهُ لا تعـرف العدالـة إلا عنـد تقاسـم المناصـب الوزاريـة فيـما بينهـم، اتعـب هـذا الوضـع اعصـاب الجميـع، كنـا نرتقـب موعـد اجـراء الانتخابـات، او حتـى تأجيلهـا او الغائهـا، كان الوضـع يدعـو الى الهذيـان بـأي شيء، ويبقـى الـشيء الاهـم هـو ان تحافـظ عـلى حياتـك وسـط هـذه الفـوضى، أثـرت هـذه الاحـداث في تصرفاتنـا، أثـرت فيَّ تحديـداً، كان خـوفي عـلى (احمـد) يدفعنـي الى القلـق والاتصـال بـه بسـبب او مـن دون سـبب، كنـت أسـال عـن تحرُكاتـه حتـى ضجـر منـي، لم يمتنـع مـن اعطائـي كل التفاصيـل عـن تحركاتـه، حتـى شـعرتُ بأننـي اعاملـه كالصبـي، لم يكـن في يـدي حيلـة، كُنـت اخـاف عليـه كـما تخـاف الام عـلى صغيرهـا.

كان الصبـاح مُلبـدا بالكآبـة، كادت السـماء تمطـر حزنـاً، ولكنهـا في النهايـة امطـرت ذكريـات جميلـة، ذكريـات بدايـات حبـي لـه، نظـراتي التـي كنـت اسرقهـا لأحتفـظ بهـا بحـرص الى الليـل، كنـت بحاجـة لهـا قبـل النـوم، احـلام اليقظـة التـي وضعـت حجـر الاسـاس لعلاقتـي بـه، جُرعـات القـوة التـي منحتنـي اياهـا لأكتـب لـه مـا اشـاء عـلى تهنئـة عيـد ميـلاده، ذكريـاتي في كل مـا كنـت اردده همسـاً عندمـا اراه، نـور شـمس صباحـي الـذي يـشرق كل يـوم عنـد خروجـه،

عندمـا كان يعلـن بـدء صباحـي، وفي اليـوم الـذي لا اراه، يبقـى فيـه الظـلام يحـوم حـول اجفـاني، قـرر (احمـد) تغيـير منزلـه، وقفتُ كـما كنت اقـف لأراقبـه، اقـف للمـرة الاخـيرة، انـا حزينـة جـداً، يـا ليتنـي لم ازرْه حـين تـوفي ابـوه، يـا ليتنـي لم اُعلـق ذكريـاتي عـلى جـدران هـذا البيـت وباحتـه، كانـت هنـاك لي اول ذكـرى بالقـرب منـه، اول لمسـة كانـت هنـاك، اول نبضـة قلـب تختلـف عـن النبضـات المُعتـادة كانـت هنـاك، اول لحظـة اشـعر أن أنوثتـي تهـمُ رجـلا وتشـغل نظراتـه كانـت هنـاك، هنـاك رقصـت خصـلات شـعري بـين اصابعـه، عطـره عبـث بتركيـزي هنـاك، هنـاك حـين سـاعدني عـلى ارتـداء معطفـي فاقـترب مـن جسـدي، اقـترب منـي حتـى انسـاني كيـف لي ان اقـف عـلى قدمـيّ، هنـاك حـين بعثـرني، هنـاك في تلـك اللحظـة لم افـرق فيهـا بـين الشـهيق والزفـير، انتقـل الى مسـكنه الجديـد الـذي لم يبتعـد مـن حيّنـا كثـيراً، اشـترى (احمـد) منـزلاً بعـد ان حصـل ارثـهُ مـن والـده، ابقـى بيـت ابيـه مغلقـاً في قريتهـم، لم يشـأ ان يبيعـه لمـا يحملـه مـن ذكريـات، بـاع حقـل ابيـه الـذي كان يعمـل بـه فقـط، لم يكـن هنالـك مـن يقـدر عـلى ان يلتزمـه او يسـتثمره.

كان يومـاً حزينـاً، خرجـت بمفـردي دون ان القـاه، اضحـى طريقـي طويـلاً مـن دونـه، تنافـرت الخطـوات مـن اقدامـي، التـزم الصمـت وافتقـدت العطـر، كانـت هـذه الايـام الصعبـة كفيلـة في ان تجعلنـي سـيئة المـزاج، حتـى في القائـي

لمحـاضراتي، دخلـت في نقـاش عـلى غـير المُعتـاد مـع احـد الطلبـة في القاعـات الدراسـية، كان قـد اعـترض حـين قلـت ان الحاكـم لا يجـب ان يُمتـدح، علينـا شـكرهُ في بعـض المواقـف ولكنـهُ في شـتى الاوقـات مُجـبر عـلى القيـام بالأعـمال المكلـف بهـا بحكـم الدسـتور، فـإن فعـل شـيئاً لصالحنـا فهـذا واجبـه وليـس مُتفضـلا، وان قـصر بواجباتـه فأنـه قـد أخـلَّ بالتزاماتـه المنصـوص عليهـا في الدسـتور، عـلى الرغـم مـن ان دسـتورنا لا يخلـو مـن الاخطـاء والهفـوات التـي يجـب اعـادة النظـر بهـا ولكـن وجودهـا جلـب النفـع للكثـير مـن السياسـيين، ادعـى هـذا الطالـب وجـوب اطاعـة ولي الامـر، كان يجـرني في حديثـه الى انتقـاد الحكومـة وانـا احـاول تـلافي ذلـك في هـذا التوقيـت، كنـت اناقشـه في وجـوب نقـد القـرارات الصـادرة مـن الحكومـة أيـاً كانـت نياتهـا حتـى وان كان هـذا النقـد نقـداً هدامـاً مـن قبـل اطـراف المعارضـة التـي قـد لا تنـوي احيانـاً إلا لتشـويه سـمعة الآخريـن بالاتهامـات الباطلـة كـي يعلـو شـأنها، انـا اؤمـن بـأن وجـود المعارضـة لأي حكومـة شيء ايجـابي حتـى وان كان سـلوك المعارضـة سـلبياً، قـدم لي العديـد مـن الحجـج في وجـوب اتبـاع الحاكـم او ولي الامـر عـلى حـد تعبـيره، كان ينظُـر الى رئيـس الدولـة بأنـهُ ولي الامـر المنصـوص عليـه في الكتـب الدينيـة، كان يعتقـد كالكثيريـن بصحـة نظريـة التفويـض الالهـي، هـذه النظريـة التـي يُطبقُهـا المسـيحيون بالعلـن والمُسـلمين بالخفـاء، كنـت اقـدم لـه حججـا اقـوى منهـا او توازيهـا رصانـة مـن احـكام الاسـلام،

حتـى اني سردتُ لـه آيـات مـن القـران الكريـم والانجيـل المُقـدس ولم يجدِ الامـر نفعـاً، ومـا ان استسـلم للأمـر وانتهـت حججـه التـي حفظهـا تلقينـاً ليجـادل بهـا فقـط، قـال لي «لا نسـمح لـكِ النقـاش بالأحـكام الاسـلامية انـتِ لا تعلمـين منها إلا مـا تنتقدنـا بـه الكنيسـة، لا يمكنـكِ قـول شيء مـن القـرآن او حفـظ ايـة مـن سـورهِ لأنـكِ مسـيحية»، دفعنـي كلامـه الى توبيخـه بـما لم يتوقعـه، طردتـه خـارج القاعـة الدراسـية، كان متهكـماً ولا يعلـم انني اعلـم عـن دينه مـا لا يعلمـهُ ذلـك الذي ينصُـت لـهُ في دار العبـادة، قضيـت اكثـر مـن عـشر سـنوات ادرس فيهـا الاديـان الابراهيميـة، لي عـشراتُ النقاشـات الدينيـة مـع انـاس لهـم ثقلهـم في الديـن وبعـد كل ذلـك يـأتي طفـلٌ مثل هـذا يمنعنـي مـن قـراءة القـرآن وحفظـه، بعـد محـاورتي معـه وطـرده مـن القاعـة الدراسـية، اثنـى عـلى تـصرفي كل الطلبـة الحاضريـن بـكل اطيافهـم، كانـوا طلبـة حقيقيـين للعلـم ومـا ان خـرج هـذا الطفـل لم يبـقَ منهـم طالـب للجهـل والعبوديـة.

في صبـاح اليـوم التـالي كنـت اتوقـع ان توجـه لي عقوبـة اداريـة مـن ادارة الكليـة، او ان تفاقـم الامـر فقـد اجـد مذكـرة اسـتدعاء مـن الرئاسـة ليتـم توبيخـي وجهـاً لوجـه مـن المرؤوسـين الذين لا نتجـرأ عـلى مناقشـتهم كـما الطلبـة خوفـاً عـلى لقمـة العيـش، مـا لم اكـن اتوقعـه، هـو وجـود امـرٍ بإنهـاء خدمـاتي مـن الجامعـة وعـزلي عـن الوظيفـة، صدمنـي الأمـر، لم اكـن اعـرف ان الامـر سـيؤدي الى ذلـك، خـسرتُ وظيفتـي التـي كنـتُ أحبهـا جـداً،

وظيفتـي التـي كنـت احلـم بهـا منـذ ان كنـت طالبـة في الجامعـة، خسرتُهـا بسـبب عـدم التزامـي بضوابـط التدريـس وخروجـي عـن السـلوك الواجـب اتباعـه مـع الطلبـة في اعتـماد الحياديـة في نقـل المعلومـة والابتعـاد مـن التطـرف، هكـذا كان نـص القـرار، ضجـرتُ كثيراً، ذهبـتُ الى مـن وقـعَ هـذا القـرار والى مـن يعلـوه منصبـاً والى مـن يدنـوه، لم يقبـل احـدٌ بمقابلتـي، طُـرِدْتُ بصـورة لائقـة وبقـرار غـير لائـق، انكـسرت، لم يخطـر ببـالي شـخصٌ غـير (احمـد) اتصلـت بـه ولكنـه لم يـرد عـلى اتصـالي، كان مشـغولاً كعادتـه، لم اجـد لـهُ عُـذراً غـير هـذا، اتصلـتُ (بسـارة) ثُـم ذهبـتُ الى بيتهـا، اسـتطعت ان ابكـي الدمـع الـكافي للنـدم عـمَّا حصـل، ارادت لومـي ولكـن دمعـي وصداقتنـا حالـت دون ذلـك، هـل كُنـت مُخطئـة لأننـي اردت الاصـلاح؟ أو انني اخطـأت في حفظـي لآيـات واحـكام الديـن الاسـلامي كـما احفـظ للمسـيحية واليهوديـة؟ هـل العلـم اصبـح جريمـة؟ أو اننـا اقليـة لا يجـب ان تتكلـم؟ عرفـت مـن خـلال مـا حصـل بأننـا اقليـة ومـن حسـن حَظنـا انهـم سـمحوا لنـا بالعيـش معهـم في هـذا البلـد، ليـس بإمكانـا ان نتكلـم، نحـن غـير مُرحـب بنـا، تمكنـت (سـارة) مـن تهدئتـي، جعلتنـي اتقبـل الامـر واتفهمـه، كانـت صدمـة مروعـة، كان خـوفي الاكـبر ان يتـم اتهامـي او اعتقـالي، اتذكـرهُ جيـداً وهـو يحـاول جاهـداً ان يـضرب الامثـال في الحـزب الحاكـم وفي العديـد مـن شـخصيات الحكومـة، وانـا احـاول ان اكـون متزنـة وألا ألبـي رغباتـه يجعلنـي اقصـد بكلامـي شـخصية سياسـية مُحـددة.

عجيبٌ امرهم، يبجلون العبودية حتى ولو كانوا اسياد انفسهم، لا يستطيعون العيش بحرية، لا يتذوقون طعم الراحة الى ان يُتَخَذ القرار من قبل غيرهم، الى ان يأمرهم رجل الدين على فعل ابسط الاشياء، عجيب امرهم بالفعل، دينهم يأمرهم بالشورى بينهم وهم يقفون على ابواب زعيمهم الديني ليتأملوا رضاه، كأن في رضاه الجنة وليست بأفعالهم، يريدون اطاعة ولي الامر لأنه ولي امر بالوراثة فحسب، يمنعون انتقاد رأيه او محاسبته لو اخطأ، يقولون لا يجوز ذلك لأنه ولي امر، لا يفقه انه ولي امر لأننا خضعنا له، لم يكن ولي امر منذ ولادته، عجيب امرهم بالفعل، هم يحرمون تجارة الرق والعبيد، ولا يحرمون تجارة عقولهم واستعبادها، بدأتُ افكر في مساوئ المرحلة القادمة، لم اجد شيئا اهم من الخروج يوم غد كالمعتاد حتى لا تشعر امي بشيء، ان علمت بأنني خسرت وظيفتي فسيكلفني الامر كثيراً، عليّ ان اتحمل الكثير لأن ما اتقاضاه من الجريدة لا يكفينا العيش لأكثر من عشرة أيام، اتصل بي (احمد)، اعتذر لكونه كان منشغلاً باجتماع عمل قضى فيه وقت الصباح بأكمله، تذكرت انشغاله بمنزله الجديد بالاضافة الى مهام عمله فقررت ألا اخبرهُ بما حصل، تمكنت من كتم الامر وان اتكلم معه بصورة طبيعية، كان من المفروض ألا أُخبئ عنه، ولكنني فعلت ذلك، حتى انتهى الاسبوع، كُنت اذهب الى الجريدة لأعمل يوماً تاماً قتلاً للوقت، اتصلتُ (بأحمد)، حدثتهُ عمَّا جرى لي،

تأثـر كثـيراً مـن أجـلي، وعـدني بألـف وظيفـة كـي لا احـزن، طلبـت إليـه ان يجلـب لي معلومـات عـمّا اذا كان الامـر سـيتطور ويصـل الى جهـات الامـن، أم انهـم اكتفـوا بعـزلي مـن الوظيفـة، كنـتُ خائفـة جـداً مـن ان يتـم اعتقـالي، اسـتطاع (احمـد) ان يحصـل عـلى معلومـات مـن الجامعـة تُطمئنني بـأن الامـر انتهـى بقـرار عـزلي وليـس لـهُ اي تبعـات قضائيـة او اعتقـالات حزبيـة، عَلِـم ايضـاً بـأن الطالـب الـذي طردتـهُ مـن القاعـة الدراسـية كان يحمـل جهـازا لتسـجيل الصـوت، سـجَّل صـوتي خـلال حوارِنـا وقدمـهُ الى رئاسـة الجامعـة، لم يعـد الامـر مُقلقـاً، يلزمنـي وقـت كـي انسـى صدمـة خسـارتي لوظيفتـي فحسـب، في عطلـة نهايـة الاسـبوع، دعانـا (يعقـوب) الى تنـاول العشـاء في بيتـه بعـد ان اجـرى خطوبتـه وباركهـا في الكنيسـة، جَمعَنـا عشـاء عائـلي اسـعد امـي كثـيراً، كانـت خطيبتـه عـلى قرابـة منـهُ، كانـت هـذه القرابـة هـي السـبب في رفـض والدتـه لزواجـه منهـا، افصـح لنـا (يعقـوب) اخـيراً عـن السر الـذي كُنـا نسـأل عنـه منـذ اول يـوم زارنـا فيـه، اخبرنـا سر تركـهِ للحيـاة في (لنـدن) مـن اجـل ان يعيـش مـا تبقـى مـن حياتـه هنـا، لم اكـن مقتنعـة بالأسـباب التـي سردهـا لنـا في زيارتـهِ الاولى، كانـت هـي السـبب، خطيبتـه التـي عاشـت معـه في لنـدن اول سـنين الصِبـا ثـم سـبقته بالعـودة الى الوطـن ببعـض السـنين، بَقيـت علاقتهـما الى ان طلـب الـزواج منهـا، حينهـا والدتـه لم توافـق، اضطـر الى العـودة الى الوطـن كـي يكـون حُـر القـرار، كانـت تكـبره عُمـراً، كان هـذا سـبب رفـض والدتـه،

اعتقد انها لم تُجرب الحب من قبل، وإلا لكانت عَذرته، كما عذرتهُ عندما رأيتهما معا، كان يحبها كثيراً، نظراتهُ لها ونحن على طاولة العشاء كانت كالذي يرى جبال الالب للمرة الاولى، كان كلما ينظر إليها كأنه يراها من بعد اشتياق، كانت عيناه تبتسمان لها قبل ان تنظر إليها، انشغلت امي بالأسئلة عن الاقارب مع خطيبته، جلستُ على انفراد معه، حدثته عمَّا جرى لي، قرر ان يساعدني، اخبرتهُ بأنني ابحث عن وظيفة، كانت مصادفة جميلة، كانت في شركته وظيفة ادارية شاغرة، كانوا بحاجة الى فتاة حاصلة على شهادة جامعية من اجل اعمال ادارية، اتصل بشركائِهِ في الشركة و وعدني بأنني سأحصل على الوظيفة خلال ايام فقط، فرحتُ وانا على أمل بأن تكون الوظيفة الجديدة قادرةً على ان تُخلصني من الندم، كان (يعقوب) جديراً بالاحترام، كان موقفه بحقي جميلاً ومشرفاً، استطاع خلال دقائق ان يعيد لي بسمتي، مرت ايام صعبة وانا بلا كيان، كنت اشعر أنني في خطر، دواء امي شهرياً يكلفني الكثير، كيف يمكن لي ان اقوى على العيش في مدينة غالية التكاليف كمدينتنا، كيف لي ان اتكلم مع اصدقائي وانا لست استاذة جامعية، كيف أراهم وانا لا شيء، وضع (يعقوب) اجابة على كل استفساراتي انا بانتظار وظيفتي الجديدة.

يمنح الانكسار اللون الاسود لأيامك، عند الانكسار تتوقف لديك كل الحواس، الانكسار بعد الظُلم يجعلك

تنـدم عـلى مـا كُنـت عليـه، خصوصـاً حـين تكـون مُدافعـاً عـن فكـرة تـود فيهـا الفائـدة لمـن حولـك، وانـت تسـعى لذلـك ستجد مـن حولـك قـد اخـبر الشرطـة بأنـك سرقـت عقولهـم لتجعلهـا تفكـر، يخـبرون الرئيـس بأنـك خـارج اوامـر الراعـي، تسـير بعيـداً مـن سـير القطيـع، ذلـك القطيـع الـذي لا يسـتحق ان تضحـي مـن أجلـه، هـو سـعيد لوجـوده ضمـن القطيـع، وحـين توضـح لـه ان سـيرهُ هـذا لـن ينفعـهُ يمنعـك مـن مواصلـة كلامـك، يخـبرك انـك مـن ميسـوري الحـظ لأنـك ضمـن القطيـع، وإلا فكيـف سـتدخل الجنـة؟ ألا تـرى حـال مـن لا يملـك قطيعـا ينتمـي إليـه، كيـف تعيـش بحريـة في هـذا الكـون الواسـع!!! هنالـك العديـد مـن الاشـياء يصعـب تفسـيرها، يصعـب فهـم تكوينهـا وماهيتهـا، إفهامهـا للسُـذج يحتـاج الى ديـن.

منـذ ذلـك الصبـاح المشـؤوم وانـا بـتُّ اشـبه الحكومـة، لا اهتـم لـشيء، كرهـتُ ذاتي كثـيراً، بغضـتُ كل مبادئـي، اعترفـتُ بالغبـاوة حـين كنـت اريـد اصـلاح مـا افسـده الدهـر، انـا لا املـك العمـر الـكافي لذلـك، الدهـر برمتـه لم يسـتطع ان يضعهـم في طريـق واحـد، كان مـن الـلازم ان افهـم بـأن كفـة واحـدة لا تسـع للجميـع، يجـب ان تكـون هنالـك كفتـان او اكثـر، ندمـت، راجعـتُ نفـسي، ظُلمـتُ مـن اشـخاص قلـة، مـن يؤيـدني ويتبـع نصائحـي كانـوا اكثـر، شيءٌ عظيـم أن تلقـى طالبـاً كان ينصـت يومـاً لمـا تقـول،

تلقـاه بعـد سـنوات ليشـكرك ويقـول لك «لـولاكِ لمـا تغيرت، بسـببك اصبحـت افضـل» كانـت هـذه الكلـمات تسـعدني كثـيراً وتزيـدني اصراراً عـلى مـا ادعـي، تدفعُنـي للتضحيـة اكثـر، لـولا ان يـأتي ذلـك اللئيـم ليجعلنـي انـدم عـلى كل هـذه التضحيـة، التزمـتُ الفـراش عـدة ايـام، كانـت صدمـة غـير متوقعـة، في الايـام الاولى كُنـت قويـة واسـتطعت تجاوزهـا، ولكـن سرعـان مـا ان اعـود الى نفـسي و اجـد بانتظـاري كل ليلـة وافـرا مـن النـدم، كلـما جلسـت مـع نفـسي يدفعنـي تأنيـب الضمـير للنـوم مبكـراً، لا املـك سـلاحاً اخـر اتجـاوز بـه هـذه المرحلـة.

لم التـقِ (بأحمـد) منـذ ايـام عديـدة، كان منشـغلاً في توظيـب بيتـه الجديـد وانـا كنـتُ منشـغلة بمأسـاتي، لم اجـد أيَّ تقصـير منـه، كان يتصـل بي كل يـوم ليمنحنـي القـوة لتجـاوز هـذه المحنـة، طلـب ان يلقـاني كثـيراً ولكننـي كنـت مُتعبـة، متعبـةٌ إلى درجـة احتجـت إليـه فيهـا كثـيراً، ولكننـي لم أودَّ لقـاءه الى أن أخـرجَ مـن هـذه الازمـة، منـذ ان بـدأت علاقتـي بـه وانـا اضـع طقوسـاً خاصـةً للقائنـا، لم ألقـه يومـاً وهنالـك شيء مـا يُعكـر صفـو غزلِنـا، كنـت اتجنـب لقـاءه والتعـب معـاً، اريـدهُ ألا يضجـر منـي ولـو للحظـة، اريـد كل شيء جميـل في البدايـة، البدايـة في الحـب تعنـي كل شيء، البدايـة في الحب كبدايـة تكوين الجنـين في رحـم امـه، كُل مـا يُطـرأ عليـه لا يمكـن تعديلـهُ في المسـتقبل ابـداً، اتمنـى ان يُحبنـي اكثـر، اتمنـى ان يـزداد حبـه لي كل يـوم اكثـر مـن اليـوم الـذي سـبقه، انـا كنـت كذلـك، احلـم

بتقبيل شفاهه كل ليلة، كنت اتخيل العالم الذي سأدخله لو التفت يداهُ حولي، لو عانقني كم يصبح عمري في تلك اللحظة ؟ كنت اسعى لكل شيء يجعل عينيه تتوق إلى رؤيتي، كنت أريد وضع أُسس قوية للحب لا لعلاقة تريد ان تنتهي بحياة زوجية، سأصبر حتى أُحقّق ما أرومه، لو انني اردت حياة زوجية لكنت الان متزوجة كبقية اقراني، لكنت الان استغرب من كل مشاهد الحب التي تذيعها الافلام السينمائية، لكُنتُ الان اسأل نفسي عن طعم القبلات المسروقة، ولما سُميت بهذا الاسم.

حصلتُ على وظيفتي الجديدة، كانت شركة كبيرة متخصصة بإنشاء المباني والمقاولات، كانت (ليعقوب) اسهمٌ مهمة فيها ليست كما كنت أتوقع، خلال مدة قصيرة اصبح (يعقوب) فيها مديراً تنفيذياً، كانت له مكانة مهمة، من الواضح أن ذكاءه اختصر له الكثير من الوقت الذي كان يلزمه لإثبات جدارته، يضاف الى ذلك شهادته وخبرتهُ، الاهم من كل ذلك انه كان شريكاً فيها وليس موظفاً، اضفت مكانتهُ المهمة لي الكثير، لا سيما وان كل ملاك الشركة عرفَ بأنني من اقاربه، كانت السبب لأن اكسب ود الجميع واحترامهم، كان الجميع يهابه ويحترمه، كان ذلك سبباً مهما لأكون امام الجميع بلا مقدمات، كسبتُ صديقة جميلة، كانت موظفة في المكتب المجاور لي، احببتها من دون سبب،

وهي كذلك، في البدء كانت حواراتنا رسمية، شيئاً فشيئاً اصبحت تربطنا علاقة صداقة بالاضافة الى علاقة الزمالة في العمل، كان هذا شيئاً ايجابيا، بالاضافة الى كل ما حصل جعلني اعتاد مكان العمل بأقل وقت وأقل جهد، كان ذلك عوضاً هيأهُ الرب ليهون عليّ الاحباط الذي تلقيتهُ على إثر طردي من وظيفتي الجامعية بسبب سوء السلوك، أجبرتني وظيفتي الجديدة على تقديم استقالتي من العمل في الجريدة، لم يكن بالوسع ان اعمل فيها مجدداً، يتطلب العمل في هذه الوظيفة كل ساعات النهار، كانت وظيفة هادئة، كم كنت اكره الوظائف الهادئة، كان العمل روتينيا جداً، يُكرر اليوم نفسه، ولكنه كان جميلاً لأنهُ يخلو من (صالح)، حصلت على اول تكريم في حياتي، تحدثتُ الى رئيس التحرير عن الظروف التي مررت بها مع طلبي للاستقالة وعن متطلبات وظيفتي الجديدة، حَزِنَ جداً، كان يَكُنُّ لي كل الاحترام، كان انسانا قديراً ومُحترماً وذا مبادئ وقيم نادرة في وقتنا الحاضر.

وانا جالسة في مكتبه، اخبرتهُ عمَّا جرى لي، اخبرتهُ كيف تم عزلي من الوظيفة، ظل مندهشاً لم يقل لي شيئاً، ضرب بكفه الاوراق التي على مكتبه ثم قال «اقتربنا من النهاية، نحنُ نترنح على الهاوية واقزام السياسة يدفعوننا بتحزبهم وتطرفهم الى السقوط»، منحتني الجريدة درعاً بسيطاً لكفايتي وجدارتي التي أثبتُها خلال مدة عملي، كان هذا

التكريـم مهـماً جـداً بالنسـبة إليَّ، لأنـهُ قـضى عـلى كل الـنـدم الـذي ترسـب في قـاع افـكاري بعـد الحادثـة الاخـيرة، شـعرتُ حينهـا بقيمـة العمـل الـذي قدمتـه لسـنوات، عـلى الرغـم مـن كونـهُ بسـيطاً إلا انـني انتهيـت منـه وانـا لسـتِ مُخالفـة للضوابط الواجـب اتِباعهـا.

بعـد ان تمكنـت مـن تجـاوز كل هـذه المحـن، كنـت بأَمَـس الحاجـة لأن القـى (رفيـق الـروح) عـلى ذلـك المقعـد المُطـل عـلى الشـاطئ، في ذلـك المـكان الـذي زرعنـا فيـه الغـزل وسـط المـوج وأسـقيناه مـن ضيـاء القمـر، حالـت ليـالي الشـتاء وبردُهـا القـارص بينـي وبـين امنيـاتي، غطـى الثلـج مكانـنـا السـاحر، دعـاني (احمـد) لأرى بيتـهُ الجديـد، كان بيتـاً جميـلاً، شربنـا فنجانـين مـن القهـوة عـلى عجـل ثـمُ ذهبنـا بعدهـا لزيـارة صديقـه (هشـام)، كان (احمـد) عـلى موعـد مـع اصدقائـه (سـعيد وهشـام) طلبـت إليـه ان يصطحبنـي معـه، التقينـا وتكلمنـا عـلى مـا يـدور في بالهـم مـن افـكار، وددتُ ان اشـارك بأفـكاري حتـى العـن الانكسـار الـذي جعلنـي اعـزم عـلى عـدم التفكـير في الشـأن السـياسي، كانـوا حائريـن في كيفيـة دخولهـم للانتخابـات، حائـرون بـين الابقـاء عـلى انتمائهـم للحـزب الليـبرالي وتشـكيل جبهـة او حـزب جديـد وضـم أنصارهـم فيـه، تشـابك الامـر عليهـم، اسـتمر نقاشـهم حتـى اقترحـت عليهـم ان يؤجلـوا فكـرة تأسـيس الحـزب الجديـد، فقـد يكلفهـم ذلـك خسـارة اصـواتٍ عديـدة في الانتخابـات،

لأنهم مهما يكونوا فلن يكونوا بحجم الحزب الليبرالي وتأريخهِ العريق، جاءت غايتي تلبيةً لرؤية (احمد) المستقبلية، كانت رؤيتهُ تتمركز في التخوف من الانشقاقات التي ستحصل بعد الانتخابات، بعد ان يكسب الحزب الجديد اصواتاً، لا سيما انهُ حديثُ التأسيس، لن يضمن أحدٌ بأن جميع انصاره سيبقون مُتحدين تحت لواء قيادة واحدة، ستتغلب مطامِع المناصب الوزارية او عدد المقاعد المُكتسبة في المجلس التشريعي على مصلحة حزبهم الجديد ومبادئهِ في خدمة الوطن، سيخسرون حينها قاعدتهم الجماهيرية بالاضافة الى قوتهم امام حزبين كبيرين كالحزب الحاكم والحزب الليبرالي، اقتنعوا بمقترحي، بعد ان اثبتُّ لهم من خلال الكثير من الامثلة في الزمن الماضي بأن حُب امتيازات السُلطة لا يأتي خلال مدة الترشيح للانتخابات، بل يأتي بعدها، بعد أن يرى رفاهية العيش سينسى كل من انتخبه، حُب السُلطة مرض، هو كمرض (البلهارسيا) يلتصق بك وينمو دون ان تشعر ولا يتم اكتشافه إلا بعد فوات الأوان، في نهاية المطاف وافق الجميع على ابقاء انتمائهم للحزب الليبرالي واعتماد اصوات انصارهم، وبعد معرفة حجم انتصارهم في الانتخابات ومعرفة قوتهم حينها يتم تشكيل الحزب الجديد والانفصال عن الحزب الليبرالي.

اثار استغرابي امتناع (احمد) عن الترشيح، لست انا وحدي من تفاجأ بالأمر، تفاجأ (سعيد) و(هشام) ايضاً،

قال إنه يريد الاستمرار بوظيفته التي يحبها؛ لأنها تمكنه من تقديم الخدمات المباشرة للناس ومساعدتهم، لا يطمح للفوز باسمه في الانتخابات وسيوصي كل اتباعه بانتخاب (هشام) و(سعيد)، بعد أن اعتاد لقاؤنا ضوء الشمس، او بالكاد وقت غروبها، التقينا في ليلة دافئة على شاطئنا، لم يتَعب (احمد) من النظر الى ملامح وجهي وانا اتكلم معه، أسمعني غزلاً تُطرب لهُ امواج البحر، لم أقاطعه، بقيت صامتة أنصتُ لهُ، نظرتُ إليه حتى خفت ضوء القمر، كان لقاؤنا مختلفا، جلسنا بالقرب من بعضنا اكثر، تحدثت مشاعرُنا بطلاقة، قَضمَ من انوثتي وهو يشرب سيجارتهُ، أخذني عطرهُ برحلة بحرية في ساعات متأخرة من الليل، لم أرَ على الارض سواه، كان جميلاً كعادته، كنت في حيرة من امري بسببه، كيف انظر إليه دون ان اترنم بإيماءاتٍ تَحلم بعناقه، كنت انتظر ان يكرر ما فعله في اخر لقاءٍ لنا، كنت اتوق إلى أن يلمس شعري، او وجنتي او ان يمتلكني كلياً لو شاء، قضيتُ اغلب الوقت بقربهِ اتصنع الغباء، كان يطلب من جسدي الكثير، لم يتكلم قط، يداه التفت من خلفي واتكأت عليّ، كنا جالسين امام البحر، نتكلم ووجوهنا ترتقب الموج، نتقاطع بعض الشيء لأنظر إليه ثم اعود لأتحدث وانا انظر الى البحر، عبثت يده بنصائح امي لي وهي تتجول حول خصري، ابعد يده مني، ظننته يريد ان يدخن السيجار، ترك مقعده ثم وقف،

وضع كلتا يديه في جيبه ثم سار بخطوات قليلة امامي باتجاهين متعاكسين ذهاباً واياباً، لِمَ اخذ يده مني؟ كنت الآن أود ان اغفو، اريد ان اغفو الى نهاية الزمان فالعمر الذي قد اعيش فيه معهُ لن يكفيني منه، اريد ان اغفو الى ما لانهاية، اريد ان اغفو على كتفه الى ان تعود (القُدس) إلى أهلها، وقف امامي وجهاً لوجه، تكلم ويداه تتحرك على وفق التعابير التي يَرمي إليها، حدثني عن جمالي، تغزل بي حتى امتلك تفكيري، جعلني افكر كما يشاء هو، مَلكَني حتى بتُ اؤيد كل ما يقولهُ حرفياً، تكلم على عشقنا، كانت كُنيتي لديه (نزارية الحُب) لأنني اؤمن بكل ما يقوله (نزار) عن الحُب، ولأنني اهيم لو سمعت صوتهُ وهو يلقي اشعاره، واتنفس ببطء لو قرأتُها، تحدى (نزار القباني) امامي وهو اوهن منهُ بكثير، كتب من اجلي عدة ابيات، طلب إليَّ ان انصت لما سيقول، ظل واقفاً، اراد ان يلقي قصيدتهُ امامي حتى يُجسد ما سيقول، وعدني بأنه سيصطحبُني معهُ للتجوال وسط ابياتهِ، كما يصطحبني (نزار) وانا انصتُ لهُ، لا يعلم ان هنالك ثمة (خشوع) بين الانصات (لنزار) والانصات له، توقف الزمن برهة، كنتُ فرحة لما انا عليه، بين ايام كنت اسرقُ النظر فيها واشاهدهُ حلما بعيدا لا تطوله احلامي، الى حلم تحقق وهو الان يَحبُّني، لا بل يَعشقُني، انه يهواني، وإلا، لما وقف امامي متمنياً ان انصت له، بدأ حبيب الروح والجسد بالكلام، أنشد لي شعراً، انصتنا جميعاً لهُ، انا وموج البحر والقمر،

قال:

تَقرَبي مني ..

ودعيني ألمس يديكِ وأحتضنها
وأُقَبِّلُها بحنان

فقد تَنَهَدَت للقائكِ انامُل وحنين
قلب و احضان

تقربي ولا تترددي .. وتجرأي
على فعل شيئين :

اولهما: حطمي سفينة
اوهامكِ وجُبنكِ واقتلي الرُبان

ثانيهما:تخلي عن اعرافكِ
وتقاليدكِ وكل خرافات الزَمان

تقربي فالذَودُ عنك يا
حبيبتي لا قد يكون ولا كان

تقربي لدنيا لم تريها ..
لعالم من الاغاني بلا الحان

تقربي لعشقٍ يُمزَق جسدكِ
شغفاً ويُلملمهُ باتقان

لـشـجــرة مــن المـــشــاعـــر تـــظـــلـــل
جــســـدكِ بـــلا اوراقٍ واغـــصــــان

خصـــــركِ اشـــهـــي ام مــا يـــعـــلـــوه؟ أم
رقـــبـــتـــك يـــا غُـــصـــن الـــبـــان

اكـــبــــح جــــوامــــح شـــفـــتـــاي لو
انـــبـــعـــث عـــطـــركِ فـــقـــد يـــشـــقـــيـــان

حـــيـــنـــهـــا لا اتـــردد فـــي تـــذوق رحـــيـــق
شـــفـــتـــيكِ الـــعـــذبـــتـــين

دعيـــــنـــــي اتـــنـــفـــس انـــفـــاســـكِ و اشـــدُ
خَـــصـــركِ إلي بـــعـــنـــفـــوان

لا تجـــعـــلـــيـــنـــي استـــجـــديكِ واطـــلـــب
إلى كـــبـــريـــائـــي الـــغـــفـــران

اتـــركيـــنـــي اشـــتـــهـــيـــكِ كـــمـــا
اشتـــهـــيـــكِ .. كـــمـــا يـُـشـــتَـــهـــى الـــرُمـــان

انهـى كلماتـهِ، فبلغـتُ مـن الحُـب عتيـا، انتهـت ابياتـه فعـاد السـمع لأذنيّ، عُـدتُ أسـمع صـوت المـوج، بـدأتُ اشـعر بنسـمات البحـر البـاردة، حـين القـى كلماتـه كان كُل شيء ينصت

لروعـة القائـه، اقتبـس لي لمحـة مـن جَنـة، كتلـك الجنـان التـي تتحاكـى عنهـا وتصفهـا كُتـب الديـن، وقفـتُ وصفقـت لـه، ابتسـمَ فانحنـى ليشـكرني ...

قلتُ له: تستحق بأن اصفق لك بأيادٍ تحمل الورد، رائعٌ انت

اقترب مني خطوتين ..

قال: هل اعجبتكِ القصيدة؟

قلـت لـه: كأنـك حجبـت الشـمس وبعثـرت كواكـب عـن مسـارها، انـتَ اجمـل بـما في المجـرة الكونيـة، احبُـكَ، لأنـك انـتَ، احبُـكَ، لأنـكَ تكتـب مـن اجـلي، احبُـكَ اكثـر، لأنـك تشـعر بي حـين تكتـب، اعشـقك، لأنـك صغـت مـا تريـد قولـهُ شِـعراً، اهـواك.

تقـربَ منـي خطـوة اخـرى، صـار يبعُـد منـي بضعـة سـنتميترات بعـد ان كان يبعُـد منـي أعوامـاً مـن التمنـي، تقـربَ حتـى شـعرتُ بأنفاسـه، استنشـقتُ عطـره وأنفاسـه حتـى احـترت بينهـما، أيُّهـما عِطـره وأيهـما انفاسـه، وانـا أنعـم النظـر في عينيـه، لم يتكلـم شيء، عينـاه طلبـت إليَّ أن يُقبلنـي، قـرأتُ ذلـك، بقينـا صامتـين واناملُنـا متشـابكة، لم اتقـرب منـه، تقـرب منـي اكثـر، لم تكـن لي أي ردة فعـل حتـى لَوحَـت شـفتاهُ بالقُبَـل، ارتعـدت شـفاهي عطشـاً، حالـت بينـي وبينـه الاعـراف والقيـم، دفعتهـا بيـدي بعيـداً كـي يقـترب منـي اكثـر، لم افكـر في شيء سـوى النظـر الى شـفتيه، كانتـا كفاكهـة الكـرز،

لا بـل اشـد اثـارة، هـل اسـمح لـه أو لا أسـمح؟ هـل حـان وقتهـا الان أو لم يحـن؟ كيـف أكـون لـو قبلنـي؟ مـاذا يحـدث لي؟ بـماذا أشـعر؟ القبلـة الاولى تعنـي لي كل شيء؟

وضـع كفـه عـلى القمـر وأطفـأ نـوره، وفي العتمـة قبَّلَنـي.. قبَّلَنـي وجعـل قلبـي يتعـرّق، قبَّـل شـفتيَّ وسـافر بي عـبر الزمن، اعـادني الى القـرن السـادس عـشر، رأيـت (روميـو) وهـو يقَبِّـل شـفاه (جوليـت)، رأيـت (وليـم شكسـبير) وهـو يكتـب القُبلـة عـلى الـورق، رأيتـهُ يخلقهـما مـن وحـي ضـوء شـمعة أضـاءت طاولتـه فقـط، كان كل شيء وهمـاً حـول اوراقـه، مـا كتبـه فقـط كان حقيقـة، ايقنـتُ ان الدنيـا كلهـا وَهـمَ، إلا مـن عشـقوا واطلقـوا العنـان لـكل المشـاعر، سـحب شـفتيه مني ببطء، كنـت مُغيبـة عـن الواقـع واجفـاني مغلقـة، لم اشـعر بـشيء، شـعرت بسـكرات المـوت فحسـب، اماتنـي الـف مـرة واحياني، لِمَ لم يسـتمر اكثـر؟ فتحـتُ عينـي فوجدتـهُ مُبتسـماً، احـترت بينـهُ وبـين القمـر، أيهـما اجمـل، ايهـما في السـماء تتأمـل النـاس جمالـه، وايهـما عـلى الارض تعشـقهُ عينـي.

قـال لي: لا تسـألي لِمَ فعلـت هـذا، لا تسـألي عـمَّا سـيحدث غـداً، اتـركِ المشـاعر تفعـل مـا تشـاء، لم أقـوَ عـلى كبتهـا، اقـف امـام عينيـك متعـبٌ مـن جمالـكِ، ولـولاه لمـا كنـت لأميـل نحـو شـفاهك.

ابتسـمتُ لأوحـي لـهُ انني تقبلـتُ ذلـك، كـي لا يَشـعُر بالنـدم، لـن اضجـر منـه، كنـت سـعيدةً جـدا، الى هنـا ويجـب ان تنتهـي سـنين الحرمـان، انـا متأخـرةٌ عـن هـذا الاحسـاس بسـنوات عديـدة، قُبلَتـي الاولى زارت شـفاهي وانـا لي مـن العُمـر مـا يكفينـي لأقلـق، كان الحيـاء يغمـرني مـن حيـث لا اريـده، لا حيـاء لي مـع نصفـي الثـاني، الموقـف كان اقـوى منـي، لم اقـوَ عـلى الوقـوف حتـى، سـحر قُبلتـه ادمـى ملامحـي، طلـب إليَّ أن ابقـى لمزيـد مـن الوقـت، ولكننـي اصررتُ عـلى الذهـاب، سـألني ان كنـت غاضبـة ممـا حصـل، اجبتـهُ بأننـي عـلى مـا يـرام، كل مـا اريـده هـو الذهـاب، سـمح لي بالذهـاب، ودعتـهُ، صافحـت يـده فاكتشـف بعينـي بعـض السـعادة، لـولا حيائـي لاكتشـف امـرا برمتـه، مـا كنـتُ اعلـم بـأن القُبلـة الاولى تجعـل مـن المـرأة طفلـة، مـا كنـتُ اعلـم بأنهـا كفرحـة طفـل بخطوات اقدامـه الأولى، مـا كنـتُ اعلـم بـأن لهـا رقـة كـرقة المطـر في ليـالي تشريـن، مـا كنـتُ اعلـم بـأن القبلـة الاولى تجعلـك مُعلقـاً بـين المـوت والحيـاة، حـين لا تجـد وصفـاً لمـا انـت عليـه، مـا كنـتُ أعلـم في وقتهـا بأننـي سـأكون مسـلوبة الإرادة، مـا كنـتُ اعلـم بـأن القُبلـة الاولى سـتجعل الارض مـن تحتـي وهنـاً، كأن الارض قـادرة عـلى ان تبلعنـي وان تعيـدني الى العصـور القديمة، الى تلـك العصـور التـي أُنشِـئت قبـل ان يكتشـفوا الـكلام، الى عصـور مـا قبـل اكتشـاف اللغـات، الى حيث مـا كانـت ايماءاتهم تجيـد كل شيء، حـين كانـوا يرسـمون حديثهـم الـذي لا يقـال، حتـى اكتشـفنا امرهـم مـن اثـار جدرانهـم،

لا اشـك بأنهـم في ذلـك الزمـان اخترعـوا القُبـل، لا شـك بأنهـم احتـاروا في التعبـير عـن الحـب فوجـدوا القُبـل لأنهـم لا لغـة لهـم، مـا كنـت اعلـم بأنهـا اصـدق طريقـة لقـول كلمـة (أُحبـكَ)، لـن تتمـوج الارض تحـت اقدامـي مجـدداً، لي الان عـلى الارض حبيـب يُغنيني وجـودهُ عـن التنفس، لـن تتمـوج الارض تحـت اقدامـي لأن عـلى خـصري آثـار لأيـدي رجـل، يلقـي الشِـعر مـن اجـلي، لي الان حبيـب اضـع مـن أجلـه احمـر الشـفاه الأدكـن، القبلـة الاولى افقـدت روحـي عذريتهـا، لم اعـد عـذراء الـروح.

لا ترحلي ..
يـا مـن لا يـنـقـص حُـسـنـهـا حـزن
و لا يــزيــد نـداوتــهــا بُـكـاء

(٤)

ماتت امي، حدث ما كنت اخشاه، رحلت امي عن الدنيا وصرت وحيدة، انطفأ ذلك السراج الذي كان ينير ايامي، أغلقت اليوم ابواب السماء، لن يسمعوا بعد اليوم دعاء امي وصلاتها من أجلي، كانت تُصلي من اجل ان اكون كما انا الان، بفضلها انتصرت على ظُلم القدر، ولكم ظلمني منذ الصغر، ظُلِمَت امي مثلي، لا بل كان ظُلمها مني اقسى، كان يجب ان تبقى اكثر، كنت اريد تعويضها، مهما فعلتُ بحقها فلن اتمكن من محو اي ليلة من تلك الليالي السود، لم استطع ان أُنسيها ليالي العوز والفقر، لم استطع ان أنسيها تلك الليلة التي طُرق فيها بابنا ليلاً ولم نعلم مَن الطارق، كنا ننام خائفتين، كان يجب ان تبقى أكثر، كان يجب ان تبقى حتى اُحقق لها ما تمنت، رحلت وانا لم ارتدِ بعد فستاني الابيض، ظلت تتمنى هذه الامنية سنوات إلا انني اردت ان اكون استثنائية، جعلتُها تدفع الثمن اكثر مني، جعلتُها تنتظر كثيراً، ما كان الذنب ذنبي، جاء (احمد) متأخراً، كان عليها ان تؤجل رحيلها، ما زلتُ بحاجتها، ما زلت احتاج إلى حضنها، لم انشغل عنها، ولو شغلتني الحياة في المدة الاخيرة فأنني لم انشغل عن حُبها ابداً، ما زلت عندما يطيل بي السهر ادخل إلى غرفتها لأختلُق الف عذر لأبقى قُربها، حين كنت اشعر بالخوف اذهب إليها، كانت صديقتي واختي وأمي، كنت اتحدث معها عن كل شيء، لم

أخـفِ عنهـا سراً سـوى علاقتـي (بأحمـد)، خفـت مـن ان تمنعني منـه لاسـتحالة الـزواج بـه وهـو عـلى غـير ديـن، كنـت اخـاف ان اخبرهـا عنـه وتـرى كل مبادئـي ثَملـة وغـير عقلانيـة مـن جـراء قصائـده، يـا تُـرى هـل تسـامحني عـلى كتـماني لهـذا الـسر؟ هـل تُسـامحني لأننـي اشـتغلت في مطعـم (زيـاد) حـين كنـت في الدراسـة الثانويـة خلافـاً لإرادتهـا، لكـن ظروفنـا كانـت قـد رضيـت ذلـك، كانـت امـي تتمنـى سـعادتي كبقيـة الامهـات، كان مـن الصعـب ان توافـق عـلى عمـلي، القـدر اجبرهـا عـلى الصمـت، هـل تُسـامحني لأننـي لم اوافـق عـلى كل اقربائهـا الذيـن طلبـوا إليَّ الـزواج؟ هـل تسـامحني عـلى الغُربـاء الذيـن رفضتهـم ايضـاً؟ هـل تتفهـم مـا في خاطـري؟ هـل تُسـامحني لأننـي لم أجبهـا حـين سـألتني «لِمَ لا توافقـين عـلى الـزواج؟» كـم تمنيـت ان تـراني يـوم زفـافي، لكانـت سـعيدة مـن أجـلي، انـا ثمـرة تعبهـا، انـا اتعبتهـا اكثـر مما كان مـن المفـترض ان تتعـب، رحلـت امـي، لم يتبـقَ لي مـن الدنيـا شيء، اصبحـتُ كمثـل المنهـوك الواقـف وسـط غرفـة ولا يحـق لـهُ ان يتكـئ عـلى احـد جدرانهـا، لـن اكـون قويـة كـما كنـت، بـتُ خائفـةً مـن الغـد، انـا خائفـةٌ جـداً، رحلـت تلـك التـي لولاهـا لمـا كنـتُ لأكـون، تلـك التـي لم يعـرف شـبابها إلا الانحـاء عـلى ماكنـة الخياطـة، تلـك التـي لم تعـرف جدائلهـا إلا التعـب، تلـك التـي اتقنـت البـكاء بصمـت، تلـك التـي كانـت اغلـب ثيابهـا سـودا، تلـك التـي سـهرت مـن اجـل ألا يفوتهـا مـن التعـب شيء، تلـك التـي كانـت تسـتيقظ باكـراً حتـى لا يسـبقها الى العـذاب احـد.

كان يوماً شبيهاً بأيامنا السابقة، لم يشر الى شيء، كنا نتناول العشاء، شعرت امي ببعض التعب، سألتها ان كانت تناولت دواءها ام لم تتناول، اجابتني بصعوبة بكلمة (نعم)، كانت لا تستطيع اخذ انفاسها، نقلتها الى المشفى، وانا في الطريق عرفت ان وعكتها هذه المرة لن تنتهي بسلام، كان جسدها بارداً جداً وعيناها تجمدت عن النظر، اتصلت (بيعقوب) واتصلت (بأحمد) ايضاَ، بعد اجراء الفحوصات العاجلة اوعز الطبيب بأن تدخل الى العناية المركزة، كنتُ اسير خائفة وراء سريرها المتحرك، وهم يأخذونها مني مسرعين، اوشكت على أن ترحل، صرت بالقرب منها قبل ان تدخل العناية المركزة فرأيتُ عينيها التفتت لي، شاهدتها تذرُفُ دمعةً واحدة، واحدة لا اكثر، كانت لا تستطيع ان تذرف اكثر، اهوال الموت كَبَّلت ملامحها، تلك الاهوال التي لا يعلم بها سوى من يكن في قيد الموت، هم يعلمون بها حين يُمنَعُوا من الكلام، لا يحق لهم ان يخبرونا بما يرونه او بما يشعرون به، وحين ينتهي الوقت الممنوح لهم يكون الاوان قد فات، كنت انظر من زجاج الغرفة الى مجموعة من الاطباء وهم يحيطون بها، اهتموا بها، ولكن روحها ابت البقاء، تفرقوا عنها فجأةً، بقي واحد بالقرب منها فقط، التفت ونظر إليَّ من خلال الزجاج بحزن، من المؤكد انه كان حائراً بشأن ما سيقولهُ لي، كيف سيخبرني وانا على وشك الانهيار، نظر الى وجه امي، ثم رفع الغطاء الابيض وغطى وجهها بالكامل، تجمد الدم في

اوردتي، كنت لا اريد تصديق ما اراه، لا اقوى على ذلك، خرج الطبيب، تمنيت ألا يقولها، لا اريد سماعهُ، وضع يده على كتفي وقال: «الرب اعطى والرب اخذ وليكن اسم الرب مباركا، يقول الرب في كتابه المقدس «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِين، كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ، اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ»، لا تحزني امكِ الان دخلت الى الملكوت، لروحها السلام والغفران، كانت صدمة مُروعة، فقدت الوعي عدة ساعات في المشفى، سقطتُ على الارض ولم اسمع سوى صوت (يعقوب)، شعرت به بالقرب مني، استطعت أن أسمع صوتهُ فقط، لم أرَ شيئا بعد ذلك، قضيت عدة ساعات في المشفى، بفضل المُهدئات استطعت ان اتقبل خبر وفاة من لا املك في الدنيا سواها، وانا على سرير المشفى انظر الى سقفهِ شديد الضوء، تفهمت حجم الوحدة التي ستلحق بي، ايقنت بأن ليس هناك ثمة شخص بقي من عائلتي بعد هذه اللحظة، من الان اعلن وحدتي، بعد برهة، استدرت الى يميني، وجدت (احمد) واقفاً على باب، كان يتكلم مع (يعقوب)، اسرع للدخول الى غرفتي حين شاهدني مستيقظة، فتح الباب مسرعاً، نظر بعيني ولم يتكلم، جثا على ركبتيه بالقرب من رأسي، وضع يده على وجنتي ومسح دموعي ..

قال لي: كوني قوية يا (قمر)، انتِ انسان مؤمنة بالقدر، امكِ كانت صالحة، وهي الان عند الرب،

التزمـي الصـبر فليـس لنـا حيلـة غـير الصبر، أنـا قربـكِ، و(يعقــوب) ايضــاً، تكلمــت معــه الآن وتعرفــت إليــه، انــهُ انسـان جديـر بالاحـترام ومـن حسـن الحـظ ان لـكِ في اقاربـكِ شـخصاً مثلـه.

دخـل (يعقـوب) وقـدم لي تعازيـه، رفعـتُ عينـي ببـطء فوجـدت (سـارة) ايضـاً، ووجـدت (زيـاد)، وجـدت اغلـب سـكان حينـا الذيـن جـاؤوا الى المشـفى بعـد ان سـمعوا صـوت سـيارة (الاسـعاف) وهـي تنقلنـا مـن البيـت الى المشـفى، سـاعدني هـذا المنظـر عـلى الوقـوف مجـدداً، عنـد الفجـر، وبعـد ان اشرقـت شـمس يـوم مظلـم، تركـت سرير المشـفى وكل مـا كان يحيطنـي مـن مهدئـات، يجـب ان اكـون قويـة، أنـا الان هشـة ومُعرضـة للانكسـار، يجـب ان اكـون قويـة فأنـا وحيـدة، اتـكأتُ عـلى (سـارة) لأسـير خلـف جنـازة امـي، سرت بخطـواتٍ متباطئـة، لا اريـد وداعهـا كـما ودعـت ابي، في تلـك الايـام اسـتطعت توديعـهُ لأننـي طفلـة، لم يخطـر ببـالي هـول مـا سـيحصل لي، اسـتطعت ان اودعـهُ لأن امـي كانـت بقـربي، كنـت اعلـم انني لـن اعـود بمفـردي الى البيـت، اليوم سـيوارى الـتراب جسـد امـي الطاهـر، سـيتغير مسـكنها، لـن تعـود معـي الى البيـت، سـأعود وحـدي، انتهـت مراسـيم صـلاة الجنـازة والتعزيـة، طلبـتُ إلى (يعقـوب) ان نقيمهـا في الكنيسـة التـي اعتـادت امـي الصـلاة فيهـا، كانـت تحبهـا كثـيراً، كان الجميـع بالقـرب منـي، لم يتركنـي احـدٌ منهـم، تقبلـوا التعـازي كأنهـم

مـن ذوي الجنـازة، كان موقفهـم مشرفـاً جـداً وسـاعدني عـلى انهـاء كل الطقـوس المطلوبـة للجنـازة، انتهـى اليـوم ورجعـت الى البيـت، دخلـت ولم اجـد امـي، كانـت رؤيتهـا عنـد الصبـاح تعنـي لي كُل السـعادة المُتوافـرة عـلى هـذه الارض، اعتـدتُ البحـث عنهـا بعـد الاسـتيقاظ بعِـدة اجـزاء مـن الثانيـة، كنـتُ اتـوق إلى رؤيـة وجههـا قبـل ان افعـل أي شيء، كانـت تقـول لي «صبـاح الخـير» لتمنحنـي الأمـان.

استـيقظتُ في صبـاح اليـوم التـالي ولم اجدهـا، كان البيـت مُعتـما عـلى الرغـم مـن وجـود اشـعة الشـمس، كانـت الدنيـا برمتهـا لا تعنـي لي شـيئاً، بحثـتُ عنهـا في اروقـة البيـت ولم اجدهـا، وقفـتُ عـلى باحـة البـاب وبكيـت، عسـى الدمـع يعيدهـا لي، انـا خائفـة، قضـت معـي (سـارة) الليلـة الماضيـة، لم تتركنـي بمفـردي عـلى الرغـم مـن تعبهـا الشـديد مـن الحمـل، كانـت غـير قـادرة عـلى المشي بصـورة طبيعيـة، لم اتذكـر كيـف مكثـتْ معـي، لم اتذكـر كيـف عـدت الى البيـت، كيـف ذهـب النـاس مـن حـولي، كيـف عـدتُ مـن الكنيسـة، لم اتذكـر شـيئا.

بعـد عـدة ايـام، طلبـتُ إليهـا ان تعـود الى بيتهـا، لهـا بيـت و أُسرة عليهـا الاهتـمام بهـم، كنـتُ متعبـة جـدا، لكنـني تظاهـرت بالقـوة كـي اجعلهـا تذهـب، تظاهـرتُ بالقـوة حتـى لا يـراني احـدٌ مُنكـسرة، كانـت هـذه وصيـة امـي دائـماً، كثـيراً مـا علمتنـي ان اكـون قويـة عنـد المواقـف الصعبـة، عودتنـي ان اتعامـل بعقـلي،

كانت تجعلُني في كثير من المواقف التي يتطلب فيها قرارٌ مُحدد ان اتخذ القرار بنفسي حتى اتفكر بعواقبه واجيد التفكير فيه، كانت تُعلمني قراءة الموقف قبل حدوثه، كيف اتعامل مع اصناف البشر والوانهم، لكنها لم تعلمني كيف اتعامل مع رحيلها، كيف أتعامل مع وحدتي من بعد ان تترُكني، لم تقل لي شيئاً بصدد ذلك، كانت تقول دائماً انه يستوجب عليّ ان اتزوج وان تكون لي أُسرة، كانت تريد الاطمئنان عليّ لكنني لم احقق امنيتها، لم اكن تقليدية كما ارادتني ان اكون، يا ليتها ترجع لأتنازل عن كل ما آمن به عقلي، يا ليتها تعود لأسعدها، يا ليتها تعود كي لا أرى اخر دمعة لها وهي تدخل العناية المركزة، كانت تعلم انها سترحل، ما عساها ان تقول، لم يفارقني (يعقوب)، كان مهتماً بي جداً، التزم ترتيب كل الطقوس اللازمة للجنازة والدفن، التزم ايضاً بتزويدي بكل الادوية المهدئة التي تُمكنني من النوم، استمريت بتعاطي المهدئات لأغيب عن الواقع عشرة ايام، منعني يعقوب منها تدريجياً حتى اصحو على الصباح المعتم واغفو عند ليلي المؤلم، كنت أريد المزيد منها، ولكنه استطاع ان يمنعني منها، بعد هذه الايام تمكنت تجاوز هذه المحنة، عدتُ اتناول الطعام، رأيتهم مشغولين بي جداً حتى ارهقتهم معي، لم تفارقني (سارة) قطُّ.

في صباح يوم بليد، جلستُ في باحة البيت، كانت ظلال الشمس على الأرض من حولي، بدأ الجو بالدفء، كانت

(ســارة) توظـب اغراضهـا لتعــود الى منزلهـا، اصَرت كثـيراً لتبقـى ولكنني لم اوافـق، تظاهـرتُ امامهـا بالقـوة، وانـا اوهـن مـن اشـعة قـوس قـزح، سـألتها عـن (احمـد)، قالـت لي بأنـه كان يـأتي كل يـوم لزيارتهـا، كان يسـألها عـلى انفـراد بشـأن صحتـي، قـال لـكل الاقـارب الذيـن يجتمعـون يوميـاً في منـزلي بأنـه زميلي في الجريـدة، ولكنـه كان يضطـر الى الذهـاب مـع ذهـاب الجميـع عنـد المسـاء، اتصـل هاتفيـاً في وقـتٍ متأخـر في بعـض الليـالي ولم تجبـه (سـارة)، اخبرتنـي بأنني كنـتُ لا اصحـو في اليـوم إلا دقائـق، بقيـت سـاعات جالسـة في باحـة البيـت وحـدي، كنـت انظـر الى مدخـل البيـت وأسـأل كيـف لي ان ادخـل، هـل أرى امـي؟ هـل تكـون في غرفتهـا؟ هـل تنتظـرني لتحضـير العشـاء ومشـاهدة التلفـاز في وقتنـا المعتـاد؟ كان يلزمنـي الكثـير مـن القـوة لأنهـض مـن مـكاني، يلزمنـي قـرار بـأن اتحمـل هـذا العـذاب مـن اجـل ان اقـضي ايامـي المتبقيـة، يلزمنـي كثـير مـن الصـبر، جـاء الليـل وكل مـا حـولي يسـكنهُ الهـدوء، اتصـل بي (يعقـوب) ليطمئـن عـليّ، اخبرتـهُ بانـني بخـير، ولا يلتـزم الامـر زيارتـه، ابلغني انـه منحنـي اجـازة مفتوحـة مـن الشركـة الى ان اتجـاوز هـذه المحنـة واعـود متـى اشـاء، قدمـت لـهُ وافـر الشـكر، ولكننـي مهـما اثنيـت عـلى مواقفـه فـأن كل انـواع الثنـاء لـن تكفـي، اسـتعددتُ للنـوم، بحثـت عـن الـدواء المهـدئ ولم اجـد منـه شـيئا، فتحـتُ نافـذة غرفتـي لاسـتنشـق بعـض الهـواء قبـل ان اسـتلقي عـلى فـراشي، شـاهدتُ (احمـد) واقفـاً وحولـهُ دُخـان سـيجارتهِ اسـفل غُرفتـي، تعجبـت كثـيراً،

لِمَ يقف هناك؟ هل هو بالفعل أو انني ارى سراباً لهُ من شدة الاشتياق؟ اهملت اشتياقي إليه بسبب ما حدث، بحثتُ عن هاتفي لأتصل به، وانا انظر إليه من النافذة، اتصلت به، رمى سيجارتهُ وردَّ على اتصالي..

سألتهُ: لِمَ تقف على الباب؟

أجابني: قلقت عليك كثيراً، هل انت على ما يرام؟ كيف حالكِ الان؟

أجبتهُ بأنني لستُ بخير، بكيت بصوتٍ عالٍ، انهيت اتصاله، انا بحاجة إليه، صوته لا يكفيني قدر عناقه.

فتحت له الباب ورحبت به، دخل ببطء، اخرج يديه من معطفه واحتضنني بقوة، بقيت عدة دقائق في قيد احضانه، رفعت رأسي لأنظر إليه، وجدتُ الحزن في عينيه يشابه حزني.

قال: حبيبتي، كوني قوية، انتِ قادرة على تجاوز هذه المحنة، هذا قَدَر وعلينا ان نؤمن به.

جلس معي في غرفة الجلوس، تركني اتكلم كثيراً، افرغت ما في جعبتي من ألم ثُم هوَّن عليّ، وانا اتكلم عانقتهُ مجدداً، كان عناقهُ يشبه العقاقير المهدئة التي كُنت اتعاطاها، كان عِقاراً مخلوطاً بالعطر، ذاك العطر الذي أتنفسهُ بشهيق دون زفير، عطر جسده لا عطرهُ الذي يقتنيه، غفوت

ولم افكـر في يـوم غـد، حـل الصبـاح، وجـدت نفـسي مازلـتُ في قيـد عناقــه، قضيــت ليلــة بأكملهــا عــلى كتفــه، لم اتذكــر شيئاً، وضعـت رأسي عـلى صـدره، تجولـت يـدهُ بـين خصـلات شـعري، وظبـت جدائـلي، تكلمـتُ معـهُ، احتضنتـهُ، جمعـتُ انفاسـهُ وتغطيـتُ بهـا، غفـوت بهـدوء كالمـوت حـين يـأتي لمُسـنٍ في ارذل العمـر، كان قـد بقـي جالسـاً بالوضـع الـذي غُفـوت عليـه، كان حـذراً لئـلا يوقظنـي، كان يقظـاً طـوال الليـل، لم ينـم، حـين سـألتهُ «لمَ جعلتنـي اغفـو هكـذا؟» لم يجبنـي، قـال بأنـهُ سـعيد لأننـي بقيـت بقربـه، قـال ذلـك وحسـب، ايقظنـا الفـرح، لم نسـتيقظ وحدنـا، حـين فتحـت عينـي رأيتـه، كان حلـماً تسـاورهُ الحقيقـة، اغمضـت عينـي وفتحتهـا مجـدداً لأصـدق ذلـك، رأيتـهُ فابتسـمت، كان واقعـاً وليـس حلـماً، كان واقعـاً يسـكب المـاء عـلى احـلام اليقظـة، كان هـو، بابتسـامتهِ وعطـره وشـفتيه، جمعـتُ شـعري عـلى كتفـي اليمنـى ونهضـتُ، نهضـت لأخـرج مـن جنتـهِ، اعتـذرت إليـه لأننـي غفـوتُ بجشـع، قلـتُ لـه بأننـي لم اشـعر بـشيء، كنـتُ متعبـة، لكننـي لم اعـرف ان اشـتياقي إليـه اتعبنـي بقـدر فـراق امـي، ابتسـم وقـال لي «ألا توديـن النـوم اكثـر؟ انـا لم اكتـفِ منـك، كأننـي التقيتـهُ كـما التقيتـهُ اول مـرة، تعثـرتُ بـهِ ولم انهـض، غفـوت عـلى كتفـهِ ولم أقـوَ عـلى النهـوض، كنـتُ واعيـة في اغلـب اوقـات هـذه الليلـة ولكننـي لم اخـبرهُ، كنـت لا اريـد الابتعـاد مـن جسـدهِ، جسـدهُ الشـبيه بالأهـرام الفرعونيـة حيـث يتطلـب الدخـول إليـه طقوسـاً ثلاثـة، الرهبـة والتدبـر والصمـت،

تمكـن مـن انتشـال آمـالي مـن الغـرق في بحـور اليـأس، تمكـن مـن ان ينقـذ ابتسـامتي مـن منصـة الاعـدام التـي اعدهـا حـزني، اخـذ بيـدي وسـاعدني لأن اتجـاوز هـذه المحنـة، اوقد الشـمع في طُرقـاتي المعتمـة، اخـذ بيـدي الى الامـام بعـد ان كبلنـي الخـوف بقيـود الوحـدة، بعدمـا كنـتُ اخـاف النظـر إلى أركان المنـزل جعلنـي افكـر بالغـد، الغـد الـذي سـألقاه فيـه، انـا مؤمنـة بـه، لم اعـد اعشـقه فحسـب، سـيكون بقـربي ليـوم الغـد، ولـكل الايام التـي لا تُعـد، تمكنـتُ مـن الخـروج مـن هـذه الازمـة لحظـة انتهاؤنـا مـن تنـاول الافطـار، قبـل ان يودعنـي بقُبلتـين عـلى كلتـا وجنتـيّ، ذهـب الى عملـه بعـد ان نقلنـي مـن الانكسـار الى اسـتئناف الحُلـم، ذلـك الحلـم الـذي لم يفـارق اجفـاني، ذلـك الحلـم الـذي ضجـرتْ وسـادتي مـن تكـرار تمنيـه، ذلـك الحلـم المملـوء بالقُبـل، ابتعـدتُ مـن الواقـع أيامـا، وجـدت ان الانفصـال عـن الواقـع وقـت الالم جميـل، كل العقاقـير المخـدرة والمُهدئـة التـي تناولتهـا كانـت المُنقِـذ الوحيـد لي، لم اجـد طريقـاً غـير ذلـك، كانـت مـدة عصيبـة ولكنهـا كانـت تخلـو مـن الألم والنـدم، لم اتذكـر شـيئاً، لم اشـعر بـشيء، تجـاوزت كل المحـن بـكل جُبـن، مـع عقاقـير الهـرب نكـون ضعفـاء، لكننـا لا ننكِـر روعـة الهـدوء وقتهـا، ينتابُنـا هـدوءٌ يثلـج اعصابنـا الملتهبـة ألمـاً، روعـة الصمـت وهـو يكتـم افـواه خوفِنـا، روعـة الخـدر الـذي يصيـب اجسـادنا ويمنحنـا النـوم دون ان نتملـق للتعـب كـي يمنحنـا غفـوة.

يلتجـأ نوعـان مـن البـشر الى الهـرب مـن الواقـع، والامـر شـتان بينهـما، يلتجـأ لهـذا الهـرب المُـترف والمعـدوم، المعـدوم سَـحقاً بعجـلات الحرمـان لـهُ الـف عـذر وعـذر لهربـه، المعدوم الـذي سُـميّ معدومـاً لأنـهُ وقـت وجـود الجميـع كان معدومـاً، ذلـك الـذي اجـبرهُ المجتمـع عـلى احتقـار نفسـه، وقتـما اجـبره عـلى العمـل بصفـة ذليـل في وضـح النهـار، ولطالمـا ان مـن اهـم سِـمات الليـل هـي اسـتذكار احـداث النهـار فكيـف لـهُ ان ينـام عـلى وسـادة القهـر دون ان يرتشـف القليـل مـن النسـيان، ولكننـا وعـلى الرغـم مـن كل مـا ورد مـن الوجـع، لـن نغفـر لـهُ استسـلامه، لـن نمنحـهُ حـق التسـويغ، لـن نسـميه مظلومـاً إلا في تلـك اللحظـات التـي نشـعر بهـا بألمـهِ، لنـا عتـبٌ ليـس بالهـين عـلى مـا فاتـهُ مـن عمـر، نعتـب عـلى الفـرق الـذي صـار بينـهُ وبـين اقرانـهِ، نعتـب عـلى حرمـان نفسـهِ لفرحـة النجـاح في الوقـت الـذي كان عليـه ان ينجـح، لا ان ينـام اغلـب اوقـات يومـه، لـن نقبـل منـه الاعـذار، فَلكَـم مِـن لا شيء اصبـح شـيئاً براقـاً، امـا عـن المُـترف الـذي اشـترى مـن مُذهبـات العقـل اجـود انواعهـا، فقـد اتفـق مـع المعـدوم بـأن لا اهميـة ليـوم الغـد، يـوم الغـد في مفرداتهـما لا يسـتوجب القلـق والتفكـير، ليكـن كيفـما يكـن، فالمعـدوم لـن يكـترث للغـد لأنـه لـن يقـول سـوءً عـن يومـه، والمُـترف لديـه مـن المـال مـا يَحجـبُ عـن عيونـه القلـق ويصفـع جبـين الفقـر، لـهُ مـن المـال مـا يمُكنـهُ استئجار مـا يـود مـن نجاحـات لتحمـل اسـمهُ، لـهُ مـن المـال مـا يُمكنـهُ مـن شراء الاحـلام المُحققـة ذاتيـاً،

كـما يشـتري السـياسي العـربي شرف تلـك البنـت الفقـيرة التـي احتاجـت الى وظيفـة مـا لتعيـل مـا منحهـا القـدر مـن ايتـام، دخلت الى هـذا العـالم أيامـا وتفهمـت الاسـباب التـي تدعـو الى الهـرب من الواقـع، عرفـت لِمَ تُجـار المخـدرات لا يحتاجـون الى الاعـلان عـن تجارتهـم، لِمَ هـم ليسـوا بحاجـة الى الترغيـب واطـلاق تسـمياتٍ مُثيرة لجلـب الانتبـاه لِمَ يستوردون مـن خـدر، تلـك النشـوة كانـت هـي المسـؤولة عـن ارباحهـم الطائلـة، كُنـتُ عـلى يقـين بـأن (رفيـق الـروح) هـو الـدواء لـكل داء، كان العِقـار الـذي عـافى جسـدي من خطـر الادمـان، جـاء في الوقت المناسـب، بعـد ان اعتـدت المهدئات في وضـح النهـار، جـاء بعناقـهِ المثـير للراحـة، غفـوت عـلى جسـده بـكل قـواي التـي فقدتهـا حـين استنشـقت عطـره، حـين نظـرت الى تصفيفـة شـعره، حـين تأملـت عينيـه وسرقـت النظـر لشـفاههِ، انـت هـذه الليلـة هـي القـوة التـي دفعتنـي الى الامـام، هونـت عـليّ رحيـل امـي، ليلـةٌ همسـت بـأذني بـأن القـادم افضـل، لـن يخلـو مـن شيء سـوى دعـاء امـي ومكانهـا الـذي لـن يشـغلهُ احـد عـلى طاولة طعامنـا، لـن تُمـلَأ تلـك الفجـوة في قلبـي التـي صدحـت بصـوت امـي وهـي تناديني باسـمي، وهـي تقـول لي (صبـاح الخـير) في كل يـوم اشرقـت بـه شـمس التفـاؤل والامـل عنـوة لدعائهـا، مـازال صـدى صوتهـا وهـي تُغازلنـي باسـمي وتقـول بأننـي اسـمٌ عـلى مسـمى، ذهبـتُ الى العمـل، بعـد ان لم اجـد جـدوى مـن الرقـود في البيـت غـير الذكريـات، وددتُ ان اسـعده كـما اسـعدني ليلـة امـس، اخبرتـهُ بأننـي عُـدتُ الى العمـل، عُـدت إلى الحيـاة مـن أجـل أن القـاه.

سـارت الايـام بخفـيّ حنـين، اعتـدت الصـبر لتجـاوز الصعـاب، كان الفضـل الكبـير لـه، لـولاه لتطلـب الامـر كثـيراً مـن الالم، ولأنتـج المزيـد مـن الشـعر الابيـض، لـولا رؤيتـهُ لذبلـت اجفـاني، لـولاه لرجعـت لعـصر الثـورة الفرنسـية ليقتلنـي اليـأس بمقصلتـه لـو تَجـرأتُ عـلى المقاومـة، اقـترح عـليّ (احمـد) ان أُغـير مسـكني حتـى لا تحـوم الذكريـات حـولي، كـي ابـدأ مـن جديـد، كان الامـر صعبـاً جـدا، الذكريـات التـي تحـوم حـولي احبهـا واحـاول الهـرب منهـا في ذات الوقـت، مـاذا عسـاي ان افعـل والحـزن يغلـب عـلى الذكريـات ويجعـل اجملهـا تعسـاً، قـررت بعـد التفكـير عـدة ايـام بـأن اوافـق عـلى طلبـهِ وألا اتراجـع عـن قـراري هـذا، ابتعـتُ منـزلاً صغـيراً، كان منـزلاً جميـلاً وخاليـا مـن الذكريـات، يلزمـهُ الكثـير لتكـون فيـه ذكريـات، يلزمـهُ العديـد مـن السـنوات والعنـاق، يلزمـه ليـل وقصائـد شِـعر، كان يلزمـهُ وجـود (رفيـق الـروح) فحسـب.

زرتُ مطعـم (زيـاد) ذات مسـاء، كانـت بينـي وبينـهُ بعـض الالتزامـات يسـتوجب انجازهـا، بعـد ان قـدم لي المسـاعدة في بيـع منـزلي القديـم، دخلـت الى المطعـم، لم ادخلـهُ منـذ سـنوات، تغـير كثـيراً، صـار احـد المعـالم المهمـة في مدينتنـا ولا سـيما للسـياح، وجـدتُ عـدد العاملـين قـد تضاعـف كثـيراً، كـما تضاعفـت مسـاحته، جلسـنا في غرفـة المكتـب، بعـد ان مشـيتُ مبتسـمة وانـا ارى طيفـي يغسـل الصحـون، كنـتُ هنـا قبـل سـنوات، شـعرت بالانتصـار لكـوني اصبحـتُ عـلى مـا انـا

عليـه الان وانـا انظـر الى مـكاني القديـم، كنـت سـعيدة لأننـي امتلـك القـوة لأجعـل مـن صديقـي واخـي الاكـبر (زيـاد) ان يهتـم بجلـوسي عـلى الطاولـة اولاً قبـل ان يجلـس بعـد ان كنـت اتلقـى اوامـر العمـلِ منـه، كان مُنشـغلاً بإعـداد اعـلان لمطعمـهِ الـذي اصبـح فخـماً جـدا، ذكاؤهُ كان سـببا في نجاحـهِ وتميـزهِ بأعـمال التجـارة بالاضافـة الى كونـه طباخـاً ماهـراً وحاصـل عـلى العديـد مـن الشـهادات التقديريـة، كان قـد انشـغل في اعـداد وتحضـير تقريـر تعريفـي لتاريـخ مطعمـه وانجازاتـهِ ليقدمـهُ الى احـدى شركات الاعـلان للحصـول عـلى شـهرة أوسـع، طلـب لنـا القهـوة، ثـم بـادر في جمـع الاوراق المُبعثـرة مـن عـلى مكتبـه، كانـت هـذه الاوراق عبـارة عـن مجموعـةٍ مـن شـهادات تقديريـة بالاضافـة الى صـورٍ لمطعمـه وللعاملـين فيـه، سـاعدته في جمعهـا وهـو يتفاخـر بهـا امامـي مازحـاً، ويقـول «هـل تتمكنـين مـن احصـاء نجاحـاتي؟»، وانـا اجمـع الاوراق شـاهدت شـيئاً لم اتوقـع مشـاهدته، رأيـتُ صـورة تجمـع المـلاك العامـل في المطعـم بأكملـه، شـاهدت شـخصاً قـد رأيتـهُ مـن قبـل، وضعـتُ اصبعـي عـلى وجهـه ..

سألته: من يكون هذا؟

سألني متعجباً: هل تعرفينه؟

اجبته: كلا، ولكن وجههُ مألوفٌ لي.

قـال: هـذا الشـخص الـذي حدثتُـكِ عنـهُ مسـبقاً، هـو الـذي

سرقنـــي، أعطيــت صورتـــه الى الجهـــات القضائيـــة ونُــشِرَت برفقـة امـر المحكمـة بالقبـض عليـه، سـأجدهُ وسـأجعلهُ يدفـع ثمـن فعلتـه سـنوات في السـجن.

صدمنـي هـذا الموقـف، صدمـة لم تكـن في الحُسـبان، كان ذات الشـخص الـذي يرافـق ابنتـه (بيلسـان) حـين رأيتهـا أول مـرة في الجامعـة، تكـرر الموقـف مـرة اخـرى لأراهمـا جالسـين معـا بالشـكل الـذي يهمـس في اذن مـن يراهمـا بأنهـما عـلى علاقـةٍ حميمـة، لم يكـن بالوسـع ان افتضـح امرهـا في هـذا الوقـت، كان هـذا الـشيء مسـتحيلاً حتـى في غـير وقـت، كيـف لي ان اخـبرهُ بـأن ابنتـه عـلى علاقـة بشـخص سيئ وسـارق، كيـف لي ان اضعـه في هـذا الموقـف امامـي، انـا اخـاف عليـه واحبـهُ كثـيراً، تجـاوزتُ الامـر، لم اجعلـهُ يشـعُر بـشيء ولكـن ذكاءهُ احرجنـي، سـألني غـير مـرة لِمَ سـألتُ عنـه، اقنعتـه بـأن وجهـه مألـوفٌ لي ليـس إلا، لم يقتنـع، قلـت لـه «لعـلي رأيـت صورتـه في احـد الشـوارع بعـد ان صـدر قـراراً بالقبـض عليـه»، اجابنـي بأنـه لا يمتلـك أي اقـارب في الحـزب الحاكـم كـي يهتـم احـدٌ مـن السـلطات الامنيـة بشـأن سرقتـه، او يلاحـق السـارق بالضمـير المهنـي الـذي نـراه في الافـلام السـينمائية، يتطلـب الامـر الكثـير مـن الرشـا، وهـو يمتنـع عـن تقديـم أي رشـوة كـي يهتـم مركـز الامـن في العاصمـة بشـأن سرقتـه، كان يتمتـع بأخـلاق الديـن القيـم وليـس بتفرعاتـه المُهتمـة بالتحريـم والتجريـم، أنهـى اسـئلتهُ عـن سـبب سـؤالي عـن السـارق،

تعبتُ قبل الخلاص منه، انهى كلامهُ بأن هنالك سراً وراء هذا الموضوع، وان عينيّ فضحت الامر، اعتدتُها وهي لا تكتم سراً، كانت لهُ فراسة غريبة كان يعرف قصد الكلام من العين لا من اللسان، منذ ان كنت اعمل في المطعم وانا اراقبه خفية حين يتكلم، كان يعطي قراراتهُ بحسب ما يُخمنه من كلام الاخرين، لا يكترث لما يقولون، اذكر ذات مرة بأنه قال على احد العاملين بشأن موضوع ما بأنهُ كاذب، اضطر العامل الى ان يقسم يميناً على صدق كلامه، ولكن (زياد) في وقتها لم يصدقه، بعد ايام كُشِفَ كذب هذا العامل، اتضح ان (زياد) كان على حق على الرغم من ان العامل في وقتها اقسم يميناً، حين تكلم بشأن الامر قال انهُ كشفَ كذبته في وقتها لأنه قرأ في احد كتب علم النفس ان الكاذب حين يدلي بكذبتهِ تتحرك كلتا عينيه او احداها الى احدى زوايا المكان الذي يجلس فيه وانهُ لا يمكن لأحداق العين ان يستقر باتجاه واحد في وقت التفوه بالكذبة، ولكن هنالك بعض المتمرسين بالكذب لا يمكن كشفهم بسهولة، او انهم اعتادوا الكذب على شخص معين فتجاوزوا حاجز الخوف فلم تعُد احداق اعينهم تتحرك وقت الكذب إلا عند تخويفهم بكثرة الاسئلة والشك، حينها سيضطرون الى تكرار الكذب مع بعض الخوف فيمكن كشفهم بالتركيز في احداق اعينهم.

مرَ على هذا الموقف سنين طوال، لكنني استذكرتهُ وانا اكذب عليه، خفت من ان يفتضح امر ابنته، كيف يتعامل مع هذا الموقف؟ مهما يكن تصرفهُ متسرعاً فان له عشرات الاعذار، ونحن نشرب القهوة كُنا نشاهد التلفاز، تكلمنا حول الامور التي جئت من اجلها، سألني عن منزلي الجديد، انا مُعتادةٌ اهتمامه، يهتُم بي كاهتمام الاب بابنته، لطالما يقول لي بأني ان احتجتُ إلى شيء والتجأتُ إلى غيره فأنهُ سيخاصمني طوال حياته، ولهذا السبب التجأتُ له في بيع المنزل.

أذاعت القنوات التلفزيونية اخباراً عاجلة، كانت مفادها أن الحكومة وبعد الاستعانة بالمجلس التشريعي الذي يمثل اخاها التوأم قررت طرد اللجان المبعوثة من منظمة الامم المتحدة من اجل الاشراف على الانتخابات المزمع اجراؤها في الاسابيع القادمة، عَزت هذه القنوات السبب الى عدم التوصل الى اتفاق حول جنسية اعضاء هذه اللجان، والذين أُختيروا بحسب البُغض السياسي الذي يربُطنا بالدول المجاورة على حد ما جاء في تصريحات وزيرِ الخارجية، كانت لبلادنا عدة خلافات سياسية واقتصادية مع كل دول المجاورة، والدول المجاورة للدول المجاورة بقدر تعلق الامر بهمجية وزير خارجيتنا الذي عُيِّنَ بحسب طول ذقنه وخبرته الكبيرة باقامة الاذان والصلاة، فالمناصب في دولتنا يعتليها من كان تقياً وليس من كان خبيراً بشؤون

منصبهِ، والتقوى هنا تقوى الملبس والشكل وليس هنالك وجه للشبه بين تقواهم والتقوى المنصوص عليها في الأديان، حين سمع (زياد) الخبر ضرب بيدهِ على الطاولة فأسقط فنجان قهوته التي لم يشربها لانشغالهِ بالبحث عن الاخبار العاجلة، نادى أحد النادلين في المطعم ليجلب له قهوة جديدة، من خلف طاولتهِ المكتبية، تقدم (زياد) بكرسيه المتحرك الى الامام حتى صار بالقرب من التلفاز بشكل مائل، ظل مندهشاً من الخبر ويُراقب ما سيتلوه التلفاز، لم يتكلم شيئاً، لم اتكلم انا أيضاً، ضجرتُ من الفوضى العارمة التي ستحدُث، تذكرتُ حجم التظاهرات التي ملأت مركز العاصمة من اجل اجبار الحكومة او بالأحرى ارضاخ الحزب الحاكم للعمل على وفق ارادة الشعب، تذكرت نضال (احمد) ورفقائه من اجل انجاح تلك المظاهرات التي ذهبت هُتافاتُها سُدى، كانت فريدة من نوعها، لم تخرج بحجمها تظاهُرة من أي فئة من فئات الشعب منذ سنوات بسبب الصراخ الذي نسمعه من سجون التعذيب العائدة للحزب الحاكم ليلاً والى الحكومة والاتهامات الباطلة بحق كل من يعارض افكارها الجوفاء.

قلتُ لزياد: لولا خروج التظاهُرات العارمة لما صدقنا بأن الحزب الحاكم سيرضخ لإرادة الشعب يوماً ما وان يوافق على دخول المراقبين الدوليين، الامر كان واضحا منذ البداية، ولكن كل ما في الامر انه كان يوجد هنالك

بصيصٌ لأمل التغيير والان اطفأتهُ الحكومة بتعسفها.

قال: لن ينتهي الامر بهذه السهولة، انا متابع للتطورات السياسية للأشهر الاخيرة عن كثب، الامر ليس هكذا، الحقيقة ستقولها صُحف المعارضة يوم غد، ستقول ان وزير خارجيتنا افتعل الموضوع بعد توصية من الحزب الحاكم بكل اطرافه التي استشرت في الجهات التشريعية والتنفيذية والقضائية، الامر لا يتعلق بجنسية المُراقبين؛ لأنهم لو راقبوا العملية الانتخابية فأنها ستكون الانتخابات الاخيرة التي يتمكن فيها الحزب الحكم من ترشيح نفسه، لن يطول الامر، الشعب لن يذهب إلى الاقتراع، هذه بداية النهاية.

قلت: وجهة نظر سليمة، من المؤكد ان الامر مثلما تقول او شبيهاً له، الحكومة خائفة من المراقبة الدولية، لولا تزويرها لِما سَبق من اقتراع لما دامت سنين حكمِها بهذا القدر.

قال بوجهٍ غاضب: لولا سجونها المُظلمة وكثرة الابرياء الذين يقبعون فيها بالتُهم الباطلة لما سكت صوت الشعب، كان في بادئ الامر تخوفٌ يُدمي القلب، ولكنه بعد سنوات اصبح عُرفا واجب الاتباع، لطالما سمعنا اللوم على كل من اعترض على ظُلمهم بصوت عال، نعتوه بأنهُ من اتباع المعارضة، بعدها لم يشاهدهُ احد، لم يعرف احدٌ عن جثتهِ شيئا، كانوا يلقون باللوم عليه لأنه لم يصمت ليعيش ما تبقى لهُ من عمر.

كان (زياد) على مبدأ الاعتدال في الالتزام الديني، مُعارضٌ لإجراءات الحكومة على الرغم من التزامهِ بذات الدين الذي تروج لهُ الحكومة، افكارهُ لا تمت لدينهم الزائف بشيء، كان ذا منهج صحيح متبع لكل اصول دين بما ينص على الرحمة والعدل والمساواة، كان يُعارض كل منهج تكفيري او أي فكرة تحاول ان تسلب حقاً ولو بسيطاً من أي ضعيف على هذه الارض، كان كالكثيرين على ارض هذا الوطن، حبهم للوطن والأُلفة بين اطياف شعبه المختلفة يعلو أي انتماءٍ لهم، ديني او مذهبي او حزبي، لكن السُذج والمتنعمين بخيرات الاموال المسروقة من قوت الشعب كان صوتهم يفوق كل صوت، كان صوتهم يثير الذعر لأننا نسمعهُ عبر مكبرات الصوت لمقرات الحزب الحاكم ولدور العبادة، انتهى لقاؤنا، القيت عليهِ تحيةً ممزوجةً بالشكر لمساعدتهِ لي، تركتهُ بعد نقاشٍ سياسيٍّ أثار غضبه، لكنني تركتهُ مبتسماً لعبارة قلتها لهُ قبل ان اخرج، حتى استمرَّ ضاحكاً وهو يسير معي كي يودعني، قلت له «لطالما اقتنعت بفكرة فصل الدين عن الدولة وهي احدى اسس ومبادئ المنهج العلماني، ولكنني كلما رأيت فتاوى رجال الدين في كنائسهم ومساجدهم اكون على يقين بأنني على خطأ، نحن الان لسنا بحاجة لفصل الدين عن الدولة، نحن الان بحاجة لفصل الدين عن المجتمع

احدثتِ التصريحات الحكومية الاخيرة ضجة كبيرة بين

الناس، وانا عائدة الى المنزل سمعتُ العديد من الاشاعات تشير إلى موعدٍ للاعتصام وسط العاصمة في يوم غد، لم اهتم، لن يحدث هذا، الامر يتطلب معجزة كبيرة لتغيير الافكار السائدة منذ عقود، ليس بالإمكان تغيير الواقع ما لم يُغير الناس اعتقاداتهم، كيف لهم تغيير ذلك وهم يرتادون دور العبادة.

اتصلت (بسارة) لأطمئن على احوالها، قلت لها قبل التحية بأنني اشتقت إليها كثيراً، لم أرها منذ وفاة امي، اسعدني اتصالي بها كثيراً، بعد ان اخبرتني بأن زوجَها اتفق معها بأنهما سيمنحان اسم (قمر) لابنتهما المنُتظرة تيمُناً باسمي، اسعدني ان يكون لي قرين، حتى لو كان فرق العمر والقهر بيننا كبير، وانا اسير عائدةً الى المنزل اتصلت (بأحمد) لأستفسر عن موقفهم من القرار الاخير، كنتُ خائفة عليه، كيف بوسعي ان امنعهُ من الخروج او من قيادة التظاهرات كما حصل في التظاهرات الاخيرة، كيف بوسعي ان احتجزهُ بين اضلُعي كي لا يصيبهُ مكروه، انا خائفة بالقدر الذي يستوجب عليّ احترام مبادئه وافكارهِ التي يتبناها، واحترام مكانتهِ السياسية التي بدأت تكبر بين الوسط الشعبي، كان يجب عليّ ان اكتم كل هذا الخوف كي لا يظن أنني أستصغره، اخبرني بأنهُ مُنشغلٌ باجتماع في مكانٍ سري مع افراد الحزب الليبرالي، كما اخبرني بأنهُ لن تكون لهم أية مظاهرة في الشارع يوم غدٍ،

لأن الحزب الحاكم افتعل هذا لضمان تزوير الانتخابات القادمة من جهة، ولنصب فخ لقيادات التظاهر الاخير واعتقالهم في حال خروجهم من جهة أُخرى، بعد ان انهيت عملي في اليوم التالي، لم اعد الى البيت، ذهبت إلى زيارة امي، اشتقت إليها كثيراً، ذهبتُ ولم اتمكن من عناقها، لم يتبقَ منها إلا قبرٌ يحمل لوحة كتب فيها يوم ولادتها ووفاتها، كنتُ لا ازال شديدة الفخر بها وباسمها، شديدةُ الفخر بتلك الماكنة التي انحنت عليها طوال شبابها لتؤمِّن لنا العيش، نقلتُها معي لمنزلي الجديد كي أراها كل يوم، كي لا انسى تضحيتَها، كي لا انسى شبابها مُحدودبة الظهر، لم أقوَ على الكلام امام قبرها كثيراً، اخبرتُها بأنني انتقلتُ الى منزل جديد وبصحبتي ثيابها ومقتنياتها، حدثتها عن آمالي وعن (أحمد)، اعتذرتُ لأنني لم احدثها عنهُ، احتفظت به بوصفه سراً، صليت الى الرب لأن يجمعني به، كي احقق امنيتها واسعدها وهي في العالم الاخر، كي اكون سعيدة انا ايضاً لما تبقى من العمر، لم اعد اقوى على العيش بمفردي، على الرغم من كل شيء سأبقى بانتظاره، سأبقى بانتظار تلك اللحظة التي سأرتدي بها فستاني الابيض الذي صنعتهُ لي امي منذ سنوات وبقيت محتفظة به الى الان، سأبقى بانتظار تلك الليلة التي سأرتديه بها، كل النساء تعلم ان ثوب الزفاف لن تكتمل اناقتهُ إلا بعد ان تلمسهُ الام.

الثاني من نيسان ..

ذكـرى ميلادنـا، ذكـرى ولادة حُبنـا مـن رحـم الاعجـاب، ذلـك اليـوم الـذي افصحـتُ لـه عـن حبـي، اليـوم الـذي كتبتُ لـه بأننـي افـرح حـين القـاه، ذلـك التاريـخ الوهمـي الـذي اخترعـهُ ليخـبرني عـن اعجابـه، قـال انـهُ يـوم ميـلاده، لكنـه تبـين انـهُ ليـس كذلـك، كان ميلادنـا نحـنُ الاثنـين، تأريخنـا الجديـد بحسـب تقويـم العِشـق، كانـت مصادفـة جميلـة، كُنّـا عـلى موعـد مـع القـدر، لأول مـرة ينصفنـي فيهـا القـدر، لأول مـرة اكسـب شـيئا دون الدفـع بالمقابـل، تمنيتـهُ فأهـداني ايـاه القـدر، كنـت اخشـى تأنيـب الكبريـاء لأننـي امـرأة عربيـة لا يحـق لهـا ان تفصـح عـن حبهـا، قـال لنـا المجتمـع العـربي بـأن علينـا ان ننتظـر النصيـب فحسـب، ان ننتظـرهُ لمُقايضـةِ اجسـادِنا بالثيـاب والحُـلي، اوصانـا بـأن لا تبـدر منّـا كلـمات صريحـة بالحـب، وان تطلـب الامـر، قـد يسـمح لأعيُننـا ببيـان بعـض مظاهـر الاعجـاب، مقابـل ذلـك علينـا ألا نعـترض لـو نعتنـا ذات يـوم وقـال «عديـمات الادب والحيـاء»، هـذا اليـوم يعنـي لي الكثـير، تغـير فيـه طعـم الليـل في افـواه الغـزل، تغـير شروق الشـمس، تغـير ضياؤهـا، تغـيرت ملامـح وجهـي، تغـيرت الـوان ثيـابي، تغيرت فيـه خصـلات شـعري، اصبحـت تنسـاب بـين اصابعـهِ ثملـة، هـذا اليـوم هـو يـوم ولادتي، فـلا عمـر يُحتسـب قبـل رؤيتـه ولا ايـام تمـضي مـن دون لُقيـاه، هـذا اليـوم يعنـي تحقيـق الحلـم الـذي شـغل ليـلي،

شغل اول لحظات استيقاظي، شغل كل نظرةٍ من على نافذة غرفتي، في مثل هذا اليوم تلألأت عيناه في عتمة احلام اليقظة خاصتي، حتى استدلت ببريقها خطواتي نحوه، ركضتُ شغفاً الى الحب، التقيتهُ فنطقت شفتاه بكلمات كان صداها مدوياً في كهف انوثتي المهجورة، انوثتي التي تجاهلت كل رغباتها الى ان القاه، لم يعجبني بشر سواه، لم يلمسني بشر قبله، في مثل هذا اليوم تعلمت شفتاي التفكير، اتقنت تلك الرعشة التي تسبُق القُبْلة، في مثل هذا اليوم ابتلَّت عروق جسدي بعد ظمأ باستنشاق عطره وانا قريبة من كتفه، ولكم في اللاوعي اقتربت من جسده وانا احادثه، في مثل هذا اليوم اعتزمتُ في اناء الليل واقسمتُ بكل عضّة لشَفتيّ في وقت ذكراه، بأنني لن امنعهُ عن جسدي لو شاء الغزل، لن ابقيه مُتحجراً كقارورة عِطر اغريقية في متحفٍ اثري، لن اتمكن من الصبر اكثر وانا واقفة امام صدره، فللإثارة احكام، اعددتُ لهُ الف عذر لو لم يتذكر هذا اليوم، كثرة انشغالاته ومواعيده كانت قبل كُل عذر، تمنيت ان يتذكره، تمنيت ان نلتقي، تمنيت ان يقُبلني على غفلة حتى لا امتلك الوقت الكافي لرفضها، تمنيت ألا ينسى كل شيء كان في بداياتنا، لا شيء في الحب اجمل من البداية، تحققت امنيتي، اتصل بي وطلبَ ان نلتقي على العشاء ليلاً، طلب ايضاً ان ارتدي الثوب الذي ذهبت به الى عيد ميلاده قبل عام من اليوم، كان ذا لون احمر يتخللهُ السواد، من حسن الحَظ انني ما زلت احتفظ به،

طلب إليَّ ان اترك شعري مفتوحاً دون ان يقيده شيء، حتى لا يتلكأ بالكلام بحسب قوله، ابتسمتُ حين سمعت ذلك، لأن من المستحيل ان يتلكأ لسان ينطق شِعرا، هل يحبُ شَعري الى هذا الحد؟ جعلني الفرح أن أعُدَّ ملابسي منذ الصباح، بقيت انظر الى عقارب ساعتي الجدارية، كم هي بطيئة، ظننت في بعض الاوقات أنها توقفت عن الدوران لقرب الأوقات التي أنظرُ فيها إليها، تعبت من الانتظار، كم جميلٌ انهُ تذكر هذا اليوم الذي يعني لحياتي معنى الحياة، كم تمنيت ان يكون (رفيق الروح) مثلي يُقدس الذكريات ولا ينسى البدايات، كان كذلك، يوماً بعد يوم وانا ارى القدر ينصت لأمنياتي، بدأت اخاف على نفسي من هذا النعيم، اخاف ألا يدوم، لم أرَ سعادةً مُطلقةً ذات يوم، لم أرَ القدر من قبل يهديني شيئا دون مقابل، اعتاد فرض الضرائب، طاوعته مُرغمةً فهو لا يتعامل معنا إلا بعقود الاذعان.

بوافرٍ من الفرح، التقيتهُ، التقينا في ذلك المطعم المُطل على البحر، كان موعدنا عند الساعة التاسعة مساءً، دخلت الى المطعم في الوقت المحدد لأنهُ طلب إليَّ ألا اتأخر عن الموعد، لم اعرف السبب، كانت طاولتنا تتوسط المكان، لم يكن (احمد) موجوداً، جلست لأنتظره، مرت عدة دقائق ولم يأتِ، اخرجت هاتفي لأتصل به فأنطفأ النور من حولي، اصبح المطعم مظلماً جدا،

ومـع الظـلام صمـت كل مـن حـولي، اصبـح المـكان سـاكناً، ايـن ذهـب الجميـع؟ بقيـتُ جالسـة التفـت لمـا حـولي، انتظـر رؤيـة بصيـص نـور كـي أسـتدل بـه الطريـق للخـروج، خفـتُ كثـيراً، سـمعتُ صـوت اقـدام أتـت مـن خلفـي، صـارت بالقـرب منـي، لم أرَ شـيئاً، كانَ صـوت حـذاء رجـل، وقـف بالقـرب مـن الطاولـة واخـرج قداحـة مـن جيبـهِ، اشـعل شَـمعتين كانتـا عـلى الطاولـة، رأيـت كـفَّ يـده فقـط، جلـس امامـي فأنـارت الشـموع وجهـه، رأيـت (احمـد) !! ابتسـمَ، ابتسـمتُ انـا ايضـاً، نسـيتُ الخـوف، شـعرتُ بالأمـان لوجـوده، مـن شـدة جمالـهِ نسـيت ان اسـأله عـن سـبب الظـلام الدامـس مـن حولنـا، اكتفيـت بوجـوده الـذي يغنينـي عـن اسـمي وكُنيتـي، انتظرتـهُ ليتكلـم، لم يتكلـم، بقـي صامتـاً بعـد جلوسـهِ، اخـرج علبـة صغـيرة مـن جيبـه، ووضعهـا امامـي، فتحتهـا، كان بداخلهـا خاتـم زواج مرصـع بالمـاس، اندهشـتُ كثـيراً، كنـتُ بحاجـة لتفسـير هـذا الموقـف، نَظـرتُ إليـه لأسـألهُ، سـبقني بالـكلام..

سألني: هل تقبلين الزواج بي؟

لم أتمكـن مـن الـرد لهـول الموقـف، امنيـاتي تتحقـق واحـدةً تلـو الاخـرى، الان سـأهملهن لأن اهمهـا بـين يـديّ، حلـم الارتبـاط بـه، هـل انـا احلـم أو مـا اراه حقيقـة!! نعـم، تمنيـت الـزواج بـهِ، جُـل مـا اتمنـى ان يكـون لي، ان يمتلكَنـي كُليـاً، مـا انـا عليـه الان لم يبـق لي حتـى الحلـم بـه، لم أرَ في حيـاتي موقفـاً بهـذه الروعـة، اغلقـتُ عينـي وفتحتهـا لأكثـر مـن مـرة، ظننـتُ

أنني غفوت على الطاولة وانا انتظره وحلمت بما اراه، ولكن المشهد كان حقيقياً، غمرني الفرح بأمواج شبيهةٍ بأمواج المحيط الاطلسي، شعرتُ بالغرق، ماذا عليّ ان اجيب؟ هل كلمة (نعم) تكفي للإجابة أو عليّ قول ما هو اكثر؟ هل اقول له كم تمنيت هذا اليوم هل يعلم كم اعشقهُ هل يعلم كم انتظرته هل يعلم بأنه الحب الأول هل يعلم بأنه الاخير بكل تأكيد هل يعلم انني حاربتُ كل ما حولي من أجل ان القاه؟ يطلب إليَّ الان ان القاه كل يوم، في كل وقت وفي كل الفصول، يطلب إليَّ ان اغفو على صدرهِ حتى شروق الشمس، يطلب ان تتوحد انفاسنا على سرير لشخصين مُبعثر الاغطية، شتّانٌ بين الامرين، يطلب ان يُقبّلني بلا استئذان وانا على استعداد بأن اقدم لهُ جمالي بأكمله ليدخَنهُ كالسيجار، انا على استعداد بأن انثر جسدي بالكامل على شفاههِ، أبعثرهُ حتى نتنشي الشَغَف بكل ما اوتينا من قُبل.، تركتهُ ينتظر،كنت انصت لأفكار عقلي الباطن، ابتسمت ...

قلت له: انا احبك.

اشتعلت الاضواء من حولنا، رأيتُ كل من حولنا كان واقفاً، كان الجميع ينتظر هذه اللحظة، جاء (احمد) قبل وقت موعدنا ليطلب من ادارة المطعم والحضور بأن يطفؤوا الاضواء دقائق لكي يُفاجئني، لم اكن متوقعة انهُ سيعُد لي مفاجأةً بهذا الحجم من السعادة،

وقفنا وسط تصفيق الجميع، كانوا على شكل دائرة تحيط بنا، تركوا طاولاتهم واصطفوا حولنا، لم اشعر بهم قطُّ، كان وجههُ الممزوج بضوء الشمع يخطُف الذهن حتى لو كان شارداً، ظل واقفاً بقُربي، اخرج الخاتم من علبتهِ الحمراء ووضعهُ في يدي اليمنى ثم قَبّلها، استمر تصفيق الجميع الى ان عُدنا الى مقاعدنا، عادوا الى اماكنهم هم ايضاً، عاد ليجلس في مكانه، قال لي «احبك»، كيف لي ان اشكرهُ على هذا الموقف الجميل، كيف لي ان أُقبّلهُ وسط هذا المكان؛ لأنهُ حقق لي ما تمنيت، ما اجمل ان تتزوج المرأة بمن عشقت، انتظرتهُ عُمراً بأكمله، كانت (سارة) كثيراً ما تقول لي «لولا جمالك لما طاوعتك في رفض كل من تقدم لكِ، ولكن المهم ألا تتجاهلي حقيقة ان لكل جَمال عمرا افتراضياً، اتمنى ان ينتهي غرورك قبل فوات الاوان»، لم تُصدق بأنني كنت بانتظار العشق، انا لم اكن افكر في بناء حياة زوجية على الاعجاب فحسب، كان العشق شرط الارتباط ضمن مبادئي.

قلتُ له: شكراً على هذا المُفاجأة، حقاً انتَ رائع.

مسك يدي وقال: في الحقيقة، لم اكن انوي اتباع هذه الطريقة، لكنني لم اجد اجمل منها، استوجب عليّ جعلها بشكل مُفاجأة وفي مكانٍ عام كي تبقى اجمل ذكرى لنا.

قلت: رائعٌ انت كيفما تكُنْ.

اراد ان يطلـب لنـا الطعـام، لم اوفـق، طلبـت إلى النـادل ان يجلـب لنـا فنجانـين مـن القهـوة فقـط، كان المكان جميـلاً جـدا ولكنني تضايقـت بعـض الـشيء مـن نظـرات النـاس مـن حولي الذيـن شـاركوني هـذا الموقـف الجميـل بتصفيقهـم، كانـت نظراتهـم تعبث بأفـكاري، لم استـطع التكلـم معـه، طلبـت إليـه ان نكمـل حديثنـا ونحـن نسـير عـلى الشـاطئ، هنالـك سـنجد متسـعا كافيـا مـن الكـون لكلامنـا، اردتُ الذهـاب الى ذلـك المقعـد، هـل كنـت مُـصّرة مـن اجـل الهـدوء والعزلـة؟ أو طمعـاً بقُبلـة اخـرى؟ قُبلـةٌ مشـابهةٌ لتلـك القُبلـة التـي اهـداني اياهـا اول مـرة، القُبلـة الاولى التـي لا تفـارق اذهـان اي امـرأةٍ وهـي في قيـد الارق، سِرنـا عـلى الشـاطئ، نبهنـي (احمـد) بأنني اسـير مُسرعـة، كانـت خطـواتي متسـارعة مـن شـدة الفـرح، مسـكتُ بيـده مـن مرفقهـا فتغـير الامـر، صرنـا نمـشي معـا الى الغـد، الى تلـك الايـام التـي لا تعـد، نسـير لتحقيـق كل احلامنـا، المُبـاح منهـا وغـير المُبـاح، لم يعـد هنالـك فـرق، كـما لم تعـد هنالـك حاجـة للذرائـع لأقـترب مـن جسـده خِلسـةً لأسـترق الشـم من ذلـك العِطـر الـذي يفـوح مـن رقَبَتـه، تفاجئـتُ حـين اخـبرني بأنـه قـد تحـدث في موضـوع خطبتنـا مـع (يعقـوب) كان قـد تكلـم ليعـرف مـدى اعتراضـهِ لـو تقـدم وطلـب يـدي، سـألتهُ عـن السـبب فقـال لي «يجـب عـليّ ان اكـون جـاداً وصادقـاً لأحظـى بـك»، كان فَرِحـاً حـين لم يـرَ أي وجـهٍ للاعـتراض مـن (يعقـوب) كان خائفـا مـن ألا يعـارض لكونـهِ مسـلماً، ولكـن (يعقـوب) حـين سـمع طلبـه لم يقـل لـهُ سـوى الكلـمات التاليـة

«تهمني سعادتها، اسعدها وكن على الدين الذي يُعجبك، كان سعيداً مثلي، كانت كلماتهُ جميعها تصحبُها الابتسامة، غازلني حتى ازداد الموج وعلا، صوت الموج اجبرنا على الوقوف، صرنا وجهاً لوجه، نظر في عيني، وهو يأخذ خصلةً من شعري كانت قريبةً من وجهي ليضعها خلف كتفي، رجع خطوتين الى الوراء ..

سألني: هل تودين سماعي؟

قلت لهُ: لطالما حلمت بذلك.

رجع خطوتين الى الوراء ليقف وقفة الشُعراء، رفع يدهُ اليمنى ليعلو مستوى سطح البحر، لتتغير اشارات الغزل في اروقة العِشق، اغلَق عينيه وفتحهما، تحركت شفاههُ بالإبداع ..

قال:

تَرهق أنوثتكِ احرف الابجدية

فلا اجد أحرفا أنحرها تحت أقدام جمالكِ

سأجعل من الاحرف ورود ياسمين

لأنثرها على جسدكِ

دون شفتيكِ

لأنني سأُقبّلها حين تنتهي احرفي

سيطغى عطر مساماتك على عطر الياسمين

سيكتسب الورد رحيقهُ منكِ

يا من تضفي رقتها للورد رقة

يا من تُداعب مشاعري بنظرة عيـن

يا من تقتلني بالصمـت لو شاءت

وتحييني لو صمتت اكثر

صمتكِ موسيقى ..

كتلك التي يطرب عليها كفيف البصر

أأصلي صلاة استسقاء لكلماتكِ؟

هل تستجيب السماء لدُعائي وتتكلمين

يا سيدة التفاصيل الجميلة

إنني أهيم بكِ كل مساء

إنني أعشقكِ في كل صباح

اعجابكِ بكلماتي المُتيمة بك

يبعث الامل بحبر اقلامي

كـي اكتُبَ اكثر

كي أتمناك اكثر

اتمناك حلماً ..

لأرشيه بالقصائد كي يتحقق

سأكتب لكِ المزيد من القصائد

مزيداً من الاحلام

سأبقى بكِ احلم .. و للحلم بقية.

تأكـدتُ مـن انـهُ حـين كتـبَ هـذه الكلـمات لم يكـن يمسـك بيـده قلـما، كان يمسـك سـكينا ليقطـع لي بـهِ جـزءً مـن الخيـال ويمنُحنـي ايـاه، اخـذني عـلى سـطح كوكـب اخـر غـير كوكـب الارض، مـكان لا ارى فيـه سـواه، أداؤهُ كان مُدهشـاً، يقشـعُر لهُ البـدن، كلماتـهُ لهـا قُدسـية واجبـةُ التصديـق، كتلـك الخُرافـات التـي تتلـو عـلى سـمع المتدينـين في دور العبـادة، حـين ينصـت المؤمـن لـكلام لا يقـوى عـلى سـماعهِ، كلامٌ اكـبر مـن ان يفكر في فحـواه او يتفكّـر في مصـدرهِ، كان ينتقـي كلماتـهُ كالذيـن ينتقـون الجـواري في العصـور الجاهليـة، حينـما كان يختـارون اكثرهُـن اثـارة، لمقاصـدهِ نشـوة، كنشـوة الـكأس الثالـث مـن النبيـذ المُعتـق، أدمنـت شِـعرهُ، أدمنـت كلماتـه، أداؤهُ، أدمنتُـهُ بـكل مـا تحمـل الكلمـة مـن معنـى، لا اريـدهُ ان يتوقـف، ولكنـهُ توقـف، انتهـت ابيـات قصيدتـهُ، انتهـى فهـدأ المـوج، عـاد الكـون إلى

طبيعتـهِ وإلى قوانينـهِ الفيزيائيـة، اتعبـت ابياتـهُ الكـون بأكملـه، يَخـرجُ الغـزل لاهثـاً مـن ابياتـه، ويخـرجُ القصـد منهـوكاً ليجثـو عـلى ركبتيـه، أداؤهُ الجميـل ادى الى ذلـك، يتعـب كلُّ مـن يقـف امـام ابيـات شـعره، اتعبنـي جـداً، وقفـت انصـت لـهُ، انصـتُ لمـا يكتـب مـن أجـلي، انـا وحـدي، مـا اجمـل ان تنصـت المـرأة لحبيبهـا، و يـا ويلهـا لـو كان شـاعراً.

لم اجـد كلامـاً كافيـاً للتعبـير عـن سـعادتي، كان يومـاً يختـصر كل احلامـي، حـين اكـون برفقتـه، اشـعر بـأن القـدر اضحـى رهـن اشـارتي، ايقـن أن مـا يحـول بينـي وبـين تحقيـق احلامـي هـو مجـرد الحلـم بهـا.

كنت احمل بيدي حقيبتي الصغيرة، رميتُها ارضاً وصفقت له

قلت له: كفاكَ جمالاً، يا قنديلاً يطفو على شاطئٍ مُعتم.

اكملنـا مسـيرنا عـلى الشـاطئ لنصـل الى مكاننـا المنشـود، جلسـنا هـذه المـرة بالقـرب مـن بعضنـا اكثـر ..

قـال: قمـر، انـا سـعيدٌ جـدا؛ لأنـك قبلـتِ الـزواج بي، ولكـن هنالـك موضوعـا في غايـة الاهميـة يسـتوجب علينـا اتخـاذ قـرارٍ بشأنه .

اجبتـه: حـين وافقـت عـلى الـزواج كان في خاطـري كل مـا سـتقوله، ولـولا اننـي فكـرت مليـاً لَمـا احببتُـك، كيـف لي ان احـب وسـط حواجـز تمنـع توحُـد المسـتقبل،

انـا لا اريـد ان اكـون كهـؤلاء الذيـن عشـقوا بوجـه شـاحب مـن شـدة الحرمـان.

قـال: انـا ذهبـت الى (يعقـوب) بعـد ان تعرفـت عليـه في اثنـاء مراسـيم جنـازة والدتـك، اتصلـتُ بـه وطلبـت إليـه ان نلتقـي، حدثتـهُ عـن نفسـي لأننـي وجدتـهُ الاهـم بالنسـبة اليـكِ، وجدتـه انسـانا جديـر بالاحـترام والثقـة، كانـت غايتـي الوحيـدة هـي ان اعـرف ان ذويـك لـن يضعـوا حاجـز الديـن بينـي وبينـكِ.

قلت: لِمَ لم تسألني اولاً؟

قـال: فكـرت في ان يكـون الامـر مفاجـأة لـكِ، قـررت ان اختـار الطريقـة التـي رأيتهـا، ولكـن هنالـك شـيئا أحزننـي.

قلت: ما هو؟

قـال: تحدثـت مـع والـدتي واختـي بشـأن زواجنـا، لم يوافقـوا، قالـوا لي «انـت تعيـش بعيـداً فكـن حـراً في قراراتـك، وان اخـترت مسـيحية لتشـاركك حياتـك فـلا تـأتي بهـا الى هُنـا» فكـرتُ جيـداً ثـمُ قـررت أن اكـون انـا صاحـب القـرار، الـرأي الـذي سَـمِعتهُ منهـم كان عُرفـاً يُحتـذى بـه في قريتنـا لأن هنالـك سُـخطاً لمـن لا يتبعـه، لم يكـن بوسـعي ان اذهـب الى اقـارب والـدي الذيـن لم أرهـم منـذ سـنوات لأطلـب إليهـم المجـيء الى هنـا مـن اجـل طلـب يـدكِ، نحـن في مجتمـع عـربي وانـتِ تعلمـين الخطـوات الواجـب اتباعهـا في هـذه الامـور، كيـف لي

ان اتقــدم لــكِ الان؟

قلت: انظر الى يدي؟

قال: ما بها؟

قلـت: خاتـمُ زواج، منحنـي اياه رفيـق روحـي قبـل قليـل، منحنــي معــهُ مســتقبلاً مملــوء بالفــرح والشِــعر، وافقــت فارتديتــه، هــل تتطلــب موافقتــي شــيئا غــير ارتدائــه؟ هــل يســتوجب عــليّ وانــا بهــذا العمــر ان استشــار احــدٌ كــي يمــلي عــليّ مــا ســيكون عليــه مســتقبلي؟

قــال: افهــم مــن ذلــك انــكِ لــن تطلبــي إلي المراســيم الرســمية للخطبــة ومــا اعتــاده مَــن حولنــا؟

قلت له: كلا.

رُســمت عــلى ثغــره ابتســامة واســعة، اتــكأ واخــرج علبــة ســجائره، اشــعل ســيجارة، لم يتكلــم عــدة ثــوانٍ ..

قلت: ما بكَ؟

قــال: أحبــكِ في كل يــوم اكثــر مــن اليــوم الــذي ســبقه، هــل تذكريــن حــين قُلــت لــكِ بأننــي لا أؤمــن في حُــبٍ يُلــوح للارتبــاط؟ اتفقنــا حينهــا ان تكــون ارواحنــا هــي صاحبــة القــرار، لم اتوقــع ان الامــر ســيكون بهــذا الشــكل، في كل مــرة كنــا نتحــدث فيهــا كان اعجــابي بــكِ يــزداد،

كنت انوي التحدث معكِ بشأن الامر، ولكن الحواجز التي بيني وبينكِ حالت دون ذلك مراراً، كم مرة حدثتني بأنكِ رفضتِ الكثير من الذين تقدموا لكِ، قلتِ لي بأنكِ كنتِ تختلقين الاعذار ان كان المُتقدم (مسيحي) وان الامر يكون يسيراً جداً لو ما كان المتقدم لكِ كان (مُسلماً) فالذريعة متوفرة.

قلت له: صحيح، لكنني كنت ارفض بالحجج الكاذبة، كل من تقدم لي لم يمتلك مُسبقاً شيئاً من قلبي، لم أُعجب بهِ حتى، انا لم ارفض شخصاً تقدم لي بسبب دينه، كانت حججا لانتظارك، انت ظلمتني الان.

قال: حبيبتي، انا اعرفكِ جيداً، واحترم ثقافتك ومبادئكِ اللتين جعلتا من شخصك انسانا جديرا بالحب والتقدير، انا لا اتهمكِ بأنكِ هكذا، ما وددت قوله ان هنالك حاجزا بيني وبينكِ، من المؤكد بأنكِ ستعانين في تقديم الحجج لقبولك إياي، في حين انكِ رفضتِ الكثير ممن هم على شاكلتي، ما الذريعة التي ستقدمينها لأقربائكِ؟

قلت: انا ألومك لأنك سألت (يعقوب) في شأن يخصنا نحنُ الاثنان فقط، لم تخطئ في ذلك، احسنت صُنعاً، صدقني لن أُشاور غير عقلي في موضوع زواجِنا، لن اخضع لضوابطَ من احد، لن اعترف بأعراف المجتمع بأكملها، لن انصُت لما تُمليه علينا العشيرة.

قال: هل فكرتِ على اي دين سنتزوج؟

قلت: لنتخلَّ عن اديانناا لما تبقى من العمر.

قال: هل الامر بهذه السهُولة؟

قلت: لِمَ لا نرجع الى الحرية، الى اول خمس دقائق بعد ولادتنا، حين ولدنا عُراة بلا اسماء، بلا اديان، بلا خطايا، بلا احقاد؟

اجابني: نعود، لِمَ لا.

قلت: ما رأيك بأن نتزوج على كلا الدينين؟

قال مبتسماً: كيف؟

قلت: نعقد القِران بحسب دينك لاستكمال الاجراءات الرسمية، وبعدها نذهب الى الكنيسة من اجل الاعلان و الرسومات وصلاة الشُكر بحسب ديني.

قال: فكرةٌ جيدة، اتفقنا.

ايقنتُ بأن للحب قوة تستطيع كسر كل الحواجز التي يضعها المجتمع، لا سيما المجتمع المتدين او المُتبع لعادات وتقاليد الاسلاف حتى عدها ديناً يضاف الى دينه الذي يتبعه، وجدتُ الحل لما كان يجعل ليلهُ مملوء بالأفكار، كان عليه ألا يجادل قلبي، أنا مستعدة على فعل المستحيل من أجله، أنا احبه، لما بعد الموت سأحبه،

استمر حديثنا طويلاً، تحدثنا عمّا نحلم، صرنا نحلم معا، حلمنا بالوان غرفتنا واغطية سريرنا، حلمنا بأي يوم وشهرٍ سنتزوج، احترنا في أي فصل من فصول السنة سنختار لزواجنا، حلمنا بكل قوانا العاطفية، اتقفنا على كل شيء قبل ان نقوله، لم نختلف ولن اختلف معه حتى يحملني بين يديه لأدخُل الى بيته، سهِرنا، ثم عدنا ادراجنا سيراً، اخبرني بأنه سيسافر غداً، لم يخبرني قبل ذلك كي لا يفسد عليّ فرحة خاتمي الجديد، اخبرني بأنه سيذهب الى عدة مدن من اجل حملتهم الانتخابية، سيستغرق سفره بعضة اسابيع، كان الخبر سيئاً لأنه لن يكون برفقتي وانا في أوج فرحتي، كنت افكر في تناول الافطار معهُ يوم غد ولكنه سيسافر، وقف امامي قبل ان نفترق، كنتُ ابحث عن كلام كقصيدته، كلام يفي بالغرض، والغرض هو ان اتقدم لهُ بالشكر، انا بحاجة الى شُكرٍ بحجم الاجرام السماوية، كيف لي ان اصف له كيف تغيرت ايامي معه، بتُ اخاف بأن القادم من العمر لا يكفيني منه، اراد ان يودعني وانا لا احتمل لحظة من لحظات وداعه، لا امتلك كلاماً للوداع لكرهي الشديد له، لم يسعني إلا ان اتمنى ان ترافقهُ السلامة وان يعود لي بأقصى سرعة لأنني بدأت اشتاق إليه وهو لا يزال امامي، لم يُقبّلْني هذه المرة، انتبه لموقفي السابق، حين انهيت لقاءنا وتركتهُ على عجل، انتظرتهُ كثيراً ولم يقترب مني، عانقتهُ بمحض ارادتي، تُوسدت صدره، اغمضت عيني وتمنيت الحياة الابدية، تغلغلت يدهُ خصلات شعري

فتمنيت الخلود، كنتُ اظن أن كُل وطن يتطلب تكوينهُ مساحة من الارض وشعبا يقطنهُ وحكومة مستقلة تحكمهُ ليسُمى حينئذٍ (وطن)،

لم اكن اعلم بأن الوطن من الممكن ان يُختصر بين كَتِفين، كنت اود لو انني اجد امي في البيت لأخبرها، كان حلمها بأن تراني بالثياب البيض، عدتُ الى البيت ولم اجدها، كانت في قبرها، كنتُ متأكدةً من انها تشعُر بي وتراني، أصبحتُ على يقين بأنها الان سعيدةٌ مثلي، حين دخلتُ الى البيت، شعرت بأن روحها كانت بانتظاري، تكلمتُ همساً لعلها تسمعني، اخبرتها بأن من كنت بانتظارهِ طوال هذا العمر طلبني للزواج، يا ليتها تسمعني، يا ليتها تراني.

في تلك الليلة، احتلَّ خاتمي الجديد كل احلام اليقظة التي كانت بانتظاري على الوسادة، تغيرت الامنيات تغيراً جذرياً، لم اعد اتمناه، اصبح حقيقة، ذلك الشاب الوسيم الذي كنت اشتهيه من على بعد امتار بقلبٍ يعضُ شفاههُ، بعد الان، سيحين وقت عناقه كلما تيسر الغزل، بعد الان سيقف امامي ليشدو وافرا من القصائد لينال استحساني، بعد الان سيجعل العالم اجمعهُ ينصت للحظة التقاء مستقبلينا لتسير ايامنا معاً مُتكاتفة الاوقات، حالت السعادة بيني وبين النوم، بقيت احلم الى ان أشرقت الشمس، كان نهاراً جميلاً مع خاتمي الجميل، كنت اتوق إلى رؤية الصباح حتى اتصل بصديقتي (سارة) واعلمها بالأمر، بالتأكيد انها ستكون سعيدة من أجلي.

ذهبت الى العمل دون ادنى شعور بالتعب، ارتديت اجمل ما لدي من ثياب، وانا في طريقي الى العمل اتصلت (بسارة)، استيقظت فرحاً من أجلي، كانت هي اول من تقدم لي التهنئة، تقدم لي كل العاملين في الشركة بالتهاني والتبريكات، وبعد ان انتهيت منهم جلستُ بالقرب من صديقتي ....

سألتني: هل تُحبينهُ؟

اجبتها: اعشقهُ.

قالت: كم استمرت علاقتكم؟

قلت لها: اكثر من عام، قضيتُ عاما يسبقه بالتمني.

حركت حاجبيها تعجباً، قالت: جميلٌ جداً، ولكن لِمَ رفضت (صالح)؟

استغربتُ من معرفتها به، سألتُها بملامح وجهٍ غاضبة: ومن اين تعرفين (صالح)؟

ذهبت إلى إحدى زوايا الغُرفة لتجلُب لنا القهوة ...

قالت: قولي لي سبب رفضك له وسأجيب عن سؤالك.

قلت: كان رفضهُ شيئا طبيعيا ومُتوقعا، رفضتهُ لأنني لم احبه، لم يعجبني ذات يوم، من المستحيل ان ارتبط بشخص لم اعشقه، ولكنه كان فظاً، يريد اتباع طرق تقليدية للزواج،

اعتقـد ان المـرأة بحسـب مبادئـه سـلعة يمكـن شراؤهـا، او مُسـاومتُها.

قالـت: لِمَ تتكلمـين بغضـب عنـه، أشـعر أنـكِ تبغضينـهُ بغضـا يكفـي لرفضه.

قلـت: انـتِ الان أجبـتِ اجابـة واضحـة عـن سـؤالكِ نيابـة عنـي، انـا تحسباً لأن يكـون (صالـح) مـن معارفـك او قريـب لـكِ لم اجب بهـا، لانـهُ لـن يكـون مـن اللائـق ان اقـول عنـه كلامـا سـيِّئا في غيابـه، انـا لا احـب النميمـة، انـا قلـت لـه صراحـة و وجهـاً لوجـه أننـي ابغضـه ولا اود التكلـم معـه ليتجـرأ مـن الاسـاس لخطبتـي، ولكنـه جـاء عنـوة الى بيتنـا وطلـب يـدي ورفضـت، ولكـن مـن ايـن تعرفينـه؟

قالـت: كنـت اعلـم ان لـكِ خلقـا عاليـا، انـت لا توديـن التكلـم بسـوء بحقـه وهـو كان السـبب في انهـاء خدماتـك مـن الجامعـة.

صدمنـي الموقـف جـداً، انسـكبت القهـوة مـن يـدي الى الارض....

قلتُ لها بدهشة: كيف ذلك؟

قالـت: بعـد ايـام مـن توظيفـكِ في الشركـة عَلمـتُ بأمـركِ، لم اود التكلـم معـكِ بشـأنه كـي لا تكرهينـي ظنـاً أننـي سَـأُحَدثُ زُملاءنـا في الشركـة بشـأن وظيفتـكِ السـابقة،

قـررت التريـث الى ان اكسـب صداقتـكِ، كنـت اتكلـم عـبر الهاتـف بشـأن توظيفـك مـع المهنـدس (يعقـوب) وخـلال حديثنـا قـال لي اسـمكِ الكامـل، حينهـا كان زوجـي يجلس بالقـرب منـي وهـو يقـود السـيارة، انتبـه الى الاسـم وسـألني عنـك، اجبتـهُ بأنـني لا اعرفـكِ بعـد، وبعـد ان تعرفـت بـكِ وتأكـدت مـن اسـمكِ، اخـبرني زوجـي بشـأن مـا حصـل لـكِ، زوجـي أسـتاذ جامعـي في كليـة الهندسـة وزميـلٌ لـكِ في الجامعـة، اخـبرني بـأن مدير قسـمك في كليـة العلـوم السياسـية اتفـق مـع احـد الطلبـة عـلى ان يسـتفزوكِ للتحـدثِ بشـأن الحـزب الحاكـم وقـد زودهُ بجهـاز صغـير لتسـجيل الصـوت للايقـاع بـكِ، حدثـني عـن اختـلاف العقـول وطُـرق التدريـس في تخصصكـم وعـن حجـم المصاعـب التـي يواجُههـا التدريسـيون في تخصصكـم وكذلـك في تخصـص علـم الاجتـماع والقانـون، تلـك الاختصاصـات التـي يُجـبر فيهـا الاسـتاذ الى التطـرق للسياسـة وانتقـاد الحكومـات.

غَلبـت عـليّ الدهشـة، ذلـك الشـخص الـذي انتابنـي النـدم بسـببه ظنـاً منـي أننـي قـد ظلمتـه بالحكـم عليـه مـن خـلال تدينـه بالملبـس والـكلام فقـط، ذلـك الـذي انبنـي ضمـيري مـن أجلـه وهـو عديـم الانسـانية ولا يسـتحق ان يكـون انسـانا.

قلت: لِمَ فعل هذا؟ ما ذنبي؟

جلست بالقرب مني، اعطتني منديلاً لأمسح ما على وجنتيّ من دموع ....

قالت لي: لا تبكي، حدثني زوجي عنهم، شعرتُ منذ ذلك الوقت بحجم الظلم الذي حَلَّ بكِ، كُنتِ تريدين تنوير الجيل القادم وهم يريدونه جيلاً جاهلاً كي يمارسوا بحقه دينهم الزائف، لا يساير الاصلاح مبادئهم، الاصلاح يمزق الاغلفة التي غلفوا بها العقول بصمغ الدين، هم يتبعون من الدين ما يلبي نزواتهم فقط، وما تبقى منه (لم يتفق عليه الفقهاء).

لم اكن أتوقع ان الظلم لدى البشر يصل الى هذا الحد، لم اتوقع ان انهاء خدماتي من الوظيفة كان بفعل فاعل، ومن الفاعل!! ذلك الانسان الذي كرهتهُ وكنت محقه في ذلك، ندمت على ندمي للحظات من أجله، ظننتُ أنني ظلمته، لم اعلم انه بهذا الخُبث، ولكنني حتماً سأنتقم منه، صليت للرب من اجل ذلك، صليت بدموع كثيرة، كم كنت احب تلك الوظيفة، كم حزنتُ حين خسرتها، سأراه ذا يوم يبكي دموعا تشبه دموعي الان، انا واثقة بذلك.

مرت الايام وتقويم ايامي متوقف، لم يكن (رفيق الروح) بالقرب مني، ولكنني كنت سعيدةً لأننا على ذات الكوكب، كنتُ مُتأكدةً من انهُ سيشتاق إليَّ، مرت ايام قليلة وبقي الكثير، عليّ ان اصبر، حين يعود سأكون بانتظاره في بيته،

فقـد اعطـاني مفاتيـح بيتـه، سأسـبقهُ في الذهـاب الى هنـاك لأعـد لـهُ الطعـام، سـانتحل شـخصية زوجتـه مؤقتـاً فانـا لا امتلـك الصـبر الى حـين عقـد قرانِنـا، خـلال هـذه الايـام تمكنـتُ مـن أن أنقـذ ابنـة صديقـي (زيـاد) مـن خطـر ذلـك اللـص الـذي كان ينـوي سرقـة قلبهـا كـما سرق امـوال ابيهـا.

ذات يـوم ذهبـتُ إلى شرب فنجـان مـن القهـوة، وانـا احتسـي قهـوتي اتصلـتُ (بسـارة) لأذكرهـا ببعـض ذكرياتنـا في هـذا المـكان وامازحهـا لأخفـف عنهـا المَهـا، كانـت لا تتمكـن مـن الخـروج، اقـترب موعـد ولادتهـا، طلبـتُ إليهـا ان تكـون برفقتـي ولكنهـا لم تتمكـن، خـلال ذلـك، رأيـتُ (بيلسـان) تَمُـر مـن امـام المقهـى، كانـت برفقـة ذلـك اللـص، انهيـتُ اتصـالي مـع (سـارة) عـلى عجـل، طلبـتُ نـادل المقهـى مـن اجـل دفـع الحسـاب، خرجـتُ مسرعـة اتبـع خطواتهـم، وانـا اسـير خلفهـم متخفيـة سـاعدني كثـرة عـدد الزائريـن لمدينتنـا مـن السـياح وكثافـة المـارة في الشـارع الـذي يعـد مـن اهـم مراكـز المدينـة، وانـا اسـير راودتنـي الـف طريقـة يمكنني اخبـار (زيـاد) بـأن يـأتي ليلقـي القبـض عليـه، ولكننـي كنـت مجـبرة عـلى عـدم الافصـاح بشـأن (بيلسـان) سـيكون الموقـف قاسـياً وهـي بهـذا العمـر، فلـو افترضـت انـي اخبرتـه مـن خـلال الهاتـف ووشـيت بمكانهـا فسـتكون هـذه اخـر مـرة يمنـح فيهـا (زيـاد) الثقـة لابنتـه، سـتكون علاقتهـا بأبيهـا لمـا تبقـى لهـا مـن العمـر صعبـةً جـداً، ومـن جانبـهِ ايضـاً فـماذا يكـون موقفـه وابنتـهُ عـلى

هــذه الحــال، تراجعــتُ اكثــر مــن مــرة عــن قــراري، توقفــت عــن تتبعهــما ثــم واصلــت الســير، كنــت في حــيرة مــن امــري، ارى هــول الموقــف فأتراجــع، ثــم افكــر في مســتقبل (بيلســان) فأواصــل الســير، مــاذا يفعــل بهــا؟ لا يوجــد عــلى ســطح الارض لــصٌ غبــي، ذكاؤه سيســهل عليــه الكثــير ليســرق اكثر مما سرق، فكــرت مليــاً ثــم قــررت، رأيتهــم يدخلــون إلى احــدى المقاهــي، جلســوا عــلى أحــد المقاعــد الخارجيــة للمقهــى، اتصلــتُ (بزياد) ليحــضر عــلى الفــور، كانــت المنطقــة التــي رأيتهــم فيهــا تبتعــد مــن مناطــق ســكنانا، فكــرت في ان اســاعد (زيــاد) في القبــض عــلى اللــص دون ان يعلــم ان ابنتــهُ عــلى علاقــة بــه، فكــرتُ في خطــة تكللــت بعدئــذٍ بالنجــاح، بقيــت عــلى اتصــال معــه طــوال مــدة طريقــه إلينــا، اخبرتــهُ بأننــي رأيــتُ اللــص الذي سرقــهُ بعد ان تذكــرت وجهــه مــن خــلال الصــورة التــي رأيتها عــلى مكتبه، اوصيتــهُ بــألا يــأتي بمفــرده بعدمــا اصر عــلى ذلــك، حذرتــهُ بــألا يكــون اللــص في حوزتــه ســلاحاً او ادواتٍ جارحــة، لأنــه مــن المؤكــد عــلى علــم بأنــه مُلاحــق مــن قبــل الســلطات بســبب جريمتــه، اوصيتــهُ بــأن يذهــب الى مقــر الامــن في المدينــة ليطلــب إليهــم اصطحــاب عجلــة للشرطــة للقبــض عــلى اللــص، بقيــتُ بانتظــاره، لحُســن الحــظ تذكــرت بــأن (بيلســان) قــد اعطتنــي رقــم هاتفهــا حــين رأيتهــا في الجامعــة، اتصلــتُ بهــا، لم تُجــبْ عــلى اتصــالي المُتكــرر، اعلمنــي (زيــاد) مــن خــلال اخــر اتصــال بأنــهُ عــلى مقربــة منــي، واصلــت الاتصــال بهــا، اجابتنــي، قلــتُ لهــا «حافظــي عــلى هدوئــكِ، الشرطــة امامــكِ،

هـم يبعـدون منـك بضـع خطـوات، سـيلقون القبـض عـلى الشـخص الـذي بجنبـكِ» التفتـت إليـه وبكـت، ازداد الامـر صعوبـة، قلـتُ لهـا «لا تنظـري إليـه، لا تبكـي، تجنبـي الارتبـاك، اخبريـه بأننـي احـدى اقاربـكِ، اتصلـت بـكِ لأخـبرك بـأن والـدكِ تعـرض لحـادث سـير وهـو الان في المشـفى وعليـكِ الحضـور، وانـكِ تبكـين بسـبب هـذا الخـبر، اغلقـي الهاتـف ثـم اسـتأذني منـه للذهـاب الى دورة الميـاه، ابقـي في اخـر زاويـة مـن المقهـى، سـتحدث ضجـة وسـيخرج الـكل دقائـق، لا تخرجـي، انتظـري الى ان تذهـب الشرطـة، سـأكون بانتظـاركِ عـلى الجهـة المقابلـة للشـارع، لا تخـافي، تحركـي الان، كان الفارق بعـض ثـوانٍ، وإلا كان (زيـاد) قـد كشـف امرهـا، فارقتـهُ (بيلسـان) بحسـب مـا وجهتُهـا، أنهـال عليـه (زيـاد) بالـضرب حتـى منعـوه افـراد الشرطـة مـن ذلـك، قُبِـضَ عليـه، اخـذت (بيلسـان) معـي الى البيـت، كانـت توشـك ان تنهـار، قدمـتُ لهـا عصـير الليمـون كـي يُهدئهـا، ظلـت صامتـة ولم تنطـق بكلمـة، وحـين توقفـت عـن البـكاء ....

سألتني: لمَ فعلتِ ذلك؟

أدهشـني سـؤالها، بـل ادهشـتني الكراهيـة التـي كانـت عـلى ملامـح وجههـا ..

اجبتها: وماذا فعلت؟

قالت: لِمَ اخبرتِ ابي ليقبض عليه؟

اجبتها في حيرة: وماذا تريدين؟ ان تستمرَّ علاقتكِ مع لص سرق اباك، لم يُحافظ على ما أُؤتمن عليه، فكيف يحافظ عليكِ؟

القت الكأس التي بيدها بوجهي، تهشمَ بالجدار الذي خلفي

صرخت بصوتٍ عال: وما شأنُكِ انتِ؟ ما علاقتكِ بالموضوع؟

لم اكن اعلم أنها بهذه الوقاحة، رأيت امامي بنتا غير التي اعرفها، تغيرت كثيراً عمّا اعرفها ...

قلتُ لها: لعلكِ مُتأثرة لكونهِ حُبَّكِ الاول، هذا إن كان حُباً بالفعل، تصرفكِ الطائش هذا يدُل على انكِ ما زلتِ في عُمر المراهقة، لم ينضج عقلكِ بعد، كوني واعية في علاقاتكِ التي ترتبطين بها، عليكِ ان تختاري ما يليق بكِ وبعائلتكِ، لا مَن يسرقها.

أجابتني بصُراخ: الغيرة هي من دفعتكِ لتهدمي مستقبلي، انا مُتأكدةٌ من انكِ الى الان لم تجربي علاقة حُب واحدة، انتِ مُعقدة وتُعانين مرضا نفسيا والدليل انكِ ما زلتِ عانسا.

جرحني كلامها، انهالت دموعي حتى بتُ لا اقوى على الرد، ندمتُ لأنني منعت (زياد) من معرفة حقيقتِها، ندمتُ بقدر ندم المُلحد وهو في سكرات الموت، بكيت كثيراً وطردتها خارجاً.

قبـل ان تخـرج، قالـت لي: ظَلَمـهُ ابي وطـرده مـن العمـل، لم يـسرق شـيئاً، اراد ان يتزوجنـي فحسـب.

بعـد سـاعات، اتصـل بي (زيـاد) ولم أجـب عـلى هاتفـه، اردت ان اجيبـه ولكننـي تجنبـت نوبتـي العصبيـة التـي قـد تجـبرني عـلى الافصـاح بـكل شيء، كان كلامهـا جارحـا جـدا، كانـت مُغيبـة عـن الواقـع، مـن المؤكـد انـهُ جعلهـا في عـالم خـالٍ مـن المبـادئ والقيـم، مـن المؤكـد انـه اقنعهـا بـأن الحُـب كل شيء في الحيـاة، وان كل شيء سـيكون يسـيراً لـو ربطتهـم علاقـة اعجـاب فقـط، في نهايـة الامـر تحملـتُ مـرارة كلامهـا مـن أجـل صديقـي (زيـاد)، عددتـه موقفـاً قـد يكـون مُقابـلاً لمواقفـهِ الجميلـة اتجاهـي، لم أجـب عـن اتصالاتـهِ المتكـررة الى ان طـرق البـاب في وقـتٍ مُتأخـرٍ مـن تلـك الليلـة، اسـتيقظتُ فَزعـة، غـيرت ملابسي بسرعـة وفتحـت لـهُ البـاب، طلبـتُ إليـه ان يدخـل الى البيـت بعـد ان شـاهدني عصبيـة المـزاج واثـر الدمـوع لا يـزال عـلى وجهـي، جلـس ولم يقبـل ان اجلـب شـيئاً لضيافتـه، كان متعبـا و ذا مـزاجٍ سـيِّئ ..

قال: كيف شاهدتِ اللص؟

قلـت: كـما اخبرتـك اخـي، شـاهدتهُ يسـير فاتصلـتُ بـك، وحـين جلـس اخبرتـكَ بمكانـه وتمكنـت مـن الوصـول إليـه.

قال: هل كان بمفرده؟

قلـت: لا اعلـم، كان الطريـق مكتظـاً بالمـارة، ولكننـي لم

اشـاهد برفقتـه احـدا، وانـت حـين وصلـت شـاهدتهُ بمفـرده، لِمَ تسـألني بهـذه الطريقـة كأننـي متهمـة معـه في سرقتـك؟

قـال: قمـر انتبهـي لكلامـكِ، تعلمـين مكانتـكِ لـدي، تعلمين انـني اعاملـكِ كأخـت لي منـذ سـنوات، لا تتفوهـي بـكلام يثـير غضبـي، اعـترف السـارق قبـل قليـل مـن خـلال اقوالـه بـأن (بيلسـان) كانـت تجلـس معـه في المقهـى، تركتـه قبـل لحظـات مـن وصولنـا.

ظننـت أنـهُ سـيُحافظ عـلى (بيلسـان) ولـن يـشي بـشيء عنهـا كـي لا يصيبهـا شيء، ولكـن مـا الـذي يجـبرهُ عـلى ان يتطـرق الى علاقتـهِ (ببيلسـان)؟ مـن المؤكـد انـه يريـد الانتقـام مـن (زيـاد) مـن خـلال ابنتـه، وانـهُ لم يكـن يُحبهـا.

قلـت لزيـاد: لعلـهُ يريـد الانتقـام منـك ومـن سُـمعتك فادّعـى هـذا الـشيء.

اجابنـي مبتسـماً وكـف يـده يتحـرك عـلى ذقنـهِ مسـتهزئاً بـما قلـت ...

قال: هل تظنين ذلك؟

اسـتغربت مـن رده، كان منفعـلاً وانـا منحتـهُ الـف عـذر وعـذر كـي لا أسيء الظـن بـه أو أضجـر مـن طريقـة كلامـه.

وهـو ينظـر إليَّ سـألني عـن اثـر السـائل الـذي انسـكب عـلى الجـدار، اجبتـه بـأن كأسـاً مـن العصـير وقعـت مـن يـدي

فتسبب بهذا، كنت قد ذهبت الى النوم بعد ان خرجت (بيلسان) ولم انظف المكان ولم ارفع الزجاج المحطم على الأرض، قام (زياد) من مكانه، لمسَ الجدار فوجدهُ رطباً، نظر الى الارض فوجد الزجاج المحطم، بقي ينظر الى الارض ويتتبع بقايا الزجاج المتناثر، قال دون ان ينظر بوجهي «كَذبتِ عليّ يا قمر»

لم أجبه بشيء، انحنى على الارض فوجد سِوارا ...

قال لي: لمن هذا السِوار؟

قلت مرتبكةً: لي، لمن يكون ان لم يكن لي.

نظر لي بغضب شديد وقال: ألم اقل لكِ انكِ تكذبين عليّ، هذا سوار (بيلسان)، كانت معه، وانتِ حذرتِها من مجيئي انا والشرطة، خبأتِها في بيتكِ إذن،!! ولكنها ردت لكِ الجميل، ضربتُكِ بكأس العصير التي قدمتها لها، أليس كذلك؟

مسك يدي بقوة حتى كاد يُهشمها، قال: تكلمي، هل ضربتكِ؟ هل حاولت ذلك؟ لم أخبرهُ بشيء، التزمتُ الصمت، خرج مسرعاً ليركب سيارته، هممتُ بالخروج وراءه، ركبت معهُ في السيارة، طلبتُ إليه أن يهدأ، ولكنهُ كان غاضباً، قاد سيارتهُ بسرعة، كاد يتسبب بحادث سير لولا انني صرخت بوجهه من اجل ان يهدأ، وصلنا الى منزله، وانا امسك بيده محاولةً إياه ان يهدأ ويحسن التصرف، قلتُ

لـه بـأن الموقـف بحاجـةٍ الى تريـث وتفكـير قبـل أي تـصرف، وان كل قـرار سـيكون خاطئـا لـو اتُخِـذ عنـد الغضـب، كانـت ابنتـهُ في الطابـق العلـوي، تمكنـت بصحبـة زوجتـه مـن منعـه مـن الصعـود إليهـا، جلسـتُ معـه في غرفـة الجلـوس خاصتـه، طلبـت إليـه ان يهـدأ للمـرة الاف، جلسـتُ اتكلـم معـه، ولكننـا لم نبـدأ الحديـث الى ان جلبـت لنـا زوجتـه فنجانـين مـن القهـوة وقالـت لـه جملـة اثـارت حفيظتـه، وضعـت زوجتـه فنجـان القهـوة امامـه ..

قالـت لـه: لِمَ لم توافـق عـلى خطبتهـا؟ لـو انـك وافقـت ثـم رفضـت لـكان الموقـف اقـل صعوبـة مـن هـذا، لِمَ أوصلـت الامـر الى هـذا القـدر؟

غضـب (زيـاد) غضبـاً شـديدا، هَشَّـمَ الطاولـة الزجاجيـة التـي امامـه بـما تحتويـه، وحـين شـاهدني ابكـي، توقـف عـن الغضـب وجلـس بقـربي، وضـع يـده عـلى كتفـي ...

قـال: اعتـذر لانفعـالي، ارجـوكِ دعينـي أعـدْك الى بيتـكِ الان، الوقـت تأخـر كثـيراً.

قلـتُ لـه: لـن اعـود الى ان اعـرف الحقيقـة، كيـف يسرقـك ويتقـدم لخطبـة ابنتـك في نفـس الوقـت؟

عـاد الى مكانـه الـذي كان جالسـاً فيـه، أشـعل سـيجارة وبـدأ الحديـث ..

قـال: قبـل الحـادث تقـدم هـذا الشـاب لخطبـة (بيلسـان)، تحـدث معـي بشـأن الموضـوع ذات مسـاء، بعـد ان شـاهد (بيلسـان) غـير مـرة تـأتي الى المطعـم برفقتـي، رفضـتُ التكلـم معـه، اخبرتـه بأننـي لـن اوفـق عـلى زواجـهِ منهـا اطلاقـاً.

سألتهُ: لِمَ لا توافق؟

قال: لأنهُ من الجنوب.

قمـت مـن مـكاني وجلسـت بالقـرب منـه، قلـت: وليكـن مـن الجنـوب، انـتَ لم تتطـرق لتحصيلـهِ الـدراسي ولا لسـمعته ولا لمسـتواه المـادي، انـت رفضتـهُ لأنـه مـن الجنـوب فحسـب؟

قـال غاضبـاً وبصـوتٍ عـالٍ: لأننـي لم أتمكـن مـن الحصـول عـلى سـبب مهـم للرفـض، لديـه تحصيـل دراسي جيـد ولـهُ سُـمعة جيـدة، مثابـر للحصـول عـلى العمـل، ولكنـهُ لم يتمكـن مـن الحصـول على وظيفـة، فاضطـر للعمـل الحـر، ولـو انني رفضـت بسـبب الفـرق بـين المسـتوى المعيـشي بينـه وبـين (بيلسـان) لسَـمِعتُ آلاف المـرات عبـارة (ان الفقـر لا يُعيـب المـرء)، لذكـرني الجميـع بالمـاضي اللعـين الـذي اجـبرني عـلى تـرك الوظيفـة واللجـوء للعمـل الحُـر، لقـارن الجميـع بينـي وبينـه، لذكـروني بمقتنيـات منـزلي البسـيطة حـين تزوجـت، لم يكـن لـديَّ خيـار اخـر يـا قمـر.

قلـت: رفضتـهُ لأن اصـل نشـأتهُ مـن الجنـوب، وهـذا يعنـي بأنـه عـلى مذهـب غـير مذهبـك، هـل يزعجـك ذلـك؟

التفت عن وجهي، لم ينظر إليَّ، كررت عليه السؤال ولم يجبني، لم أكن اتوقع قطٌّ ان ارى (زياد) خاضعاً لتعليمات التطرف والتعصب من مذهبه، انصدمت بهِ كثيراً، اقتنعت بعدها بأن (بيلسان) كانت تحبه، ومن المؤكد ان علاقتهما بدأت قبل ان يبادر بطلب يدها، وحين رفض (زياد) استمرت علاقتها معهُ ظناً أنها ذات يوم ستجعلهُ يرضخ لإرادتهما، وقفت استعداداً للخروج، قلت له: أنتَ الان لست بحاجة الى أي عذر، جريمتهُ ستتكفل بكل شيء، مجرد كونهِ مُتهما سيمنحك حق الرفض، ستقتنع (بيلسان) بأنه لم يكن جديرا بحبها وستكرههُ حين يُحكَم عليه بالسجن، اما عن اعترافاتهِ بشأن علاقته (ببيلسان) فمن الممكن ان تدّعي بأنه كان يريد الانتقام منك من خلال تشويه سمعتك.

قال: هذا إن كان قد سرق الخزنة؟

انصدمت، جلست مجدداً وقلت: ماذا تقول!! لم يسرقك؟

قال: كلا، في ذلك اليوم اخرجت الاموال من الخزنة، ثم طلبت إليه ان يفتحها امامي لكونه يحوز نسخة من مفاتيح الخزنة ذريعة أنني قد نسيت شيئا في داخلها، فتحها امامي وقال لي ان ليس بداخلها شيء، فأمرتهُ ان يغلقها ليترك اثر بصماته فيها، تأكدتُ انهُ لن يلمسها مجدداً لأنه عَلِمَ بأنها خالية، بعدها تغيبت عن الذهاب الى المطعم أسبوعا بذريعة المرض، تطلب الامر كل ذلك،

لأنـهُ ذو سـمعة جيـدة بـين العاملـين في المطعـم وقـد اسـتمر بالعمـل معـي بأمانـة مـدة طويلـة، كان مـن الصعـب اتهامـهُ بالسرقـة دون ادلـة دامغـة.

اكاد لا اصـدق مـا اسـمع، لا اصـدق مـا ارى، هـل هـذا (زيـاد)؟ هـل هـذه اخلاقـه؟ هـل كنـت مُنخدعـة بـه، التزمـتُ الصمـت دقائـق، تذكـرت في وقتهـا بأننـي ذهبـت إلى زيارتـه في المشـفى ....

قلـت: زيـاد، لا اصـدق ذلـك، انـا اتيـت في وقتهـا لزيارتك في المشـفى، بقيـت منـذ الليـل انتظـر رؤيتـك الى الفجـر، تكلمـت معـك ثـم عـدت، انـا شـاهدتكَ مريضـاً بالفعـل.

قـال: كان الامـر مُدبـراً، حتـى الطبيـب المعالـج كنـت قـد اتفقـت معـه قبـل ليلـة مـن اجـل ان يوثـق مـرضي بـأوراق رسـمية وادويـة كـي يـزورني العاملـون معـي في المطعـم ويكـون الامـر مؤكـداً لـكل مـا خططـت لـه، تمنيـت ان تكـون هـذه الليلـة مجـرد حلـم لأسـتيقظ منـه، مـاذا ارى امامـي، مـاذا اسـمع!! هـل املـك مـن السـذاجة مـا يكفـي لأكـون بهـذا الموقـف؟ أو انـه كان ماكـراً بالشـكل المطلـوب؟ هـل ينتقـد التطـرف المذهبـي امـام المجتمـع ويُطبقـهُ في بيتـه؟ أو ان حبـه لابنتـه وعائلتـه اجـبرهُ عـلى ذلـك؟ عـدتُ الى البيـت بعـد ان اوصلنـي بسـيارته، تأكـدتُ مـن انـه حصـل عـلى الهـدوء الـكافي لتجـاوز الموقـف، تكلـم معـي كثـيراً في اثنـاء عودتـه، لم ابادلـهُ الحديـث، تركتـهُ وابنتـهُ وشـأنه.

كان مفهوم الخير لديّ هو ان ابعد (بيلسان) عن إنسان سيئ، لن يكون جديرا بامتلاك قلبها او ان تشاركهُ مستقبلها، ولكنني كنت مخطئة، اما عن مفهوم الخير عند (زياد) كان أن يدرأ الخطر عن ابنتهِ بشتى الطُرق، حتى لو استوجب الامر ان يكُون على ما لا يكون عليه، كان مخطئاً هو الاخر لأنهُ رأى الموقف من منظار اختلاف المذهب الديني الذي كان بمفاهيمه اساس كل شيء، وكل شيء يأتي بعده يُبنى بموجبه، اما عن (بيلسان) فقد كان الخير بحسب وجهة نظرها هو تتويج حبهما بالزواج، وانهما لن يكونا على خطأ حين يفكروا بالاستمرار بعلاقة سرية، كانت مُخطئةً هي ايضاً، لأنها في غيبوبة حُب، تُمارس علاقة لم تتفهمها من قبل، تنظر كل بنت من اقرانها في هذا العمر ان مجرد دخولها في علاقة مع شاب من عمرها انها كَبُرت ومن حقها ان تفعل ما يحلو لها وانها باتت مسؤولة عن مصيرها وقراراتها، ينتابها هنا ذات الشعور الذي ينتاب الشاب حين يمسك بين اصابعه اول سيجارة، حتى ان من مفاهيمها لو تطلب الامر ان تهرب لتتمكن من الزواج مِمَن تُحب بعيداً من سلطة ابيها لكان الهرب بمفهومها وفاءاً منها لحبها وحبيبها وليس تمرداً على سلطة ابيها او جلب العار لأبيها بحسب قواعد العرف في مجتمعنا العربي، سرد لي (زياد) حين اوصلني الى البيت الاضرار التي قد تحصل لو قبل بزواج ابنته، على الرغم من انه كان رافضاً بسبب عمرها ولا سيما انها لم تكمل بعد دراستها الجامعية،

ولكـن الحقـد المذهبـي قـد طغـى عـلى بقيـة الاسـباب لنعـرف حقيقتـهُ، قـال لي ان الامـر لم يتعلـق بـه وحـده، فلـو فكـر في زواجهـا فأنهـا سـتذهب للعيـش في الجنـوب في حـال انـه لم يتمكـن مـن ايجـاد المسـكن المناسـب في العاصمـة، اقسـم لي غـير مـرة بأنـهُ فكـر في الرفـض تجنبـاً للسـخط العشـائري الـذي سـيلاحقه لأن كل اقاربـه وافـراد عشـيرته رفضـوا مسـبقاً امـراً كهـذا، اقسـم لي بأنـه لم ينفـرد بالقـرار وان الظـروف التـي احاطـت بـه كانـت كفيلـة بـكل شيء، لم يتمكـن مـن تقديـم لي أي عـذر يمنحـه الحـق في ان يَنسِـب جريمـة إلى بـريء، لم يخـبرني بـما سـيفعله لـو طلبـت السـلطات القضائيـة إفادتـه، هـل يقـول الحقيقـة؟ أو انـه سـيخجل مـن جيناتـهِ العربيـة التـي تمنعـه مـن ان يتراجـع في قـول او فعـل سـبق أن تَبنَـاه، قـررت أن أتركـهُ وشـانه.

مـرت الايـام وانـا لم افكـر إلا في عـودة (احمـد)، لم افكـر إلا في الاسـتعداد لأيامـي القادمـة معـهُ، سـنتزوج بعـد ان تنتهـي الانتخابـات، وعـدني بذلـك، قررنـا ان نؤجـل كل شيء الى ان يُحقـق كل مـا تمنـاه مـن نجـاح عـلى الصعيـد السـياسي، بـصرت (قمـر) الضـوء، ولـدت في يـوم صحـو، ترنحـت فيـه اشـعة الشـمس بـين طُرقـات المدينـة برفقـة نسـمات الربيـع الجميلـة، ولـدت لتكـون قرينتـي عـلى هـذا الكوكـب، عـلى الرغـم مـن انـني مقتنعـة بـأن عـلى هـذا الكوكـب لـن يشـبهني بالعـذاب احـد، كـما لـن يشـبه تفكـيري احـد، لـن يشـبهني احـدٌ بـما فعلتـهُ بنفسـي، اعدمـت جمـالي بمقصلـة المشـاعر، اردت امتـلاك

الاجنحة في حين ان كل من حولي ما زال يزحف، أردت ان اطلق العنان للخيال، للجنون، لكل شيء حين يقف امام الامل يكون لهُ ظلٌّ من الندم، اتمنى ان تحمل هذه الطفلة اسمي فحسب، اتمنى ان ترى اياماً اجمل من ايامي، اتمنى ان تعيش كما المُعتاد، اتمنى ألا تكون مُختلفةً، اخاف عليها من السُهد.

ذهبت لأرى صديقتي الجميلة وهي تضع مولودها الاول، ذهبتُ لأقدم لها ولزوجها الشكر الكبير لأنهم تَيمنوا باسمي، ذهبتُ لأرى (قمر) الصغيرة، قدمتُ لهما إكليلاً من الورد، اخذتُ (قمر) بين احضاني، شعرتُ للحظات قليلة بمشاعر الام، احساس لم اشعر بهِ من قبل، ما اجمل ان يلجأ إليك طفل وهو يطلب حنانك قبل كل شيء، كم جميل ان ترى قطعة منك تلعب وتلهو، كم جميل ان تراه يقلدك في كل شيء، ما اجمل ان تكون له القدوة دون ان تجبره على ذلك، ما اجمل ان ينشأ ويكبر ليحمل اسمك وصفاتك وكل ما لقنتهُ إياه، شعرتُ بتلك الفرحة وانا اراها على وجه (سارة) وهي تراني كيف انظر الى طفلتها، صليت للرب ان يمنحني فرحة كهذه، انهيتُ زيارتي لهم مع امنيات صادقة لأن تَنعَم ابنتهم بحياة سعيدة، خرجت من غرفتهما وسرت في اروقة المشفى بعد ان ضللتُ طريق الخروج، تقربت من احدى الممرضات لأسألها عن بوابة الخروج، كانت تتكلم مع شخص متوتر،

كان يطلب إليها ان تساعدهُ في الحصول على مُتبرع للدم، كانت زوجته بحاجة الى عملية نقلٍ للدم ولم يجد متبرعا، سمعتهُ يخبرها بأنه ذهب الى المكانً الخاص لخزن الدم ولكنهم اعتذروا من تزويده الى يوم غد، سمعتهم وانا أسألُها عن بوابة الخروج، ذهبت إليه وطلبت إليه ان يأخذني لأتبرع لهُ بالدم لأن فصيلة دمي كانت تتوافق مع ما يبحث عنه، تمكنت من تقديم المساعدة له، ولكن عند انتهائي من عملية نقل الدم، أغمي عليّ، فقدت الوعي بعض الدقائق، هرع كل الاطباء من اجلي، رأيتهم يحيطون بي بعد ان استيقظت، لم اكن ادرك ما يجري، سألني احدهم حول اسمي وبعض المعلومات عني وتمكنت من ان اجيب.

قال لي احدهم :لا تخافي، هذه نوبة اغماء طبيعية من جراء نقل الدم، ستكونين على ما يرام بعد قليل.

بقيتُ مستلقيةً دون حركة، وبعد بضع دقائق جاءت احدى الممرضات لتسألُني ان كنت اقوى على النهوض ام لا أقوى، فأجبتها بأنني بخير، اخبرتني بأن الطبيب يود التحدث معي، ذهبتُ الى غرفته، دخلت وجلست امامه، نظر إليَّ من فوق نظارتهِ ....

قال: كم عمركِ؟

اجبته: اربعةٌ وثلاثون عاما.

قال: هل تمارسين عادة التدخين، او تتناولين الكحول؟

قلت: اكرهُ التدخين جداً، ولكنني اتناول الكحول بين الحين والاخر، لا اتناوله بشكلٍ مستمر.

قال: هل اشتكيتِ من ألمٍ، او صعوبة في التنفس في بعض الاحيان؟

قلت: كلا، لم أشكُ شيئا قطُّ، كنتُ اشعر ببعض التعب او الاجهاد البسيط واشعر بأن ضربات قلبي ليست منتظمة، لكنني كنت افكر ان هذا الشيء ناتج عن الارهاق بسبب العمل، بدأتُ بالعمل منذ ان كان لي سبعة عشر عاما، وبعد ان انجزت دراستي الجامعية كنتُ أعمل بمهنتين معا، كنت مستمرة بالعمل طوال اوقات النهار.

قال: أغمي عليكِ ونحن نأخذ كمية من الدم، وقبل انتهاء العملية بدأ قلبك ينبض بشكل غير مستقر، وهذا الشيء طبيعي لقيام القلب بهذه الاثناء بجهدٍ اكبر من الجهد المعتاد لضخ الدم، ولكنني بادرت الى اجراء بعض الفحوصات لكِ وانتِ في حالة اللاوعي، فوجدتكِ تمتلكين صماماً ضعيفاً في القلب، تقريري في هذه الحالة ليس باتاً، ارجو منكِ استشارة احد الاطباء المتخصصين في جراحة القلب ليقدم لك تقريرا عن حالتكِ.

خرجتُ والشك يتعثر امامي، لم اكن اتوقع في يوم من الايام انني امتلك قلباً ضعيفاً، بعد ايام، طلبت استشارة اكثر من ثلاثة جراحين متخصصين في جراحة القلب،

اكـدوا جميعهـم بأننـي املـك صـماماً ضعيفـاً في القلـب، ويجب علـيّ اجـراء عمليـة زرع صـمام صناعـي بـدلاً منـه، أنهـى القـدر مدتـه السـحرية التـي حقـق فيهـا كل امنيـاتي، عـاد ليأخُـذ كل مـا اعطـى بـكل انانيـة، تمنيـت لـو انـه وضـع العوائـق كـي لا تتحقـق، لـكان الامـر اهـون مـن انـهُ حققهـا وعـاد ليأخذهـا منـي، وهبنـي القـدر اليـأس بـدل الاحـلام، اسـتطاع ان يخبرني بخـبر وفـاتي وانـا في قيـد الحيـاة، اخـبرني احـد الاسـتشـاريين بأننـي ورثـت هـذا المـرض عـن ابي، لم تكـن الحالـة بسـبب صدمــة او مــن جــراء اجهــاد معــين، كانــت اللعنــة تلحــق بي وانــا اظــن أننــي قــد تخلصــت منهــا بعــد ان تجــاوزت ايــام الفقـر بعقاقـير الصـبر، بـدأ اليـأس ينهـش احشـائي وانـا اخفـي الـسر الـذي مـزق آمـالي اربـاً، تكلمـت مـع الدكتـور عـلى مـا سـتكون عليـه حالتـي عنـد اجـراء العمليـة، اخـبرني بأننـي لـن اتمكـن مـن الحمـل، لـن اتحمـل الآم الـولادة، وان حيـاتي سـتتعرض للخطـر مـع حيـاة الجنـين لـو تجـرأت عـلى ذلـك، اخـبرني ذلـك بعـد ان رأى الخاتـم الـذي اهـداني ايـاه رفيـق روحـي، اخـبرني بـأن قلبـي لـن يتحمـل الآم الـولادة، اعتـادوا منـع كل مـن هـم عـلى شـاكلتي مـن الـزواج الى ان يـزرع صـمام صناعـي بـدلاً مـن الصـمام التالـف، وبعـد أن يضمنـوا عملـه بالشـكل الصحيـح، يسـمحون حينهـا بالـزواج ومواجهـة الآم الحمـل والـولادة، وانـا جالسـة أتكلـم مـع الطبيـب، قدمـت لـهُ الـف دمعـة توسـل كـي يغـير رأيـه، كانـت دموعـي دافئـة بقـدر عنـاق (احمـد)، كانـت حزينـة كحـزن الاسـير لحظـة أسره،

أيقنت انها بلا جدوى، جمعتها، وأخذت ما منحني الطبيب من اوراق تمنعني من التقرُب (لأحمد)، جمعت كُل التقارير التي تضع نهايةً للعشق الذي بنيتهُ حلماً بعد حلم، عِشقنا وُلِد بتشوه خلقي ولم نكن نعلم، هل انتهى كل شيء؟ هل يجب عليّ الانسحاب؟ أو عليّ الافصاح (لأحمد) بكل شيء ووضع الخيارات امامه؟ أخبرني الطبيب بأن علينا تأجيل فكرة الانجاب لو تزوجنا، تأجيلها الى ان اخضع للعملية، ولكن المشكلة الكبرى هل يقبل (احمد)؟ ما الذي سيجبره على القبول بهذه الحال؟ هل يضحي من اجلي؟ هل يجب عليه اساساً أن يُضحي؟ هل عليّ ان اسمح لهُ بأن يُضحي من اجلي؟ ماذا لو خضعت لعملية زراعة الصمام وكانت النتائج نفسها؟ حينها سيمنعني الطبيب من الانجاب مدى الحياة، اخبرني بأنني بعد ان اخضع لعمية زرع الصمام سأباشر تناول العقاقير التي ستساعده للقيام بعمله والتي ستجعل الدم الذي يدخلهُ والذي يحيط به بألا يتخثر، وبعد مدة من اتمام العملية سأستمر وبإشراف الطبيب بمراقبة عمله، عندها سنعرف، هل يقوى على تحمل ألم الولادة أو لا يتحمل؟ وفي حال عدم تحمله لها فأنني ملزمة بالإبقاء عليه من اجل العيش فقط لما تبقى لي من ايام مصطحبةً معي كل العقاقير الى مدخل باب القبر، كان عليّ التفكير ملياً قبل عودته، اتعبني التفكير، لم اصل الى خيار محدد، فكرت في ان اقول لهُ عن كل شيء، ان اضع امامه كل الخيارات، سأخبره كم يحبني ابي، وانهُ ما نساني،

أهـداني هدية اخـرى تضـاف الى هداياه، قـدم لي النهايـة، بعـد ان منحنـي الحرمـان والعـوز والتعـب، فكـرت في ان اخفـي عنهُ كل شيء وألا اقـول لـهُ مـا حـدث، ولكـن، كيـف أودعـه؟ كيـف أتركـهُ وهـو اصبـح الـروح بأكملها بعـد ان كان نصفهـا، كيـف لي ان افعـل ذلـك!! حـام حـول مخيلتـي كل مـا سـيحدث، فكـرت في كل شيء إلا في وداعـه.

مرت ثلاثة ايام ...

اتصـل (احمـد) ذات صبـاح، اخـبرني بأنـه عائـد، سـألني عـن الحـزن المُرافـق لصـوتي ولم اتمكـن من اخبـارهِ بـشيء، حاولت ولم اتمكـن، التزمـتُ الصمـت، كذبـتُ عليـه، قلـت لـهُ بأنني اشـكو نزلـة بـرد آلمَـت بي قليـلاً، قـال لي بأننـا في فصـل الصيـف، كيـف لذلـك ان يحـدث، علـم بأننـي اكـذبُ عليـه قبـل ان اقـدم لـهُ ذلـك العـذر الواهـي، أغلـق الهاتـف وهـو غـير راضٍ عنـي، انـا عـلى وشـك الانهيـار، اخـبرت (يعقـوب) بالأمـر فقـط، جعلتـهُ يَعُـدني بـأن الامـر سـيكون سراً بينـي وبينـه فقـط، كان يجـب ان افعـل ذلـك، كنـت بحاجـة لأن اتكلـم، في داخـلي الكثـير مـن الألم، شـاهدت منظـراً لم اتوقـع رؤيتـه ذات يـوم، كنـت اسرد (ليعقـوب) مـا حصـل، فشـاهدت عينـه تـذرف دمعـةً صغـيرةً بهـدوء، تأثـر بـما قُلـت لـه، حَـزِن مـن أجـلي، لم اكـن اتوقـع انـه يحبنـي الى هـذا الحـد، شـعرت بالفخـر الشـديد، شـعرت بالأمـان لوجـوده في حيـاتي، شـعرت ببعـض الراحـة لمواسـاتهِ، لكنـه ليـس (كأحمـد)، الفـرق كبـير بـين الاخ والحبيـب، مـن

المؤكـد ان عنـصر الامـان بينهـم مشـترك، إلا ان احدهـم يُهـوّن الالم والاخـر يمحقـهُ، خـرج (يعقـوب) بعـد ان وعـدني بكَـم مـن الآمـالِ العرجـاء، ستجثو الامـال عـلى رُكبتيهـا لـو تأملـتَ فـراق (احمـد) للحظـات، بقيـت افكـر بـين هـذه الآمـال ومـا سـأقوله في حـضرة وداعـه، ذاك الـذي كان نقطـة ناصعـة البياض وسـط جبـين ذكريـاتي، مـرت الايـام، ولم التقِـه، لم أجـبْ عـلى اتصالاتـه، زارني في بيتـي، لم أفتـح لـهُ بابـا، طرقـهُ ورحـل يفكـر لمَ البيت مُظلـم، اراد لقائـي كثـيراً ولكـن قلبـي كان معطـلاً مـن النبـض، قلبـي الـذي تعطـل مـن كل وظائفـهِ إلا عـن عِشـقه، رفيـق الـروح انـا اعتـذر.

لم اخـرج مـن المنزل منـذ ايام، بقيـت صامتـة كمقابر الشُـهداء، في كل يـوم يقـضي فيـه غـروب الشـمس نَحبَـه وانـا سـاكنة بـلا حركـة، تتبـادل الاوقـات، يـترك القمـر مكانـهُ للشـمس وتـترك الشـمس مكانهـا للقمـر وانـا اجلـس القرفصـاء في البيـت، تحيطنـي العتمـة وقـت الغـروب شـيئاً فشـيئاً حتـى ارى الليـل، تـأتي العتمـة وانـا لا اشـعل أي مصبـاح في البيـت حتـى لا يعلـم بوجـودي فيـه، ابحـث عـن الشـمع لأنـير احداهـا، لعلهـن يُسـاعدنني عـلى التفكـير، عـاد الى العاصمـة واراد ان يلقـاني، لم أجـبْ عـلى اي اتصـال لـهُ، بقيـت صامتـة أيامـا أصـلي للـرب لأنـهُ عـاد سـالماً، اصـلي مـن أجـل ان يُنقـذني مـن بئـر اليـأس التـي سـقطتُ فيهـا، كنـت اقـضي الليـل وانـا انظـر الى ضـوء الشـمع الـذي امامـي،

ذكـرني الشـمع بالفـرح العـارم الـذي اجتـاح حيـاتي في المـدة الاخـيرة، جعلنـي افكـر فيمـن سرق فرحتـي، ذكـرني بـأن ابحـث عمّـن اغتـال احلامـي، يُذكـرني الشـمع كلـما اوقدتـهُ بالشـمع الـذي اوقـده لي (رفيـق الـروح) وسـط العتمـة حـين قـدم لي خاتـم الـزواج، لم اخلعـهُ مـن اصبعـي منـذ ان ارتديتـه، تمسـكت بـه بـكل مـا اوتيـت مـن حـب، شَـعلتُ احـدى الشـموع، كانـت شُـعلتها تتمايـل ببـطء، تُذكـرنُي بهيـام روحـي حـين القـاه، حـين وقـف امامـي والقـى لي الشِـعر، في كلتـا الحالتـين كنـت اشـبه شُـعلة الشـمع، أشـبهُها الى حـدٍ كبـير، بالأمـس كنـتُ اتراقـص واليـوم بـتُ احـترق، انطفـأ الشـمع، انطفـأ كـما انطفـأت احلامـي، اعلـم ان للشـمع عمـراً محـدداً يعيـش فيـه وانـه سـينتهي لا محالـة، انتهـى قبـل ان اجـد الحـل، قبـل ان اجـد مـا سـأقوله لـه، سـألقاه غـداً، إن لم اتصـل بـه، فأنـه سـيأتي إلي، مـاذا أقـول لـه مـا الحـل لهـذه المُعضلـة فكـرت في كل شيء إلا ان اجعلـهُ يُضحـي مـن اجـلي، عـليّ تحمُـل الامـر وحـدي، انـا مـن احببتـهُ اولاً.

وسـط العَتمـة، اسـتلقيت عـلى الارض، اسـتلقيت وحـولي الكثـير مـن العقاقـير المُهدئـة، تلـك التـي تهبُنـي الصمـت، اسـتلقيت وانـا عاريـة الـروح، عاريـة الامـل، غَفـوت مـن شـدة التعـب، غَفـوت بعـد ان اتخـذت عـدة قـرارات عاريـة من الصحـة، بعثـتُ لـهُ برسـالة، طلبـت منـهُ ان نلتقـي عنـد السـاعة التاسـعة ليـلاً في المـكان الـذي اعتـاد ان يجمعَنـا عـلى الشـاطئ،

اجابنـي بالقبـول بصـوت منزعـج جـداً، سـألني عـن غيـابي هـذه المـدة، قلـت لـهُ بأنني سـأخبرهُ عـن كل شيء حـين نلتقـي.

وبعد ان اضحى الغد امس .. التقينا.

وصلــت الى موعدنــا الاخــير، وجدتــهُ واقفــاً ينظُــر الى الشـاطئ، سرت بأقـدام الألم فوقفـتُ خلفـه، شـعَر بخطـواتي ولم يلتفـت لي، كنـتُ احمـل معـي سـكين الفـراق، كنـتُ لا اريـد هـذا الموعـد أن يكـون، فليسـاعدني الـرب عـلى مـا سـأفعل، وليسـامحْني (احمـد) لأننـي سـأطعنه، كان المـوج هادئـاً، سـاد السـكون كل شيء إلا مشـاعري، فهـي اعتـادت الهيجـان عنـد لُقيـاه، كانـت كلتـا يديـه في جيـب بِنطالـه، لم ينظـر إليَّ، بقيـت واقفـة بصمـتٍ خلفـه وانـا امسـكُ حقيبتـي بكلتـا يـديّ امامـي، لم نتكلـم، لم يلتفـت لي، ذاك الـذي كان ينثـر النجـوم امـام اقدامي لـو مشـيت برفقتـه، لم يُرحـب بقدومـي، ظـل صامتـاً ثـم كـسر صمتـه دون ان يلتفـت لي ....

قــال بهــدوء مُرعــب: لِمَ غبـتِ كل هــذه المــدة؟ ألم تكــوني بانتظــار عــودتي؟

قلت: كنتُ بحاجة الى بعضٍ من العُزلة.

التفت لي وقال: انا مُتيم بكِ، وانتِ تودين العُزلة.

قلـت: واجهـتُ بعـض المَصاعـب في غيابـك، جئـت لأفصح لـك عنهـا.

قال: لِمَ وجهُكِ شاحب؟

لم أجبه، انحنى رأسي الى الأسفل ..

قال: طال غيابكِ، كدت أخبر الشرطة، فكرت في ان اقتحم بيتك عنوةً، انتظرتكِ كثيراً ثم اتصلت بكِ، بحثتُ عنكِ، عرفت ان شيئا ما تغير، بعد ان اتصلت (بيعقوب) لأسال عنك، اجابني بعدم علمهِ بشيء، كانت نبرة صوتهُ هادئة أخبرتني بانهُ يحتفظ بسرٍ عانى كتمانه، كذب عليّ وقال انه لا يعلم عنكِ شيئا، اخبرتهُ بأن منزلكِ مظلم عدة ايام واني قلق حيال امركِ، كذب عليّ مرة اخرى حين طلبت إليه ان يعطيني عنوان الشركة التي تعملان بها كي اراكِ، قال لي بأنكِ حصلتِ على اجازة عدة ايام ومن المحتمل انكِ سافرتِ خارج المدينة، كان عليّ ألا اطيل عليهِ بالأسئلة فبرود كلامه اخبرني عمّا كنتُ ابحث عنه، لِمَ تجاهلتني؟

لم أقوَ على الكلام، بماذا أجيبه؟ هل اقول له فعلاً عمّا حدث؟ هل امتلكُ من الانانية ما يكفيني لأجبرهُ على ان يعيش العمر بأكمله محروماً من ان يكون ابا؟ أو التزم بالقرار الذي اتخذته وجئت اليوم لإخبارهِ به؟ التفت لي غاضباً، نظر الى وجهي الغارق بالدمع فتغيرت ملامحه من الغضب الى العطف، مدَّ يده الى وجنتي ليمسحها فرَجَعتُ خطوة الى الوراء كي لا يلمسني، بقيت يده امام وجهي،

كان الموقـف صادمـاً بالنسـبة إليـه، اندهـش كثـيراً ....

قـال: لِمَ لا تقبلـين أن ألمسـكِ؟ مـا الـذي حصـل؟ لِمَ وجهـكِ شـاحب بهـذا القـدر؟ اخبرينـي.

كَشَرتُ عن أنياب الخذلان، قلت: جئت لإنهاء علاقتنا.

قال: ما الذي تقولينه؟ ما السبب؟

قلـت: لا شيء، ولكننـي فكـرت في موضـوع زواجنـا فوجدتـهُ مُسـتحيلاً، ليـس بالإمكاننـا ان نتـزوج، ربطتنـا علاقـة حـبٍ وهـذا جائـز، ولكـن الـزواج سـيكون مسـتحيلا.

مُتمنياً معرفة السبب ..

قـال: لمـاذا؟ ألم توافقـي مـن قبـل؟ هـل نسـيتِ سـعادتنا حـين قدمـت لـكِ خاتـم الـزواج؟ لِمَ لمْ تقـولي لي إنـكِ رافضـة الـزواج بي؟ لمَ تلاعبـتِ بمشـاعري؟

قلـت: كنـتُ فرحـة لأننـي اردت الـزواج بـك، ولكننـي تفاجـأت بالأمـر حـين قدمـت لي خاتـم الـزواج، لم اعـترض حينهـا، ولكننـي قضيـت هـذه المـدة بالتفكـير جيـداً في الموضـوع، وجدتـه مسـتحيلاً.

قـال: أعطنـي سـبباً واحـداً مُقْنعـاً لرفضـكِ، عِشـقنا هـدم كل الحواجـز التـي كانـت تحـول بينـي وبينـكِ، اخبرينـي مـا السـبب وسـنجد الحـل، ألم نتفـق ألا يتخـلى احدنـا عـن الاخـر؟

أَلم نتفـق عـلى مواجهـة كل شيء مُخالـف لإرادتنـا؟ أَلمْ تقـولي لي «انـا لـن اختلـف معـك بـشيء لأنني احبـك» .. حبيبتـي لِمَ تغـيرتِ؟

قلت: لأنكَ مُسلم.

تعجـبَ كثـيراً، رفـع كلتـا يديـه ثـم خفضهـما، ضحـك، ثـم صمـت غاضبـاً ...

قال: هل تمزحين؟

قلت: كلا.

صرخ وقـال: ألم تقـولي لي «لِمَ لا نتخـلى عـن اديانـنـا لمـا تبقـى لنـا مـن عمـر» الان عرفـتِ بأنـني مُسـلم!! أَلمْ تكـوني تعلمـين بذلـك مـن قبـل؟

قلـت: بـات الامـر مسـتحيلاً، تلقيـتُ اعتراضـات شـديدة مـن اقـاربي، لـن اتمكـن مـن معارضتهـم، اخبرهـم (يعقـوب) بالأمـر.

غضـبَ كثيراً ثـم قـال: قمـر، هنـاك سـببٌ اخـر تُخفينـهُ عني، انـتِ في الاصـل لم تـرضِ عنـي لأنـنـي تكلمـت عـلى خطوبتنـا مـع (يعقـوب) قبـل ان اعلمـكِ بالأمـر، كنـت اظـن أنـكِ سـتواجهين هكـذا ظـرف، ان تقبـلي انـتِ ويرفـض اهلـكِ، لـذا سـألت (يعقـوب) كـي لا أراكِ بهـذه الدمـوع، وبعـد كل هـذا تريديـن منـي ان اصدقـكِ؟

قلت: الوداع يا (احمد)، دعني أركَ وانت بخير، حقق طموحاتك المهنية والسياسية، لا تتراجع عن كل حلم اخبرتني به وتريد تحقيقه، كُن بخير، فلن يجمعني بكَ مساء آخر.

لم يُجبني بشيء، ظلَّ صامتاً، قبض كَفه اليمنى غاضباً فانطبقت شفتاه على بعضهما ..

قلتُ له: اسمح لي بأن احتفظَ بهذا الخاتم، شكراً لأنكَ اهديتني إياه، شكراً لكل حرفٍ كتبتهُ من اجلي، شكراً لكل بيت شِعر القيتهُ لي، شكراً على اللحظات الجميلة التي عشتُ فيها معك.

لمْ يُجبني بشيء، تنهدتُ وبكيت بصوتٍ عالٍ، استدرت لأعود ادراج خيبتي، مشيتُ بخطواتٍ واقفة، بأصابع الندم، كسرتُ انياب الخذلان، فارقتهُ على عجل، تركتهُ ذبيح الوجدان، انتهى ما جئت من أجله، هذا ما كنت أريده، أريدهُ أن يعيش كما يعيش كل شاب، أريده ان يكون ابا في يومٍ ما، اريد من حياتهِ ألا ينقُصها شيء، أريدهُ أن يبتعد منيٍ ليكون سعيداً، ولكننا كيف نكون سعداء بعد الفراق، نحن اللذان كُنا قاب شَفتين او ادنى من ان نقضي ما تبقى لنا من ليالٍ على سريرٍ واحد.

«الـفُـراق»

إن رحــلــت فلا بَعدكَ كلامٌ يُكتب ولا
ليلٌ يُسهر، بعدك احلام يقظتي سـأُصحيها
إن رحلت فلا بعدكَ شمسٌ ستشرق
ولا قمر سيضيء ليالِيَ كنت انت تُحييها
إن رحلتَ فسترحل احلامٌ و امالٌ
كانت لأجلكَ لا بل كنت وحدكَ من فيها
احبكَ يا لوحةً نَسَجَ الخيال ملامحها
يا امنيةً انصاع التمني قسراً على تمنيها
سنوات وانا اتمناكَ .. رَمَـقُ عين كانت
اهدابها تتوق لكَ شوقاً واليوم سـأعميها
كنت اتغنى بصباح يومٍ عيناكَ مطلعهُ
كنتُ اترنم بـكلماتٍ كانت شفاهكَ تحكيها
أتلذذ بكَ واشتهيكَ والعنكَ عشقاً
اتلذذ بكَ بـمشاعرٍ اتحداكَ ان استطعت تُنهيها
عندما تكون جليسي تُطالعكَ عيناي

حتى تعبث بجمالكَ وخجلكَ كان يشقيها
طال حرماني من شفتيكَ .. وإن طال
عمري سأحلم انكَ يوماً لشفتي ستهديها
ها انا اودعك و الروح لك تدعو بسعادة
لطالما كانت سعادتكَ هي من ترضيها
هل ستعود لي يوماً .. حبيباً او غريباً
ارجع .. فبعدكَ لعمري اياماً من سيعطيها
بعدكَ .. لا عطراً سأضعه ولا لحناً
سأسمعه .. بعدك فيروز سأمحوها
بعدكَ .. لا يوجد عيدٌ في تقويم ايامي
بعدكَ سيستعمر الظلام مدينة احلامي وضواحيها
بعدكَ .. سيتقاسم عطرك وسادتي ليلاً
والروح بنار ذكريات ليالينا سأصليها
بعدكَ .. سأخلد الى النوم وحيداً صامتاً
فقامة احساسي هجركَ الطاغي سيحنيها
بعدكَ سأتوهج حِرماناً .. فالأحاسيس

التي كانت تنتابنا ليلاً في بئر الحرمان سألقيها
بعدكَ سـأضحى صخرة بلا مشاعر كـصخرة
بيروت، تلك التي كانت لأحلامي اسمى معانيها
أأستمر برسم عذابي بـأحرف؟
أم اجمعها وقسراً في بحر هجرك ارميها؟
أم ان الاوان ان نفترق وتخرس افواه
احلامي واعود لساعات سهدي وثوانيها
ام اعود كما كنت .. لأيام أحببتُكَ فيها
خِلسة واسرق نظرات وقُبُلاتٍ كنت استجديها
اعطِف عليّ يا من اكتب من أجلهِ عمراً
من الكلمات ثم بوشاح الحزن اجمعها واغطيها
كلماتي بعدكَ كـيتامى يتباكون على أمٍ
القصائد بعدكِ تسألُني .. غداً من سـيرُبـيـها؟

(٥)

لـنـدن – الثالث والعشرون من تشرين الثاني ..

قامـت الثـورة، سـقط نظـام الحُكـم، ثـارت الفـوضى في عموم المُـدن، تغير كل شيء، حـلَّ خـرابٌ كبير في اغلـب البُنـى التحتية للبلـد، اصـاب الشـلل كل مرافـق الدولـة، لم يعُـد هنالـك نظـام ولا دوائـر رسـمية، لم يعُـد هنالـك حـزبٌ حاكـم، انشـق الجيش لنصفـين، نصـفٌ تمكـن مـن ان يقمـع الانتفاضـة لمـدة قليلـة وان يعتقـل اكـبر عـدد مـن الثـوار، والنصـفُ الاخـر انضـم الى الثـوار منـذُ بـدء الثـورة، دام هـذا الـصراع أيامـا، لم ينتـهِ إلا بدمـاءٍ وتضحيـاتٍ شُـجاعة، بعـد ان أجـرى الحـزب الحاكـم الانتخابـات عـلى وفـق مـا كان مُخططا لهـا مسـبقاً، وبعـد ان شَرَعَ بطـرد الفريـق الـدولي الـذي حددتـه منظمـة الامـم المتحـدة، نجـح بعـد ذلـك في تعيـين لجـان تـشرف عـلى مراكـز الاقـتراع، لم يكـن اي مُشـارك في هـذه اللجـان غـير منتـم الى هـذا الحـزب، تمكـن مـن زرع الكثـير مـن الجواسـيس قُبيـل ًالانتخابـات بأيام، اُعتُقـل الاف مـن المُعارضـين والمعترضـين لسياسـته، اكتظـت السـجون بالمعتقلـين، اُعتُقِـل رؤسـاء الاحـزاب والشـخصيات المهمـة وكل مـن رشـح نفسـه للانتخابـات مسـتنداً الى قاعـدة جماهيريـة قويـة، لم يكـن هنالـك رقيـب، انفـرد قـادةُ الحـزب بـكل القـرارات، توقفـت السـلطة القضائيـة عـن العمـل لكثـرة المعتقلـين، تركـوا الـكل يقبـع في السـجون لحـين البـت في النتائـج النهائيـة للانتخابـات، كان الشـعب خائفـاً،

لا سيما بعد ان اطلق الحزب اتباعهُ من رجال الدين ليصدروا الفتاوى والتوصيات بشأن وجوب انتخاب الحاكم وعدم جواز الخروج عن طاعته، لأن في مرضاته مرضاة الرب، في حين ان الرب يرى بكل تأكيد كيف اكتظت بيوته بالمارقين عن مبادئ اديانه، وكيف استغلَّ ذلك المكان الذي يعتليه رجل الدين ليحدد من سيدخل الجنة ومن سيدخل النار.

كان يوم الاحد والكنائس مكتظةٌ بالمرشحين، ويوم الجمعة للمساجد كان الامر سيّان، أوصى كل رجل دين صراحة او ضمناً بوجوب إبقاء الحزب والرئيس في الحكم، حتى ينعم بجنات الخلد التي وعدنا بها الرب، وها هم وكلاء الرب على الارض يسمحون لنا مُتفضلين في ضمان مقاعدنا بها، بعد ان يصبر الشعب على الجوع والفقر وغلاء الاسعار والقمع والتهجير القسري والتطرف الديني والمذهبي وتَنَعمُ بعضهم بثروات البلد دون غيرهم من الشعب، في حين يجب أن يأخذ كل فردٍ منه نصيبه من ثرواته، او حتى نصيباً من جماله، من هوائه، من شُعرائه وادبائه، من علمائه ومثقفيه، يتنعم الحزب واتباعه بهِ فحسب لأنهُ وطنهم وهم الوطنيون، اما عمَّا تبقى، فيجب عليهم الصمت، ومن لم يتمكن من الصمت فالتُهم الخاصة بالمساس بأمن الدول كانت بانتظارهم في محاكم الحزب الخاصة.

في بلاد العرب لا يمكن للحرية والامان ان يلتقيا في عهدٍ واحد، حين نثور من اجل الحرية فعلينا ألا ننسى بأننا سندفع الأمان ضريبةً للحصول عليها، وحين ننعم بالأمان فعلينا ان نعتقد أن راحة الحاكم الجاثم فوق اقلامنا اهم من ارآئنا وافكارنا، ولكي نكون بأمان علينا ان نعتاد التفكير في الحيز الذي منحنا إياه الحاكم بحسب سياسته، وأهم من كل ذلك ان نؤيده فيما يقول او يفعل، وألا نحاسبه على ما ينعم فيه من خيرات، ألا نحاسبه وحزبه أبدا، كي ننعم بالحرية علينا ان نقول هنيئاً للحاكم على كل ما يلتهم من ايتام وارامل، او ان نقول حظاً اوفر لابنه المُدلل لو خسر الملايين من الفقراء في احدى صالات القِمار الامريكية.

استطاع الحزب الحاكم الفوز في الانتخابات الاخيرة، تجلت اسباب الفوز بقيامه بمسك كل مراكز الانتخاب ووضع مراقبين من اتباعه، اثاروا الفتن والاشاعات التي قضت بأن كل مواطن لن ينتخب الحزب الحاكم فأن المراقبين في المركز سيطلعون على هويته واسمه وعنوانه وحينها يتهم بكل ما تيسر لهم من تهم التي تجلُب له السجن، يضاف الى ذلك خوف الطبقة الساذجة من الشعب من ألا يغفر الرب خطاياهم لو لم ينتخبوا الحزب الحاكم بعد ان صدح سمعهم بوصايا تُجار الاديان والتي ادت بدورها الى منح العديد من الاصوات له، يشار الى ان نسبة الاقتراع في البلاد لم تتجاوز الاثنتين والاربعين بالمئة من عدد الناخبين

الحقيقيين، كنت اتابع الوضع السياسي وانا بعيدة من الوطن، لم اكُن هناك، حدث كل هذا وانا لم أرَ شيئاً.

بعد ان ودعتُ رفيق الروح، باتت روحي عليلة، عدت لتناول العقاقير المُهدئة، بدأت اتناول الكحول منذ الصباح، لم أفق عدة شهور، كنت لا اتجرأ على مواجهة الواقع، واقع يخلو من عطر (احمد) لا شأن لي فيه، تركت وظيفتي، توجهت امنياتي نحو الموت، كان الخلاص الوحيد لي من هذا العذاب، لم يتبق لي منه سوى ذكريات تؤلم جسدي وذاكرتي، ما كنت ابحث عنه مُنذ سنوات فقدتهُ بين قُبلَة وضُحاها، ندمت لأنني لم أقل لهُ الحقيقة، ندمتُ لأنني مازلت احلم بأننا سنعود، ندمت كثيراً لأنني جعلتهُ يكرهني، كيف يسامحني وانا قيدتهُ بأغلال الهجر وضربتهُ بسوط الخذلان، لو كتبت لهُ مجدداً، كلماتٍ كتلك التي كتبتُها إليه ليلة عيد ميلاده، يا تُرى هل يكرر كلامه الجميل لي؟ هل يكتب من اجلي مجدداً؟ هل يقف امامي ليلقي شِعرهُ الجميل، هل يعود لي؟ انهيت اخر لقاء كان لي معه وانا اتقمص شخصية لم اطقها قطُّ، تلك القسوة لم يستحقها مني قطُّ، كان جميلاً معي، كان انيقاً، كان لطيفاً وذا شفاه ناعمة، لم تفارقني تلك القُبلة، القُبلة الاولى التي لم تمس شفاهي قُبلة قَبلها، لم تفارقني مع اول كأس اتناوله عند الصباح، كانت الكأس الاولى شبيهةً بالمُشعوذ الذي يستحضر الجن بطلاسم غريبة، حين كنت انهض من

فـراشي، بعـد ان انتهـى مفعـول العقاقـير المُهدئـة التـي تناولتهـا عــن الليــل، انهــض لأتنــاول الكحــول، كانــت الــكأس الاولى قــادرةً عــلى اســتحضار ذلــك الاحســاس الــذي انتابنــي عنــد القُبلـة الاولى، كان يمنحنـي ذات الشـعور، كنـت اتنـاول الكأس الثانيــة عــلى عجــل كــي يرحــل عنــي مــا خسرتــهُ، لمــرات عديـدة، كنـت اكسر زجاجـة الكحـول حـين اتنـاول الـكأس الاولى منهـا عنـد الصبـاح، كنـتُ اشـك في نـوع الكحـول الـذي اتناولــه، غيرتــهُ مــراراً ولكــن النتيجــة كانــت ذاتهــا، ايقنــت حينهــا ان هنالــك ثمــة علاقــة بــين الــكأس الاولى و اول شيء جميـل في حياتنـا، ايقنـتُ بـأن العلاقـة التـي تربـط بينهـما مبنيـة عــلى النشــوة، شــيئاً فشــيئاً لم اعــد اكــترث للأمــر، اعتــدتُ الذكريــات، اعتــدتُ تنــاول الكحــول، اعتــدتُ العقاقــير المُخــدرة، اعتـدتُ أن أشـعر بكفيـه عـلى خـصري كلـما فقـدتُ تــوازني وانــا احــاول الوقــوف ثملــةً، تألمــت، فارقتــهُ دون ان اعلمــهُ السـبب، اعتصمـت في وجـداني كلـمات إليـه، كلـمات كانــت تُريــد ان تُخبرهُ الحقيقــة، كانــت تــود ان تقــول لــهُ انتظــر لنـرى نتائـج العمليـة، انتظـرني لأرى هـل يمكننـي عِناقـكَ دون ان تُضحــي بــشيء؟ أو عليــك ان تدفــع ثمنــاً للقائــي؟ بقيــت كلــماتي مُعلقــة بانتظــاره، بقيــت مُعلقــة كملابــس جُنــدي لم يرجــع بَعــد انتهــاء الحــرب، قُلــت كل مــا يجــب ان اقولــهُ لــه وانــا ثملــة، كنــت اقــول مــا اشــاء مــن نــدم لأنــدم لأني لم أقلــهُ لــه، تمنيــتُ لــو يعــود بي الزمــان الى ذلــك المــكان، لأقــول لــهُ كــم انــا احبــك،

استطاع (يعقوب) ان ينتشلَني من احضان الضياع، كنتُ اريد الموت لكنهُ منعني، كنتُ اريد الموت ببطء بعد ان ماتت كل احلامي، لم يعد لي هدف في الحياة، خسِرتُ حبيبي وخسرت وظيفتي، خسرتُ كل زملائي واصدقائي، خسرتُ طلبتي الذين كانوا يتذكرونني بعد سنوات من تخرجهم.

ساء حالي، تمكنت من اقناع نفسي بأن انشغالي بالعمل في كل يوم سيمنحني القليل من فتات النسيان، حاولت ان اكون جيدة العيش كباقي البشر، ولكن النسيان ابى ان يكون ذلك، لم يمنحني عطفه، رجوته ليعطف عليّ ولكن لا جدوى، تمنيتُ ان يمسح النسيان رأسي كما يَمسح المُترف يدهُ على رأس اليتيم، لم أقوَ على النسيان، كنت أجمع عدة ليالٍ معا لأمنعها من النوم، طال بي التعب الى الحد الذي لا يطاق، بدأت لا اقوى على العمل، بدأ وجهي يتغير، تناولتُ العقاقير المُهدئة عند الليل في بادئ الامر، تمنيتُ ان تشفيني من التنهيد باسمه، تمنيتُ ان تمنحني النوم من دون الغثيان بالذكريات، منحتني النوم المُصاحب للدمع، كنتُ ابكي كثيراً حينما يبدأ الخدر يمتلكُ جسدي، ضاعفتُ الجُرعة ليلةً بعد ليلة، الجُرعة الواحدة لم تعد تتحمل ما بجعبتي من ذكريات من ابياتٍ ومن قصائد، ضاعفتُها عِدة مرات الى ان اصبحتُ لا اقوى على الإفاقة.

مرت الأيام، اشتبه عليّ الليل والنهار، عُدتُ لا أُفرِّق بين اشعة الشمس وضوء القمر، بقيتُ في عالمي الخاص

عـدة اسـابيع، امنيـاتٌ تقطـن بالخيـال، عـالمٌ يجمعنـي بـهِ في غرفة بيضـاء ذات سـتائر بيـض تسـتمد نورهـا مـن اشـعة الشـمس، عـالمٌ لا يـرى الليـل أبـدا، كُنـا في ابهـى صورنـا، لم يعـد وجهـي شـاحبا، لم يعـد حبيبـي لـهُ ذقـنٌ طويـل ووجـه حزيـن كـما كنـتُ رأيتـهُ خِلسـة في اخـر مـرة وانـا اختبـئ في الطُرقـات التـي يسـير فيهـا خارجـاً مـن عملـه، لم اره منـذ اخـر يـومٍ رأيـت فيـه اشـعة الشـمس، منـذ ذلـك الصبـاح لم اعـد اخـرجٍ مـن البيـت.

زارتنـي (سـارة) غـير مـرة، قدمـت لي عديـداً مـن النصائـح ولكـن الامـر لم يجـدِ نفعـاً، اضطـررتُ في اخـر زيـارة لهـا ان اطردهـا صراحـة مـن البيـت، لم تعـد تـزورني، كنـت قاسـية بحقهـا، لم تدعنـي وشـأني، طـال الامـر (يعقـوب) ايضـاً، ولكنـهُ لم ييـأس مـن ان يسـاعدني عـلى الرغـم مـن ارادتي، بعـد ان أخـذني إلى أكثـر مـن طبيـب متخصـص في جراحـة القلـب ليقنعنـي بـأن أجـري العمليـة، طردتـهُ هـو الاخـر، لم اقبـل ان أجـري ايـة عمليـة لتشـابه كل النتائـج التـي سـتكون، لـن تظهـر لي نتيجـة تجمعُنـي بـه، لـن اتمكـن مـن اصـلاح مـا افسـدهُ ابي، لم يعـد يـزورني (يعقـوب) مـدة طويلـة، اثـرت حفيظتـهُ ذات يـوم وهـو يـراني ابيـع بعـض مصوغـاتي الذهبيـة، كنـت قـد انفقـت كل مـا املـك مـن امـوال، كانـت العقاقـير المُهدئـة غاليـة الثمن، لم اجـد مـا انفـق بعـد ان تركـت وظيفتـي، شـاهدني خارجـةً مـن السـوق الخـاص بتجـارة المصوُغـات الذهبيـة، جـاء الى البيـت؛ لأنـه عَلِـم بـما انـوي فعلـه، لم افتـح لـه البـاب،

جلب قطعة حديديةً من سيارته فكسر اقفال الباب ودخل، صرخ بوجهي لأفيق مما انا عليه، صرخ وكسر اشياءَ امامي من اجل ان يخفيني، كان جاداً في غضبه، كان قلقاً وخائفاً عليّ، لن انسى تلك الدمعة التي تلألأت في عينه حين علِم بمرضي، صرخ بوجهي، بقيت واقفة امامه دون ان انفعل، اعطيت الوقت الكافي لغضبه، لم أجبه، تقرب مني وازال النظارةَ السوداء من وجهي، كنت ارتديها لأخفي عيني الذابلة، لأخفي وجهي الشاحب، لأخفي تلك الاثار التي تتركها المخدرات لُمحبيها، صمت فزعاً حين رأى وجهي، رأى القمر ليلة الُمحاق، رأى جمالي المتهشم، انصدم ولم يتفوه بكلمة، جلس ليهدأ، جلست انا ايضاً ....

قال: ما الذي تفعلينه بنفسكِ يا قمر؟

لم أجبه ، بكيتُ بحِرقة، بكيتُ كبكاء امٍ عثرت الآن على جثة ابنها المفقود في حربٍ اهلية.

قال: يكفي ما فعلتهِ بنفسكِ، هل تعاقبين نفسكِ على اخطاء القدر، ما ذنبكِ؟ ما ذنب (احمد)؟ كانت هنالك الكثير من الحلول ولكنكِ اخترتِ اشدهُن قسوة.

لامني وهو غير قادر على تصوّر تلك الليلة التي سينام فيها (احمد) قبل مجيئي الى الفراش لأنه بدأ يضجر مني، لأنه بدأ يشعرُ أننا غير مُكتملين، سيعيش وهو نادم

لتضحيته التي ضحى بها بموجب الحُب، لن يتصور كيف يضجر الحُب منّا ذات يوم ونحن ننظر الى اطفال تلهو في حديقةٍ قرب منزلنا، لن يَقّدر ان يتصوّر ذلك فلا داعي لأن اجيبه، التزمتُ الصمت التام امامه، ترك مكانه، تجول في البيت ثُم عاد ليقف امامي والغضب يملأ عينيه ...

قال: اضطررتُ لكسر الاقفال لأدخل، كنتُ اعلم انكِ على وشك الموت، ما الذي اراه في البيت! ما هذه العقاقير التي تتناولينها؟ لمَ البيت خالياً من الطعام؟ لمَ بحوزتكِ هذا القدر الكبير من الكحول؟

لم أجبه، وقفتُ وبدأتُ أشغل نفسي بتوظيب البيت لأشعرهُ بأنني اريدهُ ان يخرج، صرخَ بي مجدداً، وضع كلتا يديه على كتفي وصعقني بهزة لأجيبه ...

صرخَ بصوتٍ عالٍ جداً: لمَ لا تتكلمين؟

قلتُ له: انا .. ار .. اريد .. المـ .. و و .. الموت.

عرف الحقيقة، تفهمَ لِمَ لم اكن اريد ان أجيب عن اسئلته، منذُ اسابيع وانا لم اعد قادرةً على الكلام بجملة متصلة، كنت اتمكن من التفوه بكلمات ولكن بشكلٍ غير متصل، وفي بعض الاحيان كنت اردد احرف الكلمةً مرتين او ثلاث لأتمكن من النطق بها، ظلَ مندهشاً، رأيتُ على وجهه ملامح الحزن والدهشة معاً، عاد كما كان يجلس، أخرج من جيب سترته علبة سجائر، اشعل منها سيجارة،

استنشق دُخانها، اخرج زفير هوائه فأجبرني على الصراخ، صرخت بوجهه وسحبتهُ من يده ليخرج خارج منزلي، لم اتمكن من ان اقول له ألا يشرب هذه السيجارة امامي، كان يقتني سجائر كتلك التي كان يقتنيها (احمد)، دُخانها أخذني عنوةً الى ذلك الشاطئ، الى مكاننا الجميل، حين وضع يدهُ خلف كتفي وشرب سيجارة من هذه السجائر، دُخانهُا صوَّر لي وجههُ وسط المنزل، لم يعلم لِمَ طردتهُ من البيت، خرج الى سيارتهِ مسرعاً، اغلقت الباب خلفه بقوة، ووجدت الدخان لا يزال في البيت، هَممتُ بالتنفس بسرعة، اتنفس وانا ابحث عن خيوط ذلك الدخان الذي رسمت وجه (احمد)، وانا اتجول في الغرفة لأستنشق اكبر كميةٍ من دخان هذه السيجارة، شاهدت (يعقوب) قد عاد، كان واقفاً عند الباب ينظر إليّ بغرابة، لم اتمكن من النظر الى وجهه، تقدم اليّ مُسرعاً دون ان يتكلم ثم صفعني بقوة على وجهي، سقطتُ على الارض دون ان اشعر بشيء.

علمتُ بعد ذلك انه اقلّني الى أحد المستشفيات الخاصة بمعالجة الادمان، مكثتُ فيها أسابيعَ، كانت كمية المخدرات التي تناولتها شهورا وليس سنوات وبسبب ذلك كانت مدة علاجي قصيرة وصعبة في ذات الوقت لأن الكميات التي تعاطيتها لم تكن قليلة، كانت صعبةً لأن لي قلبا ليس كباقي البشر، قلبٌ يحتوي على صمام ضعيف لا يُجيد النبض جيداً، لكنهُ يجيد عِشق (احمد)، كانت مدة

العـلاج قاسـية، كان الطبيـب المعالـج يمنحنـي الـدواء المخـدر يوميـاً بجرعـاتٍ متكـررة وليسـت متسـاوية، كل جرعـة كانـت اقـل مـن التـي تليهـا، كنت اشـعر بالنشـوة التـي اعتدتهـا ولكنها كانـت لا تصـل الى حـد الاشـباع، وهـذا بحـد ذاتـه عـذاب، كانـت اغلـب مصحـات عـلاج المدمنين تتخلـص مـن ادمانهـم بهـذا الشـكل، بـدأ الامـر صعبـا، ولكنـهُ بعـد عـدة ايـام اصبـح مقبـولاً، بـدأت ارحـب بـكل لحظـة افيـق فيهـا لمـا حـولي، متجنبـةً لـكل شيء يذكـرني بحبيبـي، سـاء امـر قلبـي كثـيراً بعـد هـذه المـدة العصيبـة التـي مـررت بهـا، كنـت أتلقـى علاجـاً دوريـاً ليُنشـط عملـه، سـمعت ذات مـرة الطبيـب المعالـج وهـو يَخـبر (يعقـوب) بـأن الامـر يـزداد سـوءً وان عـليّ ان اجـري العمليـة، سـمعت (يعقـوب) وهـو يجيبـه: « دكتـور انـا لسـت صاحـب القـرار، سـأنتظرها لتفيـق واتكلـم معهـا بهـذا الشـأن، تكلمـت معهـا مسـبقاً بصـدد العمليـة ولكنهـا لم توافـق»، اجابـهُ الطبيـب: «ليكـن في علمـك بـأن الامـر الان تغـير، الامـر يـزداد سـوءً بمـرور الوقـت، ارجـوك، اخبرهـا بأنهـا سـتصحو عـلى يـوم يكـون فيـه الاوان قـد فـات»

استيقظتُ ذات صباح وانـا اشـعر أنني اقـوى عـلى الـكلام، عـادت صحتـي، تمكنـتُ مـن السـير باتـزان، عُـدتُ الى وعيـي، حاولـتُ تغيـير ملابـسي بنفـسي قبـل ان تـأتي الممرضـة لعلهـا تخـبر الطبيـب بذلـك ليخرجنـي مـن المشـفى واعـود الى بيتـي، لعـل (احمـد) يطـرق البـاب، انتهيـتُ مـن ارتـداء ملابـسي،

جلست على فراشي اتأمل الخاتم الذي وهبني اياه (احمد)، لم يُفارقني ابداً، كنتُ انظُر الى حديقة جميلة كانت تطل عليها غرفتي، لم أعرها من قبل اي اهتمام، طُرِق الباب، دخلت عليّ زوجة (يعقوب)، القت عليّ التحية واجبتها بابتسامة، خفت من ان انطق بكلمة وتخرج متقطعة فأخجل من نفسي ومن مهدئاتي وكحولي، تقربت مني، لمست شعري وهي تنظر إليَّ نظرة العطف، شعرت في وقتها بما يشعر به المريض النفسي، شعرت به كيف يتبادل النظرات مع من حوله، هم ينظرون إليه بنظرات عطف وهو يُترجُمُها الى اشمئزاز.

قالت لي: لا تخافي، ستكونين بخير لن يتخلى عنكِ (يعقوب) الى ان تعودي قمراً كما كنت.

أسعدتني كلماتها، عطفها منحني بعض الراحة، كنت اتمنى ان (يعقوب) لن يتخلى عني كما قالت، اتمنى ايضاً انه لم يخبرها بأنني تعرضتُ لصدمات كهربائية في الرأس في اول يوم دخلت فيه الى المشفى، حين افقتُ بعد دخولي لهُ ولم أرَ خاتم زواجي في يدي، صرختُ حينها لأسال عنه ولم يجبني احد، صعقني الاطباء بالكهرباء لأصمت، اتمنى أن لا احد علم بالأمر، اتمنى ذلك، دخل (يعقوب)، كان الطبيب المشرف على حالتي معهُ، القوا التحية مبتسمين عطفاً، نادى الطبيب على الممرضات من اجل تغيير بعض اشياء الغرفة فأخبرتهُ احدى الممرضات بأنني تمكنت من النهوض

بمفـردي ومـن ارتـداء ملابـسي وحـدي بعـد مـا اعـادوا لي خاتمـي، نظـر الطبيـب الى (يعقـوب) ثـم ابتسـم وقـال لـه: «ألم اقـل لـك ان الامـور اصبحـت عـلى مـا يـرام، نحـن بحاجـة الى وقـت فحسـب»، لم افهـم عـمّا كان يقصـد الطبيـب، ولكننـي انتبهـت بـأن كلامـهُ كان متزامنـاً مـع مـا قالتـه الممرضـة، اعتقـد انـه كان يقصـد ان حالتـي النفسـية تحسـنت بعـد مـا اعـادوا لي الخاتـم، تجاهلـت الامـر، جلسـت لأتنـاول الافطـار وهـم يتبادلـون الحـوار، انهيـت طعامـي فألقـى الجميـع عـليّ التحيـة وذهبـوا، بقـي (يعقـوب) بالقـرب منـي فقـط ...

قال لي: عزيزتي، كيف حالكِ؟

ابتسمت وحركت رأسي لأشكره ....

قـال: تكلمـي، انـتِ الان قـادرة عـلى الـكلام، تكلمـتُ معـكِ ليلـة امـس وبادلتنـي الحديـث بسلاسـة، ألا تذكريـن ذلـك؟

كنـت لا أذكـر شـيئا سـوى حبيبـي (احمـد)، لكننـي خفـت من ان اقـول لـهُ انني لم اتذكـر فيظـن ان حالتـي سيئة، كذبـتُ عليـه كـي يخرجنـي مـن هنـا، انـا بحاجـة الى العـودة الى منـزلي.

قلت له: اتذكر.

صـلى للـرب امامـي، قـال: ألم اقـل لـكِ انـكِ الان افضـل بكثـير، انـتِ تتكلمـين بسلاسـة.

لم اجد كلاما لأشكرهُ من خلاله، عانقتهُ لأشكره ....

قال لي: لا تشكريني لشيء، ما افعله هو واجبي اتجاهك.

قام ليجلب لنا الشاي من الخارج، عاد بعد دقيقتين، جلس بقربي ...

قال لي: قمر، سنسافر يوم غد.

قلت: الى اين نذهب؟

قال: الى لندن.

قلت: ماذا نفعل هناك؟

قال: منذ ان علمتُ بمرضكِ وانا اجري العديد من الاتصالات مع اصدقاء لي هناك، ارسلت التقارير الخاصة بحالتكِ دون علمكِ، تواصلت معهم للبحث عن حلٍ ليبقيكِ قمراً، بحثتُ وسط عشرات الاطباء، لم أتمكن من انْ اتكلم معكِ بشأن الموضوع لسوء حالتكِ في المدة الاخيرة، وطوال مدة رقودكِ هنا وانا اعمل جاهداً على استحصال موعدٍ لكِ مع اشهر الاطباء واستحصال سمة دخول، تعلمين ان هذا ليس بالهين، قبل يومين، حجزتُ موعداً لكِ في المشفى وتذاكر الطيران، سنسافر غداً بعد منتصف الليل.

قلت: لا اريد ان اجري العملية، ارجوك، ما نَفع العيش من دونه؟

قال: لا خيار امامنا سوى السفر.

قلت: اتعبت نفسك، ألا تكفي كل هذه المساعدة التي تقدمها لي، كيف تترك عملك واسرتك؟

قال: لن يتطلب الامر اكثر من ثلاثين يوما، لأننا قد لا نجري أي عملية.

قفزت من مكاني فرحاً، التفت إليه بعدما كُنت أتكئ على طرف المقعد ...

قلت: كيف ذلك؟

قال: أبلغني احد الاطباء بأن لنا خيارا غير اجراء عملية زرع الصمام الصناعي، وهو ان يمنحك ادوية تلتزمين بتناولها يومياً وبشكل منتظم لتستمر حياتك بالشكل المعتاد دون الحاجة الى اجراء أي عملية.

قلت: تستمر حياتي !! هل بإمكاني تحمُل الآم الولادة؟

قال: طبعاً، ولكن الامر متوقف على عدة فحوصات واختبارات، وان لم يكن الامر كما نتوقع فسنجري العملية، ولن اقبل منك أي اعتراض، العملية ستكون هناك بضمانة كبيرة، لن تكوني بحاجة الى أي ادوية مع الصمام الجديد، ستعاودين الحياة كما كنتِ وليس كما قالوا لكِ هنا بأن الامر له احتمالات عدة.

خفتُ ان يُذكرني بهِ شتاء (لندن)، تنفستُ الصعداء، تنفستُها مئة مرة لأنني على يقينٍ تام بأن الغفوة على

صـــدره اجمــل مـــن مـــدن العـــالم بـــأسره، وصلنـــا الى لنـــدن، مَكثنــا يومــاً واحــداً، ذهبنــا في اليــوم التــالي الى المشــفى لإجــراء الفحوصـــات، لم يكـــن الامـــر كـــما صـــورهُ لي، وانـــا انهـــض لارتــداء ملابــسي بعــد ان اجريــت كل الفحوصــات، ســمعت الطبيــب يقــول ليعقــوب: "you are late, so late" ، ايقنــتُ في وقتهــا بــأني ســأخضع للعمليــة لا محالــة، ذهبــتُ إليهــم، جلســتُ امــام (يعقــوب) ننصــتُ لمــا ســيقررهُ الطبيــب، لم يكمــل حديثــه ...

قال هو يكتب: as we agreed

فأجابه (يعقوب): yes, of course

لم يكمــلا حديثَهــما، خرجنــا ولم يخــبرني (يعقــوب) عــمّا قالــهُ الطبيــب، ونحــن نســير في شــارع (Harley Street) في مدينــة (West-minster) كنــتُ اســتمع لــهُ وهــو ينصحنــي بإجــراء العمليــة، لم يكــن بإمــكاني الرفــض، كيــف ارفــض وقــد قطعنــا كل هــذه المســافة مــن اجــل العــلاج، لم يكُــن لي خيــار اخــر، قــررتُ ان اجــري العمليــة وانــا بأمــس الحاجــة لرؤيــة وجــه (احمــد) قبــل دخولهـــا، اجريـــت العمليـــة، لم أفـــق منهـــا إلا بعـــد ســـاعات، فتحــت عينــي مــن شــدة الضــوء الــذي فــوق رأسي، وجــدت الطبيــب بالقــرب منــي، ابتســم، قــال لي: you love him so much

لم اعــرهُ اهتمامــي انشــغلتُ بالشــهيق والزفــير، كنــتُ اتنفــس بصعوبــة، كان كل شيء صعبــا دون حبيبــي، وجــدتُ (يعقــوب) بالقــرب منــي كعادتــه، لم أتمكــن مــن إنعــام النظــر في وجهــه

ولكـن حنانـه وعطفـه الوافـر أعطـى لي هيئتـه التـي أراه بهـا.

قلتُ له: ماذا قال الطبيب؟

قـال: انـتِ بخـير، والعمليـة كانـت عـلى أتـمَّ وجـه، تـم منحـكِ صمامـاً صناعيـاً ليمنحـكِ العمـر المديـد، لا تحـزني ستعودين إلى خطيبـكِ، سـتعودين إلى حياتـكِ، سـقط اليـوم نظـام الحكـم في الوطـن، سـتعودين الى وظيفتـك ايضـاً.

بعـد ان كنـت التفـت الى جهـة اليمـين التـي اراه فيهـا، نظـرت امامـي، لم يكـن شيء اجمـل مـن وجـود الـرب، صليـت لـهُ، دعوتـهُ بـأن ينجيني ممـا انـا عليـه، يصعـب عـليّ التنفس الان، كـما يصعُـبُ عـلي العيش مـن دون (احمـد)، هـل يتحقـق مـا قالـهُ (يعقـوب)؟ سـيتحقق لـو شـاء الـرب، لـن يقـف شيء ليعـارض مشيئته، ايهـا الـرب، حقـق لي مـا اتمنـاه ومـا انـت تعلمـه، ايهـا الـرب انـني بحاجـة لرحمتـك وعظمـة قدرتـك كـي انجـو مـن الحبـال التـي تلتـف حـول رقبتـي الان، ومـن الآلات الحـادة المحشـوة في صـدري.

مـرت الايـام، تعافيـتُ بفضـل الـرب وعطـف (يعقـوب)، نجحـت العمليـة وعـاد النبـض المُنتظـم لقلبـي، مـزح معـي الطبيـب وحـذرني مـن ان اعشـق بقـوة، لأننـي نطقـت اسـم (احمـد) في اللحظـات الاولى مـن خروجـي مـن العمليـة، لم يفهـم مـا كنـت اقـول، كان يظـن انني بحاجـة الى شيء، طلـب الى (يعقـوب) الحضـور الى صالـة الافاقـة ليترجـم لـه مـا اقـول

فجـاء واخــبره بأننــي اردد اســم حبيبــي، ولذلــك قــال لي الطبيــب عندمــا فتحــت عينــي لأول مــرة بعــد العمليــة «انــت تحبينــهُ جــداً»، انتهــى مــا كنــت اخشــاه، وبــدأ مــا اخشــاه اكثــر، كيــف ســأُلقاه بثيــاب نــدم، بعــد ان نجــوت مــن المــوت، او العيــش كالأمــوات، كيــف أخــبرهُ بالحقيقــة وانيــاب الخــذلان مازالــت في فمــي؟ كيــف ســأعود إليــه لأرى انعــكاس الجُــرح في عينــه؟ لم نتمكــن مــن العــودة الى الوطــن، تــم حظــر الطــيران مــن الوطــن و اليــه للانفــلات الامنــي الحاصــل بســبب ســقوط نظــام الحكــم، بعــد ان توقفــت كُــل مؤسســات الدولــة عــن العمــل، ظــل غُــراب القلــق جاثيــاً فــوق تفكــيري، ظلــت ظنــون الســوء تحــوم فــوق آمــالي، انــا في اقامــة جبريــة وســط لنــدن، مــرت مــدة عصيبــة جــدا، كنــت اريــد العــودة بــأسرع وقــت كــي اراه واعتــذر إليــه، كنــت ارفــض اي فكــرة تدعــوني للقلــق اتجاهــه، كنــت أســأل عــن موقفــه في هــذه الفــوضى، هــل هــو بخــير؟ هــل هــو بعيــداً ممّــا حــدث أو كان مــن اوائــل الثــوار بحســب مــا تمــلي عليــه شــجاعته وحبــه لوطنــه؟ هــل فكــر بي قبــل ان يفعــل شــيئاً يــضره؟ كيــف يفكــر فيَّ وانــا لم افكــر فيــه؟ في اعــراف الحــب، لا يســمح للظــالم بــأن يُمكــث في الوجــدان كثــيراً تجنبــاً للذكــرى.

بعــد مــرور شــهرين عــادت خطــوط النقــل الجــوي للعمــل، رجعنــا الى الوطــن ونحــن لا نعلــم ان ظــل (وطــن)، ام ظَــل طريقــه الى الحريــة؟ ايــام مــن الهــدوء قضيتُهــا في الفــراش، كان

يجب عليّ الابقاء على نفسي دون انفعالٍ او أي جُهد يُبذل لمدة ما بعد العملية، بقاؤنا بانتظار السماح لنا بالسفر كان له الفضل الكبير لي ببقائي هادئة، تطلب الامر مدة من السكون، قضيتُ اياما اخريات وانا اجوب الطُرقات بحثاً عن (احمد)، ذهبت الى كل مكان جمعني به، سألتُ عنه كل البشر، سألت عنه ازقة المُدن ومجرى النهر، بحثتُ عنه بين اوراق الشجر، بحثت عن مخرجٍ من ألم اشتياقي إليه، ولكن منهُ اين المفر؟

وحيدة جلستُ على الشاطئ، لم يكن حبيبي برفقتي، لم اعلم ما حل به، بحثت عنه في كل الطرقات ولم اجده، جلستُ على مقعدنا الاوحد والبحر امامي، جلستُ لأتذكر كل شيء، كل ما مضى كان بجعبة ذاكرتي، كان موج عاليا، يندفع بقوة من تحت اقدامي كما كنتُ اندفع نحو لقائه، ظل البحر يدفع بالذكريات ليقدمها الموج لي، ليختبرني إن كنت قد نسيت شيئاً ام لم أنسَ، اخبرتهُ بأنني لم أنسَ ولن انسى شيئا، عندما كُنا نجلس لم يكن الموج بهذا الغضب، عندما كُنا نجلس كُنا نرى امواجه على بُعد بعض الامتار عن اقدامنا، اليوم اجلس امامه والموج يصل إلي، كأنه يود ان يقول شيئا، كأنه يعاتبني عما فعلت بحبيبي، من المؤكد انه غير راض عني.

الثاني من نيسان ...

القمر حزيناً لهذه الذكرى، حزيناً لأنني بمفردي بنصف روح، ابحث عن نصف روحي الاخرى بخطوة من خجل وخطوة من ندم، اليوم تأريخُ ميلادنا، موعد لقائنا الاول، تاريخ الحُب الذي جمعنا، ذكرى الخاتم الذي بين اصابعي الان.، اعتلى موج البحر وانا احادثه، كان يمضغ ذكرياتي ويرميها على ساحلهِ الثاني، بعيداً مني لأنني لا استحقها، لم احافظ عليها وهي واجبة التقديس، ذكرياتٌ كانت الواقع الاجمل والحلم الأوحد، طلبتُ الى الموج ان يهدأ، اعتذرتُ ممَّا قلت هنا قبل اقل من عام، حين تركتهُ وحيداً كما انا الان، كان البحر شاهداً على كل الخذلان والجحود، يشهد عليّ القمر ايضاً، النسمات التي كانت تعبث بشَعري ليعود ويصففه بيده، الموج كان يُذكرني كيف نَكرت جميل ابياته، كان يسأل عن إلحادي بعشقه، عشِقهُ الذي كان واجب العبادة، تكلمتُ بوافر الندم، اردد كلمات الاعتذار منذُ ان مسك يدي (يعقوب) وانا اذرف الدمع حال هبوط طائرتنا على ارض الوطن، كنت اريد رؤيته بشوق الخِشية، بكيت من شِدة ما اريد.

قال لي (يعقوب) في وقتها: كوني قوية يا قمر.

قلت له: لا تُعاتبْني على ما ليس لي ارادة فيه.

وانا على مَدرج الطائرة أنزل لأرض الوطن، استنشقتُ

عطـره، كان عطـرهُ يجوب الوطـن، تتناقلـهُ نسـمات روحـي التي تحـوم حولـهُ الان اينـما كان، اسـتأجرنا سـيارة اجـرة لتنقلنـا الى البيـت، ونحـن في الطريـق مررنـا بمركـز المدينـة رأيـت صـور (احمـد) مُعلقـة في اغلـب الطرقـات، اخـبرت (يعقـوب) ليراهـا لأنني كنـت اخشـى سراب وجهـه مـن ان يظهـر لي بسـبب حُمـى الاشـتياق، خفـت مـن ان يكـون سرابـاً فيُعيـدني (يعقـوب) الى المصحـة العقليـة، شـاهدهُ (يعقـوب) ايضـاً، كان الامـر يقينـاً، سـألنا عـلى الفـور سـائق الاجـرة عمَّـن يكـون هـذا الشـخص، اخبرنـا سـائق الاجـرة بأنـه مـن اوائـل الثـوار الـذي اقتحمـوا المقـر الرئيـس للحـزب الحاكـم واضرم النـار فيـه ليشـتعل فتيـل الثـورة مـع النـار التـي التهمـت مقـر الحـزب وكل المقـرات التي تعاقـب الثـوار عـلى احراقِهـا خـلال سـاعاتٍ قليلـة، وفي اليـوم التـالي خرجـت مظاهـرات حاشـدة لتسـتمر الى اعتصامـاتٍ ادت الى شـطر الجيـش الى نصفـين، النصـف الاول تخـلى عـن سـلاحه وانضـم الى صفـوف الثـوار والنصـف الثـاني كان مـع الحكومـة لأنـهُ لم يتمكـن مـن عصيـان اوامرهـا فقـام باعتقـال المنشـقين عنـه وقمـع قـادة التظاهـر ومـن ضمنهـم (احمـد) الـذي ظـل مصـيرهُ مجهـولاً ولم نعلـم عنـه شـيئا بعـد اعتقالـه، صرخـت بوجهـه دون وعـي ..

قلت : ماذا تقصد بأن مصيرهُ مجهول ؟

التفـت لي (يعقـوب) وقـال: هدئـي مـن روعـك، سـيكون كل شيء عـلى مـا يـرام.

لم يَجب السائق عن سؤالي، نظر لي نظرة استغراب فحسب

لم اعـرف مـا حـلَّ بـه، كنـت اعلـم انـه سـيكون مـن قـادة هذه الثـورة، لكنني كنـت رافضـة للتفكـير في الأمـر، لي الـف عـذر وعـذر لذلـك، اريـد رؤيتـه، ذهبـتُ الى بيتـه بعـد ان تركنـي (يعقـوب)، وجدتـهُ مُقفـلاً وقـد أحـرق بالكامـل، وجـدت آثـار ادخنـة النـيران حـول نوافـذ البيـت وابوابـه، قلقـت عليـه كثـيراً، أسـأل مـن عنـه؟ كيـف لي ان اعلـم اخبـاره؟ ايـن هـو الان وقـد مـضى عـلى هـذه الحادثـة اشـهرا عـدة؟ لِمَ قـال لنـا سـائق الاجـرة ان مصـيرهُ مجهـول؟ ذهبـت الى بيـت (سـارة) لأراهـا، احتضنتنـي وانهـارت باكيـة حـين رأتنـي، دعتنـي للدخـول بعـد ان بكينـا عـلى البـاب بقـدر سـنوات صداقتنـا، قدمـت (لقمـر الصغـيرة) دُميـة ابتعتُهـا لهـا مـن (لنـدن)، اخذتهـا مـن يـدي وسـارت بهـا وسـقطت ارضـاً، كانـت فرحـة بخطـوات قدميهـا، جعلتنـي ابتسـم بثغـرٍ نـادم، كانـت الدُميـة اكـبر منهـا حجـماً، سـألتُها عـن (احمـد)، كان علمهـا كعلـم سـائق الاجـرة، إلا انهـا اضافـت بـأن قـوات عسـكرية اعتقلتـهُ مـن منزلـه ثـم اضرمـت النـار فيـه، ومـن تلـك اللحظة بـات مصـيرهُ مجهـولاً، كانـت تعلـم بمـرضي، كانـت تـزورني في المصحـة لـتراني من خـلال الزجـاج فقـط، منعهـا الطبيـب حينها مـن رؤيتـي، كانـوا يـزودوني بالمهدئـات ويقولـون عـن حالتـي بأنهـا انهيـار عصبـي حـاد مـن اثـر صدمـة، كان الطبيـب يمنـع عنـي كل شيء يذكـرني بحيـاتي التـي اعيـش فيهـا ليخفـف مـن

اثـر الصدمـة، كان لا يعلـم بأننـي اعشـقهُ إلى درجـة يُسـتحال فيهـا ان انسـاه، كنـت اقـدس اسـمه فاذكـره وقـت صمتـي، لم يكـن اسـمه عـلى شـفاهي بقـدر الصـلاة، كان اكثـر منهـا، كانـت (سـارة) عـلى علـمٍ بأننـي سأسـافر مـع (يعقـوب) الى (لنـدن) مـن اجـل العـلاجً، اخبرهـا هـو بذلـك، اخبرهـا بأننـي سـأمُر بأوقـات عصيبـة، لم يخبرني (يعقـوب) عـمَّا قالـه الطبيـب، اخبرتنـي (سـارة) بأنـهُ اخبرهـا بـأن العمليـة التـي سـأجريها سـيكون لهـا خطـر كبـير عـلى حيـاتي والسـبب كان يكمُـن في الكحـول والمخـدرات التـي اعتـدتُ تناولهـا أشـهرا، لم يخـبرني (يعقـوب) بـأي شيء مـن هـذا القبيـل ليخيفنـي، وانـا اجلـس امامهـا ادركـت عظمـة (يعقـوب) لـولاه لمـا انـا الان في قيـد الحيـاة، ادركـتُ ايضـاً لِمَ الطبيـب لم يُكمـل كلامـه حـين دخلـت عليـه وهـو يحـاور (يعقـوب) ويقـول لـه «كـما اتفقنـا»

هـا انـا اجلـس عـلى الشـاطئ لأسرد للبحـر مـا بجعبتـي مـن اعـذار لعلـهُ يغفـر لي، لـن اتوقـف عـن الـكلام حتـى يهـدأ موجـهُ، حتـى يصدقنـي بأننـي هجرتـه لأتجنـب تضحيتـه، هـا انـا اجلـس بمفـردي وكل مـا في داخـلي مُظلـم، كل شيء لم يكـن كـما كان عليـه، مكانـهُ خـالٍ، مملـوءٌ بالذكريـات، مغطى بوشـاح الرحيـل، لم أره، لم نعـد نلتقـي، اشـتقتُ إليـه، جلسـتُ وبـين يـدي عـدة ابيـات وجدتهُـا عـلى بـاب منـزلي صبـاح اليـوم، لم اعـرف مصدرهـا، عنـد خروجـي صبـاح اليـوم وجدتهـا اسـفل البـاب، كل مـا في داخلهـا يفـوح بعطـره عـلى الرغـم مـن انهـا

كانـــت تخلـــو مـــن العطـــر، كانـــت الكلـــمات كلماتـــه، اعـــرف طريقتـه عندمـا يكتـب، كانـت فيهـا ابيـات تعنـي كل مـا يريـد قولـه، كَتـب فيهـا:

تركتُ كل الكلمات حين تركتني

حين سكن الصمت بين الحبر والاوراق

هجرني الفرح حيـن هجرتني

تبتسمُ الشِفاه والدمع يمَكث الاحداق

نقشتُ رسمكِ على جدران عمري

كما نقشتُ على خصركِ اثار العِناق

بغضتُ حياتي بعدكِ كما بغضتها

قبلكِ .. كـبغض أمٍ لابـنـهـا العاق

إن التقينا لا تذكري اسمي .. الـى ان

تعودي حبيبتي .. حلم هذا أم نِفاق ؟

صدقت أغنيةً قديمةً لأكذب واقعي

تُحرم الحب وتجلدُ القُبلات والاشواق

اعلم انني اهذي ولا اكتب .. فهل

تعلمِين ان تنفس غيابكِ كم هو شاق

خذي الغد و أعيدي لي الأمس خذي
سِم جحودكِ وأعطي لجسدي الترياق
أحبكِ كما كنت وسأبقى احبكِ مهما
قدمت السهد قُـرباناً لأوثان الفراق
مـوعـد لـقـائنـا ها قد أتى وانتِ لستِ
انتِ .. وانا على العهد ما زلت باق
اضحيتُ بعدكِ كـطفلٍ يجلِس في حديقةٍ
ينظر لأطفالٍ تلهو امامه، وهو معاق

تركها لي هو، انا مُتأكدة من ذلك، أين هو الان؟ ان كان هو المُرسل فأنه لا يزال يعشقني، انا على أتمِّ يقين أنها كلماته، في كل دقيقة تمُر، يُنفذُ الشوق بحقي حكماً بالاعدام، يُنفذهُ بقطع الامل بمَقصلة العصور الوسطى، كانت حادة بأبيات شِعره، تلك التي كتبها من أجلي، تلك التي القاها لي بشفتين علمتني كيف يكون الاستلذاذ في وضح النهار، عندما كان موج البحر يتحرك مع القافية، كان اجمل من شعراء الجاهلية على الرغم من معلقاتهم السبع على جدار الكعبة، اشتقت إلى عطره، اشتقت إلى تلك الايام التي كنت اتقرب فيها من جسده خِلسة لأرتشف القليل منه، القليل

منـه كان كالكثـير مـن كل شيء، حـين كان عِطـره يأخـذني الى شـاطئ (يافـا) لأنصـت الى القصائـد الدرويشـية عـلى الحـان (مارسـيل خليفـة)، افتقـدتُ (زيـاد) ايضـاً، سـألت البحـر عنـه، هـل مـا زال يذكـرني بعـد شـجارِنا الاخـير؟ هـل هـو راضٍ عنـي؟ لم امتلـك الوقـت الـكافي لأبحـث عنـهُ هـو الاخـر، لم يسـأل عني هـو ايضـاً، بـكل تأكيـد كان منشـغلاً، لم أره منـذ تلـك الليلـة المشـؤومة التـي رأيتـهُ فيهـا، لم أتجرأ عـلى الذهـاب الى منزلـه بسـبب الحادثـة الاخـيرة، ذهبـتُ الى المطعـم فوجـدتُ أن إدارتـهُ قـد تغـيرت بالكامـل، لم أسـال عنـهُ احـدا، اعتقـدُ أنـهُ بـاع مطعمـهُ وسـافر تجنبـاً للفـوضى التـي حدثـت مؤخـراً.

تعبـتُ مـن الذكـرى، تعـب المـوج معـي، لم يعـد يقـترب مـن اقدامـي، اتعبتـهُ الذكـرى واتعبتنـي، كلانـا غـير قـادر عـلى نسـيانهِ، نسـيان جمالـه، سـيجارته، كلماتـه، نظراتـه، رجولتـه التـي تبعثـر كيـاني لـو نظـر إليَّ، كان يعـصُر كل قطـرة انوثـة احملُهـا لـو مسـك ذراعـي، عـدتُ ادراجـي، عـدتُ وانـا اجـر اذيـال القلـق، مـا مصيره؟ ايـن هـو الان؟ اتجنب التفكـير في ان يكـون قـد اصابـهُ مكـروه، اكاد احـترق لـو مَسـهُ سـوء، احـترق كـما يحـترق الجـرم السـماوي عنـد دخولـه الارض.

تمكـن الجيـش مـن السـيطرة عـلى الطرقـات والمـدن بعـد ان انتـشرت المظاهـر المسـلحة، نحـن كأي بلـد عـربي يلتجـأ الى الاعـراف العشـائرية والقبليـة في غيـاب القانـون، غريـزة التباهـي بالشـجاعة وتملّـك القـرار وحيـازة المصـير متوافـرة

عنـد الجميـع، هـذه جينـات تنبثـق لتكـون واضحـة للعيـان في كل منطقـة تجمعُهـا العشـيرة الواحـدة، احيانـاً، نـرى تمكُـن الدولـة مـن حـصر السـلاح والقـرار والمصير بيدهـا في مركـز العاصمـة لأنـه لا يوجـد اي تكتـل عرقـي او مذهبـي او قبـلي فيهـا عـادةً، ولكننـا نـرى تمكُـن زعيـم القبيلـة او العشـيرة في المـدن البعيـدة مـن انظـار الدولـة مـن نـشر نفـوذه، هـي لم تكـن بعيـدة بالفعـل مـن انظـار الدولـة، ولكـن الدولـة انشـغلت بـما في العاصمـة والمـدن الحيويـة مـن اسـتثمارات وتركـت اطـراف الدولـة للأعـراف القبليـة، رأيـتُ صنفـاً مـن هـؤلاء المُسـلحين قـد شُـكّلوا بحسـب الديـن، حمـل السـلاح كل مـن كان بعمـر الشـباب بغيـة حمايـة مقدسـاتهِ الدينيـة، كان قسـماً منهـم يحمـي المسـاجد مـن الكنائـس واخريـن يحمـون الكنائـس مـن المسـاجد، كانـت الارض خصبـا لأي متعصـب ومتطـرف دينـي للخـروج والهتـاف، هتـف وهـو يخـرج مـن جعبتـه عـدة كُتـب تضْمـن دخولـهُ الجنـة، وعـلى الجميـع مـن خـارج ديانتـه التـزام الصمـت والابتعـاد مـن دار عبادتـه المُكتـظ بالسـلاح، امـا بشـأن الصنـف الاخـر فقـد اغلـق مدينتـه لأنهـا تابعـة لقبيلـة او عشـيرة مـا، كان كل مـن لا ينتمـي إليهـم فهـو مصـدر شـك، لـذا سُـمِح لهـم بموجـب ذلـك حمـل السـلاح ايضـاً والاشـتراك في المظاهـر المسـلحة التـي عاثـت في جمـال الوطـن فسـاداً واصبحَـت مـن سـمات الرجولـة ان يحمـل كل سـلاحٍ.

عـدْتُ الى وظيفتـي في الجامعـة، بعـد ان قدمـت كل الوثائـق التـي تُديـن رئيـس الجامعـة السـابق وزمرتـه، خرجـتُ انيقـة في اول يـوم أذهـب فيـه الى الوظيفـة التي لطالما احببتهـا وهـي القـاء المُحـاضرات في معبـد العلـم، عـدتُ الى طلبتـي الذيـن احبهـم لمجـرد انهـم ينصتـون لي بغـض النظـر عـن دياناتهـم وقومياتهـم ومذاهبهـم، عُـدتُ الى مـا كنـت استحق.

بعـد ان تمكـن الجيـش مـن مسـك زمـام الامـور، اتفقـت الاحـزاب عـلى تشـكيل حكومـة مؤقتـة مـن اجـل اجـراء انتخابـات تُمكـن الشـعب مـن اختيـار حُكومـةً تمثلـه، كان الامـر صعبـا في بـادئ الامـر، ولكنـه الان اصبـح يسـيراً لعـودة فـرض القانـون مـن قبـل الجيـش ومصـادرة كل الاسـلحة التـي تمـت حيازتهـا خـارج نطـاق الجهـات الامنيـة في الدولـة، عـاد الامـان إلى مدينتنـا وكل ارجـاء الوطـن، عـادت تلـك الحيـاة الطبيعيـة التـي اعتدنـا رؤيتهـا، التـزم كل ضـالٍ حـدوده التـي فقدهـا أشـهرا قليلـة، عـاد الـكل يخشـى القانـون ويتجنـب مخالفـة قواعـد المـرور، ظهـر تنظيـم يعلـن (الجهـاد) عـلى كل مـن رضي بالوضـع الحـالي، مسـتنداً الى عـدم شرعيـة الانقـلاب وخيانـة الجيـش لواجبـه، اسـتمدوا شرعيتهـم مـن بعـض رجـال الديـن الـذي تـضررت حسـاباتهم المصرفيـة مـن جـراء سـقوط النظـام، افتـوا بوجـوب الجهـاد واسـتعادة الحكـم والقـصر اللذيـن كانـا يتقاضـون منـهُ رواتبهـم وهداياهـم، كان بالمقابـل ايضـاً وجـود نصائـح مـن اسـاقفة الكنائـس بحرمـة الانتـماء للحـزب الليبرالي

او ما شابهه من تياراتٍ تحصر الدين في بيوت الدين وتستمد قوانينها من القوانين الوضعية، تلك القوانين التي تتكوّن من رحم المجتمع في كل زمان ومكان، لا قدسية لقراراتها إذا انتفت الحاجة منها، افتوا بحرمة تأييد هذا الفكر لأنه لم يتطرق الى التكفير والقتل، عادت دوائر الدولة إلى العمل، عادت الحياة السياسية للمقاهي في العاصمة، انشغل الشعب بقراءة المستقبل من خلال الاشاعات التي تصدرها تلك المقاهي التي يرتادها الصحفيون والكُتاب والسياسيون الصامتون بالأمس، لم يفكر الشعب في كيفية التعامل مع انتخابات جديدة من دون اكراه، كان يبحث عن الاشاعات من كل حزب بأنه هو الذي سيكون الحاكم في الايام المقبلة دون ان يفكر لحظات كيف يضع الضوابط اللازمة في دستور الدولة لكي يكون الرئيس ملزماً بما يقوله الشعب وليس العكس، اعادة كتابة الدستور، كانت من اولى محاضراتي في كلية العلوم السياسية، بحثت مع طلبتي ساعات عدة، كيف يمكنهم توعية الشعب بأن اعادة كتابة الدستور اولى من التكهن بمستقبل الحكومة، كان من المفروض ان تُعاد صياغة كل بند كَبتَ الشعب وسرق قوته، كان الدستور السابق يقايض الشعب بأموالهِ مقابل حريته، كان مقصد كل بند فيه يقول للشعب «اعطنا حُريتك كي نمنحك العيش»، تداولت الحديث مع طلبتي كي امنحهم حق التفكير والبحث، ومن خلال الحديث ...

قال احد الطلبة: ارى بأن الحزب الليبرالي احق بالحكم، فالشعب ذاق المُر من الاحزاب الدينية، ولا سيما واننا رأينا كيف اكتظت الكنائس والمساجد بالسلاح حال سقوط النظام، المدة القادمة تُقلقنا اكثر من السابقة، لأن في السابق كان الدين من اجل كسب ود الناس للحاكم الذي كان يحكم على وفق مجلسٍ يُشرع القوانين الوضعية مغطاة بالدين من اجل سرقة الشعب فحسب، اما الان، اذا حكَمت الاحزاب الدينية المتطرفة للدين فعلاً وكان تكوينها من أجل دين او مذهب معين فأنها ستحكم على وفق كُتبها ولن ترضى بالقانون الوضعي، حينها سيستوجب علينا الالتزام بكتبها القديمة التي ينافي بعضها بعضا وكل دين فيها يُكذب الدين الذي قبله والذي جاء بعده.

كان كلامهُ منطقياً، انه يقيس الظرف الحالي بالسابق، ان استمر تكتل لأفراد الشعب على وفق الدين فأن الامر سيكون العن من الحكم السابق، ولكنهُ نسي ان يقول ان هذا الشيء بديهي، لأن في المجتمعات العربية يكون من المعيب ان يكون الانسان وحده دون ان ينتمي إلى شيء يشعره بالقوة او العِزة، هكذا نشأت المجتمعات العربية منذ قرون، ما ان يتفكك اي تكتل فيها بغض النظر عن حيثيات تكوينه قبلية كانت او عشائرية او دينية او مذهبية او عرقية او قومية إلا ونجدهم يتبنون اسماً جديداً لتجمعٍ جديد، خلال نقاشنا، ذكر احدهم اسم (احمد)، تحدث عن

شـجاعته في اشـعال فتيـل الثـورة، وفي تحفيـز فئـات الشـعب كافـة عـلى التظاهـر في اليـوم التـالي، ذكـرت طالبـة اخـرى بأنهـا كانـت تـراه في تجمعـات الحـزب الليـبرالي، مـن خـلال ذلـك سـألت الطالـب الـذي ذكـر اسـم (احمـد) عـن مصيره وايـن هـو الان؟ اجابنـي بـأن الـكل لا يعلـم، فكـرتُ إن كان مُعتقـلاً في السـجون السياسـية فـأن الجيـش قـد أخـلى كل هذه السـجون ولم يعـد هنالـك إلا مـن كانـت عليـه تهمـة جنائيـة، وعـلى الرغـم مـن ذلـك امـر القائـد العـام للجيـش بالتريـث بأحـكام الاعـدام لتدقيـق كل الاحـكام التـي صـدرت في المـدة الاخـيرة التـي جـاءت مُتزامنـة مـع حملـة الاعتقـالات التـي طالـت كل المعارضـين منـذ بـدء الانتخابـات وصـولاً الى شـجاعته، ومـن ثـم، فمـن المؤكـد انـه في قيـد حيـاة، ولا يريـد ان يظهـر الان لأن السـجون قـد أُخلِيـت خـلال يومـين بعـد الانتفاضـة بعـد ان هُـزِمَ الرئيـس ووزراؤه عـلى متـن طائـرة واحـدة للخـلاص مـن انيـاب الشـعب التـي نـوت اكل لحـم جسـده، ولكـن ايـن يمكننـي ايجـاده؟

اشـتقتُ إلى أن أجلـس مـع (سـارة) في المقهـى الـذي اعتدنـا ارتيـاده منـذ الصِبـا، بقينـا نحـن ولم يبـقَ هـو، أغلـق المـكان صاحبـه دون أن نعلـم السـبب، حددنـا مكانـا آخـر والتقينـا فيـه، كنـا سـعُداء جـداً، كنـا نلتقـي نحـن الاثنتـان والان اصبحنـا ثلاثـا، جلبَـتْ معهـا (قمـر الصغـيرة) لتلعـب حولنـا، تكلمنـا عـلى مـا فاتنـا مـن حديـث، حدثتهـا عـمَّا مـرَّ بي،

حدثتُها عن كل الآلام واليأس الذي احاط بي، كنتُ على وشك الموت لولا (يعقوب) الذي وهبتني السماء إياه، جاء النادل وقدم لنا القهوة ..

سألتني (سارة): أتذكرين قهوتكِ القديمة، كنت لا توافقين ان تسمى (قهوة) إلا ان كانت ذات مذاقٍ مُر، عدلتِ عن رأيكِ من أجل الحُب؟

أغلقتُ عيني، استحضرتُ ذلك الموقف الذي لم يغب عن خاطري قطُّ، ما أجمل ذكرياتنا، ظلمتهُ كثيراً، كما أحببتهُ كثيراً، انا بحاجتهِ الان، بحثتُ عنه والندم يُرافِقُني الى كل مكان، لم اسمع عنه سوى الإشاعات، لم اعرف لهُ طريقاً، حين جاء النادل نظرتُ الى وجهه، بدا كأنهُ مألوفاً لي، قدم لنا القهوة وذهب، وانا اتبادل الحديث مع (سارة) تذكرتُ انه كان يعمل في مطعم (زياد)، رأيتهُ هناك في آخر لقاءٍ لي مع (زياد)، هو الذي جلب القهوة الى (زياد) بعد أن أسكبها على الارض بسبب غضبه، حين كُنا ننصت الى الاخبار العاجلة في التلفاز، انا متأكدة من ذلك، ناديتهُ، وقف بالقُرب من طاولتنا ويداه خلفه، سألتهُ: «متى باع السيد (زياد) مطعمهُ؟ هل تعلم الى اين سافر؟»، اخبرني بأن (زياد) قد قُتل !! لم اكن اتوقع ذلك، تألمتُ كثيراً، اخبرني بأن (زياد) قُتل وسط ظروف غامضة، كان عائداً الى منزله بعد منتصف الليل وقد اصطف بسيارته بالقرب من منزله، سُمعَت بعدها اصوات اطلاق نار، خرج الجميع

فوجـدوه يلتقـط انفاسـهُ الاخـيرة، لم يتمكـن مـن قـول شيء، لم يخـبرني عـن السـبب، بـل حتـى انـه اخـبرني عـن تفاصيـل الحـادث لأنـه يعرفنـي ويعـرف علاقتـي الوطيـدة (بزيـاد)، شـاهدني غـير مـرة وانـا ازوره، اخـبرني بـأن كل مـن حولهـم لا يتكلمـون في تفاصيـل الحـادث لأن اسـباب مقتلـه غامضـة، وظـل ذووه يتهمـون اي شـخص يتكلـم عـلى تفاصيـل الحادث، كانـوا يتهمـون كل مـن يملـك معلومـات حتـى وإن كانـت غـير صحيحـة لأنهـم بحاجـة الى (المتهـم) يجيـب عـن استفسـاراتهم، منهـم مـن قـال ان سـبب اغتيالـه هـو كثـرة الوفـود الحكوميـة التـي كانـت ترتـاد مطعمـه، وبسـبب نجاحـهِ في الآونـة الاخـيرة كثـرت بحقـه الاشـاعات بأنـه مـن احـد الاعضـاء المُهمـين في الحـزب الحاكـم، فـأراد بعضهـم قتلـه كـما قتلـوا الكثـير مـن قياديـي الحـزب الذيـن لم يتمكنـوا مـن الهـرب بعـد الانتفاضـة، وقـال بعضهـم الاخـر بـأن الـذي قتلـه هـو مـن ذوي النـادل الـذي تشـاجر معـهُ (زيـاد) واتهمـهُ بأنـه سرقـه للانتقـام لابنهـم الـذي حُكِـمَ عليـه بالسـجن مُـدة سـبع سـنوات، اخـبرني ايضـاً بـأن ذوي هـذا النـادل سبق أن جـاؤوا إليـه وقدمـوا لـه امـوالاً بقـدر مـا ادعـى انـهُ سُرقـت منـه، ولكنـه رفـض.

رحـل (زيـاد) وانـا كنـت عـلى امـل ان القـاه، ظننـتُ انـه رحـل الى مدينـة اخـرى، ظننـت انـه ابتعـد مـن العاصمة بسـبب الفـوضى التـي حلـت بهـا، لم اظـن انـه رحـل عـن الارض بأكملهـا، كنـت ابحـث عنـه عـلى الارض والامـر يتطلـب فتـح

ازرار السماء، حتى قبره لم يعد في العاصمة، اخبرني النادل بأن اقاربه اخذوه ودفنوه عند مسقط رأسه بعيداً من العاصمة، صديقي العزيز، افتقدكَ وافتقد كل يومٍ قضيتهُ معك، لك رحمة الرب وغفرانه.

بعد ان استولى على مقر الحزب السابق، اصبح للحزب الليبرالي مقرٌ كبيرٌ وسط العاصمة، كنتُ ارتاد ندواته بذريعة لقاء بعض الاصدقاء لأبحث عن (احمد)، كان هنالك العديد من الصحفيين الذين كانوا يكتبون المقالات في الجريدة التي كنت اعمل بها في السابق، سألت عنهُ ولم يجبني احد، الجميع كان يجيبني بأن لا احد يعلم عنهُ شيئاً، بعضهم يقول بأنه اختفى لأن اتباع الحزب السابق يرومون قتله ولاسيما وانه ما زال لهم نفوذٌ قويٌّ من خلال الاغتيالات محاولين العودة الى دفة الحكم، بعضهم الاخر كان يقول إنه قُتل وأخفيت جثته، اخرون قالوا إنه اختفى لحين اعلان موعد الانتخابات وان مسألة اختفائه ستزيد من التساؤلات حول موقفه ومن ثم سيزداد شهرة بالاضافة الى الشهرة التي اكتسبها حين أشعل لهيب الثورة، ليُرشح نفسهُ في الانتخابات بقوة.

سعياً للبحث عنه، قدمت طلباً للانتماء الى الحزب الليبرالي، بدأتُ احضر كل الاجتماعات والندوات التي ينظمها الحزب الليبرالي بعد ان انضوت تحت مبادئه كثيراً من الاحزاب حديثة التشكيل والمؤمنة بالعلمانية، كنت

احضر الى كل ندوة قبل ساعة من بدء موعدها واغادر بعد ان تنتهي بساعة، لم يظهر (احمد)، كنت ابحث عنه بين حوارات الحاضرين، بين كلامهم لو تشاوروا فيما بينهم، حتى وان تكلموا همساً فأنني اَهم بقراءة حركة شفاههم للبحث عنه، رأيت ذات يوم رئيس تحرير الصحيفة التي كنت اعمل فيها، القيت التحية عليه بشوق اكراماً للدرع الذي اهداه لي عند استقالتي من العمل في تحرير الاخبار السياسية، تقبل تحيتي بكل حرارة، سألني عمّا مررت به بعد استقالتي من الجريدة، حدثتهُ عمَّا جرى بشكل موجز، كان لقاؤنا قبل بدء الندوة بقليل، اضطررنا الى انهائه على عجل، وانا اُصافحهُ ..

قُلت له: انا بحاجة الى التكلم معك بشأن موضوع ما، يسعدني لو سمحت لي ببعض الدقائق بعد انتهاء الندوة.

أجابني: بكل سرور يا قمر، كوني بانتظاري.

التقيته بعد انتهاء الندوة، تكلمنا في بادئ الامر على اهداف الحزب وخطته المستقبلية ولاسيما وان الكل على اهبة الاستعداد للانتخابات وعلى اهبة الحيرة من المرشحين وكيف سيتم اختيارهم، طال الحديث بيننا حول المميزات والمساوئ للتحالفات مع الاحزاب وما الاثار التي ستطرأ على استراتيجية الحزب بعد هذه التحالفات، وماهية الخطر بين تبنيهم للعلمانية الحقيقية واتخاذها

ذريعـةً للترشـيح الانتخـابي، منتهزيـن فرصـة بغـض الشـعب للأحـزاب الدينيـة مـن جـراء تجربتهـم الاخـيرة والـذي اخـذت مـن تاريـخ الوطـن المعـاصر عـشرات الأعـوام، كانـت لـديَّ بعـض الخطـط تكلمـت معـهُ بشـأنها، أخبرتـهُ بأننـي اود ان اقـدم للحـزب بحوثـا مصغـرة بصـدد مـا ذكـرت، وبإمـكان الحـزب الاطـلاع عليهـا كـما بإمـكاني مناقشـة الحلـول التـي وضعتهـا مـن اجـل النهـوض بالواقـع الحـالي طمعـاً في مسـتقبل يخلـو مـن الأخطـاء، هنالـك العديـد مـن الاخطـاء ارتكبهـا ويرتكبهـا اعضـاء الحـزب حاليـاً كأنهـم واثقـين بأنهـم سيكتسـحون الانتخابـات بأغلبيـة سـاحقة، اكثرهـم يحاولـون كسـب ود الشـعب مـن خـلال انتقادهـم للأديـان او السـخط مـن اعتناقهـا، انهـم يبتعـدون كثـيراً مـن المنهـج العلـماني، هـم الان يتحالفـون ويقبلـون عضويـة أيٍّ كان ظنـاً أن كثـرة عددهـم سـيمنحهم اصواتـاً في الانتخابـات المقبلـة، هـذا الحـزب قـدم كثـيراً مـن التضحيـات عـلى مـدى سـنوات، يجـب عـلى قياداتـه الان وضـع الأُسـس الصحيحـة لبنـاء دولـة وليـس الاتـكال عـلى الحقـد بـين التديـن والكُفـر.

في الامـس، رأيـت أحدهـم يعتـلي منـبر النـدوات ليقـول: «ان مـن أُسـس الايـمان بالليبراليـة هـو الكفـر بـكل الاديـان» لكنـهُ نـسي انـهُ توجـد هنالـك ليبراليـة مسـيحية وليبراليـة اسـلامية وليبراليـة يهوديـة ظهـرت مـا بـين القـرن الثامـن عـشر والتاسـع عـشر، وانـا اتكلـم معـه لم تفـارق الابتسـامة وجهـه، عنـد

انتهائـي ممَّـا وَددَتُ قولـه وضـع يـده عـلى كتفـي ..

قـال لي: انـا فخـورٌ بـكِ، تأكـدتُ مـن انـكِ مُتميـزة منـذ ان كُنـت اطلـع عـلى نصـوص الاخبـار التـي تُحررينهـا، تمتلكـين العديـد مـن مراكـز قـوة في مخيلتـك السياسـية، كانـت ومـا زالـت لـكِ نظـرة تحليليـة منطقيـة في قـراءة المسـتقبل السـياسي، هـل تعلمـين منـذ ان غـادرتِ الصحيفـة وانـا احـدث كل مـن شـغل مكانـكِ عنـكِ؟ كنـتُ أُعلمهـم الاقتـداء بـكِ، كنـتُ اقـول لهـم دومـاً ان الانسـة (قمـر) تُحـرِّر الاخبـار مـن دون الانتـماء، كانـت تسـتقرئ الحـدث لتنشره بشـكل خـبر دون الاعتـماد عـلى التأويـل الاعلامـي، ولـكِ الفضـل الكبـير في زيـادة مبيعاتنـا عـلى الرغـم مـن وجـود القمـع انـذاك، بفضلـكِ لم تتمكـن الحكومـة السـابقة مـن اتهامنـا بأننـا نميـل فكريـاً الى المعارضـة.

قلـتُ لـه: قبـل كُل شيء انـتَ اسـتاذنا في العمـل الصُحفـي، ولكننـي ارى بـأن العمـل الصحفـي يجـب ان يكـون خاليـاً مـن التفـاؤل والتملـق، كثـيراً مـا نـرى التفـاؤل يقتـل الصـدق في العديـد مـن الاخبـار، وكثـيراً مـا نـرى عُنـصر التفـاؤل يضـع المـواد المُخـدرة في عقـول الشـعب، لأنـه يُترجـم الحـدث او التصريـح السـياسي للمسـؤولين في الحكومـة بـما يـراه في مصلحـة البلـد، حتـى وان كان الخـبر عـن انتـاج مفاعـل نـووي وسـط العاصمـة، مـا يلبـث إلا وان يضيـف في خـبره ويقـول «عسـى وان يكـون هـذا يصـب في مصلحـة البلـد في المسـتقبل»

اما عن التملق فهو الاخر نشأ مع نشوء المحاصصة الصحفية، ومن خلالهِ اعتمد الكثير من الصحفيين على التملق من اجل اعلاء شأنهم، او لكسب الود الحكومي من اجل الهدايا المادية من جهة او لدرء مخاطر الاعتقال من جهة اخرى، في بلاد العرب يجب على الصحافة ان تأخذ دور الاشعة السينية في كشف الحقائق، ان يكون تحرير الخبر خالياً من الزيف، فالزَيف في الخبر نفسه يكفي ليُخيب امالنا.

قال لي: قمر، ارجو منكِ عدم الاعتراض لو رشحتكِ لترؤس احدى اللجان الخاصة بالحزب، إننا بحاجة اليك ضمن قيادات الحزب، سُنحدد في القريب الاجل الاعضاء الجُدد للمجلس التنفيذي ورؤساء اللجان الخاصة بالحزب، سأرشحك بنفسي لرئاسة اللجان الاعلامية، نحن بحاجة الى عقلية فذة كعقليتكِ، فضلاً عن كونكِ تستحقين ان تمثلي الحزب الذي بات اكبر حزب في بلادنا، سيزداد عدد المنتمين إلينا اضعاف لو انصتوا الى كلامكِ، تقبلي تحيتي، وآمل أن نلتقي في وقت قريب جداً.

وهو يصافحني ليذهب تشبثتُ بكف يده، لم انفك عن مصافحته ...

قُلت له: سيدي الفاضل كل املي منك ان تجيبني، اين (احمد)؟ ارجوك، لا تقل لي بأنك لا تعلم كعامة الناس،

انـت عـلى علاقـة شـخصية بـه بالاضافـة الى العلاقـة المهنيـة التـي تربـط بينكـما منـذ ان كان ينـشر مقالاتـه في صحيفتكـم، انـت مـن القياديـين البارزيـن في الحـزب، ومـن المؤكـد انـك تعلـم، ايـن هـو؟

اجابنـي مبتسـماً: لا تقلقـي، هـو في قيـد الحيـاة وبصحـة جيدة، وكل قيـادات الحـزب مهتمـة بـه، إلا اننـا نمنعـه مـن الخـروج حفاظـاً عـلى سـلامته، في الحـزب العديـد مـن الوجـوه الجديـدة والعديـد مـن الاحـزاب التـي تـود الانضـمام لنـا، وانـت تريـن التحالفـات عـلى كل قـدم وسـاق، نحـن لا نعلـم مصداقيـة المنضمـين لنـا لأننـا مـا زلنـا في زمـن الانتصـار وانـت تعلمـين ان المُنتـصر في بـلاد العـرب يُحـاط بالاتبـاع بغـض النظـر عـن ماهيتـه، الالتفـاف الـذي حولنـا الان يخيفنـا، (لأحمـد) الفضـل الكبـير في هـذا الانتصـار، لـولا شـجاعته لمـا قامـت الثـورة، الـكل يريـد منـه الانضـمام إليـه، اصبـح (احمـد) بطـلاً ثوريـاً يسـتحق كل الاحـترام والتقديـر والشُـهرة، ولأننـا نخـاف عليـه وضعنـا عليـه الحَجـر لنضمـن سـلامته الى ان يكـون الحـزب عـلى بينـة مـن تكتلاتـهِ الجديـدة، ونعلـم مـن كان يؤمـن بتطبيـق العلمانيـة ممـن يدّعيهـا، لا تقلقـي، سـيخرج في الوقـت القريـب، سـيكون رمزنـا، سـتعتلي صـوره شـعاراتنا، (احمـد) شـجاع وثائـر وصـادق في حبـهِ لوطنـه، لا مـن اجـل مصالحـهِ الشـخصية، انـت تعرفينـهُ حـين كان ينـشر مقالاتـهُ في صحيفتنـا انـذاك، اعتقـد أنكـما التقيتـما مـرة او مرتـين،

ولكنني متأكد بأنكِ ستُعجبين به لو تحدثتِ معه، انه انسان يستحق التقدير.

لم يكُن يعلم بأنه رئتا أيامي، لا يعلم بأنهُ لو دَلّني على مكانهِ الان فأنني سأجثو على ركبتيّ من موقعي هذا لأذهب إليه ندماً، كان يظنُ أنني ابحث عنه كثائر، لا يعلم أنهُ (رفيق الروح).

قلتُ له: ألا تدُلني على مكانه او رقم هاتفه؟

قال: سترينهُ يا قمر، لا تقلقي، يتطلب الامر بضعة ايام ليسترد صحته، سيكون وسطنا، بل سيكون قائدنا.

قلت: هل اصابه مكروه؟

قال: كلا، انه سليم ولكنه تعرض للاعتقال والسجن أياما، تعرض منزله الى الاعتداء والحرق، اصيب بكدمات من جراء التعذيب، الجيش الذي انشق عن الحكومة احتاج الى ايام ليتمكن من الافراج عن السجناء السياسيين الذي قبعوا في سجون سرية كان من الاستحالة الوصول إليها.

رنَّ هاتفه المحمول، وهو يخرجهُ من جيبه ابتسم وحرك حاجبيه تعجباً ..

قال: استأذنُكِ دقائق، لديَّ اتصال مهم من (هشام) احد اهم الثائرين مع (احمد)، أكُنُّ لهُ كُل الحب.

قلت لهُ: هل تقصد (هشام ال الحاج)؟

قال: نعم هو، أتعرفينهُ؟

قلت: نعم اعرفه.

اتصل (هشام) ليخبره بشيء، لم يتكلم به امامي، اجابهُ بكثرة بكلمة (نعم)، وقبل أن ينتهي الاتصال طلبت إليه ان احادثه، اعطى لي الهاتف.

قلت: كيف حالك يا (هشام)؟ حمداً للرب على سلامتك

قال لي: شكراً لكِ، من انتِ؟

قلت: انا (قمر).

قال: قمر !! كيف حالكِ؟

التفتُ قليلاً لأتكلم معهُ بصوتٍ منخفض ودمعٍ عال ....

قلت: لستُ بخير، انا بحاجة الى رؤية (احمد)، اين هو الان؟ اعطني عنوانه؟ هل هو بخير؟

قال لي: لا تبكي، هو بخير الان، سأخبرهُ بأنكِ تودين الاتصال به.

قلت: المهم ان يكون بخير، سأنتظره قدر ما استطعت، ارجوك أخبرهُ بأنني بانتظاره.

قـال: لِمَ خذلتـهِ يـا قمـر؟ ظـلَّ يهـذي باسـمكِ كُل ليلـةٍ، ولكـن لا تقلقـي، سـيفرح كثـيراً حـين يعلـم انـكِ رجعـتِ الى الوطـن، وسـيفرح اكثـر حـين اخـبرهُ بأنـكِ بانتظـاره.

قلت: هل يمكنني التحدث معهُ الان؟

قـال: كلا، هـو ليـس بقـربي الان، سـأكلمك انـا شـخصياً، دوّني رقـم هاتفـي الان.

اخرجـتُ مـن حقيبتـي اليدويـة قصاصـة ورق وكتبـتُ رقـم هاتفـهِ، اعـدتُ كل شيء الى حقيبتـي حـال ان انهيـت اتصـالي بـه، فرحـتُ جـداً، هـو في قيـد الحيـاة، تلـك الكلمـة التـي كانـت تُخيـف صحـوي ومنامـي، تخيـف احلامـي وتمنـح كوابيـسي وقتـاً كافيـاً لتسـحق امنيـاتي للقائـه، مَـر وقـت مُـر، كنـت عـلى وشـك ان اعـود الى المخـدرات لـولا ان الـرب انقـذني بهـذا الخَـبر، هـا هـو القـدر يعيـد لي الامـل، هـا هـو يهبنـي الفـرح، سـأنتظره براحـة الظَـن، انتظـرتُ أيامـا ثـم اتصلـتُ بالرقـم الـذي زودني بـهِ (هشـام) لم يجبنـي احـد، بقيـت في قيـد الانتظـار بقلـق اقـل مـن السـابق.

لم اتصـل مجـدداً شـعرتُ أنـه لم يعـد يريـد لقائـي كـما لم تعـد انوثتـي كـما كانـت، لم يعـد جمـالي كـما كان، انـا بحاجتـهِ لأشـعر أننـي أنثـى، انـا بحاجـة الى كلـمات غزلـهِ ذات المقاصـد الحـادة وهـي تنحـت تفاصيـل جسـدي لأكـون مثـيرة، كانـت كلماتـه لا تفـوق نظراتـه غـزلاً، خـصري بحاجـة لنظراتـه، انـا بحاجـة

الى تلـك القشـعريرة التـي كانـت تنتابنـي حـين يلمسَـني، انـا بحاجـة الى الظنـون التـي كانـت تسـاورني حـين يقـترب منـي، حـين كنـتُ أسـأل، أتـراهُ سـيقبلني أم لا يقبلنـي؟

منـذ ايـام قلائـل عـدتُ انظـر الى المـرآة التـي بغرفتـي، مـضى الكثـير وانـا لم انظـر فيهـا، عـدتُ اصنـعُ الضفائـر، عـدتُ اسـتذكرهُ وانـا اصنـع ضفـيرة مـا قبـل النـوم، منـذ ان علمـت أنـه سـيعود وان أرى ثيـابي تتراقـص فرحـاً في خزانتهـا، منـذ ان انتهـت تلـك العقاقـير التـي وجـب عـلي تناولهـا بعـد العمليـة، عـدتُ اجمـع مفاتـن جمـالي بعـد ان بعثرهـا القـدر، رفيـق روحـي، متـى تعـود؟ ارجـع فالقلـب بعـدكَ ادمتـهُ المواجـع، ارجـع فجسـدي بعـدكَ بـات سـقيما، تطلـب انتظـاره اياما كثـيرة، اسـتغرقتُها في اعـداد الافـكار التـي نويـت ان اقدمهـا للحـزب، اجتهـدتُ سـاعات متواصلـة، قـررتُ عـدم تقديمهـا إلا بعـد ان ارى (احمـد).

ذات ليلـة، كانـت روحـه تَهيـم مـن حـولي، كنـت كل بضـع دقائـق التفـت لـكل شيء حـولي، اشـعر أنـهُ بقـربي، كأنـه يضـع يـدهُ عـلى كتفـي لأعـيرهُ اهتمامـي، لعلـه يعـود لأنحـر كل مـا تبقـى لي مـن ايـام تحـت اقدامـه، حتـى يُسـامحني، انحرهـا لأتقـرب مـن غفرانـه كـما يفعـل المسـلمون في عيدهـم الأضحـى، اتصـل بي (هشـام) في وقـت متأخـر، تجـاوز عندهـا الليـل منتصفـه بقليـل، سـألني عـلى عجـل ان كنـت اسـتطيع الخـروج، قـال ان (احمـد) بانتظـاري عنـد الشـاطئ،

منحنـي مـن الوقـت عـدة دقائـق للذهـاب إليـه، وإلا فأنـه سـيغادر لأنـهُ عـلى عجلـة مـن امـره، مـن الخـوف الممـزوج بالفـرح، لم اعـد قـادرةً عـلى المشي، كان الموقـف صادمـاً، همَمتُ بالخـروج مُسرعـة، امتلكتنـي الرعشـة، لم اقـوَ على قيادة سـيارتي، اسـتأجرتُ سـيارة أجـرة، توجهـتُ بإتجـاه مقعدنـا بخطـوات تتعثـر بعضهـا في بعـض، رأيـت (احمـد) جالسـاً، بـدا غريـب الهيئـة، يرتـدي نظـارات كبـيرة بعـد منتصـف الليـل، كانـت ثيابـهُ سـوداً، وقفـتُ خلفـه ولم يلتفـت لي، وقفـت خلفـهُ ارتجـف ندمـاً، فرحـاً، خوفـاً، لم اعلـم ماهيـةَ المشـاعر في وقتِهـا...

قلت بصوتٍ مُنخفض: هل انت (احمد)؟

اجابنـي بصـوتٍ هـادئ: أنسـيتِ ليـل لقائنـا؟ ام تشـابهت عليـكِ الليـالي؟

لم أقـوَ عـلى الوقـوف امامـه، جمعـت كل التعـب الـذي انبنـي في غيابـه لأصنـع منـهُ عـكازاً وأتكـئ عليـه، جمعـت كل غيـوم الرجـاء لتمطـر العطـف في طريقـي، غزَلـتُ مـن خيـوط النـدم شـالاً وارتديتـه لأقـف امامـه، تقدمـتُ خطـوات مـن خلفـه، لأقـف امامـه، رأيتـهُ بذقـنٍ طويـل و جسـد نحيـف جـداً، لم يكُـن كهيئتـهِ السـابقة ...

قلـت: كيـف حالـك يـا حبيـب القلـب والـروح والجسـد؟ اشـتقت إليـك بحجـم السـماء، حمـداً للـرب لأنـك معـافى.

قـال: لمَ تبحثـين عنـي؟ هـل توديـن أن تجرحينـي مـرةً اخـرى،

جرحتني مرة وهذا كافٍ.

تقربتُ منه، لم يقف من أجلي، لم ينظر إليَّ، التفتَ الى جهة مجهولة، شرَد بعينيه بعيداً من عيني، رأيتهُ يضع على يده اليسرى ضماداً، جلستُ على يساره..

قلت بتنهيدة بكاء: حبيبي، ماذا حصل لك؟

قال بنبرة العتب: انتبهي لكلامكِ، انا غير لائقٍ بكِ، انا مُسلم

نبرة صوتهِ وكلماته آلمت بي، كنتُ اتوقع انه لن يغفر لي، جلستُ بقربهِ ونظرت امامي الى البحر، هجستُ له بأن يقول له عما افصحت عنه حين جلبني الوفاء إليه وحيدة، عُدتُ والتفتُ له، قلت: انا بحاجة الى ان تفهمني، مررتُ بظروف قاسية، انصت لي دقائق وسأخبركَ بكُل ما حصل، لم اهجرك، كنت بحاجة الى ان اجري عملية زرع صمام في القلب، كنت على شفى حفرة من الموت، كنت لا اريد منك ان تضحي من اجلي.

التفت لي بدهشة، قال: لمَ لم تخبريني؟

انهمرت دموعي، بكيت لأنني لم اصدق انه سينصت لي، بكيتُ اكثر حين رأيتهُ يلتفت بصعوبة، كان غير قادرٍ على الحركة، التفت الي كما يلتفت شديدو العوق.

قلت: احمد، ما الذي جرى لك؟ اخبرني؟

هـل انـت مُصـاب؟ لِمَ تضـع نظـارة عـلى وجهـك؟ هـل تعــرض وجهــك لكدمــات؟

قــال: مــررت بأيــام صعبــة، شــهور مــن العــذاب، عــام مُــر بــلا أيــام، لمَ هجرتنــي؟

هادئــةً كالسُــم وهــو يجتــاح جســد المغــدور، اخبرتــهُ بــما حصــل، اخبرتــهُ كيــف تعرفــت الى مــرضي، كيــف كانــت وصايــا الاطبــاء، هــم منعــوني منــه وليــس انــا، حــذروني مــن الحــب، حجــروا عــليّ بــين جــدران اليــأس، حدثتــهُ عــن (يعقــوب) وعــمَّا فعلــهُ مــن أجــلي، لــولاه لمــا منــح الاطبــاء لقلبــي تراخيــص العشــق، حدثتــه عــن الســجن الــذي قبعــتُ بــهِ حــين خذلتــه، حدثتــه عــن ادمــاني المخــدرات، حدثتــهُ عــن مــدة علاجــي في مستشــفى الامــراض النفســية، حدثتــهُ عــن ألم الصدمــات الكهربائيــة في الدمــاغ، حدثتــهُ عــن ابشــع انــواع الانهيــار، حدثتــهُ عــن اعصــار اليــأس كيــف ضرب احلامنــا، حدثتــهُ حتــى رأيــت دمعــة عــلى وجنتــه، حدثتــهُ حتــى صدقنــي.

قــال: وعدتــكِ بأننــي لــن اتخــلى عنــكِ، لِمَ تخليــتِ عنــي؟ اتفقنــا عــلى ان نحمــل الفــأس ونحطــم كل الحواجــز التــي تعــوق عِشــقنا، لِمَ قلــت لي ان الامــر محــال لأننــي مســلم؟ كنــتُ عــلى وشــك اعتنــاق دينــكِ لــو احببــتِ.

كان عــلى ظهْــور كلــماتي ان تنحنــي امــام ســوط عِتابــه، وأن تتحمــل الالم حــد الغفــران ..

اجبته: أنسيت كلامنا؟ أنسيت الليل الذي جمعنا هنا؟ انظر الى اثار غزلِنا حول هذا المكان، انا في قيد حبك استمر بالحياة، لم اكن في قيد الحياة في غيابك، صدقني، لو أنني زرعت صمام قلبي الضعيف هُنا لما التقينا مُجدداً، جميع الاطباء هنا قالوا لي من المحال ان أنجب طفلا، هممتُ على قتل نفسي عدة مرات بعقاقير الادمان لولا ان (يعقوب) انتشلني من الضياع ليُعيدني إليك، اعادني الى الحياة.

لم يجبني بشيء، بدت ملامح الحزن على وجهه، كنت اراه بصعوبة بسبب كل غبار الألم الذي عليه ...

قُلت: ستغفر لي خطيئتي، أليس كذلك؟ صدقتني؟ مستعدةٌ لأن أُريك كل تقارير المرض خاصتي لأثبُتَ صحة كلامي، انا بحاجة إليك، انا على الارض لأنك تستنشق هواءها، انا احبكَ.

تحرك من جلستهِ لينهض، قال: عليّ الذهاب الان، تأخرتُ كثيراً، رُفقائي بانتظاري.

مسكتُ ساعد يدهِ اليُسرى، قلت: لا ترحل، لا تتركني من دونك، انتظرتُكَ اكثر منهم، مضى اكثر من عام وانا ابحث عنك، ما نسيتك قط، نظر الى يدي وهي تتشبث به، رأى الخاتم لا يزال في ذات الاصبع الذي وضعهُ لي، شعرتُ بأنه يتألم، كنت أمسك يدهُ بقوة وهي تؤلمه، كان عليها ضمادٌ سميك.

قلتُ: اسفة، تسببت لكَ بالأذى.

قال: كلا، شعرتُ بقليل من الندم، لم اتوقع هذا الوفاء منك، ما زال الخاتم في يدك.

رفع يده اليمنى و مسك خِصلة شعري، نَظرَ في عيني وانا لا ارى عينيه، احتضنني، اخرج الروح من جسدي ووضعها على كتفه، عانقتهُ بكلتا يديّ، تلمست صدره، شعرت بوجود ضماد اخر يلتف حول كتفه وصدره، شعرتُ به يتألم وانا اعانقه، هدأتُ من روعة عناقي، هذا العناق الذي اعاد لي نشوة كأس الكحول عند السابعة صباحاً، كنت احرك رأسي لأستشعر ما يتسنى لي من كتفه، كنت على وشك ان اغفو، يا ليتَ ان يكون صدرهُ مثواي الأخير، بعد ثوانٍ، سمعتُهُ يتكلم مع شخصٍ من على بُعد امتار، استغربت من وجود احدٍ بالقرب منا ولم نشعر به، رأيت عدة اشخاصٍ يحيطون بنا من مسافات بعيدة، اوعز له بأن يبقى بعيداً فلا شيء يدعو للقلق، سمعتهُ يقول (لأحمد) ان الوقت تأخر وان عليهم الذهاب، اخبرهُ بأنه بحاجة لمزيدٍ من الوقت وانهم سيعودون قبل طلوع الشمس، ابتعدتُ منه قبل ان اكتفي من عناقه، عُدت كما كنت اجلس ...

قلت: من هؤلاء؟

قال: لا تقلقي، هم برفقتي، يراقبونني من بعيد من

اجـل حمايتـي، علينـا ان نعـود قبـل طلـوع الشـمس، الحـزب يمنعنـي مـن التكلـم مـع احـد او الظهـور في الاماكـن العامـة لحـين موعـد الانتخابـات، سيرشـحونني في الانتخابـات لأمثـل الحـزب الليـبرالي بأكملـه، بعدمـا كنـت احلـم بتشـكيل جبهـة صغـيرة تضـم اصدقائـي ومـن كان يتابـع مقـالاتي فقـط، الان اصبحـت مشـهوراً اكثـر ممَّـا كنـت اتوقـع.

قلـت: لِمَ خاطـرت بحياتـك؟ كيـف تجـرأت عـلى حـرق مقـر الحـزب الحاكـم؟

قـال: حصلنـا في الانتخابـات الاخـيرة عـلى اصـوات بنسـبة اثنـين بالمئـة مـن مجمـوع اصـوات الشـعب بأكملـه، في حـين ان احصائيـات جبهتنـا وحدهـا كانـت تفـوق هـذه النسـبة، فـما بالـكِ بأتبـاع الحـزب الليـبرالي بأكملـه ونسـبة غـير المصوّتـين الذيـن عرفنـا نسـبتهم عنـد إغـلاق مراكـز الاقـتراع، كانـت نسـبة المشـاركة في الاقـتراع لا تتجـاوز الاربعـين بالمئـة، كان هنالـك اجحـاف بحقنـا وبحـق عمـوم الشـعب في تشـكيل الحكومـة، بعـد ايـام مـن اعـلان النتائـج اعلنـت الحكومـة انفرادهـا بتشـكيل حكومـة وهـي مُشـكلة اساسـاً ولم يتغـير فيهـا شيء، طلبـتُ إلى الجبهـة خصوصـاً ومـن الحـزب عمومـاً بإعـلان العصيـان المـدني في عمـوم البـلاد مـن اجـل ان تتوقـف دوائـر الدولـة عـن العمـل وبذلـك سـيكون الطريـق يسـيراً مـن اجـل اعـلان الثـورة، شـهد الاسـبوع الاول نـزول الكثيريـن الى السـاحات العامـة مـن اجـل اعلانهـم للعصيـان المـدني

ولكـن الامـر لم يلبـث أن انتهـى بحظـرٍ للتجـوال واعتقـال كل مـن سـعى لذلـك، اخـبروني خـلال هـذه الايـام بـأن الحكومـة اصـدرت اوامـر بالاعتقـال بحقـي وبحـق الكثيريـن مـن قيـادات الحـزب، فكـرت حينهـا فيـما تبقـى لي مـن هـذه الدنيـا، رحلـتِ انـتِ وتركتنـي، خسرتُ اهـدافي ولم اعـد افكـر في تحقيقهـا، عـاد الشـعب امـام القمـع ليمنـح ثقتـهُ بالحكومـة، قَـلَّ عـدد المنتمـين لحزبنـا، ايقنـتُ بـأن مصـيري هـو السـجن، أحرقـتُ مقـر الحـزب لينتفـض الشـعب، تناقـل الامـر سريعـاً عـلى شـبكة الانترنيـت ومـا لبـث الامـر إلا عـدة سـاعات وخرجـت كل فئـات الشـعب الى وسـط العاصمـة، اغلقـوا كل الطـرق واجـبروا الجيـش عـلى تـرك السـلاح.

قلت: كيف اُعتُقلت؟ مَنْ حَرَقَ منزلك؟

بقي ينظر الى البحر ويحادثني، لم ينظر إليَّ ...

اكمـل قائـلاً: بعـد ان ثارت الضجـة ونـزل الجميع الى الشـارع اصبـح امـر اعتقالهـم صعبـا عـلى الشرطـة، كنـا قـد اعلمنـا اتبـاع الحـزب مـن خـلال الاتصـالات الهاتفيـة والرسـائل البريديـة عـلى وجـوب النـزول الى الشـارع والتجمهـر حـول مقـر الحـزب في سـاعة الصفـر للعمليـة التـي اعددنـا لهـا، كان معـي العـشرات مـن رفقائـي في الجبهـة ولكننـي كنـت الوحيـد الـذي رميـت الزجاجـات المحترقـة عـلى الحـزب، كان امـر خروجـي منـه صعبـا، اُعتُقلـت عـلى الفـور، بقيـت في المعتقـل،

بـادروا إلى تعذيبـي كـي أشي لهـم بـما يخطـط لـهُ المخربـون بحسـب تسـميتهم.

توقف عن الكلام، شعرت بأنهُ يتألم كثيراً ...

قلـت لـه: ألم يعتقلـوك مـن المنـزل؟ أكمـل لِمَ توقفـت عـن الـكلام؟

قـال: كلا، بعـد اعتقـالي حرقـوا منـزلي، تعرضـتُ لكثـير مـن التعذيـب، تألمـت كثـيراً، خـسرتُ الكثـير، الى الان أرقـد في مشـفى صغـير في احـدى المـدن الشـمالية لأتلقـى العـلاج، تمكـن افـراد الجيش بعـد سـقوط النظـام مـن ايجـادي بصعوبـة، كنـت في سـجن تحـت الارض، كنـت انـام عـلى أرض السـجن والحـشرات تتغـذى عـلى اللحـم المتهالـك عـلى جسـدي وانـا غـير قـادر عـلى ابعادهـا منـي، سـأجعلهم يدفعـون الثمـن غاليـاً.

قلت والخوف يكاد يخنقني: ماذا فعلوا بك؟

كأنه نادمٌ ...

قـال: النـصر بحاجـة الى تضحيـة تفـوق وزنـهُ وحجمـه وانـا ضحيـت بالكثـير، تمنيـت ان أُقتَـل ليثـور الشـعب، اردت المـوت لخسـارتي الشـديدة، ولكـن، حصـل مـا حصـل.

تألمـت معـهُ، تألمـت عـن كُل كدمـة طالـت جسـده، تألمـتُ بـذات الالم حـين عانقتـه، تمنيـت لـو انـني اتمكـن مـن انتشـال

كل ما يؤلمه لأضعهُ في جسدي حتى يعود لأناقته ووسامته وهيئتهِ الاولى، كان عليّ ان اضع في خاطره كلمات لتهون عليه، كيف وانا اتألم بقدره، لا بل انا عدت لا اتمالك دمعي، لم يتوقف دمعي منذ ان بدأ بالكلام.

قلت: لا تحزن، تضحيتك اصبحت مناراً ينير درب كل مُضطهد للأيام القادمة، الوطن وكُل ما على هذه الارض لن ينسوا لك تضحيتك، ألمْ ترَ صورك وهي تملأ مداخل الشوارع والساحات العامة؟ انا فخورةٌ بك، فخورةٌ بتضحيتك وشجاعتك كما الاخرين، حتى انني انتميت الى الحزب الليبرالي تيمُناً بشجاعتك، اصبحتُ احضر ندواتهم واجتماعاتهم كافة، أعددتُ عدة برامج انتخابية وخططا سأعرضها على المجلس التنفيذي، لن اقدم أي شيء إلا من خلالك، سأُطلعك عليها اولاً، لأنك انت عندي اول كل شيء واخرهُ.

تنفس الصَعداء، قال: عليّ الذهاب، سألقاكِ في وقت قريب، بضعة اسابيع، سأُشفى من اثار التعذيب فحسب، امامنا الكثير من العمل، شكراً لأنكِ ما زلت ترتدين خاتمي.

ظل جالساً، وقفت امامهُ لأودعه ..

قلت: تركتكُ مرة وافهمتك الاسباب، اعدك بأنها الاخيرة، اقسم لك بكل وجع رأيتهُ في غيابك بأنني لن اكرر ما فعلته، احبكَ، سأنتظر عودتك، سأرافقُكَ كل درب

تسـير فيـه، اعـدك بذلـك.

ابتسم كذباً، هزَّ رأسه ليثني على كلامي ...

قلـت لـه: شـكراً عـلى القصيـدة التـي تركتهـا لي في الثـاني مـن نيسـان الماضي.ابتسـم ابتسـامة حقيقيـة ..

قـال: هـذا التأريـخ مهـم لـدي، ولـدتُ فيـهِ مـن أجـل ان احُبـكِ، هـذا التأريـخ يشـبهك، لا يُنسـى ولـن يتكـرر مـرة اخـرى.

قلـت: منـذ ان جلسـت والى الان وانـا انتظـركَ تخلـع النظـارة كـي ارى عينيـك، لم تـشرق الشـمس بعـد، الشـاطئ لا يـزال شـبه مظلـم، هنالـك ضـوء لأعمـدة الانـارة فقـط ولا اعتقـد ان احـداً سـيراك، ارجـوك اخلـع نظارتـك، انـا بحاجـة لرؤيـة عينيـك، اشـتقت إليهـما كثـيراً.

لم يجبني، انحنى رأسه الى الأسفل ..

قـال: دعـي عينـيّ وشـأنها، سـنلتقي مجـدداً وسـنتحدث عـن الكثـير.

شـعرتُ بوجـود شيء، توقعـتُ وجـود كدمـات قويـة عـلى وجهـه، لِمَ لا ينظـر إلي؟ انحنيـت واتـكأتُ عـلى رُكبتيـه لأنظـر الى وجهـه، رفعـت النظـارة مـن عينيـه، رأيتـه بعـينٍ واحـدة !!!

جثـوت عـلى ركبتـي، لم اصـدق مـا اراه، لم يكـن وجهـه، ايـن عينـهُ، لم تكـن وجنتـاه الجميلتـان، لم تكـن شـفاهه،

ايـن جمالـه الـذي كان تقشـعر لـه ابـدان الحُسـن !! الموقـف صـادمٌ جـدا، سرقـوا عينـهُ اليمنـى مـن وجهـه في اثنـاء التعذيـب، لم يتبـقَ منهـا سـوى مكانهـا الفـارغ، رفـع يـدهُ ليُنـادي عـلى احـد رفاقـه، احتـاج إلى أن يتكـئ عـلى احدهـم لينهـض، رحـل وتركنـي جاثيـة عـلى ركبَتـيّ، وضـع يـده عـلى كتفـي ليهـون عـليّ

قـال بنـبرة الغضـب: أتريـن مـا انـا عليـه؟ اصبحـتُ انـا الان لا اصلُـح للـزواج، لكنني جئـت لـكِ لأنني احبـكِ ولا أُريـد التخـلي عنـكِ، سـأمنحكِ حـق الخيـار ولكننـي لـن اتخـلى عنـكِ حتـى بعـد ان اصبـح وجهـي مُقـززاً.

خَـسر احـدى عينيـه مـن اجـل مبادئـه، كان يتكلـم بنـدم؛ لأنـه أراد ان يُقتـل وليـس ان يعيـش بعـوق، فهمـت ذلـك مـن كلامـه، مَـن عَذَبـهُ كان مُلـماً بأنـواع العـذاب، اراد ان يأخـذ منـه اهـم شيء وهـو النظـر، كـي يـزرع فيـه النـدم بـدل المـوت؛ لأنـه أشـعل فتيـل الثـورة، حزنـتُ كثـيراً مـن أجلـه، ولكننـي لم اتراجـع عـن مواقفـي اتجاهـه، لم تتغـير تلـك النظـرة التـي احببتـهُ بهـا، سـيظل في عينـي وسـيماً كـما كان، سـأبقى انظـر إلى وجهـهِ وارى ذلـك الجـمال الـذي تغزلـتُ بـه في هاجـسي، سأعشـقهُ اكثـر، سـأطلب إليـه ان نتـزوج بأقـرب فرصـة، لـن اتخـلى عنـه، لـن اعيـش مـا تبقـى مـن العمـر مـن دونـه، سـيظل مهـما يكـن (رفيـق روحـي).

مـرت ايـام، ازداد نشـاطي في الجامعـة، بـدأتُ بإعـلاء صـوتي وانـا القـي مُحـاضراتي السياسـية، انجـزتُ المقترحـات التـي وددت تقديمهـا الى الحـزب، عَدلـتُ عـن كل مقـترح سـلمي كُنـت قـد كتبتـه، بعـد ان رأيتهـم سرقـوا عـين (احمـد)، خططـت لسرقـة مـا تبقـى لهـم مـن أيـام، برفقـة رئيـس تحريـر الصحيفـة التـي كنـت اعمـل بهـا تقدمـت للحـزب بعـدة مقترحـات، كنـتُ قـد تحـاورتُ بشـأنها مـع (احمـد) عـبر الهاتـف بعـد ان اتصـل بي ذات ليلـة ليطمئـن عنـي، هونـت عليـه، اخبرتـهُ بأننـي لـن اتخلى عنـهُ عـلى الرغـمَ مـن كُل مـا حـدث، وعدتـهُ بأنني سـأتغزل بـه عنـد اول لقـاء لنـا، سـأمنحهُ عينـي لـو شـاء، وكيـف لا، وانـا ارى مـن خلالـه وجهـي في المـرآة، كانـت مُخططـاتي الارض الخصـب لمـا كان ينـوي عليـه (احمـد)، كنـت قـد اعـددتُ مضـاداً حيويـاً يخلـص البلـد مـن ازلام النظـام السـابق مـع ضـمان عـدم عودتهـم، طلبـت مـن المجلـس التنفيـذي للحـزب ان يكـون لقاؤنـا سريـاً لأعضـاء المجلـس التنفيـذي فقـط، تقدمـت لهـم بنبـذة عنـي وعـن عملي، طلبـتُ إليهـم ان يغلقـوا بـاب الاشـتراك في عضويـة الحـزب على الفـور، طلبـت ايضـاً ألا يمنحـوا اي منصـب داخـل الحـزب الى اي عضـو تـم الاشـتراك بعضويـة الحـزب بعـد قيـام الثـورة واولهـم انـا، حتـى لا يُرشـحني مديـري في الجريـدة لرئاسـة اللجنـة الاعلاميـة كـما وعـدني، طلبـت إليهـم ان يرشـحوا في الانتخابـات المقبلـة الاعضـاء الذيـن ناضلـوا بالفعـل مـن اجـل التخلـص مـن النظـام السـابق والاطاحـة بـه وان يتـم ابعـاد

اي عضـو عــن الترشـيح لم يكــن لــهُ نضــال ســابق، طلبـت ايضــاً ان يتوقفـوا عــن بــث الاشــاعات بــأن الحكومـة القادمـة ستتشـكل عـلى وفـق اسـس التكنوقـراط فحسـب، طلبـت ان يمنحـوا حـق التصويـت للشـعب واختيـار مـن يمثلـه، ومـن البديهـي ان اسـس التكنوقـراط هـي التـي سـتكون الفاصـل بـين المرشـحين، طلبـت إليهـم ألا يمنعـوا اشـتراك الحـزب السـابق مــن الترشــيح للانتخابــات، سيرشــح مــن كان منهــم مؤمنــاً بمبــادئ ذلــك الحــزب اللعـين حينهــا سـيقدمون لنــا اســماءهم واســماء اتباعهــم، بعدهــا نقدمهــم للمُحاكمــة بتهــمٍ جاهــزة مــن الان، اعــترض احــد اعضــاء المجلــس التنفيــذي بصــدد كلامــي، ســبق كلامــهُ بعبــارةٍ اجابتــهُ نيابــة عنــي ..

قــال مُســتهزئاً: ألا تُلاحظـين أن هــذه شروط تنطبــق عليــكِ قبــل الجميــع؟

اجبتـه: وهـذا يثبـت مصداقيتـي، انـا كسـبت عضويـة الحـزب قبــل مــدة قليلــة، انــا هنــا مــن اجــل مصلحــة الشــعب، لا مــن اجــل مصلحتــي، انــا لا اتي الى هُنــا للحصــول عــلى امتيــازات، اتقــدم بهــذه المقترحــات لكــم وانــا بعيــدة كل البعــد مــن اي ترشــيح في الانتخابــات، لي وظيفتــي ومكانتــي في المجتمــع، لا امــل ان يضيــف لي الحــزب اي شيء، انــا هنــا مــن اجــل كل دمــاء ســالت مــن اجــل زوال النظــام الســابق، مــن اجــل كل مــن ضحــى مــن اجــل هــذا الوطــن، قــد اقترفتــم خطــأ كبــيرا حــين فتحتــم ابــواب الترشــيح للحــزب عــلى مصراعيهــا وتحالفتــم

مـع كل الاطـراف بغـض النظـر عـن ماهيتهـم، هـل تأكدتـم مـن النشـاط السـابق لأي حـزب تحالفتـم معـه؟ هـل قَدرَتـم حجـم تضحيـات كل حـزب تحالفتم معـه؟ هـل درسـتم ماهيـة الكفايـات التـي بحوزتـه مـا ان رشـح معكـم في الانتخابـات؟ هـل تعرفـون انكـم بحاجـة الى مـا لا يقـل عـن خمـس سـنوات لكـي يضمحـل خـوف الشـعب مـن قمـع الحـزب الحاكـم واعتقالاتـه وثـأره الـذي لم تخـلُ مـن قصصـه كل المقاهـي الشـعبية في هـذه المـدة؟

سـاد السـكون بعـد اسـئلتي هـذه، لم يجبنـي احـد، نظـر رئيـس المجلـس التنفيـذي الى الاعضـاء وطلـب إليهـم التصويـت الان مـن اجـل اغـلاق بـاب الانتـماء الى الحـزب، حـاز الاغلبيـة في التصويـت، نظـر إليَّ رئيـس المجلـس وقـال: هـل مـن اقتراحات اخـرى؟

قلت: كلا، ولكن لديَّ اسئلة أوجهها لسيادتكم.

قال: تفضلي.

قلـت: مـا ضوابـط الترشـيح للانتخابـات القادمـة؟ مـا الـشروط الواجـب توافرهـا في كل مُرشـح يرشـح عـن الحـزب؟

قـال: انـتِ عـلى علـم بـأن حزبنـا عـلى مـدى اعـوام عديـدة تعـرض للاعتقـالات والقمـع، خسرنـا العديـد مـن الكفايـات والعقـول الفـذة في السـجون السريـة للنظـام السـابق، الان لدينا مـا يؤهلنـا للترشـيح في الانتخابـات، نحـن الحـزب المُعـارض

الاكبر على الساحة، وكل ما حولنا فتات احزاب، لم يتجرأ احدهم على الاعتراض مسبقاً بخصوص ابسط قرار حكومي، لن يكون لأحد الحق الاكبر بقدرنا.

قلت: نعم، انت محق في كل ما قلته، ولكنك الان تعتمد على كُره الشعب للأحزاب الدينية بنسبة كبيرة للفوز في هذه الانتخابات، بالاضافة الى ان من اشعل الثورة هو احد المنتمين الى هذا الحزب وبسبب ذلك اصبحت تضحيتهُ باسم الحزب واصبح بموجبه الحزب هو صاحب الفضل على الشعب وانه الاحق في كل شيء ولولاه لما سقط النظام الذي كتم انفاس حريتنا عشرات السنين وكان سببا في رفاهية بعضهم وتشريد بعض آخر بحسب مزاجية الانتماء له ودفعنا لبغض دول الجوار لنا وسوء علاقاتنا الدولية بسبب سياستهِ الخارجية الحمقاء، هل تؤيد ذلك؟

قال: بالطبع، هذه حقيقة.

قلت: هل لديكم علم بما يدور الان في الشارع من توجه رجال الدين بمنع انتخاب اي عضو من حزبكم؟ لأن ذلك يخالف العقائد والاحكام السماوية، هل تنصت لما يدور في الكنائس والمساجد؟ ستخسر الكثير ان لم تقدم برنامجاً انتخابياً مبنياً على اسس الاصلاح لما افسده الحزب، لِمَ ندواتكم كلها انتقادٌ للأديان؟ لِمَ فحواها بغض الاديان وتجنب اتباعها؟ ألا تشعر بأن ذلك خطأ؟ لو أردنا

تقييمها، الاديان ليس لها علاقة بالمتدينين، علينا ان ننظر الى العصور المنصرمة برمتها وهذا ليس من شأننا الان، نحن نريد اعمار البلاد ومسك دفة الحكم من قبل المُصلحين دون ان نسأل عنهم لأي دين ينتمون، اغلب الشعب الان وخاصة من الذين يرتادون دور العبادة للعمل على وفق ما جاء بكُتبها بدأوا يبغضونكم، جعلتم الناس تنظر كأن اول مشروع في برنامجكم الانتخابي هو القضاء على دور العبادة للاديان كافة، وطننا له اكثر من دين واكثر من مذهب واكثر من قومية، علينا اتباع الحياد في التعامل، والتعامل الاول هو اساس كل شيء قادم، وكل ما جاء بندواتكم السابقة جاء لانتقاد الاديان، لم ينتقد احدٌ منكم في ندوة واحدة سياسة الحزب السابق، الحزب بحاجة الى الاصلاح، بحاجة الى اعادة هيكلية للعقول التي تتكلم باسمه، نحن بحاجة الى وضع استراتيجية يلتزم بها كل الاعضاء وخصوصاً من سيتم ترشيحهم لتمثيل الحزب.

التفت رئيس المجلس الى الاعضاء من على يمينه ويساره..

قال: يجب علينا دراسة المرشحين مرةً اخرى، كنت افكر في ان كل الاصوات التي سيحصل عليها كل المرشحين ستصب في مصلحة الحزب، وان كل ما ازداد عددهم سيزيد من نفوذ الحزب، الان انا على يقين، لو أخطأ احدهم فأن الحزب بأكمله سيدفع سمعتهُ فدية لهذا الخطأ.

انتهى النقاش، تقدمت لهم بالشكر الجزيل لترحيبهم بي وعلى الوقت الذي انصتوا به لمقترحاتي، طلبت إليهم ان يلغوا عضويتي في الحزب لو تتطلب امر تنفيذ كل اقتراحاتي وانني سأكتفي بحضور الندوات، او الابقاء عليها دون منحني ومنح اقراني من الذين انضموا الى الحزب بعد الثورة من مسك اي منصب يمكنهم من خلاله اعطاء القرار.

كنت قد استلهمت كل هذه الافكار من كتاب (كفاحي) للقائد النازي (ادولف هتلر) الذي وضع فيه عدة افكار ومبادئ سياسية مهمة في وقت كالوقت الذي نمرُ بهِ الان، بغض النظر عن حكمه الفاشي إلا انهُ وضع هذه النظريات عام ١٩٢٣ خلال مدة مُكوثهِ في سجن (لاندسبرج) بعد محاولته للقيام بانقلاب (بير هول) او كما يسمى بالألمانية (Hitlerputsch)، اي قبل ان يمحو الابتسامة من وجه (برلين).

لم اظن انني سأرى الحزب على هذه الشاكلة التي رأيتهُ بها،، ايقنت أن الشأن السياسي يحتوي في الغالب على ذئابٍ وديعة تنظر الى دفة الحكم، كان الأغلب يرتقب المناصب السيادية واعتلاء الوزارات الانتاجية وليس النظر الى مصلحة الشعب.كان الحزب الليبرالي يضم هو الاخر الكثير من الخونة، لم اكن اعلم ذلك، رأيتهم وانا اتحدث إليهم، ينتظرون الانتخابات بفارغ الصبر كي يتسنى لهم قتل الشعب وسرقته كما فعلت الاحزاب الدينية، أيقنت وانا اتتبع نظراتهم انهم لم يجدوا الفرصة من قبل لسرقة

الشعب في ظل الحزب السابق فوجدوا هذا الحزب ليكون الملجأ لطموحاتهم، كما بات الملجأ لكل من ينفر من الاحزاب الدينية، كنت اكاد اجزم بأن الفرصة لو سنحت لهم مسبقاً في ارتداء الزي الاسلامي او المسيحي لارتدوه من اجل ان يكون لهم منزلٌ دافئ في الشتاء واخر يطل على الساحل في الصيف من اجل الاستجمام، ندمتُ لانتمائي للحزب الليبرالي، اكتشفتُ أنني كنتُ مخطئة، ظنوني بهِ مبنيةٌ على عدة شخصيات وعلى رأسهم رئيس تحرير الجريدة التي كنت اعمل بها، كان اهم من اراه عن الليبراليين، كنتُ كثيرة الحوار معه في الشأن السياسي، كنت ملهمةً بكل مبدأ يتبناه، كنت اظن ان الكل على شاكلته، ومن الممكن انهم كانوا كذلك قبل ألا يقوم (احمد) بالثورة ويمنحهم النصر على طَبقٍ من عينه التي فقدها من اجل الوطن، وانتهى الامر ليكون من اجلهم.

عاد (احمد) الى العاصمة، عاد الربيع الى فصول السنة، عادت اناقتي، عادت انوثتي، عاد موج البحر هائجاً ينتظر لقاءنا، عادت الشمس تشرق، عاد الامل لي في اصلاح ما أفسده القدر في لحظة حقد، سأنتظره ليطلب يدي للزواج مُجدداً، في اول اجتماع له في الحزب، اعطى (احمد) اسباباً عديدة لكل قياديي الحزب لمن كان يريد بغضه على ان يبغضه اكثر، ازدادت شعبيتهُ بين فئات الكادحين والمضطهدين فقط، صاروا رهن اشارته، لشخصه وليس لحزبه، اصبح

الامـر اكثـر خطـورة، لم اكـن اريـد لـكل ذلـك ان يحصـل، في اول نـدوةٍ لـه، طلـب ان يقـوم الحـزب بإخـلاء المقـر الـذي يسـكنه بـدلاً مـن الحـزب السـابق، مستنداً الى انـه مـن مُلكيـة الشـعب وان عـلى كل حـزب ان يمـول نفسـه مـن امـوال اعضائـه لا ان يسـتولي عـلى امـوال الشـعب بحكـم القـوة، طلـب ان يكـون هـذا اخـر اجتـماع لـه بعـد ان اعتـلى المنبر بـكل وسـامة، لـولا تلـك النظـارات الغامقـة التـي باتـت لا تفـارق وجهـه، في ذلـك اليـوم حـضرت كل فئـات الشـعب، كل اديانـه ومذاهبـه، كل قومياتـه وألوانـه، مـن اجـل ان ينصتـوا لـه، صـار عظيـماً كـما كان يحلـم، وكـما كنـت اتمنـى لـه، صـار قائـداً ثوريـاً يسـتحق كل الاجـلال، صـار رمـزاً يُقتـدى بـه بعـد ان دفـع ضريبـة هـذه المكانـة العظيمـة ثمنـاً غاليـاً، انهـى كلامـه فهتـف كل الحاضريـن بحياتـه، اضحـى امـلاً لـكل مـن اراد حيـاة كريمـة، صـار بطـلاً وعـلى كل الذيـن يحيطـون بـه التخلـص منـه، شـعرت بالخـوف الشـديد ازاء كل مـا قـال لأننـي سـبق ان عرفـت ماهيـة مـن حولـه، هـم بانتظـار الوصـول لاتفـاق يتيـح لـكل المرشـحين مـن الحـزب تقاسـم خزينـة الدولـة، وهـو يطالـب بـأن يتسـلم الشـعب مقاليـد خزنتـه، بعـد ان رفـض كل مـا تـم منحـهُ إيـاه مـن امـوال طائلـة ومنـازل فخمـة مـن اجـل اتبـاع نهـج محـدد، عـاد الى منزلـهِ الصغـير، رفـض الجميـع، بـدأ العُزلـة عـن الحـزب الليـبرالي، وعـن كل الاحـزاب البقيـة، لم يحـضر لهـم اي اجتـماع او نـدوة او مؤتمـر بعـد ذلـك، بعـد ان رفضـوا كل مـا تقـدم بـهِ مـن مبـادئ تُشـابه مبـادئ (المهاتمـا غانـدي) وهـو في اوج عدالتـه.

اقتربت الانتخابات، لم يرشح (احمد) نفسهُ عن الحزب، لم يشترك ضمن قوائم المرشحين عن اي حزب اخر، اثارت قضيتهُ عدة تساؤلات، اثار هذا التساؤل العديد من الاشاعات، لم تتمكن اي وسيلة من وسائل الاعلام في العاصمة من التحدث معه، بدأ الجميع باستقراء المستقبل من افواه الجالسين في المقاهي الشعبية طوال النهار، لم اتمكن من التكلم معه طوال هذه المدة لوجود قوة عسكرية تحرسهُ طوال الوقت، ابتعد مني، لم أرد لكل ذلك ان يحصل، منحني القدر ابتسامة نصر .

ذات صباح، وانا اقرأ احدى الصحف، ومن خلال المصادفة، بعد ان جلست لشرب فنجان من القهوة وسط الاستراحة التي كنت امتلكها لشرب القهوة بين اوقات عملي في الجامعة، رأيتُ صحيفة على احدى الطاولات، كان خبراً ما يتوسط الصحيفة الاولى، مسكتُ الصحيفة لأقرأ الخبر، اعلنت فيه الجهات القضائية عن اعلان موعد لمحاكمة افراد جماعات مُتطرفة قاموا بأعمال تخريبٍ واغتيالات في عدة مناطق سياحية في العاصمة من اجل زعزعة الامن، كانت البُشرى التي اهداها لي القدر في ذلك اليوم هو وجود اسماء هؤلاء المجرمين اسفل الخبر، كان اسم (صالح) من ضمنهم، شعرتُ بفرح شديد، نال جزاءهُ العادل لأنه مُتطرف، شعرتُ بالفخر الشديد لأنني لم اظلمهُ حين حكمتُ عليه، وها هو الخبر يثبت صحة

كلامـي، انهيـت قهـوتي وانـا ابتسـم، اسـتمرت ابتسـامتي الى ان حـضرتُ الى قاعـة المُحاكمـة، جئـتُ قبـل سـاعة مـن بـدء المحاكمـة لأجلـس بالقُـرب مـن قضبـان الاتهـام، جلسـتُ بالقـرب مـن ذلـك الحيـز المملـوء بالقضبـان والنـدم، جلسـت لأنظـر إليـه وهـو ينتظـر الحكـم عليـه، جلسـت لأقـول لـه ان الـرب منحنـي هـذه اللحظـة اكرامـاً لتلـك الدمـوع وذلـك الوجـع الـذي تسـببتَ بـهِ لي، جلسـت لأنتظـر تلـك الفرصـة التـي اتمكـن فيهـا مـن التقـرب منـه وان اقـول لـه: «رفضـتُ الـزواج منـك لأننـي اعلـم بأنـك سـتصبح مجرمـاً ذات يـوم، انـا ادرى بكتـبُ دينـك منـك»، استمرت محاكمتهـم سـاعات، سـاعات وانـا اُطـرب عـلى انـين بكائـهِ وتوسـله واسـتغاثته، حكمـت المحكمـة عليـه وعـلى مـن كان بصحبتـهِ بالسـجن المؤبـد، وقفـتُ لأنظـر إليـه وهـو ينهـار، رأيتـهُ ينظـر إليَّ، كان قـد شـاهدني جالسـة قبـل دقائـق مـن النُطـق بالحكْـم، وقفـت ولم اقُـل شـيئاً، ابتسـمت فحسـب.

خَمرُ الذكْريات

ماذا ستقولين لو طرق الحنين بابكِ؟
هل ستذُكريني وتسألين من للباب طَرق؟
سَتجدين حنيني حانقاً بهيئة بشر
يصافح يَدكِ و الدمع في عينيهِ ألق
يسألُكِ حائراً .. هل نسيتِ ما كان؟
هل الألم في ايامي على ايامك انطبق؟
هل تشعرين بألمي؟ بمأساتي؟ بوحدتي؟
أنا مثلُكِ انسان .. مثلُكِ خُلقت من عَلق
هل سهرتِ الليل؟ هل تحدثتِ مع طيفي؟
هل بدأَ ليلكِ من الفَجرِ الى الغَسَقَ؟
هل ذاك الاحساس ما زال يـَغمُرنا؟
انا نحيب الشوق في تقوى ايامي فَسق
بأناقتكِ صباحاً هل مازلتِ تَذكُريني؟
أو الغَزلُ والشِعر أمسى حبراً على ورق؟
خَمر ذكْراك أثمل أيـامـي .. وعِطركِ
ما زال يـَعزُف في رأسي حتى انفلق
عودي يا حلماً يقطن وجداني .. عودي
فاليأس و وعودك يتقامرون معي بأحاجٍ من قَلق

(٦)

كالـــذي اقتنــعَ بالإلحـــاد، اســـتيقظتُ بقميـــصٍ بـــلا ازرار، تهشَـمتُ بـين يديـه ليلـة امـس كبلـورةٍ سـقطت مـن يـد طفـلٍ كان يمـرحُ بهـا، انهمَـرت مشـاعرنا عـلى سريـر ذي اغطيـة حُمْـرٍ، فعَلنـا مـا لم اكـن اتوقعـه، حـدثَ مـا كنـت أُفَكـرُ فيـه وانـا أُوظـبُ اغطيتـي قبـل مجيئـهِ، اسـتيقظتُ كالمُلحـد في سـاعاتهِ الاولى، يشـعر بـشيء لم يشـعر بـه مـن قبـل، يشـعر بالانتصـار والخـوف معـاً، يشـعر بالراحـة الممزوجـة بالنـدم، يشـعر كأنـهُ اوقـد الشـمع في عِتمَـة كهـف ليمـضي في طريـقٍ يخـاف نهايتـه، فَـرِحٌ لأنـه يمـشي فيـما الـكل نيـام، فَـرِحٌ لأنـه يَتَفكّـر فيـما الـكل خائـف، فـرحٌ لأنـه هـادئ فيـما الـكل مُتعصـب لإنتـماءٍ مـا، لأول مـرة، اعلـم بـأن هنالـك القصائـد تُكتـب عـلى الجسـد، لأول مـرة اسـمع قصائـد لا تُقـال، لأول مـرة في حيـاتي ارى شـيئا غـير مرئـي، جُـل مـا اتذكـره انـه فـك ضفائـري بعـد كأسـنا الأخـيرة، وانـا مسـتلقية عـلى سريـري، فتحـتُ عينـي وأغمضتُهـا، شـعرتُ بـأن رأسي ليـس عـلى وسـادته، كنـتُ قـد توسـدتُ يـده اليُـسرى وهـو بالقـرب منـي، اسـتيقظتُ وهـو لا يـزال نائـما، التفـتُ إليـه ببـطء حتـى لا يسـتيقظ ويخرجنـي مـن جنتـه، اردت أن أنعـم النظـر في وجهـه، كان وسـيماً كـما عرفتـهُ واحببتـه، كانـت عينـهُ المفقـودة تـراودني عـن نفسـها، كانـت في مكانهـا، كنـتُ لا اراه كريـم العـين، كُنـت اراه بكلتـا عينيـه الجميلتـين، نظـرتُ الى جسـدي فوجدتـهُ خاليـاً مـن

بصمات يـده، طـال الامـر ازرار قميـصي فحسـب، جمعتُ اطـراف قميـصي لأُخبـئ مـا املـك مِـن قُبَـل، بـدأت اسـتذكر ليلـة الامـس، تذكـرت في البـدء كيـف كنـت اجلـس بـين احضانـه، كيـف جمـع شـعري وفكـهُ الاف المـرات، كيـف تَغَـزل بي وهـو يُفـرق خصـلاتي إلى ثـلاث خُصـل ليصنـع لي ضَفـيرة مـن الشَـعر والشِـعر، كنـت اتنفـس الهـواء بهـدوءٍ حتـى لا ازعجـه، كنـت انظـر إلى وجهـه ببـطء وابتسـم، بـدأتُ اسـتذكر كل مـا حصـل بالتفصيـل وأبتسـم، في الأمـس، كانـت خُلاصـةً لدمـوع فـرح أحـلام اليقظـة خاصتـي، كانـت ترجَمـةً لـكل لحظة استلذاذ خَشـعتُ بهـا، شـهدَ سريـري سـيولاً مـن القُبَـل بعـد ان جَـدَب مـن شـحتها، كان صبـاح جميـل، صبـاحٌ ابتلـت فيـهِ عروقـي بعطـر جسـده وتكحلـت عينـاي برؤيتـه، غنَـت لي صغـار العصافـير كـي افيـق قبلـه، كـي اشـعر بالانتصـار عـلى سريـري، كيـف تغـير الحـال مـن التمنـي الى الحقيقـة، بغـض النظـر عـن السـنين التـي تطلبـت ذلـك.

اجمـل شيء في الوجـود انـك تُحقـق مـا كنـت تسـتحيل تمنيـه، في ذلـك الوقـت ستُرسَـم عـلى وجهـك ابتسـامة تمنحـك الفخر، سـتجعلك تثنـي عـلى كل لحظـة اصرار قَدمتُهـا لأحلامـك، سـتجعلك تهـاب نظـرة عينـك لـو دققـت في المـرآة ثـوانيَ، بقيـت أنعـم النظـر في وجهـه الطاهـر دقائـق، حدثتـهُ بـذات الطريقـة التـي كنـت احدثـهُ بهـا في ايـام لقائنـا الاول، حـين دخـل مكتبـي فجـأة لألتقيـه اول مـرة،

حينما كنت اكلمهُ بصوت الصمت، ذلك الصوت الذي يخرج من حنجرة الروح عند الهيام، كم تمنيت لقائي هذا، كم حلمت به وهو يعانقني، لم اظن انه قادرٌ على العبث بروحي كما يعبث المشعوذ بعقول الجُهلاء ليثير اندهاشهم بأبسط الامور، تذكرت زجاجة النبيذ التي شربناها ليلة امس، بعد ان اعددتُ له طاولة لشخصين، عليها من الشمع ما تشتهي تأمُلاتنا ونبيذٌ وقُبلتان، ابتسم حين رأى ما اعددتُ له، كيف رحبت بقدومه، رحبتُ بهِ بقُبلة عدا تلك القُبلتين اللتين على الطاولة، كنتُ سعيدةً لفوزهِ الساحق في الانتخابات.

جاء لبيتي خِلسة، لم يعد امر لقائنا طبيعياً، اصبح مُحاطا بكم من العسكر ومُراقب من كل الجهات الاعلامية، وعلى الرغم من كل ذلك، كان يعلم أنني اقرب من كل الناس له، انا احقهم بالاحتفال معه بذلك الفوز الساحق لكل من خذله مسبقاً، حصل (احمد) على اكثر اصوات الناخبين ضمن نطاق الحزب الليبرالي وحصل الحزب بالمقابل على اغلبية كبيرة من اصوات الناخبين في عموم البلاد، فيما تمكنت الاحزاب المتبقية من الحصول على اصوات ضئيلة، اصبح (لأحمد) الان مركزٌ قويٌّ جدا ولكن تأييدهُ في الحزب بات ضعيفاً، اشتدت الخلافات بينهُ وبين اعضاء الحزب في المدة الاخيرة حتى انهم أُجبروا على ترشيحه، انتظرتهُ لما بعد منتصف الليل، دخل البيت

بخطـوات مسـائية وعانقنـي، وضعـتُ كلتـا يـديّ حـول رقبتـه حتـى ارتفعـت عـن الارض، لم تعـد قدمـي عـلى الارض، دُرنـا حـول أنفُسـنا عـدة مـرات مـن شـدة الفـرح، دُرنـا حتـى بعثرنـا الكواكـب خـارج مجموعتهـا الشمسـية، ايهـما كان السـبب، لم يعـد الامـر مهـماً، كان ظاهرنـا فـرح الفـوز في الانتخابـات، امـا باطـن الامـر كان فرحـةَ اللقـاء الـذي يجمعنـا، اختلـط علينـا الامـر ونحـن نـدور حـول انفُسـنا، حـين انتهـى دوراننـا لم انفـك مـن حـول رقبتـه، كنـت اسـير عـلى تلـك الحلقـات التـي خلقهـا الـرب مـن الغبـار والجليـد حـول كوكـب (زُحـل)، كنـت اسـير هنـاك وانظـر الى بقيـة الكواكـب، كان عددهـا احـد عـشر كوكبـاً، رأيـت ذكريـاتي عـلى متـن تسـعةٍ منهـا، كنـت اسـير حـول كوكـب (زُحـل) لأقـضي ليلتـي العـاشرة، وارى كوكبـاً واحـداً بعيـداً لم تكـن لي فيـه ذكـرى بعـد، جلـس عـلى الطاولـة التـي كانـت بانتظـاره، جلـس فالتفتـت إليـه زُجاجـة النبيـذ التـي عـلى الطاولـة، التفتـت مـن شـدة جمالـه، كان وسـيماً جـداً، الكأسـان اللتـان عـلى الطاولـة تشـاجرتا فيـما بينهـما، كل كأس أرادت التقـرب منـه لكـي يختارهـا ليسـكُب فيهـا شرابـه، كـؤوس النبيـذ رفضـت مـذاق النبيـذ امـام مـذاق شـفاههِ، جلسـتُ بقربـه، جلسـت عـلى يسـاره، لم اجلـس امامـه حتـى لا يظـن اننـي اسـتغرب النظـر في وجهـه لـو اطلـت النظـر إلى وجهـه كـما اعتـدت، ظننـتُ أنـه سـيفكر في أننـي أنظُـر إلى عينـهِ المفقـودة بغرابـة، لأننـي لم اجلـس امامهُ يَومـاً إلا وكنـتُ جاحِظَةَ العينـين، جلسـت في زاويـة كـي اكـون ضمـن حـدود نظـر عينـه

الوحيـدة، مـا اجمـل اللقـاء بعـد الفـراق، يكـون فيـه لـكُل شيء طعمـهُ الاول، حتـى لمسـة اليـد تكـون اشـبه باللمسـة الاولى، اشـتقت إليـه كثـيراً، والان يجلـس امامـي، غمـرني الفـرح حتـى اصبـح قلبـي ميسـور الحـال، تحدثنـا ونحـن نـشرب النبيـذ، لم تفـارق الابتسـامة وجـه (احمـد) إلا في تلـك اللحظـة الـذي توقـف فيهـا عـن الـكلام وانـا انصـت لـه ويـداي متكاتفتـان عـلى الطاولـة، حـين سـألتهُ عـن سـبب صمتـه ..

قـال لي: كنـتُ امتلـك عينـين ولم اتمكـن مـن احتـواء جمالـك، الان لا املـك إلا عينـا واحـدة وهـي متعبـة مـن تصفيفة شـعرك فقـط، مـاذا أفعـل بـما تبقـى مـن جمالـك.

هونـتُ عليـه، كنـت لا اريـده لـهُ ان يحـزن وسـط هـذا الفـرح العـارم الـذي يجتـاح مُقلتينـا ..

قلـت لـه: انظـر لمـا حولك مـن نجـاح، انظـر الى صـورك وهي تمـلأ جـدران التاريـخ، انظـر الى التلفـاز والمذيـاع وحـوارات المُنتديـات والمقاهـي، انـت الرابـح الاكـبر بعـد الوطـن، تتغنـى كل فئـات الشـعب باسـمك، ألا يسـعدك ذلـك؟

قـال: نعـم، يسـعدني كل شيء إلا رؤيـة وجهـي في المـرآة، واسـتذكار وظيفتـي السـابقة، اشـتقتُ إلى تلـك الايـام الهادئـة.

مسكتُ كف يده، وابتسمت، سألته لأخذه بعيداً من الألم

قُلت: كيف استطعت ان تسعدني في ذكرى ميلادنا؟

او بالاحـرى ميـلاد حُبنـا، كيـف وضعـت القصيـدة عـلى بـاب منـزلي وانـت لم تَكُـن في العاصمـة؟

قـال: قـولي ذكـرى (عِشـقنا) وليـس (حُبنـا)، نحـن تجاوزنـا (الحُـب) منـذ قُبلتنـا الاولى، كنـت قـد كتبتهـا في السـجن مـع قصيـدةٍ اخـرى، قبـل ذلـك اليـوم كان قـد زارني بعـض اصدقائـي وانـا في المشـفى بعـد ان خرجـت مـن المعتقـل بأيـام، اوصيـت احدهـم ان يضعهـا عـلى بـاب منزلـك في وقـتٍ مُتأخرٍ مـن الليـل دون ان يشـعر بـهِ احـد، بعـد ان زودتـهُ بالعنـوان، كان غالـب الظـن لـدي انـك لـن تقرئيهـا في وقتِهـا المُحـدد، بعـد ان مـضى عـلى وداعنـا الاول الكثـير مـن الليـالي.

سحبتُ يدي منه خائفةً ...

قلـت: وداعنـا الاول !!! لمـاذا اسـميتهُ الاول؟ هـل نـودع بعضنـا مـرة اخـرى؟

لم يُجبنـي، شرب كأسـه، اكملهـا عـلى عجـل، اسـتمر بالصمت دون ان ينظُـرَ في عينـي، احتسيت القليـل مـن النبيـذ وانـا أنظر إليـه ...

قـال: الامـور تجـري كـما لم اُخطـط لهـا، انصدمـت في الواقـع كثـيراً، لا اعلـم مـا تُخبئـه لي الايـام القادمـة.

قلـت: ارجـوك ان تنتبـه لنفسـك، مـر زمـان وانـا اتجنـب تحذيـرك مـن الواقـع السياسي الـذي يـدور حولـك،

انظر الى حجم المصالح التي تُحاربها وانظر الى السلاح الذي يحملهُ ذوو هذه المصالح، عليك ان تنتبه، لو كان الامر بيدي لطلبت إليك ان نذهب للعيش في قريتكم، ان نعود الى منزلك القديم بعيداً من كل هذه المخاطر، عن ضوضاء الغدر التي تحيط بنا، بَنيْت مسيرتكَ وشهرتك على الحزب الليبرالي والان بتَّ تحاربه، ألا يكفي عداؤك مع الحزب السابق؟

قال: سيكون كل شيء بخير، لا تقلقي.

تغاضيت عن كل الشكوك التي تساورني، هممتُ بالبحث عن شريطٍ احببتهُ جداً، كان يحتوي على مقاطع موسيقية للعازف الالماني (باخ)، احتفظتُ بهِ لأنهُ يُعيدني الى تلك اللحظة التي وضع فيها (احمد) يدهُ على القمر وأطفأ ضياءهُ وقبّلني قبلتي الاولى، اردت لهذه المشاعر ان تعيش لا ان تُكبَت، اردتُ من موسيقى القرن الثامن عشر ان تتزامن مع زمن قُبْلتي الأولى، بَعثتُ موسيقى (باخ) وسط ارجاء غرفتنا، حذرتُها من ان تتعدى حدود طاولتنا، حدود ثمالتنا، بعثتُها لتسمو ارواحنا من غرفة الجلوس الى غرفة المنام، لنتوحد بجسدين ضد الهجر، اردت ان اصلح ما افسدهُ قلبي، رجعتُ الى طاولتي، نظرت إليه من جديد، ابتسم لي ولم يقل شيئاً، كان من المفترض ان يقول لي في هذه اللحظة «احبك»

سألتهُ: لِمَ تبتسم كذباً؟

قال: هل نعود كما كنَّا؟

قلت له: ولِمَ لا؟

قال: انتابني شعورٌ يُذكُرني بكُل ألم تغلغل جسدي عند هجرك، كتبت عدة ابيات أسأل فيها عنكِ، اين انتِ؟ بماذا تشعرين؟ هل تتذكريني؟ هل الدموع من عينيكِ تنهمر على الوسادة مثلي؟

لم اتكلم بشيء، لم اجبه، شعرت بأنه لا يزال يعشقني، ولكنه يعشقُني لما قبل فراقنا، ايقنت أن كل اعتباراتهِ الحالية مبنيةٌ على الجرح الذي تسببت بهِ له، شربنا كأسين معاً، طلبتُ إليه ان يروي لي ابيات قصيدتهِ الاخرى التي كتبها في السجن، انشدها لي، انشدها بوافرٍ من الألم، ولكنني اعشقهُ، اعشقهُ لأنهُ يكتب، ولأنه يكتب من أجلي اعشقهُ، لا ضير لو تألمت لطالما انهُ بالقرب مني، سَمِعتها على الرغم ممَّا احتوتهُ من ألم، كانت الموسيقى سباقة لأن تنصتُ له، اجتمع كل شيء من حولي لينصت له، كل شيء في منزلي كان يعشقهُ، اجتمعنا معا للإنصات له، جلسنا كالاطفال وهم يستمعون لقصةٍ من جدتهم، النبيذ والشمع وانا، ولكنني جلست في الصفوف الاخيرة خوفاً من اللوم، ارتشفَ من كأسه، ثم بكل وسامة، قال:

يـا أمـيـة الـمَـشاعـر أصغِـي ألـي
يـا كَـومَـة أحـجـارٍ .. يـا زُمُـرد الـحَـجَـر
يـا أمـيـة الاحـسَـاس تَـهَـجَـي حروفـي
تَـلـفـظـي مـا كَـتَـبـتُ لـكِ مـن دونَ الـبـشـر
يـا عِـشـق الـعُـمـر يـا قـيـثـارةَ أحـزانـي
يـا لَـيـلـي الـمُـظـلِـم يـا ضَـوء الـقَـمَـر
يـا كـافـرةً بـمـا أؤمن .. يـا مُـلـحِـدةً
بـأحـلامٍ لـعَـنها وَشَـتَـم أَبَـويـهـا الـقَـدَر
أعـتَـذر لانـفِـعـالـي و لغَـضـبـي، فـهَـذا
مـا تَـسَـبب بـهِ عِـطـركِ عِـنـدمـا هَـجَـر
الـنَـوم والـوِسـادة بَـعـدَكِ تُـؤلـمـني
و يـذبـحُ عَـيـنـي لـغيـر جـمَـالـكِ الـنَـظَـر
وأنـتِ كـيـف تَـمـضـين سـاعـات ايـامـكِ
لا أعـلـم لا أقَـنَـع لا أفـقـه أن اوقـاتكِ تَـمُـر
أحـفـني لـي من أنوثَـتكِ بَـعـض الشيء
وابعثـيه لـي مع تـنـهيدةٍ مِـن لَـيالي الـسـهر
لم أر كـأنـوثَـتـكِ ولـن أرى كـمـثلكِ امـرأة

نـعُومَتـهـا وروحـهـا كالضِـفاف والنَـهَـر
ذكـرياتـكِ تـملأ غـيـابـكِ وانـتِ لم تَـدَعي
ذكـرى إلا وكُـنتِ فِـيها بالعلانـيـة والـجَـهر
عُـودي يـا ضـحـكَـة أيـامـي يـا جَـنـاتـي
الـخَـضـراء يـا سَـمـائـي والارض والـبَـحَر
لِـمَ أُريـدكِ وأتَـجـاهـل كـرامـتـي؟وألـعُـن
وأرجُـمُ كـبـريـائي لـو لـجـحـودكِ ذَكَـر
مَـاذا أفـعـلُ لأقَـنَـع بـأنكِ لـن تَـعـودي
سـأبـتُـر قَـدَمـي لَـو الـشَـوقُ لكِ أنـفَـجَـر
حَـتى لا أعـود لـجـنـتـكِ جَـميلاً فأنا
بِهجركِ شِـبه إنـسـان أنـام لـيـلي عند السَـحَـر
يـا حَـبيـبـتي سـامـحـيـنـي عـما قُـلت
فالـحَـنـيـن طَـغَـى وعـلـى الصَـبـر أنتَصَر
شـتـانٌ بـيـن مـا كَـتَـبـتُ ومـا أريد .. أريـدُ
أن لا اريـدكِ فـخلصيني من هـذا الـقَـهَـر
أعـطـفـي عـلـيّ فـأنـتِ بالـحُـب رَعَـيتَني
كالذي أنتَـشـل يَـتـيـماً رُبِّـي بَـيـن الـغَـجـر

لأول مـرة أقابـل ابياتـهُ بالدمـوع، لطالمـا كانـت ابتسـامتي هـي الـرد الامثـل لمـا يَكتُـب مـن اجـلي، انهمـرت دموعـي بقـدر الألم الـذي رأيتـهُ في غيابـه، كان يظـن انني كنتُ سـعيدة الضمـير حـين ودعتـه، لم يـرني وانـا بتلـك الثيـاب البيـض الخاصـة بالمجانـين، اقـترب مني ومسـح دمعـي، أخبرتـهُ أننـي أفـرح كثـيراً حـين يكتـب مـن اجـلي، اعلـم قيمـة ذلـك جيـداً، وعـلى الرغـم مـن انـه كتـب ليعاتبنـي ويُعاقبُنـي لكنني سـعيدة بلقائـه، اخبرتـهُ بـأن الدمـع الـذي يحيـط بوجهـي مـا هـو إلا اسـتذكار لهـذا المـكان الـذي يجمعُنـا الان، كيـف تغـير، الان يتنعـم بحضـوره والشـمع والقصائـد بعـد ان كان بُركَـة مـن الحبـوب المُخـدرة، وجـدتُ فُرصـة جيـدة لأبـوح عـن كل مـا مـر بي في غيابـه، لم افصـح لـهُ عـن الكثـير، سـاعدني كأسي الثالثة عـلى التكلـم في كل شيء، تكلمـت حتـى توقفـت موسـيقى (بـاخ)، تكلمـتُ حتـى انتهـت زُجاجتنـا، حتـى احتضننـي ليهـوّن عـليّ، حتـى صنـع لي ضفـيرة، حتـى اسـتلقينا معـا عـلى السريـر الـذي كان يعرفـهُ قبـل ان يـراه، وسـادتي كانـت تعرفـهُ ايضـاً، كل شيء كان كـما هـو، النوافـذ فقـط مـن تغـيرت، كانـت تطـل عـلى انتظـارهِ ليخـرج مـن منزلـهِ عنـد كل صبـاح، الان قد تغـير الامـر بفضـل الحُـب، اصبحـت رؤيتـه لا تُكلفنـي سـوى ألا أُطبـقَ اجفـاني عـلى بعضهـا، همسـتُ بأذنـه «احبـك» حتـى اسـتيقظ، اسـتيقظ مبتسـماً فسـألتهُ عـن لـون ابتسـامته، ابتسـم اكثـر ولم يجبنـي، فكـرت في أنـه لـو كان لابتسـامته لـونٌ، لكنـت صنعـت ثيابـاً تُشـبِهُها.

استيقظ لينشغل بأموره السياسية ويتركني حائرةً ما بين الوَجل مما سيحدث وما بين سلامته وسط الذئاب التي كانت بانتظاره، خرج مسرعاً وهو يرتدي قُبعة كبيرة ليخفي ملامح وجهه، تمنيت ان لا يتركني كدعاء امي لي، ولكنهُ تركني، صليت من أجل ان يبقى في حماية الرب، وسأصلي من اجل ان يترك الشأن السياسي، من اجل ان يترُك السُراق وشأنهم، ابحرت بقارب الفرح الى شواطئ الاحلام المُحققة، انا سعيدة جداً لما حققت، حققت ما كنت احلم به، وما حلمت به هو نتاجٌ طبيعي لكل انثى وهي في قيد حبها الاول، لطالما كان الحب الاول لكل امرأة هو مثل اقتناء زُجاجة عطر ثمين، في كل استعمال لهُ لن يكون كاستعمالِهِ الاول.

الحُب الاول لا يقبل القسمة على الايام، نريده في يومٍ واحد، على سريرٍ واحد، لنكوّن كتلة واحدة، كتلةٌ لا ينطبقٌ عليها (قانون نيوتن الاول) حين ادعى بأن (الجسم يظل في حالته الساكنة ما لم تؤثر فيه قوة تغير من هذه الحالة)، في ليلة الامس، لم ينطبق علينا هذا القانون، حين كان ساكناً جالساً على الطاولة تأثرتُ بقواه، وحين تحرك لم اتمكن انا من الحِراك، كما لم اتمكن من المقاومة، كانت انفاسهُ تثبت لي حقيقة التنويم المغناطيسي الذي يتبعهُ السحرة، كنت لا اصدقهم حين اراهم ولكن حين تنفستُ من انفاسه ايقنت وجود ذلك، ايقنت ايضاً ان كتم الانفاس من لوازم القُبَل.

اغلب النساء قد يندمن في صباح اليوم فيما لو كُن على فراشي ليلة الامس، انا لم ينتابني الندم ولو للحظة، مرت بخاطري تلك اللحظات التي كنت اتأملهُ فيها من خلف النوافذ، تلك اللحظات التي كنت اراقب فيها كل ملامحه وهو يتكلم معي في كل لقاء، تذكرت كل لحظة حُب خالصة في حبها، تأكدت من كل لمساتهِ لجسدي بأنهُ مخلص معي بروحه، لم يكن يود إيذائي بقدر سعادتهِ لأنه بقربي، لم يلمسني إلا وابتسمت، كنت لن امنعهُ حتى لو اراد ان يقبض روحي، فالفرق واضح بين انواع النساء في العشق، هن ثلاث، من تعشق بروحها فقط تعرف ما حدث ليلة امس، تعرف ان الفرق شاسع ما بين عُشاق الجِنس و جِنس العُشاق، في السنوات الماضية، كنت دائماً اجعل من نفسي كبالون مملوءٍ بالهيليوم، لا اتمسك بأي انسان، من ارادني يجب عليه ان يمسِكني وان يكون حذراً في كيفية الاحتفاظ بي، انفجر في وجهه لو مارس أي ضغوطٍ، وارتفع عالياً لو تركني، او مجرد انهُ قد يحاول، كنت امرأة ارتفع عالياً ان لم يحتفظ بي احد.

بعد الحب، نكون كالذي اعتنق ديناً رأى منه مُعجزة، يكون غير قابلٍ للنقاش او الجدل، نحب فيه ما كان عليه وما سيكون، لَن نكترث ابداً، لأن كُل عاشقٍ ليس له شَبه، ولا يقبل القياس على من حوله، بعد الحب تتغير كل مفاهيمنا عن الحياة، نفهم كل شيء كنا نقرأهُ في الكتب او

نشاهدهُ في السينما، كنا وبكُل بساطة ننتقد كل عاشق على تصرف ما، في رواية او قصة او في حادثة مشهودة، قد نقول ان تصرفه كان طائشا، او يدل على سذاجته، نحكم دون ان نعلم ما يدور في ليله، نحكُم عليه دون ادنى علم عمَّا تحملهُ ذكرياته من لحظات لا تتكرر، نحكم دون ان نعلم انه قد عاش ايام عشق ايقن فيها ان الارض تدور من اجل حبهما فقط، انا لا أُفرق عن باقي البشر، مجرد انني كنت اعتقد وما زلت بأن فصل الربيع لا يأتي إلا و(احمد) على سطح هذا الكوكب، رأيت بأم احساسي كيف ينبثق الربيع من الارض بعدما يمشي عليها، حين تمشي اقدامهُ بالتعاقب ارى حين يرفع قدمهُ ليقدمها الى الامام تنبت وردة من تحته، حين يتكلم يبعث الهواء النقي من انفاسه كأنهُ شجرة كبيرة تمنح الاوكسيجين الى الحياة من دون مقابل، رأيت ايضاَ موج البحر وهو يرتفع مع حركة يده، حين القى لي الشعر في تلك الليلة الجميلة، لو قُدِرَ للحب الاول ان ينتهي، فانه سيكون اشبه بإنزال السِتار على ابطال مسرحية جمعهم الحُب في الواقع قبل التمثيل، لم يسمح لهم القدر بتبادل الغزل فيما بينهم، كلماتهم كانت كأسرى حرب، يجب تناقلها وجود اتفاقيات كبيرة لها عدة شروط وعليها كثير من الالتزامات، بعد اسدال السِتار، تبدأ الغُربة من جديد، لن يسمح لهما الواقع بالكلام، سيذهب كل منهما وشأنه، سيترك كلتا عينيه مع من يحب ويذهب اعمى البصر عميق البصيرة،

الحب الاول لو قُدر لهُ ان ينتهي فأنه لن ينتهي، هو كنبات البردي، خُلقَ ليكون كائناً حياً يعيش لحيز زمني معين، بعدها يموت ويتفسخ، لكنهُ عاش آلاف السنين، خلافاً لكُل شيء يشبهه، بعد ان كَتبَ عليه الفراعنة تاريخهم، اصبح عظيم الشأن و كبير القيمة بعد ان كان مجرد نباتٍ، الحب الاول هو ذلك الاحساس الذي يصم اذانه بأصابعهِ لو سمع احد يقول «لقد فات الاوان»

قبل خوض الانتخابات، اشترط (احمد) على الحزب عدة شروط من اجل ترشيحه، هددهم بأنهُ سيخوض الانتخابات من خلال جبهته مُنفصلاً عن الحزب، قد يكون ذلك مستحيلاً لوجود فارق كبير بين حِزب له تاريخ كبير وجبهة لم يمضِ على تشكيلها الكثير، كان هذا الامر مستحيلاً ولكنه هددهم به، كانت قيادات الحزب قد بدأت تقسيم المناصب السيادية فيما بينهم، سمعهم وهم يجمعون نياتهم لمنع الصلاة في أي دارٍ للعبادة، بغض النظر عن كل الاديان الموجودة، كانت نياتهم في تأسيس دولة تتخلى عن هويتها العربية والدينية، كان هذا الامر ، وفي هذا التوقيت تحديداً، لهُ اثرهُ الخاص في ثورة الشعب من جديد، لم تكن قيادات الحزب الليبرالي كما كانت عليه في السابق، ظهرت روحهم العدائية بغية الانتقام من كَبتهم وقَمعهم طوال السنوات المنصرمة، كان توجه الاحزاب في الغالب هو الانتقام من الشعب، هذا الشعب الذي اصبح شريكاً

هـو الاخـر فيـما يجـري مـن تحـولات جذريـة في نظـام الحكـم، بـدأ الشـعب كـما بـدأ في السـابق بمنـح صفـة الإلوهيـة لقيـادات الاحـزاب الحاليـة كـما فعلهـا بالأمـس مـع الاحـزاب الدينيـة، اصبـح لـكل حـزب قاعـدة شـعبية مبنيـة عـلى تكتـل مـا، ولكـن اغلـب التكتـلات في هـذه المـدة ارتـدت ثـوب العلمانيـة، اشـتركت في الانتخابـات العديـد مـن الاحـزاب والشـخصيات، ممـن كان لهـا مـاضٍ مُشرق مـع هـذا الشـعب او مظُلـم، لم يكـن الامـر مُهـماً لطالمـا تـم ترشـيحهُ مـن خـلال الزعيـم، زعيـم عشـائري او دينـي، انتـشرت الافـكار العلمانيـة بشـكل سريـع، اصبـح مـن المعتـاد ان تفهـم العلمانيـة بأنهـا (بغـضٌ للأديـان السـماوية فحسـب)، كان هـذا المفهـوم في الاصـل صعـب التفسـير، فكيـف يكـون تقبلـهُ اتجـاه شـعب تقوقـع داخـل قوقعـة الديـن سـنوات طويلـة، ويضـاف الى ذلـك ان هـذا الشـعب عـربي، والعـربي مـن مميزاتـه غـير القابلـة للنقـاش هـي ان يتبـع ولي الامـر في دينـه كأتباعـهِ لدينـه، بمجـرد انـهُ ولـد عليـه، العلمانيـة لم تكـن قـطٌّ بديلـة لديـن او عقيـدة، العلمانيـة هـي اسـلوب لإدارة دولـة او مؤسسـة او تجمـع صغـير، هـي ان تنظُـر إلى فحـوى الـشيء قبـل ظاهـرهِ، ان تَطَّلـب الانجـاز في العمـل دون ان تعـرف هويـة المُنجـز، هـي ان تُعامـل الـكل سواسـية في الشـأن الـذي اجتمعـوا مـن أجلـه وان لا تكـون افـكارك مبنيـة عـلى لـون او ديـن او قوميـة او عِـرق، هـي ان تحاسـب الجـاني مهـما كانـت شرعيتـه مـن حجـج واحـكام دينيـة ومهـما يكـن نَسـبُهُ يعـود الى الصالحـين،

هـي ان تضـع الكفـوء في المنصـب المتُطلـب لـه حتـى لـو كان لقيطـاً، تجـبرُكَ العلمانيـة عـلى احـترام كل الاديـان، واولهـم دينك ومعتقداتـك، العلمانيـة لا تسـمح لـك بـأن تسـتخرج احكامـاً مـن كتبـك تثـير غضـب مـن حولـك، هـي تعطيـك الحـق في ان تقـرأ كُتُبـك وان تأخُـذ منهـا مـا يخُـص شـأنك، ولكـن الاهـم هـو ان تـدع ديـن النـاس يـؤدي بهـم حيثـما يشـاؤوا، ان كان في جنـةٍ او في نـارٍ فـأن الامـر لا يمـس مقعـدك الـذي حجزتـهُ لـكَ ادعيتـك لمـا بعـد الصـلاة في النعيـم، لـن يـضرك امرهـم ولـن ينفعـك، العلمانيـة هـي نظـام وليسـت ديانـة، كـما هـي ليسـت انـكاراً للتَديُـن، تكـون العلمانيـة واجبـة التطبيـق لـو كان بلـدا مـا يحتـوي عـلى عـدة اديـان او عـدة قوميـات او عـدة اعـراق انحـدرت مـن منبـع واحـد وتفرقـت فيـما بعـد بسـبب تطبيقهـا، ممـا جعـل كل فئـة منهـا ان تبغـض الفئـة الاخـرى وتسـتبيح قتلهـا، فكيـف يجمعهـم وطـن وارض ومصالحـة مشـتركة واحـدة وقـد فرقهـم الديـن؟ مـن الجديـر بالذكـر ان الديـن اسـمى كُل الروابـط المذكـورة آنفـا لـدى العـرب، ارى أن هنالـك عـدة اسـباب وجـدت لتنشـأ العلمانيـة، لم تكُـن وليدة المصادفـة، لا شـك بأنهـا ولـدت مـن رحـم الحاجـة، وان مـن اهـم هـذه الاسـباب هـو (ان مـا يُفرقـه الديـن لا يجمعـهُ وطن)، ومـا ان طُبقـت العلمانيـة فسـتجد ان كل النـاس مُتعايشـون بسـلام، كل مواطـن لـه دينـهُ ومقدسـاته واوقـات اعيـاده دون ان يعـترض عليهـا احـد، لأن مـن يعـترض لـن يجـد حاكـماً او مرؤوسـاً مـن ابنـاء جلدتـه يُقـدم لـهُ اعتراضـه ليثـير حفيظتـه

بأقوال من كتابهِ المقدس او اقوال لولي امر المُتوفى قبل الآف السنين، سيلجأ للحاكم فيراه يُطبق قانوناً وضعياً يتكفل بحماية الكُل قبل الفرد، وضعياً لأنهُ شُرِعَ وفقاً للوضع الراهن وليس على وفق الزمن الذي أُنزِلَت فيه الاديان، لأن مستوى التفكير يتغير جيلاً بعد جيل، وأنهُ ليس بالامكان الحكْم على مباديءٍ ما دون الرجوع الى مكان وزمان نشوءها، فكيف نُريد من أحكام الدين المُنزلة قبل الآف السنين ان تحكُم ظروف حياة اليوم!! ان تحكُم العبادات فهذا شيءٌ ممكن، اما ان تحكُم المُعاملات فهذا الشيء مستحيل.

لا شك في ان المُشكلة الاكبر تكمُن في الشعب العربي، مشكلة حب التجمهر والاتباع لشخصٍ والخشوع لأقواله لمجرد ان نَسبَهُ يحتوي على اسماءٍ لها قُدسية، مشكلة الشعب العربي هو انهُ يخشى كل شيء يحثهُ للخروج عن المسار الذي ولد من اجل اتباعه، يخشى من كل شيء يتطلب فيه التفكير والانفراد في اخذ القرار، شعبُنا طالما شعر بالارتياح وهو ينصت للمُنجمين قبل نهاية كل عام، شعبٌ يَهتم في تفسير الاحلام اكثر من السعي لتحقيقها، اغلب الشعوب العربية مؤمنة بِفكرة (الطوطم)، فكرة وحدة الصف من اجل الخنوع، فكرةٌ تعطي لِمُتبِع القطيع سبباً ليؤمن بأتباعه، كان أول من استعملها هو الرحالة (ج.لونك) عام (١٧٩١) إذ استعملها في كتابه (رحلات مُترجم هندي

وأسـفاره)، وهـي فكـرة تدعـي وجـود روابـطَ مـا تربـط بـين مجموعـة مـن البـشر، كأن يكـون هـذا الرابـط انسـاناً او حيوانـاً او جمـاداً، واقـرب مثـالٍ للعـرب بصـدد هـذه النظريـة هـو قبيلـة (قُريـش)، حيـث كان لـكل فئـة منهـا او لـكل قبيلـة صنـم عـلى هيئـة بـشر واجـب العبـادة ولا يجـوز لأي قبيلـة المسـاس بهـذا الرمـز او اهانتـه، ولا تشـتركُ قبيلتـان في عبـادة الصنـم نفسـه؛ لأن لـكل فئـة منهـم مـا يُميزهـا مـن غيرهـا، وهنـا تتجـلى فكـرة التكتُـل مـن اجـل الشـعور بالامـان، وان اعظـم خوفـاً ينتابهـم هـو حـين يفكـرون في الخـروج عـن اتبـاع هـذا (الطوطـم) او بالاحـرى الخـروج عـمّا وجـدوا عليـه آباءهُـم واجدادهُـم، كل ذلـك كان سـبباً في اعـادة هيكليـة الشـعب عـلى وفـق الأُسـس الجديـدة المعتمـدة، كان الجميـع يسـعى الى دفـة الحكـم بشـتى انواعهـا وبأبسـط صورهـا، مُتديـن الأمـس في الحـزب السـابق اصبـح ليبراليـاً مـن اجـل ان يبقـى بمنصبـه قـدر المسـتطاع، والـذي كان مُشـاغباً في سـلطات الامـن سـابقاً وادى الى هـلاك الكثـير مـن المعارضـين اصبـح اليـوم يرتـدي ثيـاب الديـن كـي يثبـت وداعتـهُ وتواضعـهُ.

تمـت اعـادة كل المُسـميات مـن اجـل ان تبقـى تلـك الطبقـة جاثيـةً عـلى صـدر الشـعب مـن جديـد لتـسرق قوتـه، تلـك الطبقـة التـي اصبحـت اشـبه (بالبروليتاريـا الدينيـة) تسـتمد قوتهـا مـن خنـوع الشـعب فكريـاً والـذي ادى بـدورهِ الى احتـكارهِ بالرأسـمالية الفكريـة قبـل الماليـة، عـاد أئمـة المسـاجد

ذات القُبـاب الثمينـة واسـاقفة الكنائـس الذيـن يتكئـون عـلى صُلبـان مـن الذهـب الخالـص الى ترشـيح مـا يمثلهـم مـن سياسـيين بحسـب الحاجـة المفروضـة، قالـوا عنهـم انهـم مـن الاكفـاء وذوي الشـهادات العاليـة، هـم كانـوا فقـط بحاجـةٍ للترشـيح عـن طريـق رجـال الديـن مـن اجـل توجيـه الشـعب الحائـر عنـد الانتخابـات، كان الشـعب لا يُريـد الاقـتراع دون ان يعـرف مـن ولي امـره أيّ مـن المُرشـحين سيشـارك في دخولـهِ الجنـة.

كنـت اعلـم بـأن (احمـد) سـيواجه كل ذلـك، اسـقاط الحكـم وحـده لا يعنـي الخـلاص مـن رمـوز الفسـاد والسرقـة في البـلاد، عليـه ان يعلـم بـأن تطبيـق مبـادئ (تـشي جيفـارا) و (نيلسـون مانديـلا) في بـلاد العـرب باتـت شـبه مسـتحيلة، لأن مـن اراد احتـلال بـلاد العـرب فَكـرَ في بـادئ الامـر بتشـويه كل صـور الثائريـن والمُجاهديـن الحقيقيـين الحاليـين والذيـن سـيظهرون في المُسـتقبل تجنبـاً للثـورات المؤديـة الى الاسـتقلال، بعـد ان احتلـوا مـا شـاؤوا مـن اراضٍ سـواء كان احتلالهـا بالقـوة او باتفاقـات دوليـة وقعِّـت بأقـلامٍ ترتجـف خوفـاً كـما هـو حـال دول الخليـج العـربي.

ارى ان الخطـوة الاولى للتخلـص مـن ظهـور الثائريـن كانـت بالايعـاز للعُمـلاء السريـين العلنيـين كلٌ مـن (عبـد الله عـزام) و(اسـامة ابـن لادن) لافتتـاح مكتـب خدمـات في (بيشـاور) في (باكسـتان) عـام (١٩٨٤)، ومنـذُ عـام (١٩٨٦) اصبـح هـذا المكتـب شـبكةً للتجنيـد في الولايـات المتحـدة الامريكيـة مـن خـلال افتتـاح مركـز (كفـاح) للاجئـين في مسـجد (الفـاروق)

في شارع الأطلسي في (بروكلين) احد احياء مدينة نيويورك الامريكية، ليعطوا بموجب ذلك العصا السحرية للولايات المُتحدة الامريكية في ان تُطلق تسمية (ارهابي) على كُل ثائرٍ سيظهر، حتى سمحوا لهم في نهاية المطاف باتخاذ ملاذٍ امن في (افغانستان) فبادروا بإسقاط الجمهورية الديموقراطية الأفغانية المدعومة من قبل الاتحاد السوفيتي عام (١٩٩٢)، ليتمكنوا من تأسيس (حركة طالبان) عام (١٩٩٦) ثُم (تنظيم القاعدة) ثُم الى العديد من المنظمات التي ستظهر مُقابل كُل حَركةٍ ستظهُر مُحاولةً اعادة اسس الدين الصحيح لعقول العرب.

كان خلاف (احمد) مع الحزب يتمحور حول منهجية الحُكم لما بعد تشكيل الحكومة، اراد ان يضع خطوطا حُمْرا لا يتخطاها احد، اراد من الحزب ان يوثق تواقيع مجلسهِ التنفيذي على ان تُلغى كل الامتيازات الممنوحة للمناصب المهمة في الدولة وعلى ان يكون الراتب الذي يتقاضاه أي وزير او عضو في المجلس التشريعي في الحكومة المشكلة من الحزب الليبرالي لا يتجاوز راتب عامل النظافة في وسط العاصمة، وألا يزيد راتبه على اعلى راتب ضمن قوانين الدولة الخاصة بالموظفين العموميين، اراد ايضاً ألا يشغل الحزب أياً من المباني الحكومة العائدة ملكيتها الى الشعب، اراد ان يكون الرئيس المُنتخب ووزراؤه ومجلسهُ التشريعي خدما بكل ما تحمل الكلمة من معنى، كيف يتم ذلك

ولنـا في تأريخِنـا (محاكـم التفتيـش) واجدادُنـا امويـون!!، بعـد تبـادُل التهديـدات، توصـل الحـزب مـع (احمـد) لاتفـاقٍ كاذب بالقبـول لـكل مـا اراده ان يكـون بعـد تشـكيل الحكومـة، ارادوا ان ينالـوا رضـاه ليرشـح نفسـهُ عـن الحـزب، ليـس حبـاً بـه، وانـما خوفـاً عـلى الاصـوات التـي سـتنتخبه لئـلا تكـون مـن نصيـب حـزبٍ غـير الحـزب الليـبرالي المُتأهـب لسرقـة امـوال الشـعب، لم يكسـب (احمـد) قبـول الشـعب بأكملـه، كان هنالـك العديـد مـن المعارضـين لـه، نصفهـم كان مـن الحـزب السـابق وهــذا أمــر طبيعــي، والنصــف الاخــر كان قــد حمّلــهُ وزر كل الشـغب الـذي حصـل بعـد الثـورة، إذ انطلقـت العديـد مــن الشــائعات تشــير الى ان (احمــد) وجبهتــهُ مــن المخربــين، ارادوا للشُـهداء الذيـن سـقطوا في وقـت الفـوضى التـي تلـت الثـورة وانقسـامات الجيـش ان يستشـهدوا، انطلقـت العديـد مــن الشــائعات التــي تقــول بأنــه مدفــوع مــن دول الغــرب للقضـاء عـلى الهويـة العربيـة والاسـاءة إلى الأديـان، قالـوا عنـه انــه (مســلم) وقــال اخــرون بأنــهُ (مســيحي) وقالــوا عنــه انــهُ (يهـودي) مـن ابويـن إسرائيليـين ...الـخ مـن التهـم المُتداولـة بـين العـرب.

بـدأتُ انظـر الى الخاتـم الـذي في يـدي كأنـهُ مجـرد هديـة، صـار شـيئا لا يعنـي (لأحمـد) شـيئاً، شيءٌ انتهـى مفعولـه، لم يعـد لـهُ معنـى، خطوبتنـا اصبحـت في خـبر كان، انـا مـن دمـر كل شيء، كـم انـا نادمـة لأنني خذلتـهُ في تلـك الليلـة،

منذُ ان عادت علاقتُنا وهو لا يتطرق لموضوع خطوبتنا، لم يسأل عن مستقبلنا، كيف نكون، كنا لا نخلو من الاحلام أبدا، لم يعد كذلك، اصبح يقضي يومه فحسب، حتى اصبحت بعض ايامه خالية مني، وصلتُ إلى مرحلةٍ طالما خشيتُها طوال حياتي، وهي الملل في الحب، كنتُ اخاف هذا الشعور حد الموت، كنت قد منعت نفسي من كل اعجاب يتطرق الى خاطر كل بنت في عمر المراهقة من اجل ان اصل الى الملل، منعتُ نفسي من كل حب يجب ان يطرق ابواب الانثى ايام الجامعة، زرتُ الشاطئ عدة مرات، جلستُ وحدي، لم اخبرهُ بأنني انتظره، في كل مرة وانا اتخيل مجيئه من خلفي ليهمس بأذني كما اعتاد، لم يأتِ، تركني بمفردي واهتم بالسياسة، لم اعد اراه إلا من خلال شاشات التلفاز، الى متى أنتظره يكررها: «هل تقبلين الزواج بي؟» صرتُ لا اريد العيش، اريد ان ارتدي ثوبي الابيض فحسب وبعدها فليكن ما يكون، لم يتبقَ لي من الدنيا شيء جميل، سوى (يعقوب)، ظل يسأل عني بين الحين والاخر، يطمئن عني كما كان (زياد) لهُ الرحمة والمغفرة، هو الذي لم ينسني قطّ، لم يتخلَّ عني الى هذه اللحظة، حدثتهُ عن (احمد) وعن كل ما جرى له، سألتهُ «هل يعود لي؟» قال لي «مشاعرك اتجاههُ وفيرة الوفاء، تأكدي من انهُ يحبك بقدر ما تحبينهُ، ولكن احذري لئلا يكون خيط دخان»، ظلت هذه الكلمات في خاطري طوال هذه المدة، هل الوم نفسي؟ أو الومه؟ أو الوم القدر واشتمهُ بأبويه؟ بقيت أُروض الحزن في داخلي

كـي لا انهـار، متمسـكة بـه عـلى الرغـم مـن اهمالـه، افكـر في انـه لـن يقبـل الـزواج منـي بسـبب اعاقتـه، وضعـهُ القـدر في الموقـف الـذي وضعنـي بـهِ مسـبقاً، ولكـن هـل لي ان اعـذره؟ وان عذرتـه؟ فلِـمَ لم اعـذر نفسـي عـمّا فعلـت؟ انـا في حـيرة مـن الهَـم.

بعـد ظهـيرة يـوم، اتصلـتُ بـهِ باكيـةً، غفـوت بضـع دقائـق فـزارني طيفـهُ في منامـي، حلمـتُ بـه وهـو يقتطـع الطعـام بشـوكتهِ ويطعمُنـي، كذلـك اللقـاء الصباحـي، حـين تناولنـا فطورنـا معـا بالقـرب مـن مـكان عملـه عـلى انغـام فـيروز، قـال لي مـا قالـهُ حرفيـاً «كانـت عـلى شـفاهكِ اغنيـة حمـراء كنـت أتـوق إلى سـماعها»، طلبـت إليـه ان القـاه، كنـت عـلى بعـد خطوتـين مـن الانهيـار، قـال لي بأنـه سـيأتي لرؤيتـي غـداً، كان صوتـهُ متعبـاً جـداً، اتخـذتُ مـن صوتـهِ المُتعـب الـف حجـة لأعـذره، كنـت قاسـية معـهُ في الـكلام، قلـت لـهُ بانني سـأذهب لانتظـارهُ في البيـت، صمـت قليـلاً وقـال لي «انـا في المنـزل، سـأنتظرك»، ذهبـتُ الى منزلـه، ذات المنـزل الـذي زرتـهُ مسـبقاً، لم يقبـل تغيـيره او امتـلاك ايـاً مـن المنـازل الفخمـة لسـياسيّ الحـزب السـابق، لم يكـن احـدٌ في داخلـه، بعـد ان سـمح لي الحـرس الماكـثُ عـلى الـدوام في بابـه بالمـرور، دخلـت وتذكـرت حـين وقفنـا هنـا بسـبب المطـر، كـم كان المطـر لطيفـاً في وقتهـا، كنـت افكـر في حجـة للبقـاء معـه لـو لا تأخـر الوقـت ليـلاً، منحنـي المطـر حينهـا ليلـة لـن انسـاها، دخلـت الى منزلـهِ وانـا اتعثـر بـكل ذكرياتنـا التـي كانـت فيـه،

رأيــتُ كل شيء مجــدداً، كأنــه بالأمــس، دخلــت الى غرفــة الجلــوس، وجدتــهُ جالســاً عــلى الطاولــة يتنــاول الكحــول، كادت الزُجاجــة التــي امامــه تخلــو لــولا مجيئــي، ســحبت الكــرسي الــذي امامــه وجلســت، نظــر إليَّ ولم يتكلــم، حتــى لم يُرحــب بقدومــي، كانــت اثــار التعــب واضحــة عــلى وجهــه، لاحظــت امامــه علبــة متوســطة الحجــم، يحرِّكهــا بأصابعــهِ قليــلاً الى اليمــين والى الشــمال،كان يفكــر فيهــا او في شيء في داخلهــا.

قلت: هل جئت في وقت غير مناسب؟

قال وهو متعكر المزاج: لِمَ طلبتِ رؤيتي على عجل؟

قلت: هل صار لقائي يزعجك؟

قال: كلا.

شعرتُ بأنه بحاجةٍ الى البكاء ..

قلت: ما بك؟

قــال: لم أنــم منــذ مــدة طويلــة، احلــم بــشيء يمنحنــي راحــة البــال، اليــوم حققتــه.

تمنيــت ان يكــون حِلــماً كحِلمــي بــه، صليــت همســاً بــأن يعــود كــما كان، صليــت لأن يتكلــم عــن زواجِنــا بــشيء.

قلــت: شيءٌ جيــد، لِمَ انــت متعــب إذن، بهــذا القــدر لطالمــا حققــت مــا كنــت ترومــه؟

بـدأ يفتـح غطـاء العلبـة الصغـيرة التـي امامـه بأحـد اصابعـه ويغلقهـا، كأنـهُ يتفكـر في شيءٍ مـا بداخلهـا ...

قـال: اعتـذر إليـكِ، حـين اتصلـتِ بي كنـت خارجـاً، عـدتُ مسرعـاً الى هنـا لكـي القـاكِ، كنـتُ اريـد الجلـوس مـع كحـولي فقـط كـي اتمتـع بطعـم الانتقـام الـذي انتهيـت منـه الآن، انـتِ الان تشـاركيني إيـاه الان.

قلت: ماذا يوجد في هذه العلبة التي امامك؟

قال: أتودين رؤيتها؟

دفعهـا نحـوي وهـي مُغلقـة، فتحتُهـا ثُـمَ أغلقْتهـا بسرعـة، كـدتُ أتقيـأ، ركضـت الى دورة الميـاه بسرعـة، لم احتمـل بشـاعة المنظـر، كانـت في داخـل العلبـة ثـلاث اعـينٍ بشريـة!!! رجعـتُ الى غرفـة الجلـوس ووجدتـهُ واقفـاً ينتظـر عـودتي بقلـق ...

صرخت بوجهه: ما هذا ؟ لمن هذه الاعين؟

قال: لأولئك الذين سرقوا عيني.

جلسـتُ متعبـة عـلى الطاولـة، لم اتمكـن مـن الوقـوف مجـدداً، اخـذ (احمـد) كل شيء كان عـلى الطاولـة، جلسـنا ولم نتبـادل الحديـث، كنـت انظـر الى الارض وهـو ينظـر إليَّ ...

قلت: لِمَ فعلت ذلك؟

قال: لأنام الليل.

قلت: هل تُريد ان تَظلِم كما ظُلِمت؟

قال: هذه عدالة، سيعيشون كما اردوا لي ان اعيش، سيشاهدون العالم كما اشاهدهُ انا الان، سيتلمسون أعينهم المفقودة في اول اسبوع لهم ثم يعتادون فقدانها، سيصحون عند الفجر من شدة الالم، سيكرهون وجوههم في المرآة، سينظرون بخجل الى مَن يكلمهم لئلا ينتبه بأنهم بعين واحدة.

قلت لهُ: لا تقل كذلك، ما زال كل العمر امامك، عينك المفقودة لن تمنعك من مواصلة مسيرتك السياسية، انظر لما اصبحت عليه الان، انظر كيف يتحدث عنك كل العالم، انت لم تخسر شيئا، انظر إليَّ كم انا احبك.

قال: عذرتكُ، وسامحتك على هجرِكِ لي في المرة السابقة، تفهمت صعوبة الامر، اعطيتكِ الحق في ان تترُكيني، ما ذنب الحبيب في ان يُضحي بمستقبلهِ من اجل حبيبه، فالحبيب له مطلق الحرية في اختيار مستقبله فلا توجد قيود في ذلك، اصبحت بمثل موقفك الان، انا لن اتمكن من الانجاب !!

اندهشتُ كثيراً، تلعثمتُ بالكلام ...

سألتهُ: ما السبب؟

مُلئت وجنتاه بالدمع، ثُم قال: لن يتمكن أي طفل من النظر الى وجهي صباحاً، داعبت بالأمس طفلاً صغيراً استوقفني في ازقة المدينة فأصبتهُ بالفزع، أتستطيعين ان تقولي

لي لِمَ لا احـد ينظـر الى وجهـي؟ أتسـتطيعين اعلامـي السـبب؟

لم اجبـهُ بـشيء، يعلـم قيمتـهُ لـديّ، يعلـم منـذ ان كنـتُ استيقظ في ذلـك الصبـاح لأنعـم النظـر في وجـه، يعلـم انـه وسـيمٌ في عينـي ولكنـهُ خائـفٌ علـيّ، عـلى تضحيتـي، اعلـم مـا في داخلـه جيـداً، يشـعر بنـيرانٍ كنـت اسـمع حَسيسـها بالقـرب مـن تفكـيري كل صبـاح، رأيـتُ انتقامـهُ منصفـاً مـن شـدة الدمـع الـذي رافقهـا، كان يتـألم كثـيراً، كان في حـال لم أره فيهـا مـن قبـل، حدثنـي عنهـم، كانـوا ثلاثـة اشـخاص، تناوبـوا عـلى تعذيبـه وهـو معصـوب العينـين، اخـبرني بأنـه كان في حبسٍ انفـرادي.

بعـد سـاعات مـن اعتقالـه دخـل عليـه الرئيـس السـابق بنفسـه، شـاهدهُ مسـتلقياً عـلى الارض مـن قـوة التعذيـب، سـألهُ عـن اسـباب إضرامـهِ للنـار وسـط مقـر الحـزب، سـألهُ عـن الجهـة التـي تمَولـهُ، لم يجبـهُ بـشيء، فـكَّ احـد افـراد حمايتـه الوثـاق مـن عينـه وفمـه فسـحب سـكينا حـادا مـن جيبـه واقتلـع عينـه لـيرضي الرئيـس، لم يمنعـهُ احـد، ركلـهُ الجميـع وهـو ينـزف الـدم مـن وجهـه، سـألته عـن اسـم هـذا الشـخص وقـال لي بـأن اسـمه لم يعـد مهـماً، المهـم وجهـه، كان (احمـد) يعرفـهُ جيـداً لأنـه شـديد الالتصـاق بالرئيـس ويظهـر معـه في كل لقاءاتـه، سـألته عـن الاعُـين المتبقيـة لمـن، اخـبرني بأنـه اقتلـع اعـين شـخصين اخريـن سـاعدوا ذلـك المجـرم في عملـه، كان قـد طلـب إلى اصدقائـه في قـوى الامـن البحـث عنـه، ومـا ان قُبِـضَ عليهـم اتصلـوا بـه،

إلا انـه لم يتمكـن مـن الانتقـام منـه إلا بعـد ان أُودع في سـجن لمـا قبـل المحاكمـة، كان (لهشـام) الـدور المهـم في دخـول (احمـد) للسـجن والانتقـام منـه، حدثنـي عـن كل ذلـك وهـو يتكـئ عـلى كتفـي، احتضنتـه بـكل مـا املـك مـن حنـان، عطفـت عليه كثـيراً، شـعرتُ بأنني امـه دقائـق، تمنيـتُ بـأن كل مـا كان يبعـدهُ منـي قـد زال، هـو يسـتلقي عـلى وجـداني وددتُ ان أسـأله، هـل تعـود كـما كنـت؟ هـل تسـمع نحيـب احلامـي وددت ان أهمـس لـهُ بأذنـه وهـو عـلى كتفـي: «ارجـوك، لا تكُـن حكايـةً مـن الوهـم ارويهـا يومـاً لغريـب»

اصبـح (احمـد) رئيسـاً للمجلـس التشريعـي، اراد الحـزب لـهُ ذلـك كـي يبتعـد مـن الحكومـة ومـا يتقاضـاهُ وزراؤهـا، منحـوه شرف اعتـلاء هــذا المنصـب نظـيراً لتضحيتـهِ التـي قدمهـا للوطـن، اصبـح رقيبـاً لـكل مـا تقـوم بـه السـلطة التنفيذيـة، اثبـت جدارتـه خـلال اسـابيع قليلـة ومـن ثـم ازداد حبـهُ لـدى الشـعب، اصبحـتُ اراه مـن خـلال شاشـات التلفـاز وهـو يمثل الوطـن بأكملـه، انـا فخـورة بـهِ جـداً، صرتُ اقـرأ عنـه يوميـاً في الصحـف، اثـار جـدلاً واسـعاً حـين نفـذ الخُطـة التـي كنـتُ قـد اقترحتهـا عـلى الحـزب قُبيـل الانتخابـات، تـم التصويـت عـلى حظـر الحـزب الحاكـم سـابقاً وحظـر الانتـماء إليـه، اعتقـل ممثلـو الحـزب مـن داخـل المجلـس بعـد ان صَوّتـت كل الاحـزاب بالأغلبيـة عـلى حظـر وجـود الحـزب، تمـت احالـة ممثلي الحـزب الذيـن وقعـوا في مصيـدة الانتخابـات مـن اجـل ان ينتخـب

اتبـاع الحـزب مـا تبقـى مـن ازلامـهِ مـن الذيـن لم يهربـوا مـع الرئيـس السـابق وزبانيتـه.

مـرت الايـام ولقاؤنـا لم يتجـدد، انشـغل عنـي ثُم اعتـاد ذلك، عـدتُ الى المربـع الاول، كأن القـدر يعاقبنـي عـلى خـذلاني لـهُ، عـدتُ اشـتاق إليـه وهـو بعيـد منـي، عـادت عينـي تتأملـهُ وهـو خلـف الشاشـات، كالنوافـذ في السـابق، رجعـت اقـف لأتأملـهُ يظهـر كـما كان يخـرج انيقـاً مـن بيتـه، كأننـي بـدأتُ قصـة حبـي معـهُ مـن جديـد، وانـا أعُـد ضفـيرتي، تذكـرتُ انامله حـين صففـت شـعري، اتذكـر تلـك الليلـة التـي لا املـك سـواها، كانـت اجمـل ممَّـا مـضى، كل الليـالي التـي سـبقتها كانـت لذيـذة كالعنـب، إلا تلـك الليلـة، كانـت عُصارتهـا مـن النبيـذ، كانـت اشـهاهُن، كانـت اروعهُـن، كانـت ألذهُـن، كانـت اقاسـهُن حُسْـناً، بعـد ان شـفى القـدر غليلـهُ منـي، بـدأ اليـأس يتغلغـل عـروق امنيـاتي، طـال غيابـه، زاد اهمالـه، اعتقـدتُ بأنـه يريـد انهـاء علاقتنـا كـما اردتهـا انـا قبلـه ولكـن بطريقـة ابسـط، حـين تسـببت لـهُ بجـرح كبـير ولم يكرهْنـي، ظـل عاشـقاً الى ان عـدُت إليـه، اعتقـدتُ بأنـه يريـد منـي ان اكرهـهُ، لاهمالـهِ لي، يريـدني ان انسـاه شـيئاً فشـيئاً، ان يحتـل الملـل ايامـي، يحاربنـي بالـبرود، لكـم اكـره بـرود المشـاعر، لم اره بليـد اللقـاء قـطُّ، ولكننـي سـأنتظرهُ ليتذكـر موعـد ولادتنـا، ميعـاد عشـقنا، لـن يطـول الامـر كثـيراً.

الثاني من شهر نيسان ..

يـوم ولادتنـا معـاً، لم يتذكـرهُ ولم يتذكَّـرني، بعثـتُ لـه برسـالة لأطلـب إليـه ان القـاه في نفـس الزمـان والمـكان المُعتـاد، ظننتـهُ سـيتذكر هـذا اليـوم لكنـهُ لم يجبنـي، لم يـردَّ عـلى رسـالتي إلا بعـد سـاعات، اخـبرني بأنـهُ عـلى موعـد سـفر، عرفـت ايضـاً ان الوقـت قـد حـان، ذهبـتُ الى الشـاطئ وانـا اجـر اذيـال الامـل، ذهبـتُ مـن دونـه، كنـتُ اريـد المجـيء الى هنـا منـذ اسـابيع طويلـة ولكننـي منحتـهُ اكـبر قـدر مسـتطاع مـن الصمـت، التزمـتُ الصمـت كثـيراً، انتظرتـهُ اكثـر، انشـغل عنـي ولم يعـد يأبـه لي، ايقنـتُ بـأن الشـهْرة مـرض ليس بالهـين اكتشـاف مصل لهـا، لم يكلمنـي منـذ اسـابيع، لم اكلمـه انـا ايضـاً، ضجـرت مـن الواقـع، تركـتُ سـيارتي عـن قـرب وجئـت الى الشـاطئ، مشـياً عـلى الاحـلام، جئـتُ سـيراً لأدوس الارض بـكل حلـم حلمتـهُ هُنـا، جئـت لأتخـذ قـرارا يمنحنـي العُزلـة، يمنحنـيً الامـان بعـد الخـوف، يمنحنـي النـدم، النـدم الـذي أنكـرْت وجـوده وانـا ألـفُ قميـصي مـن حـولي وهـو بـلا ازرار، يمنحنـي ضـمان الصمـت بالعقاقـير المُهدئـة، يمنحنـي الذكـرى، وخمـر الذكـرى، وقفـتُ عـلى الشـاطئ والمـوج يـكاد يقـترب مـن قدمـيّ، وقفـتُ كـما وقفـت نادمةً بالأمـس، حـين جئـت الى البحـر والمـوج يـركل قدمـي غضبـاً، كنـت قـد قدمـت لـه العديـد مـن الاعـذار مـن اجـل ان يسـامحني (احمـد)، حقـق لي مـا اريـد، تمكنـت مـن لقائـهِ في ذات المـكان، التقيتـهُ (احمـد) ولم ألقـهُ (رفيـق الـروح).

مـن يعـش مُتكئـاً عـلى المـاضي يعـش كالميـت سريريـاً، ومـن أجـل ذلـك جئـت، لا اريـد ان اعيـش عـلى فتـات المـاضي، كل مـا اريـدهُ الان ثمـة قصيـدة أُكفـنُ بهـا قلبـي، يـا ليتـهُ مـات قبـل ان يشـهد هـذا الموقـف، يـا ليـت قلبـي لم ينبـض بعـد التدخـل الجراحـي، كـم تمنيـت المـوت عـلى تكـرار هـذا المشـهد، لم يقـترب مـوج البحـر مـن قدمـي هـذه المـرة، إذن، لـن يسـمعني، تحدثـتُ معـهُ بنقـاء قلـب، ولكنـهُ صَـمّ امواجـهُ عنـي، لا يريـد سـماعي، لم اعـاود الـكلام، اوقفـت نزيـف الذكريـات، اخبرتـهُ بأننـي سـأعود للقائـهِ في وقـت اخـر، حـين يـود سـماع قـراري بالابتعـاد منـه، لا اريـد ان اعيـش وانـا اتنفـس الرجـاء، لا اريـد انصـاف الحـب، اردتـهُ عِشـقاً كـما عشـقتهُ، لا اريـد منـهُ ان يكـون صندوقـي الاسـود ليحتفـظ بآثـار الحـب بـين طيـات القُبـل بعـد ان ننتهـي، هممـتُ بالرحيـل، عـلى امـل ان القـاه في وقـتٍ اخـر، وقـت ليـس بالبعيـد، سأشـد العـزم واعـاود الكَـرة، يجـب عـليّ ان اتخـذ قـراراً، لأننـي تعبـت، تعبـت ولـن يطـول الامـر اكثـر، استنشـقتُ الهـواء المخلـوط بـرذاذ النـدم، تحَسسَـت روحـي بـالألم، كانـت تنهيـدة لا تقـوى عـلى الصـبر، لم أتحـرك مـن مـكاني بعـد، وانـا مـا زلـت واقفـة، سـمعتُ صوتـاً مـن خلفـي، لم التفـت، تمنيـت ان يكـون هـو ....

قال: هل اشتقت إليَّ؟

قلت: ليس كثيراً، انا اشتاق إليك حين اتنفس فقط.

التفتتُ فرأيتهُ انيقاً جداً، ارتدى بدلة سوداء، عاد الى تصفيفة شعرهِ القديمة، ذات التصفيفة التي رأيتهُ بها في المكتب، عاد لعطره، لوسامته، جاء ليحتفل معي في ذكرى عِشقنا، جاء وبمعيتهِ باقة ورد تغار من جماله، التفتُ إليه، التزمتُ الصمت قليلاً من هول المفاجأة، لم اتوقع قدومه، اخبرني بأنه سيسافر خارج البلاد بضعة أيام، لِمَ اتى بهذه الوسامة؟ لِمَ الان تحديداً؟ لِمَ هو مبتسم؟ اين حزنه؟ اين اليأس الذي كان يمتطيه حِصاناً؟ عدتُ التفتُ الى البحر، علمت لمَ لم ينصت لي، لِمَ لم يوافقني الرأي، لمَ لم يكن يريدني ان اتخذ قراراً، كان على عِلم بمجيئه، اقترب (احمد)، نظر في عيني فرأى غيوم الحزن ترحل عن مقلتيّ، شاهد شمس الامل وهي تشرق على وجنتيّ، نظر بعيني حتى غرقتُ على ارض اليابسة، وقفنا كوقفتنا الاولى، نتأمل ما تقول العين، فهو يعرفني .. عيني في القاء لساني، قدم لي باقة الورد، ابتسم ...

قال لي: هل تقبلين الزواج بي؟

ارتعشتُ من الفرح، اغمضتُ عيني وفتحتُها، كدت لا اصدق الموقف، لامس موج البحر قدمي وانا واقفة، يريد مني الاجابة، لن اجعلهُ ينتظرني كما حدث سابقاً، لامسني الموج مسرعاً اكثر من مرة ....

قلـت: انتظـرتُ هـذه اللحظـة منـذ سـنوات، ترَكتـكَ مـرة واقسـم لـك بأننـي لـن أُكررهـا.

قـال: انـا اعـرف اجابتـك، فقـد وقفنـا سـابقاً كمثـل هـذه الوقفـة، ولكـن الان تجب علـيّ اعـادة صياغـة السـؤال، الامـر تغـير، عليـكِ التفكـير ملياً، انـا قضيـت هـذه المدة في التفكـير، قـررتُ ليلـة امـس بـأن اتي اليـكِ مهـما تكـن العواقـب، قـررت الارتبـاط بـكِ مهـما يكُـن الثمـن، ولكـن، سـأمنحكِ وقتـاً للتفكـير بسـؤالي الـذي يجـب ان يكـون بالصيغـة الآتيـة: (هـل تقبلـين الـزواج بي عـلى الرغـم مـن اعاقتـي؟).

قلـت لـه: تـأتي لي بهـذه الوسـامة، وتحمـلُ باقـة ورد، بعطـرك وتصفيفـة شـعرك، وبهـذا الكـم الـذي اعشـقك بـه، وتسـألني هـل ارفضـك !! لا امتلـك مـن الكَبـت مـا يكفـي للامتنـاع عنـك.

خلـعَ نظارتـهُ وسـألني: انـت متأكـدة؟ انـتِ عـلى وشـك الارتبـاط بهـذا الوجـه لمـا تبقـى لـكِ مـن العمـر.

قلـت: أُقسـمُ لـكَ، لـو أنني اتمكـن مـن جعـل عيـوني أرجُلاً، لجعلتهـا ارجُـلاً لأركـض بهـا فرحـاً عـلى وجهك.

عانقنـي، عانقنـي حتـى سـقطت باقـة الـورد منّا عـلى الارض، انـا لسـتُ بحاجـة الى الـورد وانـا عـلى ابـواب الجنـة الخضراء، عـاد (رفيـق روحـي)، عُدنـا الى مقعدنـا لنجلـس بـكل الحـب، جلَـسَ بالقـرب مني، دفـع بيـدهِ كل الأمنيـات المسـتحيلة جانبـاً ليفسـح المجـال لمسـتقبلنا القـادم،

سـنعيش معـا بعـد ان انتظرتـهُ عمـراً يفـوق عُمـر الجنائـن المُعلقـة، بعـد ان حقـق احلامـه في التخلـص مـن ازلام الحـزب السـابق والانتقـام منهـم، والانتقـام ممـن اقتلـع عينـه وعاملـهُ بالمثـل، قـرر ان يـترُك العمـل السـياسي ويسـافر خـارج الوطـن، سـيأخذني معـه، بعـد ان اكـون زوجتـه، حدثنـي عـمّا كان يرومـه طـوال المـدة السـابقة، عاتبتـهُ لإهمالـه لي، عاتبتـه حتـى بكيـت، اخبرتـهُ بـأن الاهمـال يقْتلنـي ببـطء، وعـدني بـأن القـادم افضل، كانـت نظراتـهُ غريبـة، لم اعلـم مـا السـبب، لم تفـارق عينـهُ عيني قـطُّ، هـل السـبب لأنـه اشـتاق إليَّ؟ أو لأننـي لم أنعـم النظـر في وجهـه منـذ مـدة طويـة؟ أو التغيـير الـذي طـرأ عـلى وجهـه جعلنـي اسـتغرب نظراتـه؟

كان ينظـر إليَّ بشـوق، يتحـدث وانـا انصـت لـه خاشـعة مـن جمال شـفاه، كـم اتـوق إلى تذوقِهـا، كـم انـا مرغمة عـلى التريث بحسـنِهِ، حدثنـي عـن قرارتـه، حدثنـي عـن ندمـه، كان قد شَـعرَ بـما شـعرَتُ بـهِ مسـبقاً، راودتـهُ ذات الاوجـاع التـي راودتنـي، الحـيرة بـين القلـب والعقـل، بـين مـا نملكـهُ مـن مشـاعر واجبة التضحيـة ومـا يفرضـهُ الواقـع تحـت سـوط القـدر، كلانـا رأى عدالـة القـدر، وُضِعنـا في ذات الموقـف، نعشـق لنقـف مكتـوفي التمنـي، ليـس بالحـب حيلـة بعـد ان يأخـذ منـك القـدر شـيئاً ثمينـاً يتعلـق بمـن تحـب، عدالـة القـدر هنـا جـاءت لمصلحتـي، بعـد ان عَـدَل عـن قـراره برفضـهِ للـزواج، كيـف يرفـض وانـا لم اخلـع الخاتـم منـذ ان وضعـهُ بيـدي، انـا متمسـكة بـهِ عـلى

الرغـم مـن كل شيء، حتـى انني كنت كاذبة حين اتيـت الى هنـا لأفكـر بقـرار الابتعـاد منـه، الشـوق صَنـعَ منـي حمقـاء صامتـة، سـألتهُ كيـف يمكـن لنـا ان نتـزوج هنـا؟ ومتـى؟ حدثتـهُ عـن كميـة الخـوف الـذي بداخـلي مـن كل المخاطـر التـي تحـوم حولـه، أخـبرني بـما لم اصدقـهُ، قـال لي انـهُ سـيقدم اسـتقالتهُ مـن المنصـب يـوم غـد، لـن يبقـى في منصبـهِ، سـيعقد مؤتمـراً يـوم غـد ليعلـن اسـتقالتهُ، سـيكون المؤتمـر افضـل مـن تقديـم الاسـتقالة وحدهـا منعـاً لانتشـار الشـائعات ولا سـيما وانـه قـد قـدم طلبـاً يـوم امـس الى رئيـس المجلـس التنفيـذي للحـزب الليـبرالي بغيـة الاسـتقالة مـن الحـزب، ولكـن الاخـير حشَّـدَ مـا يتمكـن مـن شـخصيات سياسـية لهـا اثرهـا في ارض الواقـع مـن اجـل التوصـل الى توافـق بـين مبـادئ (احمـد) وسياسـية افـراد الحـزب الـسُراق المنتشريـن في مفاصـل الدولـة، كان قـد طلـب إليهـم بـأن لا تكـون سياسـة حكمهـم كالحـزب السـابق وان تختلـف عنـهُ بالبـذخ والرفاهيـة والـترف، كان ينظـر الى حجـم الفقـراء ويعـد احصائيـات حقيقيـة عـن عـدد الفقـراء والعاطلـين ومـن هـم بـلا مـأوى، ولكنـه كان في جهـة تشريعيـة ولا يمكنـهُ إلا اعطـاء التوجيهـات مـن خـلال سَـن القوانـين، وبالمقابـل لا يسـمع توجيهاتـهُ احـد، قـرر بعـد ذلـك الانفصـال عنهـم كـي لا يكـون مـن ضمنهـم او شريـكاً لهـم، الفـرق كان واضحـاً فهـو يتقـاضى عُـشر مـا يتقاضونـه ولكـن الامـر لم يكـن بهـذه البسـاطة، كان يظـن أنهـم افضـل مـن الحـزب السـابق، ولكنـهُ وجـد الفـرق بالمُسـميات والملابـس فحسـب.

لم تشـهد البـلاد أي تغيـير بعـد الانتخابـات، تغـيرت الوجـوه فحسـب، عـاد الاغنيـاء الى دورهـم وشركاتهـم، وعـاد المُخادعـون الدجالـون الى وزاراتهـم ومناصبهـم، عـادت قـوات الامـن الى ثكناتهـا العسـكرية لتحمـي سُراق المـال العـام في بيوتهـم ومـكان عملهـم، عـاد الفقـراء الى فُتـات خبزهـم، عـاد العاطلـون مـن العمـل الى التسـول، تمـرد الحـزب اكثـر واكثـر، حتـى بـدأ يصـادر امـوال مـن كان منتميـاً للحـزب السـابق ويـشرد عائلتـهُ، بـدأ التهجـير شـبه القـسري للمُتَدينـين الى المـدن المجـاورة، اضحـت الكنائـس خاليـة يـوم الاحـد وخَلـت المسـاجد ايضـاً، انتـشرت المظاهـر غـير الاخلاقيـة في الشـارع لاسـتغلال السُـياح، اصبحـوا عـلى هـذا الوجـه مـن جـراء مـا كان مكبوتـاً ومُحرمـاً بالأمـس تحـت هـدف (الحريـة) الـذي دعـا الى تحقيقـه الحـزب الليـبرالي بنـاءً عـلى كُرهـه الدَفـين للأديـان، اكتشـفنا ان جميـع الكفايـات التـي بداخلـه كانـت كفـوءةً بسياسـة الانتقـاد فحسـب، تكلمـت معـهُ بألـف موضـوع وبألـف ذريعـة حتـى تصاعـدت ادخنـة الامـل مـن احلامـي، سـتتحقق جميعهـا، سـتتحقق واكـون زوجتـه، سـنمزج الحـب بالغـزل ونضعهـا في زجاجـةٍ النشـوة، سـنحتسي منهـا مـا نشـاء مـن ليـالٍ، لم أرد للقائنـا ان ينتهـي، ولكـن الوقـت قـد حـان، ولا سـيما وانـهُ جـاء مُتخفيـاً بسـيارةٍ صغـيرة برفقـة (هشـام)،

رحـل وتـرك سِـحر عينيـه في خاطـري، منـذُ ان عرفتـه والى الان، لأول مـرة الاحـظ الغرابـة في نظـرة عينـه، طـوال اللقـاء

وهـو ينظـر إليَّ دون ان يلتفـت او ترمـش عينـه، لم أرَ نظراتـهُ بلهفـة كهـذه مـن قبـل.

يـوم غـد فقـط مـن يفصلنـا عـن العنـاق، تمنيت ألا يكـون صـدى كلماتـهِ في المؤتمـر مؤثـراً في قرارتـه، لكنني مُتأكـدة مـن أنـهُ سـيترك عملـهُ السـياسي مـن اجـلي، ايقنـت مسـبقاً بأنـه جديـر بالتضحيـة، انـا اغـلى مـا يمْلـك، وانـا لا امْلـك في الدُنيـا سـواه، افترقنـا، بعـد ان كان لقاؤنـا جميـلا ومميـزا، كان جميـلاً إلى درجـة ان أي حديـث يُفسـده، ابتعـد مني بخطـوات وهـو لا يـزال ينظـر إليَّ، يبتسـم كأنـهُ يُريـد ان يقـول شـيئاً، عـلى الرغـم مـن ذلـك كان شـديد الفـرح مثـلي، لعلـهُ يُفكـر في قـرار يـوم غـد، هـل ينجـح كـما خطـط لـه في ان يكشـف فسـاد الحـزب الليـبرالي؟ أو انـه سـينعكس سـلباً عـلى تاريـخ نضالـه؟ عُـدت عـلى امـل ان القـاهُ غـداً، انتظـرت كثـيراً ولم يـأت الصبـاح، لم تـشرق الشـمس، انـا في فـراشي إلى الان، لم يمـضِ مـن الوقـت إلا نصـف سـاعة فقـط، تأملـت مـا سـأكون عليـه وانـا اتشـبث بيـده مـن شـدة الفـراق، احتويـه مـن كَثـرة الفقـدان الـذي طـرأ عـلى حيـاتي، انـا لم اكـن طفلـة سـعيدة لأكـون فرِحـةً بالشـكل المعتـاد لتحقيـق احلامـي، لي حكايـاتٌ مـع القـدر لا يقـوى الظُلـم عـلى سـماعها، سـعيدةٌ انـا الان وحجـم سـعادتي اقـل بقليـل مـن حجـم السـماء، سـعيدةٌ لأنني سـأكون منـه وفيـه وإليـه، لم اتمكـن مـن النـوم، ظَـل يتَقلـب وسـط قلبـي كثـيراً.

في صبـاح، وجـدت نفـسي مسـتيقظة، اجلـس القُرفصـاء، نمـتُ برهـة مـن الزمـن وحَلمْـت بالخـوف، لم انـم بعدهـا، بقيـت جالسـة الى ان أشرقـت الشـمس، حلمـتُ بأننـي امـشي خلـف جنـازة ابي مجـدداً، شـعورٌ اخافنـي كثـيراً، قاومتـهُ بـكل مـا اوتيـت مـن امـل، خفـت مـن الحُـزن مجـدداً، شـعور انتابنـي فحسـب، بعـد ان تمتـم شـيطان في عقـلي وهـو يحمـل ازهـارا سـوداً، انتابنـي شـعور يجـذب الشـياطين في وضْـح الصـلاة، كُل الدُنيـا لا تعلـم مقـدار الشـياطين الذيـن يجولـونَ في خاطـر امـرأة عندمـا تَحـزن، كنـتُ عـلى حـق، كنـت اشـعر بروحـهِ وهـي تعانـق السـماء، كنـت اشـعر بألمـهِ وهـو يتلقـى رصاصـات الحـزب في صـدره.

اغُتيـل (احمـد) في الصبـاح الباكـر عنـد خروجـهِ مـن منزلـه، اطلـق عليـه شـخصٌ يضـع لثـام الحقـد عـلى وجهـه عـدة رصاصـات مـن عـلى دراجـة ناريـة، القـي القبـض عليـه عـلى الفـور لأنـه اضطـر ان يطلـق رصاصتـهُ مـن عـلى مقربـة منـه كـي يتجـاوز العسـكر الذيـن يحيطونـه، آن الاوان بـان نفـترق، هكـذا اراد القـدر، رحـل (رفيـق روحـي) واصبحـت وحيـدةً، كيـف لي ان اصـدق خـبر وفاتـه وهـو حـيٌ يُـرْزق في احلامـي، امنيـاتي مـا زالـت صامتـة مثـلي، كنـا نريـد الرحيـل عـن ارض الوطـن، نـترك ارض العَفـن، كنـت اشـك في ان امـراً كهـذا سـيحدث ولكننـي كنـت اخـاف التفكـير فيـه، وطننـا لم يمتلـئ مـن دمـاء شـهدائنَا بعـد، اشـتهى دمـاءه فأخـذهُ منـي، ألم يكتـفِ

بعينـه؟ ألم يكتـفِ بتعذيـب جسـده؟ ألم يكتـفِ بـكل تضحياتـهِ السـابقة؟ وطـنٌ اضحـى لا يسـتحق ان يُذكـر بعـد الان، لا يسـتحق سـوى ان نبصـق بوجـه آثـاره، في هـذا الصبـاح قاتـم اللـون، انتهـى كل شيء يسـتحق العيـش، انتهـى كل امـل سـقيتهُ منـذُ الامـس، ماتـت كل الحـواس التـي امتلكهـا مـع موتـه، لا اريـد التفـوه بهـذا، هـو لم يَمُـتْ، ذهـب الى مـكان بعيـد مـن ضوضـاء الحيـاة ليكـون بالانتظـار، هـو الان بانتظـاري.

قـوة الصدمـة التـي تَلقيتُهـا جعلتنـي في قيـد الافاقـة، لم اغـب عـن الواقـع، وقعـت روحـي فقـط مَغميـةً عليهـا، امـا جسـدي فقـد ظـلَّ صامـداً، فقـدت النُطـق مجـدداً، لم اعـد اقـوى عـلى الـكلام إلا همسـاً، ولكـن لمـنَ اهمُـس؟ كنـتُ اهمـس لحبيبـي فقـط، اعتـدتُ الهمـس بأذنـه وهـو يتوسـد كتفـي، لم اشرك بحبـه مخلوقـاً، لا حبيـب إلا هـو.

وسـط الفـوضى التـي حدثـت في المدينـة بحثـت عنـه، اسـير في الطُرقـات واتذكـر خطواتنـا ونحـن نخـرج صباحـاً الى العمـل، حـين كُنـا هادئـين، حـين كُنـا لا نكـترث لسياسـة البلـد، لا تهمنـا تلـك القُمامـة التـي تُسـمى (وطـن)، اللعنـة عـلى ارض الوطـن.

حاولـت الاتصـال (بهشـام) ولكننـي لم اتمكـن مـن الـكلام، بعثـت لـه عـشرات الرسـائل ولم يجـدِ الامـر نفعـاً، كنـت اسـير كالمجنونـة وسـط الزحـام، كنـت اردد اسـمه وارتعـش، اريـد ان اراه، اريـد ان أنعـم النظـر في وسـامته قبـل ان تُـوارى الثَـرى،

كنت لا اعلم ما افعل، استمريت اجوب الشوارع ولم اتمكن من معرفة مكانه، سمعت بأن (هشام) تعرض الى بعض الرصاصات ولكنه لم يمُت، لمَ مات (احمد) وحده؟ سألت القدر ألف مرة، لِمَ مات (احمد)؟ لم احضر جنازته، تعرضت لضربٍ مبرح اصابني بجروح كثيرة، مكثتُ أياما على إثره في المشفى.

سمعت عند غروب الشمس بأن نعشه سيكون في وسط المدينة، يحتفلون بمقتله لأنهُ حاربهم، لأنه كان ثائراً خالصاً بكل ما يمتلك من مبادئ سامية، سيحتفلون بمقتله ثم يدفنونه تحت التراب، سيعودون الى نزواتهم وسرقاتهم، الحزب الليبرالي هو الذي غدر به دون ادنى شك، كان على وشك فضح امرهم، لم يتمكن بسبب رصاصاتهم، وقفت عند تجمهُر الناس وهم بانتظار نعشه، كنت احمل علم الوطن بيدي، لم اتمكن من كبت جماح الحقد الذي بداخلي، اعتليت ارصفة الساحة ليراني كل الناس، اثرت انتباه غالبيتهم، التفتُ الى كل الاتجاهات من حولي، انتظر وصول نعشه، تأخر ولم أقوَ على الانتظار، عليه ان يأتي بسرعة، ثوبي الابيض ما زال في خزانة البستي ينتظرني، تمنيت لو انني اقوى على الكلام لأنادي باسمه، لأقول لهُ بأنني ابحث عنك، كما بحثت عنك وسط تلك السنين، لأرجوه بلطف أن يعود بي قبل ان لا اعرفه ثم يرحل، (رفيق روحي)، سألعن الوطن بما يملك من شعبٍ وارض وحضارات، اخرجت العلم وحرقتهُ وسط الحشود، تمنيت

ان اتفـوه بالشـتائم وانـا ادوس عـلى العلـم المُحـترق بحذائـي، لم اتمكـن مـن الـكلام، اخـذ المـوت صـوت، انهالـت عـليّ الحشـود بالـضرب، عـرف بعضهـم بـان الحـزن دفعنـي الى ذلـك، كنـت اسـمعهم يتحدثـون مـن حـولي، ضربنـي بعضهـم ودافـع عنـي بعـض آخـر بجسـده، سـمعت اطلاقـات ناريـة فـوق رأسي، تمنيتهـا ان تكـون في صـدري لتأخـذني معه، لأتوسـد معهُ نعشـه، اردت عناقـه لنذهـب الى القـبر معـا، كانـت هـذه الاطلاقـات الناريـة لتفريـق مـن حـولي، اخـذني احدهـم الى المشـفى، لم اعلـم مـن هـو، تلقيـت عـدة ضربـات في الـرأس وكدمـات عـلى الوجـه، جعلتنـي اصحـو بعـد يومـين مـن الحـادث، خرجـت مـن المشـفى دون علمهـم، ظننـت ان المشـفى لعـلاج الامـراض النفسـية، الاضـاءة التـي كانـت امـام وجهـي وانـا انظـر الى الاعـلى كانـت تشـبه تلـك الاضـاءة، كنـت خائفـة مـن فـراق (احمـد)، تشـابه الموقـف عـليّ وانهالـت عـليّ الال، ذهبـت الى بيـت (سـارة)، اعتنـت بي ثلاثـة ايـام، الى ان تمكنـتُ مـن زيـارة قـبره، صـبرت كثـيراً عـلى فراقـه، منـذُ ثلاثـة ايـام وهـو في القـبر وحـده. يـا تُـرى هـل هـو جائـع؟ هـل يشـعر بالعطـش؟ هـل القـبر مظلـم؟ ام تضحيتـهُ انـارت فراشـهُ الـترابي؟ هـل يتذكّـرني؟ هـل مـا زال يعشـقني؟ متـى يكتـب لي الشـعر مجـدداً اخـر قصيـدة دونتهـا كـما الاخريـات عـلى جـدران وجـداني، حفظتُهـا عـن ظهْـر قلـب، قبـل ان ينكسـر ظهـر قلبـي في غيابـه.

سألت كل هذهِ الاسئلة وانا في طريقي إليه، وقفت على قبره ارى كل الايام التي عشنا فيها معا، كان كومة تراب، وقفت امامهُ ابحثُ عن كلماته، عن وجههِ البَهي، عن شفاهه التي كانت تنطبق لتَسكب العسل، بحثت عن عطره، بحثت عن مستقبلنا، ماذا حلَّ به! كنا على وشك السفر، كان سيترك كل شيء من اجلي، كنا بحاجة الى بعض الوقت لنرحل ونترك لهم الوطن بأكمله، بما يحملهُ من ثروات، هم أرادوه وطناً ذا ثروات وليس ذا ثورات فقتلوا (احمد) لأنه ثائر، كنا بحاجة الى يومٍ واحد من دون خيانة وغدر، من دون رصاصات منبثقة مٍن اجتماعات حزبية، كنا بحاجة الى بصيصٍ من الشرف، وقفت امامه ساعتين، لم أقوَ على البكاء، لم اذرف دمعة واحدة، صدمة فراقه جعلت مني دُمية بكماء، كنت اخاف من البكاء كي لا انهار، كي لا يعودوا بي الى مستشفى الامراض العقلية، انا امامي الكثير غير حرق العلم وشتم الوطن.

الفراق، هو كالذي يفتح نافذة غرفته وهو موعودٌ بالموت بعد ايام، لا يرى أملاً، ينتظر الموت، يأتيه متأنياً وهو على عجلة من بؤسه، الفراق يعلمنا الصمت، نصمت لنَعدُ ما خَسِرناه بسببه، نحتاج الى هدوءٍ تام لنتأمل الألم المرافق له، نخاف من كل لحظة تأتي بعد اللحظة التي نأخذ فيها الشهيق والزفير، نتأملٍ ملامح الفراق مجدداً، نتأمل ان يكون ما نحن عليه حلماً وسينتهي بعد ان نفتح

اعيُننـا، نغلـق اعيُننـا ونفتحُهـا، نجـد الفـراق حقيقـة وعلينـا تصديقهـا، نكذبـهُ الـف مـرة ونجـده كـما هـو، الفِـراق حقيقـةٌ واجبـة التصديـق، شرود التعـب وهـو يمـزق تفكـيري جعلَنـي مخلصـةً للبـؤس، لـن يكـون القـادم قادمـاً دون حبيبـي، لـن اجعلـهُ يقـدم عـلى عمـر جديـد، طلبـت إليَّ (سـارة) ان نرحـل، لم يتبـقَ عـلى غـروب الشـمس شيء، تكلمـت بعـض الكلـمات، مـا زلـت لا اقـوى عـلى التحـدث بجملـة مكتملـة، توسـلت إليهـا ان تتركنـي هنـا، لم أتلـقَ استحسـانها، تشـاجرنا، تركتنـي وذهبـت، اوصيتُهـا بـألا تخـبر احـداً بمـكاني، رجوتهـا لأبقـى معـهُ هـذه الليلـة فهـو يسـتحقُ منـي كل الوفـاء، يسـتحق لأنـهُ لم يقـسُ عـليَّ إلا في عناقـي، تذكـرت كل الليـالي التـي التقينـا فيهـا، كيـف تبادلنـا الـكلام في الرسـائل منـذُ اول ليلـة، عنـد اولى خطواتنـا في طريـق العشـق، في (الثـاني مـن شـهر نَيسـان)، عندمـا وجدتـهُ بـين ملايـين السـنين، يقـف عـلى ناصيـة احلامـي وهـو ينظـر الى سـاعته، عندمـا كان ينتظـر قدومـي عنـد كل موعـد، مـر الليـل ليـس كسـائر الليـالي السـابقة، لم نجلـس معـا هـذه المـرة، حـال المـوت بينـي وبينـه، أشرقـت الشـمس عـلى غفلـة كـما أشرقـت علينـا مـن قبـل، لم اشـعر بوجودهـا، رفعـت رأسي بعـد ان اتـكأتُ بـهِ عـلى يـدي وانـا اجلـس القرفصـاء، شـاهدت القبـور مـن حـولي تنظـر الي بدهشـة، حدثـت الجميـع عنـي وعنـه، اخبرتهـم كيـف كانـت لقاءاتُنـا، كيـف كنـا نعشـق بالنظـر، كيـف بدأنـا وكيـف انتهـى الامـر بنـا، عرفتهـم بنفسـي، فلـم يتبـق إلا القليـل واكـون برفقتهـم،

لـن اقـوى عـلى العيـش بنصـف روح، رفيـق روحـي تحـت الثُـرى، سأتوسـد يـدهُ مهـما كان الثمــن، مــرت ايــام قليلــة، بـدأتُ اقـوى عـلى الحديـث بصـوت منخفـض، ولكـن اجفـان عينـي لم تَغمـض، باتــت كأنهــا اقــصر مــن ان تنطبــق عــلى بعضهـا، عـاد الليـل والنهـار يتشـابهان كـما فراقنـا الاول، كنـت اشـعر احيانـاً بخصـلات شـعري تتحـرك وحدهـا، كنـت اشـعر بـه، اشـعر بروحـهِ حـولي، اشـعر أنـهُ يـراني، اشـعر بـه بـين اركان احلامـي، حـين يتحـرك شـعري بنسـمة خفيـة كنـت التفـت فجـأة لعـلي اراهُ خلفـي، كنـت عـلى امـل ان القـاه كـما كنـت عـلى امـل اللقـاء بذلـك القاتـل الـذي القـى رصاصاتـه عـلى صـدر (احمـد) سـمعتُ كثـيراً مـن الاحاديـث عـن مقتلـه ولكـن الجميـع اجمعـوا عـلى انـه تلقـى تلـك الرصاصـات في صـدره، كنـت انتظـر رؤيتـه، في الصبـاح سـتتم محاكمتـه، صبرتُ أيامـا الى ان القـاه، تعجلـتُ بسـاعات الليـل كثـيراً، اريـد ان انفذ مـا عـلى عاتقـي مـن انتقـام لأنني عـلى موعـد مـع (احمـد)، جلسـتُ برفقـة (هشـام) في قاعـة المحكمـة، نظـرت الى قفـص الاتهـام وهـو فـارغ، كنـت بانتظـاره، اخـبرني بـأن الامـر لا يتعلـق بالحـزب الليـبرالي لأن القاتـل ينتمـي الى الحـزب الحاكـم سـابقاً ومـن المُتشـددين.

بـدأت محاكمتـهُ، كنـت انظـر الى وجهـه طـوال الوقـت، كان قصـير القامـة ولـهُ ذقـن طويـل، يـتراوح عمـرهُ بـين الثلاثـين والخامسـة والثلاثـين، ادلى بإفادتـه بأنـهُ غـير مُذنـب وان مـا

قـام بـه يعـدُّ جهـادا في سـبيل الـرب بحسـب مـا جـاء بأقوالـه واقـوال فقـه دينـه، وأن (المغـدور) خـرج عـن طاعـة الحاكـم ووجـب قتلـه، انتهـت مُحاكمتـه بعـد ان حكمـت عليـه المحكمـة بالاعـدام، كان قـراراً غـير منصـف، كان مـن المفـروض ان يتـم الحكـم عليـه بالسـجن المؤبـد، لا بالاعـدام، لا اعلـم كيـف يتـم اعتبـار عقوبـة المـوت اقسـى مـن عقوبـة العيـش في غرفـة مظلمـة مـدى الحيـاة، ارى بـأن العـذاب الـذي سـيجنيه المجـرم بالسـجن المؤبـد اقسـى مـن الاعـدام، ألا يعلـم مـن وضـع هاتـين العقوبتـين بـأن المـوت راحـة لا يسـتحقها المجرمـون، بعـد ان خـرج الجميـع مـن قاعـة المحكمـة، سـألت (هشـام) عـن موعـد تنفيـذ حكـم الاعـدام بحـق هـذا المجـرم، اخـبرني بـأن الامـر لـن يطـول كثـيراً، سـيتم تمييـز قـرار الحكـم لـدى المحكمـة العُليـا لينـال درجتـهُ القطعيـة ثـم يتـم تنفيـذه، لـن يتطلـب الامـر اكثـر مـن شـهر واحـد، ثـم اسـتدرك (هشـام) قائـلاً: يمكننـي الدخـول الى السـجن وأفعـل بـه مـا يحلـو لي، ولكننـي مهـما أفعـل بـه فلـن ارعبـه بقـدر تلـك الخطـوات التـي سيسـير بهـا الى مشـنقة الاعـدام، سـأتركهُ يتعـذب ببـطء.

سألتهُ: وكيف ذلك؟

اجابنـي: الم يُخـبركِ (احمـد) مَـن سـاعدهُ في الدخـول الى السـجن واقتـلاع اعـينِ اولئـك المُجرمـين؟ لي سُـلطة واسـعة عـلى ادارات السـجون كافـة، يمكننـي قبـض روحـهِ متـى مـا شـئت، ولكننـي سـأتركهُ يـذوق المـوت قبـل ان يمـوت.

فكـرت في لقـاء (احمـد)، هـل أتأخـر عليـه طـوال هـذه المـدة؟ هـل أتركـهُ يقـضي الليـل بمفـردهِ؟ منحـت هـذا التفكـير قليـلاً مـن الوقـت، تركـت (هشـام) لأخـرج مسرعـةً خـارج المحكمة، قلـت لـهُ في نهايـة حديثِنـا «انـا سـأجعلهُ يتـذوق المـوت دون ان يمـوت» تتبعـت خُطـا امـرأة مُسنة ومعهـا امـرأة تضـع النقـاب عـلى وجههـا وطفـلان، كانـا عـلى مقربـة مـن قفـص الاتهـام، سـمعتهم يتحدثـون مـع المجـرم، انصَـت لهـم حتـى تأكـدت مـن ان هـذه المـرأة المُسنة هـي امـه ومـا تبقـى زوجتـه واطفالـه، طلبـتُ إلى سـائق سـيارة الاجـرة اللحـاق بهـم، تتبعتهـم الى ان استـدليت عـلى مـكان سُـكناهم، كانـوا يقطنـون في حـي نـاء في اطـراف المدينـة، كان لهـم منـزلٌ صغـير، وسـط حـيٍ شـعبي، سـيكون لي موعـدٌ معهـم بعـد أيـام، راقبـت منزلهـم عـدة ايـام، اخـترت الطريقـة المناسـبة لقتـل هـذا المجـرم دون ان يمـوت، كان لـهُ طفـلان، احدهمـا لـهُ سـبعة اعـوام واخـر لـهُ اربعـة، يخرجـون للعـب في عَرصَـة البيـت تـارة، ويبتعـدون قليـلاً منهـا تـارةً اخـرى برفقـة اطفـال الحـي، كانـوا يخرجـون مـا بـين السـاعة التاسـعة والعـاشرة صباحـاً، ويسـتغرقون مـا يُقـارب سـاعتين او ثلاثـا ليعـودوا ادراجهـم دون ان يفصلهـم شيء عـن اللعـب، ذهبـت إليهـم ذات صبـاح، جلبـت معـي كامـيرا فوتوغرافيـة ووقفـت عـلى ناصيـة الشـارع لأراقـب خروجهـم، خرجـوا في وقتهـم المحـدد، ناديتهـم لأخـذ الحلـوى، منحتهـم قطعتـين مـن الحلـوى محشـوةً كل منهـا بثلاثـة غرامـات مـن اقـراص (فوسـفيد الالمنيـوم)، اجبرتهـم عـلى تناولهـا لأن طعمهـا

غريب ولها رائحة تشبه رائحة البيض الفاسد، كنتُ قد سرقت هذه المادة من مختبرات الجامعة، كنتُ مجبرةً فهي لا تُباع في الاسواق، سرقتُها بعد ان قرأت عنها وعن مفعولها السحري في قتل الاطفال، كانت ثلاثة غرامات منها كفيلة بأن تؤدي لتعطيل حركة الكريات الحُمْر في الدم، بحيث تتحوّل هذه الكريات لمادة تبدو شبه صلبة، تتخثّر بسبب تفاعل كيمائي، ومن ثم تؤدي إلى عجز هذه الكُريات عن تأدية وظيفتها بنقل الأوكسيجين إلى أنحاء الجسم كافة، فتتجمد وتسبّب التجلّط، فتؤدي الى الوفاة، تناولوا حلواهم ثم ذهبوا لاستئناف مرحهم الاخير، سيدفعون ثمن خطأ غيرهم، اباهم من كان السبب ولست انا، انا مجبرةٌ على الانتقام، وإلا فكيف سألقى (احمد) دون ان ابتسم، تطلب الانتظار اكثر من ساعتين، راوحتُ بين الاختباء والذهاب والاياب كي لا الفت انتباه احد، بدأوا يشعرون بالغثيان، وهذه اولى علامات التسمُم، تقربت منهم وهو يجثون على الارض، تقلبوا من شدة الالم، ثم ماتوا هادئين، تقربت منهم بخطوات لم تؤلْمني احداها، كان الامر طبيعياً، كان يجب ان يكون ذلك من دون ادنى لوم، عليه ان يدفع الثمن مهما كان طفلاً، وقفت امامهم، رأيتهم يلتقطون انفاسهم بصعوبة، كان المنظر مؤلماً ولكنني لم اشعر بشيء، بقيت انظر إليهم براحة ضمير، لم تأخذني الرأفة حين دست على يد احدهم وهو يحاول الاستنجاد بطرف ثوبي، توقفوا عن التنفس، فارقوا الحياة قبل ان يكونوا في

قيدهـا، بقيـت اعـين احدهـم مفتوحـة مـن شـدة الالم، كان ينظـر إليَّ وهـو في اخـر ثـوانٍ لـهُ عـلى هـذه الارض، الاخـر كان قـد انقلـب عـلى وجهـه وتـرك التنفس، اصبحـا جثتـين هامدتـين، التقطـتُ لهـم صـوراً رائعـة، كانـا جُثتـين شـهيتين، كنـت اود تقطيعهـم الى اجـزاء ولكـن الوقـت لا يسـمح، بـتُ اخـاف مـن ان يخرج احـدٌ مـن ذويهم ويكتشـف الامـر، وانـا عـلى عجلـة مـن امـري، لـدي موعـد مـع (احمـد)، احـدى الجُثـث كانـت تنـام عـلى وجْههـا، قَلبَتُهـا بقدمـي، خـرق عينـي بصيـص ضـوء صـور لي (احمـد) وهـو يَمُـد يـدهُ ليشـعل الشـمع قبـل ان يقـدم لي خاتـم زفـافي، كان وجـهُ الجُثـة مائـلاً لا يتجه صـوب كامـرتي، خـرق عينـي بصيـص ضـوء اخـر يصـوّر لي (احمـد) حـين أطفـأ القمـر بكـف يـدهِ قَبّلنـي اول مـرة، صفعـت وجـه الجُثـة بقدمـي لينظـر إليَّ، التقطـت الكثـير مـن الصـور، التقطـتُ المزيـد ولم ارو مـن الظمـأ.

انتهـى الامـر، هربـتُ مُسرعـة دون ان يُشـاهدني احـد، وان شـاهدني احـد المـارة فأنني ارتـدي مـا اعتـاده سُـكان هـذا الحـي من حجـاب وعبـاءة لا تثـير الانتبـاه، رجعـت الى البيـت لأنجـز الصـور، لأجعلهـا جاهـزةً لأن تَقتُـل اباهـم بـدم بـارد، كانـت تحتـاج الى بعض الوقـت لتنضـم الى سـهرتي الجميلـة لهـذا اليـوم، اسـتغرق النظـر إليها زجاجـة كحـول كاملـة، كنـت انظـر إليهـم وأسـمع بكاءهـم، كانـت صورهـم صامتـة لكنني كنـت اسـمعهم جيـداً، كان نحيبهـم شـديداً لكننـي لم اكـترث لأمرهـم، سـيعتادون العـالم الاخـر شـيئاً فشـيئاً.

للانتقـام لـذة تمنحـك النـوم الهانـئ، ولكـن سرعـان مـا يطلـب إليـك ضمـيرك التراجـع عـن فعـل ذلـك، مـا عليـك سـوى ان تتنـاول المُخـدرات او الكحـول، سـتمنحك القـوة لفعـل أي شيء، ستسـعد كثـيراً حـين تنتقـم، ستسـعد وقتـا محـددا، ثـم تعـود لحياتـك الطبيعيـة، ربـما يأتيـك النـدم وربـما لا يأتيـك، تشـعر بشـعور غريـب

حـين تقتـل، ترتجـف يـدك مـرة او مرتـين تلقائيـاً في اليـوم، تنظـر إليـك كل رعشـة منهـا لتتأمـل مشـاعرك، هـل انـت خائـفٌ أو غـير خائـف، إن كُنـتَ خائفـا فأنهـا سـتجعلك تـرى صـور قتيلـك كلـما اغمضـت عينـك، سـتجعلُكَ تخـاف مـن الظـلام لئـلا تـراهُ حيـاً، سـتمنحك نـبرة صوتـه وسـط الزحـام لتقـول لـك بأنـهُ يُلاحقـك، امـا ان قبضـت عـلى يـدك واسـتذكرت ألم الفـراق، فـأن الرعشـة سـتتوقف عـن التفكـير فيـك، عليـك ان تكـون غاضبـاً في وقـت فراغـك، عليـك ان تَقتُـل ضمـيرك برصاصـات النـصر، عليـك ألا تنظـر في المـرآة طويـلاً، عليـك ألا تظـن بـأن بعـد فعلتـك هـذه سـتتمكن مـن الابتسـام، سـتعود الـبراءة ادراجهـا، سـتضعف لديـك حاسـتا التـذوق والشـم بنسـبة ملحوظـة ثـم تعـود إليـك تدريجيـاً، ذهبـتُ الى الكنيسـة لأول مـرة منـذ ان تفكـرتُ في دينـي، منـذ ان قـررت ان افقـه دينـي قبـل ان اورثـه، وقفـتُ عـلى ابوابهـا افكـر في الدخـول، ممـن سـأطلب الغفـران؟ مـن الـرب أم مـن مَـن يتقمـص شـخصيتهُ؟ كيـف أطلبـهُ والـرب ليـس لـهُ بيـت، الـرب اكـبر مـن ان يكـون بنـاءً شـاهقاً وصلبانـا،

نظـرتُ الى يـدي فرأيـتُ اثـار دمـاء الطفلـين عليهـا، رجعـتُ خطوتـين الى الـوراء ونظـرتُ الى بنـاء الكنيسـة، نظـرتُ الى السـماء لأخجـل مـن الريـاء الـذي انـا عليـه، لِمَ اطلـب الغفـران وانـا لم انـدم عـمّا فعلـت الى الان؟ لِمَ اطلـب الغفـران وانـا لـن انـدم عـلى مـا سـأفعلهُ هـذه الليلـة؟ ايقنـتُ ان الـرب في السـماء وان مَـن في الداخـل قـد اصبـح مـن اسـقفة الكنيسـة لأن ابـاه كان كذلـك، لـن يـضرني رضـاه ولـن ينفعنـي، رضـاهُ لـن يعنـي لي مغفـرة الـرب، مغفـرة الـرب لا تكـون إلا لحبيـس النـدم ومُرتجـي التوبـة، مغفـرة الـرب ليسـت بالأدعيـة، ايقنـتُ بـأنَ مغفـرة الـرب اسـمى مـن قُداسـهم والـتراني، لم يتبـقَ لي شيء، تأخـرتُ، لـدي موعـدٌ مـع (احمـد)، ولكـن عليـه ان ينتظـرني قليـلاً، انـا لم اجعـل فُسـتاني الابيـض جاهـزاً الى

الان، لم امنحهُ قياس جسدي، مرت سنواتٍ وقُبَل على خياطته، لم اعِدهُ للقائي، يجب على ان اكون انيقة عند لُقياه، انا اعشقهُ، اردتُ ان ارى (سارة) للمرة الاخيرة، كان عليّ ان اودعها دون ان تعلم، هي صديقة العمر، صديقتي منذ ان كانت ضفائري خاوية، قبل ان تقوّمُها اصابع حبيبي، عليّ ان القي عليها كلمات الوداع، وان لم اتمكن فعليّ توديعها بالنظرات، سأشتاق إليها الى حين ان تأتي الينا، هناك، انا و(احمد) ولا شيء سوانا غير السُكون، اعطيت صور الطفلين الى (هشام) بظَرفٍ مُحكم الاغلاق، اوصيتهُ بأن يُلقيها في زنزانة المُجرم دون علمه، وعدني بأنهُ سيفعل ذلك خلال الساعات القادمة دون ان يستمر بسؤالي عن مُحتوى الظرف.

عند اول الليل التقيتُ (سارة)، قبلتها الفاً وعانقتُها الفين، كانت تظن أنني مُتعبة لأنني من دون مُهدئات، كانت تنظر إليَّ كأنني بنصف عقل، سامحتُها لأنها لا تعلم حجم الفرح الذي يغمرني الان، لي موعدٌ مع (احمد)، اعطيتُها حقيبة صغيرة، اوصيتها بأن تصلها الى (يعقوب)، كانت رؤيتهُ صعبة طوال هذه المدة، كنت اتفقدهُ عبر الهاتف لكثرة سفره، زارني غير مرة بعد وفاة (احمد) كانت نظراتهُ تترقب تصرفاتي، كان يظن أنني بحاجة الى الرقود في المشفى، ولكنني حاولتُ قدر الامكان بأن ابقى هادئة، وأن اصوّر لهُ بأنني مُتقبلةٌ للأمر، وانني لن افعل ما فعلتهُ في السابق، كان على عاتقي الكثير من الالتزامات وليس لدي وقتٌ للانهيار، اعطيتُها اياها بعد ان وعدتني بأنها لن تفتحها قبل شروق شمس الغد، لم يتبق لي من الوقت الكثير، اليوم يوم زفافي، عليّ ان استعد للقائه عند الشاطئ، علي ان اكون انيقة ليتغزل بي، ارتديت فُستاني الابيض بعد كل هذا العمر، لم اهتم لتجاعيد وجهي الجديدة، فكرت فيه كيف يتغُزل بي حين يراني، كم يكون سعيداً بذلك، لا سيما وانه

تغـزل بي كثـيراً قبـل ان يـراه، قـال لي ذات مـرة: «حـين تأتـين يـوم زفافِنـا بالثـوب الابيـض، سـأجثو عـلى ركبتـي واقبـل يـدك كـما تُقبل ايـدِي الامـيرات» قالهـا وسـيفعلها، (رفيـق الـروح) لم يخلـف وعـدهُ قـطُّ، كان القمـر مُحاقـاً، كانـت ليلـةً مُعتمـة، تَدلَـت عناقيـد الاحـلام امامـي كالقناديـل لأقطـف منهـا مـا أشـاء، اضحـى كل شيء مباحـا، لم يعـد هنالـك قيـدٌ او شرط، الان سـيمنحني القـدر حريتـي، لـن اكـون تحـت امطـار ظلمـهِ ونـدى إنِصافـهِ، لـن اخضـع بعـد الان لعدالتـهِ العرجـاء، لـن التفـت إليـه وانـا مُتجهـةٌ الى مقعدنـا عـلى الشـاطئ، وقفـتُ بعيـداً، احمـل بيـدي اكليـل ورد، وضعـتُ احمـر الشـفاه الـذي كان يشـتهيه دائـماً، وضعـت ذات اللـون الـذي قـال عنـه كأنـهُ اغنيـة يتـوقُ إلى سـماعها، حـين وضعتـهُ نطقـت باسـمه، ثـوب زفـافٍ ارتـدي مـع خاتمـهِ الـذي اهـداني اياه، صففـتُ شـعري كـما كان يحـب، لم اغـير لونـهُ قـطُّ، لم يوافـق حـين طلبـت إليـه ذلـك، قـال لي حينهـا: «لا تعبثـي بأشـيائي»، امـرأةٌ وثنيـة انـا الان، اتصـل بـه بعلاقـة العبـادة، لم اعشـقه فحسـب، انـا اعبـده، حبيبـي هـل تسـمعُني؟ لم يعُـد لي عـلى الارض سـواك، انـا الان أطـوف حولـك، اتـوق إلى قدسـيتك، لا مناص للخـروج عـن طاعتـك، لا رجـاء إلا رضـاك، خـذ القربـان الـذي تشـاء، خـذ العمـر، خـذ الاحـلام، خـذ مـا تشـاء مـن شـفاه تعـضُّ بعضهـا كلـما تـراك، خـذني اليـك .

سرتُ بخطـوات فَرِحـة، ابتسـمت لـهُ، كان وجهـهُ بحجـم السـماء، مـد يـدهُ لي، طلـب إليَّ أن أسـير نحـوه، كان انيقـاً كعادتـه، عـادت لـهُ عينـهُ المفقـودة كأنـهُ لم يفقدهـا، اراه انـا جيـداً، لم يكـن سرابـاً، انـهُ حقيقـة حتـى انني استنشـقتُ عطـرهُ، بـدأت اسـير بخطـوات اسرع، وصلـت الى مقعدنـا ومـا يحيطـهُ مـن ذكـرى، وقفـتُ في ذات المـكان الـذي قَبّلنـي فيـه، نظـرت الى الاعـلى فرأيـت وجهـه، سـمعت صوتـه، هـو يـراني، يسـمعُني، انـهُ قريـب منـي، كل شيء فيـه جميـل مـع ثغـرهِ الباسـم.

كان الموج هائجاً، كأنهُ يود الافصاح عن شيء، لا اود سماعه، لا اريد سماع شيءٍ غير قصائده، ابيات شِعْره التي يقشعرُ لها سطح البحر، اراه امامي يمدُ لي يده ليصطحبني معه، انا آتية إليك، هذا يوم زفافِنا، سنتجاوز اليوم حدود العشق، سنكون في قيد الهِيام فيما الكُل عُشاق، سنكون اجمل ما على الارض من بشر، عصف الموج بأقدامي، كان يريد دفعي الى الخلف، لن يمنعني من رؤية حبيبي، لن اسمح لهُ بأن يقف حاجزاً امامي، اليوم يوم زفافي، هذه الليلة ستكُف كُل الاحلام عن الحلم، بمَن أحلم و(رفيق روحي) اغنى عني سريري واغطيتي والوسادة، بماذا أحلم ويدهُ من الان وسادتي، تقدمتُ الى الامام لأتمكن من الامساك بيده، ما زال يمدُ لي يدهُ، عليّ ان اتقدم بعض الخطوات، غَمرَ الماء حذائي الابيض، تبللت اطراف فُستاني الابيض، لم اشعر إلا بنشوةٍ اعادت لي الثاني من شهر نيسان، (ليلتي الاولى)، حين التقيتهُ يوم ميلادِنا، حين كتب لي اجمل كلمات، كلماته التي تُطربُ ولا تُسمع، حين افصحنا عمّا في قلوبنا من حب يُكتَب ولا يُكبت، تقدمتُ اكثر، تقدمتُ والموج يغمُرني اكثر، بدأتُ ارى تلك الورقة التي كتبها لي على طاولة المطعم الذي جمعني بهِ في (ليلتي الثانية)، حين تغزل بي بقلم انيق مثله، عندما طلب إليَّ ان تجمعنا علاقة لأنهُ يود رؤيتي كلَ يوم، قالها وهو لا يعلم عدد الساعات التي كُنت اقف فيها امام النافذة لأتطلع جمالهُ الخَلاب، تقدمتُ اكثر، كاد الموج يصل الى منتصف ساقي، توقفت كما توقفت عند بابه، حين التقيتهُ في منزله، توقفت كما توقفت عند الخروج من منزله، حين منعني المطر حينها من العودة الى البيت، عندما قضيتُ (ليلتي الثالثة)، حين لمسني للمرة الاولى واتكأ على كتفي، حين تحدثنا واجفانُنا مغلقة، وقتما تبادلت ارواحُنا الحديث ونحن صامتَين، ارتفع موج البحر اكثر، صار صوت تقلبه

عالياً، اراد مني التراجع ولكنهُ لن يتمكن من اصدار الضجيج الكافي ليمحو من سمعي قصائد حبيبي، لن يتمكن من ايقافي، حبيبي هُناك بانتظاري، اراه امامي الان، اشعر بقبلتهِ الاولى كما شَعرتُ بها في (ليلتي الرابعة)، حين فقدت روحي عذريتَها على شفتيه، تقدمتُ اكثر، تقدمتُ لأنال ذات السعادة التي نلتُها حين غفوت على صدره، عندما ماتت امي وزارني ليحل محلها، كانت لهُ سِمات الام عند العناق، تقدمتُ اكثر لكي تكون الليالي القادمة كهذه الليلة، اتوسد صدرهُ وانا لا اعلم كم الساعة وفي أي يوم نحن وفي أي سنة، يتوقف الزمن بالقرب منه، دقات قلبه كانت تعني لي دقات الساعة، حركة احداق عينيه وهو ينظر إلى جسدي كانت عقارب ساعتي، هذه (ليلتي الخامسة)، توقيتها بحسب نبض قلبه ومكانها بين اضلُعهِ، نظرتُ الى كف يدي، ما زال خاتم الزفاف بأصبعي، رأيت تلك الليلة بأدق تفاصيلها، كيف اوقد الشمع، كيف طلبني للزواج، سمعت تصفيق الحاضرين من حولي جيداً ولكنني التفت ولم أرَ احداً منهم، رأيت وسامتهُ في ذلك اليوم، وجهه الجميل، ربطة عنقه، عطره، لمسةَ يده وهو يمنحني هذا الخاتم، يمنَحُني ليلة تُضاف الى تلك الليالي التي تساعدني الان على مسك يده، هي (ليلتي السادسة)، اتذكرُها وهو لا يزال يقف امامي ويدهُ ممدودة لي، احتاج الى المزيد من الخطوات كي اصل إليه، التفتُ الى الشاطئ، رأيتُ مقعدنا قد اصبح بعيداً مني، تركتُ مقعدنا كما تركتهُ في تلك الليلة، عندما غادرت قلبهُ المُتيم بي، هكذا قالها لي حين ابتعدتُ منه قبل السفر، اتذكرهُ حين قال «أتودين العُزلة وانا مُتيمٌ بك؟»، ما زالت نظراته تجول في خاطري وانا اخذلهُ، ظلمتهُ كثيراً في وقتها، ظلمتُ نفسي اكثر منه، لم يعلم في وقتها ما قد حدث لي، كانت شهور قبيحة الايام، ولكنها وعلى الرغم من كُل شيءٍ كانت جميلة الذكرى لأن هواءها كان

مَخلوطاً بأنفاسه، هي (ليلتي السابعة)، لوى الموج يدي، فقدتُ باقة الورد التي أحملها، اخذها مني ليرميها بعيداً، اعتلى الماء، صرتُ لا اتمكن من رفع يدي، كان الموج اعلى من خَصري وما زالت يدهُ بعيدة، لم اتمكن الى الان من لمسها، يتطلب الامر مزيداً من الخُطا ومزيداً من الذكريات، وقفت مُجدداً لأحزن من دون بكاء، لأبكي من دون دمع، تذكرتُ (ليلتي الثامنة)، تذكرت دموع الندم التي سَكبتَها عيني على هذا الشاطئ، حين اتيت نادمةً على فراقه، حين ادمت مقلتي شهور الفراق، حين قبلت رأس اللوم كي انال رضاه، بدأتُ احرك يدي داخل الماء كي لا افقد توازني، اسير على الذكريات لألقاه، انا لستُ كمثل بقية نساء الارض، انا لم اكن طفلة سعيدة، لم اكن صبية تعرف التباهي، لم اكن امرأة لها حياة مثالية، اردتُ ان اكون امرأة من نسج الخيال، لم اكن كباقي النساء، لم اسمع الموسيقى ليلة زفافي، ها انا اسير في ليل زفافي على الذكريات، خسرتُ الكثير وانا في طريقي الى الحياة، لم أنل تلك الحياة التي رسمتُها في مخيلتي وانا اصنع ضفائِر شعري، كان عليّ ان استسلم منذُ الطفولة، منذُ ان كنتُ اعمل في تنظيف الصحون، حينما كنتُ اخجل من كل شخصٍ يُصافح يدي ويلاحظها بأنها تفوق عُمري خشونة، خسرتُ كما خسر (احمد) عينه، اراد ان يُصلح ما افسدتهُ الاحزاب، خسر عينهُ حين كشفَ رياء الاحزاب الدينية، وخسر حياته حين اكتشف سرقة الاحزاب الليبرالية، كان عليه ان يكتشف امرهم مبكراً، منذ انتمائهِ لهم وليس قُبيل الثورة، كان عليه ان يكون حذراً كي لا نحزن، كي لا اراه كما رأيتهُ بعينٍ واحدة، تلك الليلةُ العصيةُ على النسيان، حين التقيتهُ في (ليلتي التاسعة) بعد طول انتظار، حينما فقدتهُ قبل ان اخسره، كنت على امل ان القاه فألتقيته، ولكن لقاءنا بما فيه من ألم، كان غير قابلٍ للنقد، صرتُ قريبة منهُ، لم يتبق لي إلا القليل

واكـون في قيـد حياتـه، سئمتُ حيـاتي مـن بعـده، اريـد ان اعيـش في حيـاتي معـه، في ذلـك العـالم الهـادئ الـذي لا يتخللـهُ سـوى النـور، اعتـلى المـاء جسـدي اكثـر، غطـى مـا كنـت أُخبئـهُ عنـه، رأيـتُ تلـك الليلـة التـي خَشيتُ فيهـا مـن ان يـرى ذلـك الجُـرح الـذي يتوسـط صـدري، ذلـك الارث الـذي تركـهُ لي ابي ليمنحنـي البـؤس، ذلـك الجُـرح الـذي يشـبه جُـرح فِراقـي لـه، بعـد ان نهشـتُ وفـاءهُ بأنيـاب الخُـذلان، (ليلتـي العـاشرة)، فيهـا كان قرينـي بالجُـرح، حـين اسـتيقظتُ وانـا بـلا قيـد، فتحـت لـهُ قميـصي ففتـح لي بابـاً مـن ابـواب جنتـهِ، بعـد ان تمَزَقـتْ ازرارهُ عِشـقاً، تمزقـت شـغفاً، لا بـل شـوقاً، حـين أشرقـت الشـمس وانـا لا ازالُ في قيـد الليـل، تغاضيـتُ عـن شروق الشـمس لروعـة الليـل الـذي سـبقه، حـين قَبَّـل شـفتَيّ سـاعاتٍ أخـذني فيهـا الى شـواطئ البحـر الكاريبـي لأرى اروع منظـرٍ لغـروبِ الشـمس، لم تَعُـد اقدامـي تَلمـس قـاع البحـر، اخـذني المـوج إليـه، قُطِعَـت انفـاس احلامـي، غمـرني المـوج كليـاً، لم اخـرج هامتـي لأسـتغيث، لمـن أسـتغيث مـن بعـده، لـن اسـتغيث وانـا اهـوى لقـاءهُ هـذا، سـيراني (رفيـق الـروح) وسـيأخذ بيـدي، يـدي التـي لوحـت لـه منـذ الليلـة الاولى، لـن يترُكنـي، سـيأخذ بيـدي، سـيأتي إلي قبل ان اغـرق، سـيأتي إلي حامـلاً بيـدهِ اليمنـى باقـة وردٍ كالتـي سرقَهـا المـوج منـي، كـما اتـى إلي في (ليلتـي الحاديـة عـشر) انيقـاً ليطلـب الـزواج منـي، سـألقاه بعـد قليـل، لـن يتطلـب امـر لقائـهِ اكثـر، هـا هـي الـروح تنفصـلُ عـن الجسـد.

«يا لائـمـاً لامـني في حُبِّهم سَفـهـاً ..
كُـفّ المـلَام فـلـو احـبـبَـْـتَ لـم تَـلُـمِ»

ابن الفارض

(٧)

امَّـا قَبـل .. لا شيء اجمـل ممـا كان قَبـل، حيـثُ الوفـاء والاخلاص، حيـثُ المشـاعر الصادقـة والامْنيـات الخالصـة، حيـثُ مـا كانـت ترومـهُ عَيناهـا وهـي تَنظُـر إليـه، حيـثُ قلبُهـا أُحـادِيّ الحـب، حيـثُ مسـاماتُ يديهـا النقيـة مـن الخيانـة، حيـثُ روحهـا التـي لم تقبـل القسـمة عـلى غـير (رفيـق روحهـا)، قَبـل، حـين كان كُل شيءٍ جميـلا، منـذُ ان كانـت تـراهُ خِلسـةً مـن خلـف نوافذهـا في كُل صبـاحٍ لتقـول لـه «جَمالُـكَ مُزمِـن، وكل جمـالٍ بَعـدكَ لا يلفـتُ النظـر»، منـذُ ان كانـت تتمنـى لُقيـاه، حتـى دَفعَـت عُمرهـا رشـوةً لتلقـاه، كُل ذلـك كان قَبـل، قَبـل ان ترحـل (قمـر).

دخلـت (سـارة) الى منـزل (قمـر) بعـد ظهـيرة اليـوم التـالي، لم تجدهـا، طَرقَـت البـاب فوجدتـهُ مفتوحـاً، نـادت باسـمها ولم يُجِبهـا احـد، دخلـت الى البيـت، بحثـت عـن (قمـر) ولم تجدهـا، كان المنـزل خاليـاً، لم تجـد غـير صـدى صوتهـا وهـي تنـادي باسـمها، جلسـت خائفـةً تُخمـن مـا قـد حـدث لهـا، جلسـت وهـي تحمـل بيدهـا الحقيبـة الصغـيرة التـي اعطتهـا اياهـا (قمـر) ليلـة الامـس واوصتهـا بـألا تفتحهـا إلا في اليـوم التـالي، لم تفتحهـا (سـارة)، كانـت خائفـةً مـن ان تجـد فيهـا خـبراً سـيئاً عنهـا، كانـت تتصـل بهـا طـوال ليلـة الامـس وفجـر اليـوم ولم تُجـب عـلى اتصالهـا، جـاءت في وقـتٍ مُتأخـرٍ مـن ليلـة الامـس ولم تجـد احـدا في المنـزل، كانـت تنتظـر شروق الشـمس لتسـتعلم عنهـا، كانـت تُفكـر في ان تسـأل عنهـا كُل شيء عـدا مـا يوجـد في الحقيبـة، كانـت خائفـةً منهـا جـداً، كانـت تعلـم ان في داخلهـا مـا يُشـير الى الـوداع، سَـمعِت صـوت مُحـرك سـيارة في الخـارج، خَرجـت فشـاهدت سـيارة (قمـر) عنـد البـاب، ظنـت أنهـا هـي، ولكـن كان (يعقـوب) يقودُهـا، دخـل الى المنـزل،

القـى التحيـة عـلى (سـارة) وجلـس امامهـا..

سألها :اين (قمر)؟

اجابتهُ باكيةً: لا اعلم، هل حدث لها شيء؟

لم يجـب عـن سـؤالها، اخـرج عُلبـة سـجائرهِ واشـعل سـيجارة، جلـس هادئـاً ينظـر الى الارض، ويتأمـل مـا حـدث، رجتـه (سـارة) بـأن يخبرهـا عـمّا حـدث، اخبرهـا بانـه لا يعلـم شـيئاً، يبحـثُ عنهـا هـو ايضـاً، كان قـد اتصـل شـخصٌ (بيعقـوب) يسـألهُ عـن معرفتـهِ بأوصـاف سـيارةٍ تُشـابه سـيارة (قمـر)، اسـتفسر منـهُ عـن ارقـام لوحاتهـا ولونهـا فتأكـد (يعقـوب) مـن أنهـا سـيارة (قمـر)، كانـت قـد تركـت رقـم هاتفـهِ عـلى الزجـاج الامامـي للسيارة، اتصـل هـذا الشـخص ليسـأل عـن اسـباب تـرك السـيارة عنـد الشـاطئ، ظـن (يعقـوب) بـأن (قمـر) أُصيبـت بوعكـة صحيـة مُفاجئـة ونُقلـت الى المشـفى فأضطُـرت الى تـرك سـيارتها.. سـأل عنهـا كل مستشـفيات المدينـة ومراكزِهـا الامنيـة، لم يجـد لهـا اثـرا، عـاد بالسـيارة الى منزلهـا، عـادَ وهـو يُمْهـل نفسـه اكـبر وقـتٍ لإيجـاد افـكارٍ تقنعـهُ بأنهـا لم تذهـب باتجـاه الشـاطئ، لم يتكلـم عـمَّا يجـول في خاطـره مـن ظـن، سـألتهُ (سـارة) عـن اسـباب حيازتـهِ للسـيارة فأخبرهـا بـأن (قمـر) قـد تركتهـا بحوزتـهِ ليلـة امـس، وانـهُ لا يعلـم شـيئا عنهـا، لم يخبرهـا بأنـهُ وجدهـا عنـد الشـاطئ، غلـب الصمـت عـلى الموقـف، لم تتكلـم سـوى ظنونهـم، مـا الـذي حـل (بقمـر)؟ لِمَ تركـت سـيارتها في ذلـك المـكان؟ ايـن هـي الان؟ اطفأ (يعقـوب) سـيجارتهُ وصعـد الى الطابق العلـوي في منزلهـا، فتـح كل ادراج مكتبِهـا ليبحـث بـين اوراقهـا عـن شيء يسـاعدهُ في الظـن أنهـا سـافرت، سـمع شـخصاً يطـرق البـاب، وجـد مـا كان يبحـث عنـه ثـم نـزل الى الطابـق السُـفلي فوجـد

(هشام) يسأل عن (قمر) هو الاخر، سأل عنها ولم يجبهُ احد، اخبرهُ الجميع بأنهم لا يعلمون عنها شيئا، التزموا الهدوء جميعهم مُجدداً، بدأ القلق شيئاً فشيئاً يغلب على افكارهم، مضى وقت كثير ولم تأتِ (قمر)، جلس (هشام) يُفكر في مصيرها هو ايضاً، جاء ليخبرها بأن المُجرم الذي قتل (احمد) انتحر صباح اليوم بعد ان جمع اغطية سريرهِ ليشنُق نَفسهُ فيها عبر قُضبان نافذة دورة المياه في السجن، شنق نفسهُ بعد ان رمى (هشام) الصور في زنزانته ليلةَ الامس، علِم (هشام) من مدير السجن بأن المُجرم انتحر بعد ان شَنِق نفسه عند الفجر، علِم ايضاً بأن الصور هي التي كانت السبب، حين ذهب ليرى جثته أعطى مدير السجن لهُ الصور واخبره بأنها كانت بيده حين شنق نفسه، كان يحملها وهو يلتقط انفاسهُ الاخيرة، ظل (هشام) ينعم النظر في الصور، اندهش مما كانت تحتويه من منظرٍ بشع، ظل يسأل نفسهُ عمَّا جرى، اخبرهُ مدير السجن بأن هناك جريمة قتل في هذه الصور، فهي صور طفليه اللذين قُتِلا بالأمس، اخبرهُ ايضاً بأن المُجرم قضى ليل الامس وهو يصرخ باسمِهما ويقول «قتلوا اطفالي»، اخبرهُ كيف انهم اضطروا لنقله الى زنزانة معزولة كي لا يسمعوا نحيبهُ، بقي طول الليل يصرخ ويُردد اسماء اطفاله، ظل على هذه الحال الى ان حل الصباح وسُمِحَ لهُ بالذهاب الى دورة المياه، حينها خبأ اغطية سريرهِ حول خصره ليشنقَ نفسه فيها، احتفظ (هشام) بالصور، وطلب الى مدير السجن بأن لا يخبر احداً بصدد الموضوع، كان (هشام) ذا سلطة على ادارات السجون كافة بسبب علاقتهِ الوطيدة بالوزير المسؤول عنها لما بعد الثورة، تمكن من التكتم على الامر، ولكنهُ الان جالساً يفكر في اخر حوار لهُ مع (قمر)، حين اخبرها بأنهُ يتمكن من قتله ولكنه يُريد لهُ ان يتذوق الموت ببطء، حين اخبرها بأنهُ

ينتظر ذلك اليوم الذي يراهُ فيها يسير خائفاً الى حبل المشنقة، ظل سمعهُ يُردد اخر ما قالتهُ (قمر)، صدقها حين وعدتهُ بأنها ستجعلهُ يتذوق الموت دون ان يموت، لم يخبرهم (هشام) عمّا حدث، احتفظ بالصور واخبرهم عن عذر كاذب لمجيئه.

اوشكت الشمس أن تغرب وكل واحدٍ منهم يحتفظ بسرٍ عن (قمر)، لم يفصح احدهم عن شيء، اكتفوا بتقديم السجائر لبعض، بعد صمتٍ طويل ...

وقف (هشام) وقال (ليعقوب): لمَ لا نبحث عنها في المستشفيات ومراكز الامن؟

اجابهُ (يعقوب): بحثتُ عنها في كل الاماكن قبل ان اتي الى هنا.

كانت اجابة (يعقوب) يغلبُها البرود، في وقتها كان قد صَدق الحقيقة، فكر ملياً قبل ان يُصدق بأنها رحلت.

قال (هشام): سأذهب انا الان، سأتصل بقيادات الامن في المدينة لأعطي اسمها واوصافها لعلهم يعثرون عليها.

خرج (هشام) وبقي (يعقوب) و(سارة) صامتين، و بعد عدة دقائق.

استدركت (سارة) قائلةً بدمعٍ منهمر: يجب عليّ اخبارك بشيء.

تفاجأ (يعقوب) بالأمر ...

قال لها: هل تعلمين شيئا عن (قمر)؟

قالت: تركت لي (قمر) هذه الحقيبة، لم افتحها، لا اعلم ما

بها، انـا خائفـةٌ مـن انهـا ..

لم تكمـل حديثهـا، كانـت خائفـة، اسـتمرت بالبـكاء، ارادت اعطـاء الحقيبـة (ليعقـوب).

اكملـت كلامَهـا قائلـةً: اتمنـى انهـا تركـت رسـالة لتعلمنـا بمكانهـا، اتمنـى انها سـافرت فحسـب.

قام (يعقوب) واخذ الحقيبة ...

قـال: كلا لم تسـافر، بحثـت في مكتبهـا ووجـدتُ جـواز سـفرها وجميـع اوراقهـا الرسـمية.

فتـح (يعقـوب) الحقيبـة، كانـت تحتـوي عـلى مجموعـة اوراق، اطلـع عليهـن سريعـاً وبقـي يقـرأ احداهـن، كانـت رسـالة وداع تتضمـن عـدة وصايـا، لم تقـل الى ايـن ذهبـت، ولكنهـا لمّحـت للمـوت بـين كلماتهـا، بقيـت (سـارة) خائفـةً تنظـرُ الى عينيـهِ، سـألتهُ عـن مُحتـوى الرسـالة ولم يجبهـا، أعطاهـا ايـاه فعرفـت مـا حصـل، قرأتهـا وهـي تعلـم جيـداً مقـدار وفائهـا لحبيبهـا.

انتهـى الامـر، وعـلى الجميـع تَقَبُـل مـا صاغـهُ القـدر، اصبحـت (قمـر) مُجـرد ذكـرى، ذكـرى مـن دون اثـر، رحلـت دون ان تـترك لهـا قـبراً، رحلـت والقـدر اراد مـع رحيلهـا ان يمحـو كل اثـرٍ كان لهـا عـلى هـذه الارض، محـا بـكُل لـؤم اخـر خطـواتٍ لهـا عـلى رمـل شـاطئ، كانـت تسـير باتجـاه المـوتً والقـدر يدفـع مـوج الشـاطئ ليمحـو اثـار اقدامهـا، كـي لا يجدهـا احـد، كـي لا يعـترِف بقُدسـية هـذهِ الاثـار الوفيـة، سـيظل وفاؤهـا رغـماً عـن انفـه، سـتحيا (قمـر) في قلـب كُل عاشـق، سـتحيا في فِكـر كل وفي، سـتحيا مـن اجـل ان تتعلـم منهـا كُل نسـاء الارض معنـى الوفـاء، سـتبقى منـاراً لـكل

امـرأةٍ لم تسـتدلَّ طريقهـا الى الإخـلاص، كانـت (قمـر) قـد باعـت منزلهـا وسـيارتها وجميـع مُقتنياتِهـا ووضعـت كل اموالهـا في حسـاب مـصرفي باسـم (يعقـوب)، تركـت لـهُ وصيـةً تطلـب فيهـا اليـه بـأن يُسـلم ممتلكاتهـا الى احـدى شركات التجـارة في المدينة بعـد ان انجزت الاوراق اللازمـة لعمليـة البيـع كافـة، كـما اوصـت ايضـاً بـأن تـوزع اموالهـا بالتسـاوي عـلى خمـس نسـاء، كانـت (قمـر) ولمـدى سـنوات، تتـبرع بجـزء مـن دخلهـا الى ورشـة صغـيرة للخياطـة في احـدى القـرى، كانـت تذهـب إليهـن كل منتصـف شـهر لتـوزع هـذه الامـوال بصـورة سريـة، بعـد ان اتفقـت مـع مديـرة الورشـة بـأن تخبرهـم حـين يسـألون عـن مصدرهـا بأنهـا مُسـاعداتٌ مـن احـدى المنظـمات الخيريـة، كانـت تـأتي عنـد الصبـاح الباكـر لتضـع عـلى كل ماكنـة خياطـة مبلغـا مـن المـال يسـاعدهُن عـلى العيـش بالاضافـة الى دخلهـن الشـهري مـن عملهـن.

اوصـت (قمـر) بـأن تُـوزع تَركتهـا عليهـن بالتسـاوي، شريطـة ان تفتـح كل منهـن ورشـة خياطـة خاصـة بهـا، ليكـون لـكل منهـن ورشـتها الخاصـة ودخلهـا الخـاص، نفـذ (يعقـوب) مـا جـاء بوصيتهـا، لا شيء كان يصـف دمُوعهـن حـين علِمـن بحقيقـة المبالـغ التـي كانـت تـأتي لهُـن، حـين حدثَهُـن (يعقـوب) عـن (قمـر) وعـن روعتهـا وحُسـنها، اعطـى لـكلٍ منهُـن صـورةً لهـا بعـد ان طَلَبْـنَ ذلـك، سـألن عـن مصيرهـا، اخبرهُـن (يعقـوب) بأنهـا سـافرت لتتـزوج خـارج البـلاد، لم يتبـقَ لـهُ سـوى انتظـار اليـوم الـذي سـتُفتَتَح فيـهِ هـؤلاء النسـوة ورشـهن، كانـوا قـد وعـدوه بـأن الافتتـاح سـيكون مطلـع الشـهر القـادم.

في صبـاح يـوم مُـشرق، كان (يعقـوب) عـلى موعـدٍ لزيـارة ورشـهن الجُـدُد، كان يـوم الافتتـاح، زارهُـن ورأى الفـرح يغمـر

ثغرَهُـن، لـكل واحـدةٍ منهُـنَ الان ورشـتها الخاصـة، تركَـن العمـل في القُـرى النائيـة، اصبـح عملهُـن في العاصمـة وتضاعـف دخلهـن الشـهري عـشرات الاضعـاف، عَلقـن صـور (قمـر) في كُل ورشـة، تمجيـداً لهـا، وقـف (يعقـوب) دقائـق ينعـم النظـر في احـدى صورهـا في احـدى الـورش، انهمـرت دموعـهُ حـين قالـت لـهُ احداهـن بأنهـن ينتظـرن رجوعهـا الى الوطـن، لعلهـا تدخـل احـدى الـورش مصادفـة ويتعرفـن اليهـا.

في ذات اليـوم، شـهدت العاصمـة افتتـاح تمثـال (لأحمـد)، اراد الحـزب الليـبرالي تمجيـد ذكـراه، اراد تحنيـط تضحيتـهِ في متاحِفـهِ السياسـية، وضعـوا لـهُ نُصبـاً في احـدى اهـم المناطـق في المُـدن، بعـد ان رفـض اتبـاع جبهتـهِ التـي شـكلها قُبيـل الانتخابـات مـن وضـع تمثالـهِ في مدخـل بنايـة الحـزب، اولئـك الذيـن كانـوا يدعمونـه منـذ مقالاتـه الاولى، منعوهـم مـن وضعـهِ امـام مقـر الحـزب لأنـه كان يُمثـل شـعباً بأكملـه وليـس حِزبـاً، في ذلـك اليـوم عـاد (يعقـوب) فخـوراً مـن الـورش الخمـس التـي افتتحـت بحسـب وصيـة (قمـر)، ذهـب مُسرعـاً قبـل غـروب الشـمس ليقـف امـام تمثـال (احمـد)، وقـفَ فابتسـم فخـراً نيابـةً عـن (قمـر)، كان تمثالـهُ بكلتـا عينيـه الجميلتـين.

الخاتمة

«لـو شـاء الله أن ينسـى أننـي دُميـة، وأن يهبنـي شـيئاً مـن حيـاة أخـرى، فإننـي سـوف أسـتثمرها بـكل قـواي، ربـما لـن أقـول كل مـا أفكـر فيـه، لكننـي حتـماً سـأفكّر في كل مـا سـأقوله، سـأمنح الأشـياء قيمتهـا، لا لمـا تمثّلـه، بـل لمـا تعنيـه، سـأنام قليـلاً، وأحلـم كثـيراً، مـدركاً أنّ كل لحظـة نُغْلـق فيهـا أعيُننـا تعنـي خسـارةَ سـتين ثانيـة مـن النـور، سـوف أسـير فيـما يتوقـف الآخـرون، وسـأصحو فيـما الـكل نيـام، لـو شـاء ربي أن يهبنـي حيـاةً أخـرى، فسـأرتدي ملابـسَ بسـيطة وأسـتلقي عـلى الأرض، ليـس فقـط عـاريَ الجسـد وإنـما عـاريَ الـروح أيضـاً، سـأبرهن للنـاس كـم يخطئـون عندمـا يعتقـدون أنهـم لـن يكونـوا عشّـاقاً متـى شـاخوا، دون أن يدركـوا أنهـم يشـيخون إذا توقفـوا عـن العشـق، للطفـل سـوف أعطـي أجنحـة، لكننـي سـأدعه يتعلّـم التحليـقَ وحـده، وللكهـول سـأعلّمهم أن المـوت لا يـأتي مـع الشـيخوخة بـل بفعـل النسـيان.

لقـد تعلمـتُ منكـم الكثـير أيهـا البـشر، تعلمـت أن الجميـع يريـد العيـش في قمـة الجبل غـير مدركـين أنّ سر السـعادة تكمن في تسـلقه، تعلمـت أن المولـود الجديـد حـين يشـدّ عـلى إصبـع أبيـه للمـرة الأولى فذلـك يعنـي أنـه أمسـك بهـا إلى الأبـد، تعلمـت أن الإنسـان يحـق لـه أن ينظـر مـن فـوق إلى الآخـر فقـط حـين يجـب أن يسـاعده عـلى الوقـوف، تعلمـت منكـم أشـياء كثـيرة، لكـن، قلـة منهـا سـتفيدني، لأنهـا عندمـا سـتوظَّب فيـه حقيبتـي أكـون قـد ودعـتُ الحيـاة، قـل دائـماً مـا تشـعر بـه، وافعـل مـا تفكّـر فيـه، لـو كنـت أعـرف أنهـا المـرة الأخـيرة التـي أراكِ فيهـا نائمـة لضممتـكِ بشـدة بـين ذراعـيّ ولتضرّعـتُ إلى الله أن يجعلنـي حارسـاً لروحـك، لـو كنـت أعـرف أنهـا الدقائـق الأخـيرة التـي أراك فيهـا، لقلـتُ «أحبـكِ» ولتجاهلـتُ

بخجلٍ أنـكِ تعرفـين ذلـك، هنـاك دومـاً يـوم غـد، والحيـاة تمنحنـا الفرصـةً لنفعـل الأفضـل، لكـن لـو أننـي مخطـئ وهـذا هـو يومـي الأخـير، لأحببـتُ أن أقـول كـم أحبّـكِ، وأننـي لـن أنسـاكِ ابـداً، ذلـك لأنّ الغـد ليـس مضمونـاً لا للشـاب ولا للمسـن، ربـما تكـون في هـذا اليـوم المـرة الأخـيرة التـي تـرى فيهـا أولئـك الذيـن تحبهـم، فـلا تنتظـر أكثـر، تـصرف اليـوم لأن الغـد قـد لا يـأتي ولا بـدّ أن تنـدم عـلى اليـوم الـذي لم تجـد فيـه الوقـت مـن أجـل ابتسـامة، أو عنـاق، أو قُبلـة، أو أنـك كنـت مشـغولاً كـي ترسـل لهـم أمنيـة أخـيرة، حافـظ بقربـك عـلى مَـن تحـب، اهمـس في أذنهـم أنـك بحاجـة إليهـم، أحببهـم واعتـنِ بهـم وخـذ مـا يكفـي مـن الوقـت لتقـول لهـم عبـارات مثـل (أفهمـك، سـامحني، مـن فضلـك، شـكراً) وكل كلمات الحـب التـي تعرفـه، لـن يتذكـرك أحـد مـن أجـل مـا تضمـر مـن أفـكار، فأطلـب الى الـربّ القـوة والحكمـة للتعبـير عنهـا، وبرهـن لأصدقائـك ولأحبائـك كـم هـم مهمّـون لديـك».

غـابـريـل غـارسـيا مـاركـيس

التواصل مع دار كتاب
Email: darkitabone@gmail.com
facebook: دار كتاب للنشر والتوزيع
صفحة دار كتاب
٠١٠٢٩٧٥٥٢٠٠